

مقدمة المحقق حول عقيدة الشوكاني من خلال كتبه^(١) :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ .
وبعدُ :

فإن مذهب الإمام الشوكاني في الاعتقاد هو مذهب أهل السنة والجماعة إلا في مسائل معدودة كما سنوضحه في هذه المقدمة السريعة .

وقد نهج الشوكاني منهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة ، وصرح بأنه :

(١) : معظم هذه المقدمة مستفادة من كتاب " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " تأليف : د . عبد الله

((لا ينبغي لعالم أن يدينَ بغيرِ مادان به السلفُ الصالحُ من الصحابةِ والتابعينَ وتابعيهم ؛ من الوقوفِ على ما تقتضيه أدلةُ الكتابِ والسنةِ ، وإبرازِ الصفاتِ كما جاءت ، وردَّ علمِ المتشابهِ^(١) إلى الله سبحانه ، وعدمِ الاعتدادِ بشيءٍ من تلك القواعدِ المدونةِ في هذا العلم - أي علمِ الكلام - المبنيةِ على شفا جُرفِ هارٍ من أدلةِ العقلِ بما يطابقُ الهوى ، لاسيما إذا كانت مخالفةً لأدلةِ الشرعِ الثابتةِ في القرآنِ والسنةِ ، فإنها حينئذٍ حديثُ خُرَافةٍ^(٢) ولُعبَةٍ لآعبٍ ، فلا سبيلَ للعبادِ يتوصّلون به إلى معرفة ما يتعلقُ بالربِّ سبحانه ، وبالوعدِ والوعيدِ ، والجنةِ والنارِ ، والمبدأِ والمعادِ ، إلا ما جاءت به الأنبياءُ صلوات الله عليهم وسلامه ، وليس للعقولِ وصولٌ إلى تلك الأمور ...))^(٣) .

كما أن الإمام الشوكاني سلك في الاستدلال على وجود الله مسلك القرآن الكريم ، وهو إثبات وجود الله عن طريق بيان عظمتِهِ وتدييره المحكم ، وقُدْرَتِهِ على كل ما في العالم ، وعنايته التامة بكل صغيرة وكبيرة .

وقد اشتمل القرآن الكريم على الحجج والبراهين القاطعة التي تقمع شبهة كل ملحد أو منحرف ، في كل زمان ومكان . قال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] أي ما تركنا في القرآن من أمر الدين ، إما تفصيلاً أو إجمالاً^(٤) .

ويمكن حصر الطرق التي سلكها الشوكاني في الاستدلال على وجود الله في طريقتين :

(الطريق الأول) : الفطرة والميثاق المعقود بينها وبين بارئها :

(١) : علمُ المتشابهِ في القرآن هو العلم الذي يُوكَلُ بفهمه لعلم الله تعالى ، ولا يجب الخوض فيه ، وبخلافه المحكم فهو مفهوم لسائر الأمة .

(٢) : من الأمثال النبوية ، وخرافة رجل من خزاعة ، كان قد غاب عن قبيلته ثم عاد ، وزعم أن الحسن اختطفته ، وكان يحدث بأحاديث كذبا حتى ضُرب به المثل : فقيل : أكذب من خرافة .

(٣) : " أدب الطلب ومنتهى الأرب " للشوكاني ص ١٢٨-١٢٩ بتحقيقي .

(٤) : فتح القدير . للشوكاني (١١٤/٢) .

قال الشوكاني في "فتح القدير" (١): ((كل فردٍ من أفراد الناس مفطورٌ ، أي مخلوقٌ على ملة الإسلام ، ولكن لا اعتبارَ بالإيمان والإسلام الفطريَّين ، وإنما يعتبر الإيمانُ والإسلامُ الشرعيانِ ، وهذا قول جماعة من الصحابةِ ومن بعدهم ، وقول جماعة من المفسرين ، وهو الحقُّ ، والقول بأن المراد بالفطرة هنا الإسلامُ هو مذهب جمهور السلف)) اهـ .

قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَٓ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم : ٣٠]

استدل الشوكاني بهذه الآية الكريمة على أن التوحيد أمرٌ فطريٌّ في الإنسان ، ورجَّح القول بحمل الناس في الآية على العموم من غير فرقٍ بين مسلمهم وكافرهم ، وأهم جميعاً مفطورون على ذلك ، لولا عوارضٌ تعرضُ لهم ، فيبقون بسببها على الكفر ، ثم قال رحمه الله : " وهذه الفطرةُ التي فطر الله الناسَ عليها ، لا تبدلُ لها من جهة الخالقِ سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ : أي ذلك الدين المأمورُ بإقامة الوجهِ له ، أو لزومُ الفطرة ، هو الدينُ القيمُ " (٢) .

ومثلُ هذه الآية قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٨] . قال الشوكاني : " أي الإسلام (٣) . فالإسلامُ هو صبغةُ الله في كل مخلوقٍ مدرك . وروي عن مجاهد في قوله تعالى : صبغةُ الله . قال : فطرةُ الله التي فطرَ الله الناسَ عليها " (٤) .

ومما يدل على أن النفسَ تدركُ وجودَ الله بفطرتها ، وترجع إليه في الشدائدِ والحن تَستمدُّ منه العونَ ، وتطلب منه النجاةَ .

(١) : (٢٢٤/٤) .

(٢) : فتح القدير . للشوكاني (٢٢٤/٤) .

(٣) : فتح القدير للشوكاني (١٤٨/١) .

(٤) : فتح القدير للشوكاني (١٤٩/١) .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَٰ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس: ٢٢] .

فسر الشوكاني هذه الآية وقال : " وليس هذا لأجل الإيمان بالله وحده ، بل لأجل أن ينجيهم مما شارفوه من الهلاك ، لعلمهم أنه لا ينجيهم سوى الله سبحانه ، وفي هذا دليل على أن الخلق جُبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد " (١) .

ويربط الشوكاني في تناسق بين هذه المعرفة الفطرية ، وبين الميثاق الذي أخذه الله على الإنسان ، وهو في عالم الذر قبل أن يُخلَق كما أشار سبحانه في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٣٧﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] .

يقول الشوكاني في تفسير الآية : " إن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم العهد ، وهؤلاء هم عالم الذر ، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ، ولا المصير إلى غيره ، لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ وموقوفاً على غيره من الصحابة " (٢) .

وأيّد تفسيره هذا بأحاديث كثيرة :

(منها) : حديث ابن عباس عن النبي ﷺ ، قال أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر

(١) : فتح القدير . للشوكاني (٢/٤٣٥) .

(٢) : فتح القدير . للشوكاني (٢/٢٦٣) .

آدم بنعمان - يعني عرفه - فأخرج من صُلْبِهِ كُلَّ ذَرِيَّةٍ ذَرَأَهَا ، فنثرهم بين يديه كالذَّرِّ ، ثم كلمهم فتسلا قال ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٦٥﴾ : إلى آخر الآية^(١) .

وهناك ميثاق آخر يرتبط بالميثاق الأول : وهو ما جاءت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، تجديداً للميثاق الأول ، وتذكيراً له ، كما قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء : ١٦٥] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "^(٢) " وسميت المعذرة حجة ، مع أنه لم يكن لأحد من العباد على الله حجة ، تنبيهاً على أن هذه المعذرة مقبولة لديه تفضلاً منه ورحمة " . فلا منافاة بين هذا الميثاق والميثاق الأول ، لأن كليهما ثابت في الكتاب والسنة . قال الحافظ الحكمي في " معارج القبول "^(٣) : ((فمن أدرك هذا الميثاق وهو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يُقْبَلُ ذلك من أول مرة ، ولا يتوقف ، لأنه جاء موافقاً لما في فطرته ، وما جبله الله عليه ، فيزداد بذلك يقينه ، ويقوى إيمانه فلا يتلثم ولا يتردد .

ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول ، بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه ، وهوّده أبواه ، أو نصرّاه ، أو مَجَسَّاه ، فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته ، وصدّق بما جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني ، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذباً بالأول ، فلم ينفعه

(١) : وهو حديث صحيح لشواهده . أخرجه أحمد (٢٧٢/١) والنسائي في تفسيره رقم (٢١١) وابن أبي

عاصم في السنة رقم (٢٠٢) والحاكم في المستدرک (٢٧/١) و (٥٤٤/٢) وصححه وأقره الذهبي .

وانظر " الصحيحة " رقم (١٦٢٣) وتحقيقي لمعارج القبول (١٠٤/١) .

(٢) : (٥٣٨/١) .

(٣) : (١١٤/١) بتحقيقي .

إقراره به يوم أخذَه اللهُ عليه حيث قال: ﴿ بلى ﴾ جواباً لقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وقامت عليه حجةُ اللهِ ، وغلبت عليه الشَّقْوَةُ ، وحق عليه العذابُ : ﴿ وَمَنْ يَهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨] اهـ .

(الطريق الثاني) : النظرُ والاستدلالُ بالآيات :

إن القرآن الكريم مملوءٌ بذكر الآيات التي تدعو الإنسان بأن يوجّه نظره إلى خلق هذا الكون من سمائه وأرضه ، وما فيهما من عجائب مخلوقاتِ اللهِ ، وتدعوه إلى التفكُّر في أسرارهِ ليدعمَ إيمانه بالخالقِ سبحانه ، ويتردّد الشكُّ من نفسه .

يقول اللهُ تعالى : ﴿ قُلِ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

قال الشوكاني في " فتح القدير " : ((والمراد بالنظر : التفكُّرُ والاعتبارُ ، أي تفكروا واعتبروا بما في السماوات والأرض من المصنوعات الدالة على الصانع ، ووحدته ، وكمال قدرته ، فإن في كل مخلوقاته عبرةً للمعتبرين ، وموعظةً للمتفكرين ، سواء كانت من جلائل مصنوعاته ، كملكوتِ السماوات والأرض ، أو من دقائقها من سائر مخلوقاته))^(١) .

وهذه الآيات القرآنية تتعلّق إما بالكون وما فيه من مخلوقات ، أو ما يسمى : بدلائل الآفاق ، وإما بالإنسان نفسه ، أو ما يُسمّى بدلائل النفس .

وقد جمعها اللهُ تعالى في كتابه العزيز في قوله : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١] وقوله : ﴿ سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۝ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

* * *

(١) : (٢/٢٧١ ، ٢٧٦) .

أما منهج الإمام الشوكاني في الإيمان بالقدر ، فلا بد من استعراض آرائه في مسائل

القدر ، ليتبين لنا منهجه الذي سلكه :

١- أفعال الله تعالى وأفعال العباد :

يذهب الإمام الشوكاني كأهل السنة والجماعة إلى أن الله سبحانه وتعالى فاعلٌ مختلر ، يتصرف في ملكه كيف يشاء بمقتضى مشيئته وحكمته ، ((لأنه خالقُ الخلقِ وموجدُه من العدم ، فهو حقه وملكه ، يتصرفُ به كيف يشاء ، كما يتصرف العباد في أملاكهم من غير حرج عليهم ، فإن مالك العبدِ أو الأمة إذا أراد أن يتصرفَ بهما ويخرجهما عن ملكه لم تنكر العقولُ ذلك ، ولا تأباه العاداتُ الجاريةُ بين العباد ، فكيف تصرفُ الربُّ بمخلوقاته ، فإنه المالك للعبد وسيدّه ، ولما في الأرضين والسموات من العالم الذي خلقه ، وشقَّ سمعه وبصره ، ورزقه ، ومنَّ عليه بالنعم التي لا يقدرُ على شيء منها إلا هو ، تعالت قدرته وتقدس اسمه))^(١) .

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [القصص :

٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

قال الشوكاني : ((أي أنه سبحانه لقوة سلطانه ، وعظيم جلاله ، لا يسأله أحد من خلقه عن شيء من قضاائه وقدره ﴿ وهم ﴾ أي : العباد ﴿ يسألون ﴾ عما يفعلون ، أي يسألهم الله عن ذلك لأنهم عبيده))^(٢) .

أما ما يتعلق بأفعال العباد ، فقد ذهب الشوكاني مقرراً لمذهب السلف إلى أن جميع أفعال العباد ، خيرها وشرها ، مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ، ((لأن الله خالق كل شيء من الأشياء الموجودة في الدنيا والآخرة ، كائناً ما كان من غير فرق بين

(١) : قطر الولي على حديث الولي . للشوكاني . (ص ٤١٣-٤١٤) .

(٢) : فتح القدير . للشوكاني (٣/٤٠٢) .

شيء وشيء))^(١) .

ومما يستدلُّ به الشوكانيُّ على هذا قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

﴿ [الصافات : ٩٦] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "^(٢) عند تفسيره لهذه الآية : ((و﴿ ما ﴾ في ﴿ وما تعملون ﴾ موصولة ، أي : وخلق الذي تصنعونه على العموم ، ويدخل فيها الأصنام التي ينحتونها دخولاً أولاً ، ويجوز أن تكون مصدرية ، أي خلقكم وخلق عملكم ... وجعلها موصولة أولى بالمقام ، وأوفقُ بسياق الكلام)) .

وقد قرّر الإمام الشوكانيُّ أن أفعال العباد التي صاروا بها مطيعين وعصاةً هي مخلوقة لله تعالى^(٣) ، وأن الله هو المنفردُ بالخلق ، وأن سائر الشركاء لا يخلقون شيئاً ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] كائناً ما كان ، ليس لغيره في ذلك مشاركةٌ بوجهٍ من الوجوه^(٤) .

٢- الهدى والإضلال :

لقد قرّر الشوكانيُّ : ((أن الله - سبحانه وتعالى - يهدي من يشاء ، ويُضِلُّ من يشاء ، وأن الأمرَ بيده ما شاء يفعلُ ، من شاء تعالى أن يُضِلَّهُ أضلَّهُ ، ومن شاء أن يهديه جعله على صراطٍ مستقيمٍ لا يذهبُ به إلى غير الحق ، ولا يمشي فيه إلا إلى صوب الاستقامة))^(٥) .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٦﴾ ﴾

(١) : فتح القدير . للشوكاني (٤/٤٧٤) .

(٢) : (٤/٤٠٢) .

(٣) : انظر " العذب النмир في جواب عالم بلاد عسير " المسألة الثانية في خلق أفعال العباد . وكذلك " أسئلة

وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد وغيرها " وهما ضمن هذا القسم - العقيدة - .

(٤) : فتح القدير (٣/٧٤) .

(٥) : فتح القدير (٢/١١٤) .

[الأنعام: ٣٩] .

كما أخبر - سبحانه - أنه لو شاء ما أشرك الناس ، وأنه لو شاء لهداهم أجمعين .
قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [الأنعام: ١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل: ٩] .

قال الشوكاني - رحمه الله - في " فتح القدير " (١) : ((أي ولو شاء أن يهديكم جميعاً إلى الطريق الصحيح ، والمنهج الحق لفعل ذلك ، ولكنه لم يشأ ، بل اقتضت مشيئته - سبحانه - إراءة الطريق والدلالة عليها ، ﴿ وهديناه النجدين ﴾ وأما الإيصال إليها بالفعل فذلك يستلزم أن لا يوجد في العباد كافر ، ولا من يستحق النار من المسلمين ، وقد اقتضت المشيئة الربانية أن يكون البعض مؤمناً ، والبعض كافراً ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع)) .

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] .

كما قرر الشوكاني - رحمه الله - أن الله تعالى قد وهب لعباده حرية الاختيار في أن يفعلوا وأن لا يفعلوا ، لأنه ((خلقهم ، وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل إدراك ، وركب فيهم من الحواس ما يصلون به إلى ما يريدون ، ووفر مصالحهم الدنيوية عليهم ، وخلق بينهم وبين مصالحهم الدينية)) (٢) .

ويبين أن ((هداية الله - سبحانه - لعباده إلى الحق هي بما نصبه لهم من الآيات في المخلوقات ، وإرساله للرسول ، وإنزاله للكتب ، وخلقهم لما يتوصل به العباد إلى ذلك من العقول والأفهام والأسماء والأبصار)) (٣) .

(١) : (١٥٠-١٤٩/٣) .

(٢) : فتح القدير (٤٤٨/٢) .

(٣) : فتح القدير (٤٤٤/٢) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾ ﴾ [الشمس : ٩ -

١٠] .

((أي قد فاز من زكَّى نفسه وأتمَّها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب ، وظفرَ بكلِّ محبوب ، وخسر من أضلَّها وأغواها ، ومعنى ﴿ دَسَّاهَا ﴾ في الآية : أي أخفَّها وأخملَّها ، ولم يُشهرها بالطاعة والعمل الصالح))^(١) .

((فعدمُ اهتداء الناس لم يكن لأجل نقصٍ فيما خلقه الله لهم ، من السمع ، والعقل ، والبصر ، والبصيرة ، بل لأجل ما صار في طبائعهم من التعصُّب والمكابرة للحق ، والمجادلة بالباطل ، والإصرار على الكفر))^(٢) .

كما بينه الله تعالى بقوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] وقوله :

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف : ٥] .

((أي لما أصرُّوا على الزيغ ، واستمرُّوا عليه ، أزاع اللهُ قلوبهم عن الهدى ، وصرفَها عن قُبُولِ الحق))^(٣) .

وعلى هذا فإنَّ إسناد الهداية والإضلال إلى الله تعالى إسنادٌ من حيث إنه خلق أفعال العباد ، ووضعَ نظام الأسباب والمسببات ، لا أنه جبر الإنسان على الضلالة أو الهداية .

٣ - مبدأ السببية في القَدَر :

لقد أثبت الشوكاني - رحمه الله - مبدأ السببية في الإيمان بالقدر ، وأنكر إنكاراً شديداً على المنكرين لها ، ففي كتابه " قطر الولي على حديث الولي " تحدَّث عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل ، فبيَّن أن الله - عز وجل - لما قدَّر مقادير العباد ، قدَّرها مع موجباتها وأسبابها ، فقدر للخير موجباته وأسبابه ، وقدَّر للشرِّ كذلك ، ومن أسباب

(١) : فتح القدير : (٤٤٩/٥) .

(٢) : فتح القدير : (٤٤٨/٢) .

(٣) : فتح القدير : (٢٢٠/٥) .

الخير الدعاء والعمل الصالح ، قال : ((فكيف ينكر وصول العبد إلى الخير بدعائه أو بعمله الصالح ، فإن هذا من الأسباب التي ربط الله مسبباتها بها ، وعلمها قبل أن تكون ، فعلمه على كل تقدير أزي في المسببات والأسباب ، ولا يشك من له اطلاع على كتاب الله - عز وجل - ما اشتمل عليه من ترتيب حصول المسببات على حصول أسبابها ، وذلك كثير جداً)) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِ اجْتَبَيْنَاكَ كَبِيرًا مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] ﴿ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وكم يعدُّ العادُّ من هذا الجنس في الكتاب العزيز ، وما ورد في معناه من السنة المطهرة ، فهل ينكر هؤلاء الغلاة^(١) مثل هذا ، ويجعلونه مخالفاً لسبق العلم مبيناً لأزليته ؟ فإن قالوا : نعم ، فقد أنكروا ما في كتاب الله - سبحانه - من فاتحته إلى خاتمته ، وما في السنة المطهرة من أولها إلى آخرها . بل أنكروا أحكام الدنيا والآخرة جميعها ، لأنها كلها مسببات مترتبة على أسبابها ، وجزاءات معلقة بشروطها^(٢) .

كما جمع الشوكاني - رحمه الله - بين الأحاديث الواردة بسبق القضاء ، وأنه قد فرغ من تقدير الأجل والرزق ، والسعادة ، والشقاوة ، وبين الأحاديث في طلب الدعاء من العبد ، وأن الله يجيب دعاءه ، ويعطيه ما سأل مثله ، وأنه يغضب إذا لم يُسأل ، وأن الدعاء يردُّ القضاء ، ونحو ذلك كصلة الرحم ، وأعمال الخير .

فحمل أحاديث الفراغ من القضاء على عدم تسبب العبد بأسباب الخير أو الشر ،

(١) : يقصد الشوكاني بالغلاة : أهل الكلام الذين أبطلوا فائدة ما ثبت في الكتاب والسنة من الإرشاد إلى الدعاء ونحوه ، وجعلوه مخالفاً لسبق العلم .

انظر " قطر الولي على حديث الولي " للشوكاني (ص ٤٩٦) ، و " تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيلدة العمر ونقصه من الدلائل " للشوكاني . وهو ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " هذا .

(٢) : انظر " قطر الولي " (ص ٥١٠-٥١١) . وتنبيه الأفاضل .

وحملَ الأحاديثَ الأخرى على وقوع التسبب من العبد بأسباب الخير ، أو التسبب بأسباب الشر ، وقال : ((إن هذا الجمع لا بد منه ، لأن الذي جاءنا بالأدلة الدالة على أحد الجانبين هو الذي جاءنا بالأدلة الدالة على الجانب الآخر ، وليس في ذلك خلفٌ لما وقع في الأزل ، ولا مخالفةٌ لما تقدم العلمُ به ، بل هو من تقييد المسبباتِ بأسبابها...))^(١) .
وفصلَ الشوكانيُّ - رحمه الله - تفصيلاً دقيقاً عن الدعاء ، وفائدته ، وكونه سبباً لردِّ القضاء ، وأطال الكلامَ في رده على المخالفين له ، الذين أبطلوا فائدة ما ثبت في الكتاب والسنة ، من الإرشادِ إلى الدعاء ، وأنه يردُّ القضاء ، وما ورد من الاستعاذة منه - ﷺ - من سوء القضاء ، وما ورد من أنه يُصَابُ العبدُ بذنبه ، وبما كسبتُ يده ، ونحو ذلك مما جاءت به الأدلة الصحيحة ، وجعلوه مخالفاً لسبق العلم ، ورتبوا عليه أنه يلزمُ انقلابُ العلم جهلاً^(٢) .

٤- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى :

ذهب الشوكاني - رحمه الله - في هذه المسألة مذهبَ جمهورِ أهل السنة ، وهو إثباتُ الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، أي أن أفعالَ الله تعالى وأوامره معللةٌ بعِللٍ غائيةٍ ، وحِكَمٍ بالغةٍ يُجِبُّها ويرضاها ، ويفعل لأجلها ، وأنه مما ينافي كماله وجلاله وحكمته ورحمته أن تكون أفعاله وأحكامه صادرةً منه لا لحكمةٍ ، ولا لغايةٍ مطلوبة .
وقد دلَّ على ذلك القرآن الكريمُ في مواطنَ عدَّةٍ .

كقوله تعالى وهو يثني على عباده المؤمنين : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ ﴾ [آل عمران : ١٩١]

(١) : انظر " قطر الولي " ص ٥٠٩-٥١٠ . وتنبيه الأفاضل .

(٢) : انظر " قطر الولي " ص ٥١١-٥١٢ . وتنبيه الأفاضل .

وقد أفرد الشوكاني رحمه الله رسالة بعنوان " بحث في أن إجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء " وهي ضمن هذا القسم الأول - العقيدة - برقم (٥) .

قال الشوكاني في "فتح القدير" ^(١): ((أي يقولون : ما خلقتَ هذا عبثاً وهواً بسبل
خلقتَه دليلاً على حكمتك وقُدْرَتِكَ ، سبحانك : أي تنزيهاً لك عما لا يليقُ بك من
الأمور التي من جملتها أن يكون خَلْقُك لهذه المخلوقات باطلاً)).

* * *

(١) : (١/٤١١).

أما عناية الإمام الشوكاني - رحمه الله - بتوحيد الألوهية فقد اعتنى به عنايةً بالغة ، وأولاه اهتماماً كبيراً ، ويكفي ما يدلُّ على اهتمامه وعنايته به أنه أَلَفَ عِدَّةَ رسائل^(١) يبين فيها معنى هذا التوحيد ، وما يناقضه من الشَّرَكِيَّاتِ ، أسبابها وفتنِها ، وخاصَّةَ شركيات القبوريين . . . كما أشار الشوكاني - رحمه الله - في مواضع متعدِّدة من مؤلَّفاته إلى أن هذا التوحيدَ حقيقةُ دين الإسلام وأساسه :

١ - أنه الغايةُ العظمى ، والمقصدُ الأسمى الذي من أجله خلق اللهُ الخلقَ وأوجدَهُم في هذه الأرض . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "^(٢) ((عبادَةُ اللهِ : إثباتُ توحيدِهِ ، وتصديقُ رسالِهِ ، والعملُ بما أنزلَ في كتبه)) . ((ومعنى العبادة في اللغة : الذلُّ والخضوعُ والانقيادُ ، وكل مخلوق من الإنس والجن خاضعٌ لقضاءِ اللهِ ، متذلِّلٌ لمشيئته ، منقادٌ لما قدره عليه ، خلَقَهُم على ما أراد ، ورزَقَهُم كما قضى ، لا يملكُ أحدٌ منهم لنفسِهِ نفعاً وضرراً . ووجه تقديم الجنِّ على الإنس ههنا تقدُّمٌ وجودِهِم))^(٣) .

٢ - أنه الغايةُ العظمى ، والمقصدُ الأساسي الذي من أجله أرسلتِ الرُّسُلُ ، وبه أنزلتِ الكتبُ . يقول الشوكاني - رحمه الله - ((. . . ولم يبعث اللهُ رسلاً ، ولا أنزلَ عليهم كتبه إلا لإخلاصِ توحيدِهِ وإفراجه بالعبادة ، واستدلالِ بآيات كثيرة : (منها) : ﴿ يَلْقَوْنَ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩ ، المؤمنون : ٢٣ ، الأعراف : ٦٥ ، هود : ٥٠ ، الأعراف : ٧٣ ، هود : ٦١ ،

(١) : أهمها : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) و " شرح الصدور في تحريم رفع القبور " وهو ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " و " العذب النمير " في السؤال الأول . وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٢) .

(٢) : (١٠٧/١) .

(٣) : فتح القدير . للشوكاني (٩٢/٥) .

الأعراف : ٨٥ ، هود : ٨٤] . ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ﴾ [نوح : ٣] ، ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه : ١٤] .

وبالجملة : فرسُلُ الله - صلوات الله عليهم - ، وكذلك جميع كتبه المنزلة متفقة على هذه الدعوة ، وقد تكفل القرآن الكريم بحكاية جميع ذلك لمن تَبَعَهُ ((^(١)) .

٣- أنه معنى شهادة : أن لا إله إلا الله .

قال الشوكاني - رحمه الله - في " فتح القدير " ((^(٢)) : في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . (أي : لا معبود بحق إلا هو) . وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ٢] قال : ((أي هو المستحق للعبودية)) ((^(٣)) وقال أيضاً عند شرحه لقوله - ﷻ - في دعاء استفتاحه : ((لا إله إلا أنت)) ((^(٤)) أي ليس لنا معبود نتذلل له ، ونتضرع إليه ، في غُفْرانِ ذُنُوبِنَا إِلَّا أَنْتَ)) ((^(٥)) .

• وأنواع العبادة كثيرة جداً ، قال الشوكاني : ((إنه يصعبُ حصرُها ، وتعمُّرُ الإحاطةُ بها)) ((^(٦)) منها :

(١) الدعاء :

قال الشوكاني - رحمه الله - : " فاعلم أن الدعاء نوعٌ من أنواع العبادة ، المطلوبة من العباد ، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب ، أعني كونه من العبادة .

واستدل - رحمه الله - بكثير من الآيات القرآنية :

(١) : انظر " العذب النمير " في السؤال الأول وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - . برقم (٢)

(٢) : (٢٧١/١) .

(٣) : فتح القدير للشوكاني (٣١٢/١) .

(٤) : وهو حديث صحيح . أخرجه مسلم (٥٣٥/١) رقم (٧٧١) .

(٥) : نيل الأوطار للشوكاني (٢٨/٣) .

(٦) : قطر الولي للشوكاني (ص ٤٥٥) .

(منها) : قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] . وقال سبحانه : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] . قال : ((فهذه الآيات البينات دلّت على أن الدعاء مطلوبٌ لله - عز وجل - من عباده ، وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادةً ، فكيف إذا انضم إليه النهي عن دعاء غير الله ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الحج: ١٨] ^(١) .

(٢) المحبة :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((اعلم أن محبة الله - عز وجل - هي من أعظم الفرائض المفترضة على العباد ، كما يدلُّ على ذلك آياتُ الكتاب المبين ، وأحاديثُ سيد المرسلين ، وإجماعُ المسلمين أجمعين ، فمن ذلك قول الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] وقد علم أن اتباعَ رسول الله ﷺ فرضٌ واجبٌ لاخلافٍ فيه ...)) ^(٢) .

(٣) الخوف والرجاء :

قال تعالى في سورة [آل عمران : ١٧٥] ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قال الشوكاني في " فتح القدير " ^(٣) في تفسير الآية : ((أي فافعلوا ما أمركم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ، لأنَّ الحقيق بالخوفِ مني ، والمراقبة لأمري ونهيي ، لكون الخير والشر بيدي)) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا ﴾ [المائدة: ٤٤] .

(١) : انظر " العذب النмир " المسألة الأولى . وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٢) .

(٢) : بحث في وجوب محبة الرب . للشوكاني . وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٦) .

(٣) : (٤٠٠/١) .

أما الرجاء فهو نوعٌ من أنواع العبادة ، قال الله - عز وجل - : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١١٠﴾ . [الكهف: ١١٠] .

قال الشوكاني في " فتح القدير " ^(١) : ((الرجاء : توقُّع وصول الخير في المستقبل ، أي : من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ وهو ما دلَّ الشرح على أنه عمل خَيْرٌ يُثَابُ عليه فاعله . ﴿ ولا يشركُ بعبادة ربه أحداً ﴾ من خلقه ، سواءً كان صالحاً أو طالحاً ، حيواناً أو جماداً)) .

وقد جمع الله - سبحانه - بين العبادتين الخوفِ والرجاءِ في قوله ﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

قال الشوكاني : ((وفيه أنه يُشْرَعُ للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً ورجلاً طامعاً في إجابة الله لدعائه ، فإنه إذا كان عند الدعاء جامعاً بين الخوفِ والرجاءِ ظفر بمطلوبه ، والخوف : الانزعاجُ من المضارِّ التي لا يؤمن من وقوعها . والطمع : توقُّع حصولِ الأمورِ المحبوبة)) ^(٢) .

(٤) الاستعانة والاستغاثة :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((الاستعانة بالنون : هي طلبُ العون ، ولا خلافَ أنه يجوز أن يستعانَ بال مخلوق فيما يقدرُ عليه من أمور الدنيا ، كأن يستعينَ به على أن يحملَ معه متاعه ، أو يعلفَ دابته ، أو يبلغَ رسالته ، وأما ما لا يقدرُ عليه إلا الله - جل جلاله - ، فلا يُسْتَعَانُ فيه إلا به)) ^(٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٥] قال - رحمه

(١) : (٣/٣١٨) .

(٢) : فتح القدير للشوكاني (٢/٢١٣) وانظر (٤/١٩٢) .

(٣) : الدرر النضيد في إخلاص التوحيد . وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

الله - : ((المعنى تحصلُ بالعبادة ، وتحصل بالاستعانة ، لا نعبُدُ غيرك ولا نستعينُ))^(١) .
 أما الاستغائةُ : فهي طلبُ العَوْثِ منه تعالى من جلبِ خيرٍ ، أو دفعِ شرٍّ ، وهي نوع
 من أنواع العبادة التي لا تصحُّ إلا لله - سبحانه وتعالى - .

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ [الأنفال : ٩]

يقول الشوكاني - رحمه الله - : ((فأما الاستغائةُ بالمعجمةِ والمثلثةِ فهي طلبُ
 العَوْثِ ، وهو إزالةُ الشدةِ ، كالاتنصارِ وهو طلبُ النصرِ ، ولا خلافَ أنه يجوز أن
 يُسْتَعَاثَ بالمخلوقِ فيما يقدرُ على العَوْثِ فيه من الأمورِ ، ولا يحتاج مثل ذلك إلى
 استدلالٍ ، فهو غايةُ الوضوح ، وما أظنه يوجد فيه اختلافٌ ، ومنه : ﴿ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي
 مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] وكما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ
 اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال : ٧٢] وأما ما لا يقدرُ عليه إلا الله
 فلا يستغاثُ فيه إلا به ، كغفرانِ الذنوبِ ، والهدايةِ ، وإنزالِ المطرِ ، والرزقِ ونحو ذلك ،
 كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ...))^(٢) .

(٥) الذَّبْحُ :

ومن أنواع العبادةِ الذَّبْحُ نُسْكَاً لله تعالى : من هديٍّ ، وأضحيةٍ ، وعقيقةٍ ، وغيرِ
 ذلك .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا
 شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣]^(٣) .

(١) : فتح القدير للشوكاني (٢٢/١) .

(٢) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٣) : انظر " فتح القدير " للشوكاني (١٨٥/٢) .

(٦) التوكّل :

ومن أنواع العبادة التوكّل على الله - عز وجل - ، وهو اعتماد القلب عليه ، وثقته به ، وأنه كافيه ، وهو عبادة عظيمة تعبّد الله به عبادة ، وأمرهم بأن يعتمدوا عليه وحده دون سواه ، ولا يوفّق للقيام به على وجه الكمال إلا أولياء الله وحزبه المؤمنون . وقد فرضه الله - عز وجل - على عباده ، حيث أمر به في مواضع عديدة من كتابه العزيز :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] ^(١) .

* * *

(١) : انظر " فتح القدير " للشوكاني (٩٨/٣) .

أما ما ذهب إليه الشوكاني في التوسُّل والتشفُّع بدعاء الصالحين ، فهو رأي صائب ، واستدلال صحيح ، غير أنه لم يفرِّق - رحمه الله - بين هذا النوع من التوسُّل ، وبين التوسل بالذوات والأشخاص ، فاختلط الأمرُ عليه ، فخلط بينهما وجعلهما نوعاً واحداً ، كما اختلط عليه الأمرُ أيضاً بين التوسُّل بالذوات والأشخاص ، وبين التوسُّل بالأعمال الصالحة ، فجعل الأول كالثاني في الجواز ، فوقع بذلك في أخطاء .

وإليك بيئتها :

١- التوسل بذات المتوسِّل به إلى الله تعالى ، أو بجاهه ، أو منزله ، أو نحو ذلك ، عملٌ غير شرعيٍّ ، سواء كان المتوسِّلُ به نبياً من الأنبياء ، أو عالماً من العلماء ، لأنه لم يأمر به الله ، ولا بلغه رسوله - ﷺ - ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أو من بعدهم من القرون الخيرة أنه يعملُ به ، إذ لو كان مشروعاً لفعلوه ، ولسبقونا إليه ، فإذا لم يفعلوه دلَّ ذلك على عدم مشروعيته .

وقد تقرَّر في الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة أن الإسلام مبنيٌّ على أصليْن عظيمين :

(أحدهما) : أن لا نعبدَ إلاَّ الله .

(والثاني) : أن لا نعبدَهُ إلاَّ بما شرعَ ، كما تقرَّر أن الدعاء نوعٌ من أنواع العبادة ، بل هو أجلُّها وأعظمُّها .

فمن دعا المخلوقين من دون الله ، واستغاثَ بهم ، كان مشركاً به - سبحانه - ، ومن توسَّل في دعائه إلى الله بالمخلوقين ، أو أقسم عليه بهم كان مبتدعاً بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان ، لأنه عملٌ غير مشروع . وهذان الأصلان هما تحقيقُ شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً رسولُ الله . ولهذا قال الفقهاء : العبادات منهاها على التوقيف^(١) أي لا بدَّ فيها من ثبوت النصِّ الشرعي المستلزم مشروعيتها واستحبابها .

(١) انظر "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" للشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٠ تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي .

٢- إنَّ التوسُّلَ بالنبي - ﷺ - الذي ورد في حديث الأعمى هو في التحقيق توسُّلٌ بدعائه وشفاعته لا بذاته ، لأنَّ الأعمى طلبَ من النبي - ﷺ - أن يدعو له ، ليردَّ الله عليه بصره^(١) فأمره النبيُّ - ﷺ - أن يدعو هو أيضاً ، ويسأل أن يقبلَ اللهُ شفاعَةَ نبيِّه فيه ، فقله في دعائه : اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمدٍ - ﷺ - . أي شفاعَةَ نبيِّك بدعائه ، فكان الرسول - ﷺ - في هذا شافعاً له بالدعاء ، وهو سائل قبولَ شفاعَةِ الرسولِ ، ولهذا قال في دعائه أيضاً : اللهم فشفِّعهُ فيَّ .

وهكذا كان توسُّلُ الصحابةِ به - ﷺ - في حياته ، فلما مات توسَّلوا بدعاءِ غيره ، ولم يُنقلَ عن أحدٍ منهم أنه التجأ إلى قبره ، وطلبَ منه الدعاءَ لقضاءِ حاجتهِ ، ولو كان ذلك مشروعاً لفعَلوه ، وأكبرُ دليلٍ على ذلك وأوضحهُ استسقاءُ عمرَ بالعباسِ^(٢) .

* * *

(١) : انظر " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٢) : " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " تأليف / د . عبد الله نومسوك . (٣٣٢/١-٣٣٣) .

أما عناية الشوكاني - رحمه الله - بتوحيد الأسماء والصفات ، فقد اعتنى به عنايةً فائقة ، وأولاه اهتماماً بالغاً . وفيما يلي نسوق بعضاً من كلامه .

قال رحمه الله : ((اعلم أن الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذبوله ، وتشعبت أطرافه ، وتناسبت فيه المذاهب ، وتفاوتت فيه الطرائق ، وتخالفت فيه النحل ، وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقوا فرقاً ، وتشعبوا شعباً ، وصاروا أحزاباً ، وكانوا في البداية ومحاوله الوصول إلى ما يتصورونه من العامة مختلفي المقاصد ، متبايني المطالب :

فطائفة : وهي أخف هذه الطوائف - المتكلفة علم ما لم يكلفها الله بعلمه إنمأ وأقلها عقوبةً وجزماً ، وهي التي أرادت الوصول إلى الحق ، والوقوف على الصواب ، لكن سلكت فيه طريقة متوعرة ، وصعدت في الكشف عنه إلى عقبة كؤود لا يرجع من سلكها فضلاً عن أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ، ومع هذا أضلوا أصولاً ظنوها حقاً ، فدفعوا بها آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية صحيحة ، واعتلوا في ذلك الدفع بشبه واهية ، وخيالات مختلفة))^(١) .

وقسم الشوكاني هؤلاء إلى طائفتين ، ويقصد بهما : المعتزلة القدرية ، والجبرية الجهمية ، قال :

((الطائفة الأولى : هي الطائفة التي غلت في التنزيه ، فوصلت إلى حد يقشعُر عنده الجِلْدُ ، ويضطرب له القلب ، ومن تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار ، وأظهر من فلق الصباح ، وظنوا هذا من صنعهم موافقاً للحق ، مطابقاً لما يريد الله - سبحانه - ، فضلوا الطريق المستقيم ، وأضلوا من رام سلوكها .

والطائفة الأخرى : هي الطائفة التي غلت في إثبات القدرة غلواً بلغ إلى حد أنه لاتأثير

(١) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٣) .

لغيرها ، ولا اعتباراً بما سواها ، وأفضى ذلك إلى الجبرِ المحضِ ، والقَسْرِ الخالصِ ، فلم يبقَ لبعثِ الرسلِ ، وإنزالِ الكتبِ كثيرُ فائدةٍ ، ولا يعودُ ذلك على عباده بعائدة ، وجاءوا بتأويلاتٍ للآياتِ البيناتِ ، فكانوا كالطائفةِ الأولى في الضلالِ والإضلالِ ((^(١))).

وذكر طائفةً ثالثةً ويقصد بها الأشاعرةُ ((توسّطتْ ، ورامتِ الجمعَ بين الضبِّ والنونِ ، وظنّت أنها وقفتْ بمكان بين الإفراطِ والتفريطِ ، ثم أخذت كلُّ طائفةٍ من هذه الطوائفِ الثلاثِ تجادلُ وتناضلُ ، وتحقق وتدقق في زعمها ، وتجول على الأخرى وتصولُ بما ظفرتُ به مما يوافقُ ما ذهبَتْ إليه ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٣٢﴾)) .

ثم بين - رحمه الله - مذهبَ الحق الذي يجب الأخذُ به في هذه المسألة بقوله : ((وإن الحق الذي لا شكَّ فيه ولا شبهةً ، هو ما كان عليه خيرُ القرونِ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا - رحمهم الله ، وأرشدنا إلى الاقتداء بهم ، والاهتداء بهديهم - يُمرُّون أدلةَ الصفاتِ على ظاهرها ، ولا يتكلفون علمَ مالا يعلمون ، ولا يتأولون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم ، والمتقرَّر من مذاهبهم ، ولا يشك فيه شكٌّ ، ولا ينكِّره منكر ، ولا يجادل فيه مجادلٌ))^(١) .

وقال - رحمه الله - : ((إن مذهب السلف من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعينَ وتابعيهم ، هو إيرادُ أدلةِ الصفاتِ على ظاهرها من دون تحريف لها ، ولا تأويل متعسِّفٍ لشيء منها ولا جبر ، ولا تشبيهٍ ، ولا تعطيلٍ يفضي إليه كثيرٌ من التأويل ، وكانوا إذا سأل سائلٌ عن شيء من الصفات ، تلوا عليه الدليلَ ، وأمسكوا عن القول والقييل ، وقالوا : قال الله هكذا ، ولا ندري بما سوى ذلك ، ولا نتكلف ، ولا نتكلَّم بما لم نعلمه ، ولا أذن الله لنا بمجاوزته ، فإن أراد السائل أن يظفرَ منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ، ونهوهُ عن طلب مالا يمكن الوصولُ إليه إلا بالوقوع

(١) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٣) .

في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه ، وما حفظوه عن رسول الله - ﷺ - ، وحفظه التابعون عن الصحابة ، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين ((^(١)) .

وقال - رحمه الله - مقررًا لمنهج السلف في الإثبات مع التنزيه : ((إن الآية : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] يُسْتَفَادُ بِهَا نَفْيُ المماثلةِ في كل شيء ، فَيُدْفَعُ بِهذه الآيةِ في وجهِ المحسمةِ ، وتعرفُ به الكلامُ عند وصفه - سبحانه - بالسميعِ البصيرِ ، وعند ذكر السمعِ والبصرِ واليدِ والاستواءِ ونحو ذلك مما اشتملَ عليه الكتابُ والسنة ، فتقررُ بذلك الإثباتُ لتلك الصفاتِ ، لا على وجه المماثلةِ والمشاكلةِ للمخلوقاتِ ، فيدفعُ به جانبي الإفراطِ والتفريطِ ، وهما المبالغةُ في الإثباتِ المفضيةِ إلى التحسيمِ ، والمبالغةِ في النفيِ المفضيةِ إلى التعطيلِ ، فيخرجُ من بين الجانبيينِ وغلُو الطرفينِ أحقِّيَّةَ مذهبِ السلفِ الصالحِ ، وهو قولُهُم بإثباتِ ما أثبتَهُ - الله - لنفسِهِ من الصفاتِ على وجهٍ لا يعلمُهُ إلا هو))(^(١) .

وقال في قطع الأطماع عن إدراك الكيفية المستنبط من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] إنه لم يحطُ بفائدة هذه الآيةِ ، ويقفُ عندها ، ويقتطفُ من ثمراتها إلا المرئُون للصفاتِ على ظاهرها ، المريجُون أنفسهم من التكلُّفاتِ ، والتعسُّفاتِ ، والتأويلاتِ ، والتحريفاتِ ، وهم السلفُ الصالحُ كما عرفت ، فهم الذين اعترفوا - بعدم - الإحاطة ، وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله ، وقالوا : الله أعلم بكيفية ذاتِهِ ، وماهية صفاته ، بل العلمُ كُلُّهُ له (^(١) .

وقد اشتدَّ إنكارُ الشوكاني - رحمه الله - على المتكلمين ومناهجهم ، وقرَّرَ أنَّ المذهبَ الحقَّ في الصفاتِ هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تحريفٍ ، ولا تكلُّفٍ ، ولا تعسفٍ ، ولا جبرٍ ، ولا تشبيه ، ولا تعطيلٍ (^(١) . وأن هذا المسلكَ القويم هو

(١) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني . وهي ضمن هذا القسم - العقيدة -

برقم (٣) .

مسلكُ السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فلم يكلف الله أحداً من عباده أن يعتقد أنه - جل جلاله - متصفٌ بغير ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله - ﷺ - ، ومن زعم أن الله - سبحانه - تعبد عباده بأن يعتقدوا أن صفاته الشريفة كائنة على الصفة التي يختارها طائفة من طوائف المتكلمين ، فقد أعظم على الله الفرية ، بل كلف عباده أن يعتقدوا أنه ليس كمثل شيء ، وأهم لا يحيطون به علماً^(١) .

أما موقف الشوكاني - رحمه الله - من صفات الله تعالى فقد أول بعضهما في تفسيره "فتح القدير" تأويلاً أشعرياً .

والصفات التي أولها هي : "الوجه"^(٢) ، و " العين "^(٣) و " اليد "^(٤) و " العلو "^(٥) ، و " المحييء "^(٦) ، و " الإتيان "^(٧) و " المحبة "^(٨) ، و " الغضب "^(٩) وهذا التأويل مناقض لمنهجه في رسالته " التحف " في إثبات الصفات على ظاهرها ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وهو مذهب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - . قلت : إن الشوكاني - رحمه الله - على مذهب السلف ، وكان يحب ، ويدعو إليه ، كما هو ظاهر لكل من قرأ رسالته " التحف " غير أنه - كما يظهر لي - لم يستوعب مذهب السلف في مسألة الصفات استيعاباً جيداً .

(١) : " تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام " للشوكاني . وهي ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

(٢) : " فتح القدير " : (١٨٩/٤) .

(٣) : " فتح القدير " : (٤٨١/٣) و (١٠٢/٥) و (١٢٣/٥) و (٣٦٥/٣) و (٤٩٧/٢) .

(٤) : " فتح القدير " : (٤٨/٥) و (٥٧/٢) و (٢٥٨/٥) و (٤٤٥/٤) .

(٥) : " فتح القدير " : (١٠٤/٢) و (١٢٤/٢) و (٦٧/٣) و (٢٨٨/٥) .

(٦) : " فتح القدير " : (٤٤٠/٥) .

(٧) : " فتح القدير " : (٢١٠/١ ، ٢١١) و (١٨١/٢) .

(٨) : " فتح القدير " : (٣٣٣/١) .

(٩) : " فتح القدير " : (٣٨٠/٣) .

لقد قال في " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول " (١) وقد فرغ من تأليفه سنة (١٢٣١هـ) كما نص عليه في ختامه (٢) ، أي بعد : فتح القدير بستين (٣) قال ما نصه : ((الفصل الثاني فيما يدخل في التأويل ، وهو قسمان :

(أحدهما) : أغلب الفروع ولاخلاف في ذلك .

(والثاني) : الأصول : كالعقائد ، وأصول الديانات ، وصفات الباري- عز وجل - .

وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب :

(الأول) : أنه لا مدخل للتأويل فيها ، بل يجري على ظاهرها ، ولا يؤول شيء

منها ، وهذا قول المشبهة .

و (الثاني) : أن لها تأويلاً ، ولكن نمسكُ عنه ، مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه

والتعطيل لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] . قال ابن

برهان : وهذا قول السلف .

قلت (أي الشوكاني) : وهذا هو الطريقة الواضحة ، والمنهجُ المصحوبُ بالسلامة

عن الوقوع في مهاوي التأويل لما لا يعلم تأويله إلا الله ، وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن

أراد الاقتداء ، وأسوة لمن أحبب التأسي ، على تقدير عدم ورود الدليل القاطن بالمنع من

ذلك ، فكيف وهو قائم موجود في الكتاب والسنة .

(والمذهب الثالث) : أنها مؤلة : قال ابن برهان : والأول من هذه المذاهب بساطلٌ ،

والآخرا منقولان عن الصحابة ، وتُقل هذا المذهب الثالث عن علي ، وابن مسعود ،

وابن عباس ، وأم سلمة)) اهـ .

(١) : ص ٥٨٣ بتحقيقنا .

(٢) : ص ٩٣٠ .

(٣) : فرغ الشوكاني رحمه الله من تأليف " فتح القدير " سنة (١٢٢٩هـ) . انظر " فتح القدير "

(٥/٥٢٤) .

((قلت : هذا وهمٌ من الشوكاني ، والظاهر أن الأول هو قولُ السلف وليس المشبهة كما زعم ، فإن مذهبَ السلف إثباتُ الصفات وإجراؤها على ظواهرها من غير تأويل ولا تشبيه ، وتفويضُ كُنْهَها وكَيْفِيَّتِها إلى الله تعالى ، كما قرره - رحمه الله - في رسالته " التحف " .

أما الثاني : فهو قول المفوضِ أو القريب منه ، وليس قولُ السلف كما زعم ، لأن السلف لا يقولون أنَّ لها تأويلاً ، ولكننا نمسكُ عنه ، بل يثبتون معناها من غير تصوُّر المشابهة ولا تمثيلٍ ، وأما ما نقله عن ابن برهان فهو باطلٌ ، لأنه لم يردَّ حرفٌ واحد في التأويل المعروف عندهم عن السلف ، وكلُّ ما نقل فهو كذب وافتراء^(١) .

والشوكاني - رحمه الله - نقل هذا الكلامَ ولم يعقب عليه ، وكأنه مقبولٌ عنده ، وهو مردود . وهكذا لكل عالمٍ زلَّةٌ ولكل جواد كيوَّةٌ ، والعصمةُ لله - سبحانه - ولن عصمه من الأنبياء والمرسلين^(٢))) اهـ .

أما موقف الإمام الشوكاني - رحمه الله - من مسألة خلق القرآن ، فقد ذهب مذهب الواقعية ، فلم يجزم برأي هل هو مخلوق أم غير مخلوق :

قال الشوكاني في " فتح القدير "^(٣) : ((وهذه المسألة : أي قدم القرآن وحدوثه قد ابتلي بها كثير من أهل العلم والفضل في الدولة المأمونية ، والمعتمدية ، والواقعية ، وجرى للإمام أحمد بن حنبل ماجرى من الضرب الشديد ، والحبس الطويل ، وضرب بسببها عنقُ محمد بن نصر الخزاعي^(٤) : وصارت فتنةً عظيمةً في ذلك الوقت وما بعده ، والقصة

(١) : انظر " مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " (٩٠/٥) و (٣٩٤/٦) .

وذم التأويل لابن قدامة ص ٤٠ تحقيق الأخ بدر البدر .

(٢) : " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " (٤٧١/١-٤٧٣) .

(٣) : (٣٩٧/٣) .

(٤) : هكذا في الأصل : ولعل الصواب : أحمد بن نصر الخزاعي ، أبو عبد الله . انظر " تاريخ بغداد "

(١٧٣/٥) .

أشهرُ من أن تُذكَرَ ... ولقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه ، وحفظ الله بهم أمة نبيه عن الابتداع ، ولكنهم - رحمهم الله - جاوزوا ذلك إلى الجزم بقدومه ، ولم يقتصروا على ذلك حتى كفّروا من قال بالحدوث ، بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من قال : لفظي بالقرآن مخلوقٌ . بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من وقف ، وليتهم لم يجاوزوا حدَّ الوقف ، وإرجاع العلم إلى علام الغيوب ، فإنه لم يُسمع من السلف الصالح من الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم إلى وقت قيام المحنة ، وظهور القول في هذه المسألة شيء من الكلام ، ولا نُقلَ عنهم كلمة في ذلك ، فكان الامتناع من الإجابة إلى ما دعوا إليه ، والتمسك بأذيال الوقف ، وإرجاع علم ذلك إلى عالمه هو الطريقة المثلى ، وفيه السلامة ، والخلوص من تكفير طوائف من عباد الله ، والأمرُ لله بحسب المعنوية : أمر ذات الله سُطِّطَ من العزيم - رسالة بيزنطية لهذا الكلام في القرآن مخلوقه تجارت - سبحانه -)) اهـ .

وهذا موقف غير سديد من الإمام الشوكاني - رحمه الله - لأن السلف في صدر الإسلام كانوا في غنى عن الزيادة على القول : القرآن كلام الله ، لأنهم لم يكونوا يفقهون من هذه الإضافة إلا أنها صفة من صفات الله ، وصفات الله غير مخلوقة ، حتى ظهرت الجهمية ، وظهرت بدعة القول بخلق القرآن ، فعقل أئمة السلف خطرَها ، وقابلوهم برفضها وإنكارها ، والتشديد عليهم في ذلك ، لأن حقيقة كلامهم الكفر ، لما تضمن من تكذيب القرآن ، وإثبات النقص لله ، ولا سبيل لهم لإبطال هذه البدعة إلا أن قالوا : القرآن كلام الله غير مخلوق^(١) .

كما أن الشوكاني - رحمه الله - جعل الحلف بالقرآن كالحلف بمخلوق من مخلوقات الله^(٢) ، وهذا رأي باطل قال به المعتزلة وأتباعهم . والصحيح أن القرآن كلام الله تكلم

(١) : انظر " الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٥٩ ضمن عقائد السلف . و " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " (١/٤١٧-٤٢٤) .

(٢) : كما يتضح هذا من صيغة السؤال السادس في رسالة " إرشاد السائل إلى دلائل المسائل " وهي ضمن الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني - الفقه - .

الله به حقيقةً بلفظه ومعناه ، وهو - سبحانه - موصوفٌ بالكلام ، فعلى هذا يكون الحليفُ بالقرآن حليفاً بصفةٍ من صفاته - سبحانه - ، وصفاتُ الله - سبحانه - غيرُ مخلوقيةٍ ، فالقرآن غير مخلوق ، والحلف به جائزٌ ، لأنه حليفٌ بكلام الله ، ويُعقدُ به اليمينُ ، وهذا ما أجمع عليه السلف أهل السنة^(١) .

* * *

(١) : انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٣٣٦) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفسي

كما اهتمَّ الإمام الشوكاني - رحمه الله - بتعريف الشرك ، وبيان أقسامه ، وذكر نماذج من الأعمال الشركية :

أما معنى الشرك فقد قال : ((إن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختصُّ به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدرُ عليه سواه ، أو التقربُ إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه ، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثن والإله لغير الله ، زيادةً على التسمية بالولي والقبر والمشهد ، كما يفعله كثير من المسلمين ، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقدُ في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقدُ في الصنم والوثن ، إذ ليس الشركُ هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات ، بل الشركُ هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختصُّ به - سبحانه - ، سواء أطلق على ذلك الغير ما كانت تطلقُ عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسماً آخر فلا اعتبار بالاسم قطُّ))^(١) .

وقد نهي الله - سبحانه وتعالى - عن الشرك به في كثير من الآيات ، كقوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

قال الشوكاني في تفسير الآية : ((أي لا تشركوا به شيئاً من الأشياء من غير فرق بين حي وميت ، وجمادٍ وحيوانٍ ، ولا تشركوا به شيئاً من الإشراك من غير فرق بين الشرك الأكبر والأصغر ، والواضح والخفي))^(٢) .

أما أقسام الشرك فهي ثلاثة :

١ - الشرك في توحيد الربوبية :

وهو إثباتُ فاعلٍ مستقل غير الله تعالى ، كشرك مَنْ يجعلُ الإنسانَ مستقلاً بإحداث فعله ، وشرك مَنْ يجعلُ الأجسامَ الطبيعية من الشمس والقمر والنجوم والجبال ونحوها كما يقوله الطبيعيون ، أو العقول كما تقوله الفلاسفة ، أو الأرواح والنفوس كما يقوله

(١) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٢) : " فتح القدير " للشوكاني (١/٤٦٤) .

عباد القبور ، أو الملائكة ، أو غير ذلك من المخلوقات .

ومن هذا القسم شرك فرعون ، إذ قال منكرًا الرب الخالق : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] وقال مدعيًا لنفسه الربوبية ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات : ٢٤] وأمثاله ممن يدعي لنفسه الربوبية .

وقد رد الله - سبحانه - على أصحاب هذا الشرك في آيات كثيرة من القرآن :
(منها) : قال تعالى في سورة الأعراف (١٩١-١٩٢) : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾^(١) .
(ومنها) : قوله - سبحانه - في وصف آلهتهم : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٣]^(٢) .

٢- الشرك في توحيد الأسماء والصفات :

وهو نوعان :

(أحدهما) : تشبيه الخالق بالمخلوق . كمن يقول : يدُ الله كيدي و..... وهو شرك المشبهة الذين رد الله عليهم بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠]^(٣) .

(والثاني) : اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

(١) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٢/٢٧٤) .

(٢) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٤/٦١) .

(٣) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني . وهي ضمن هذا القسم - العقيدة -

برقم (٣) .

يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف: ١٨٠] ^(١) .

٣- الشرك في توحيد الألوهية والعبادة :

وهو نوعان :

(أحدهما) : شرك أكبر : وهو أن يتخذ العبدُ ندًّا لله تعالى في العبادة ، يدعوهُ ، أو يندُرُ له ، أو يذبحُ له ، أو يخافُهُ ، أو يصرفُ له أي نوعٍ من أنواع العبادة ، كشرك مشركي مكة أيام بعثة النبي - ﷺ - وقد قالوا في آلهتهم : ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] وقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] والمراد بهذا القول : الشفاعة لهم في الدنيا ^(٢) ومن هذا النوع شركُ عبَاد القبور الذين جعلوا بعضَ خلق الله شريكاً له ، مثلاً ، وندًّا ، فاستغاثوا به فيما لا يستغاثُ فيه إلا بالله ، وطلبوا منه ما لا يُطلبُ إلا من الله ، مع القصد والإرادة ^(٣) .

وهذا النوع من الشرك هو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء : ٣٦] ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

والآياتُ في النهي عن هذا الشرك ، وبيان بطلانه كثيرةٌ جداً ، والكتبُ السماويةُ كلها من أولها إلى آخرها تبطلُ هذا الشرك ، وتقبحُ أهله ، وتنصُّ على أنهم أعداءُ الله تعالى . وما أهلك الله تعالى من الأممِ السابقةِ إلا بسببِ هذا الشركِ ومن أجله ^(٤) . وأن هذا الشركَ خطرُهُ عظيمٌ لما يأتي :

(١) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٢٦٨/٢ ، ٢٧٠) .

(٢) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٤٤٩/٤) .

(٣) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٤) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

١ - إنه يجبُ العمل . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

والحبوط : هو البطلان^(١) أي بطلت أعمالهم ، لأن الشرك يخرجهم من الملة الإسلامية .

٢ - إنَّ صاحِبَه خالِدٌ مخلَّدٌ في النارِ إذا مات مصيراً عليه ، وإنَّ الله لا يغفرُ له إلا إذا

تاب في وقت التوبة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] .

قال الشوكاني : ((أي ضلَّ عن الحق ضلالاً بعيداً ، لأن الشرك أعظم أنواع الضلال ،

وأبعدها من الصواب))^(٢) .

٣ - إنه أفظع ظلم ، وأعظم جريمة :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] أي لم

يخالطوه بظلم ، والمراد بالظلم الشرك ، لما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن

مسعود^(٣) - رضي الله عنه - قال : لما نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله

- ﷺ - ، وقالوا : أينما لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس هو كما تظنون ، إنما

هو كما قال لقمان : ﴿ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان :

١٣]^(٤) .

(والثاني) : شرك أصغر :

(١) : فتح القدير . (١٣٧/٢) .

(٢) : فتح القدير . (٥١٦/١) وانظر أيضاً (٤٧٥/١) .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٣٢) ومسلم رقم (١٢٤) .

(٤) : فتح القدير (١٣٥/٢) و (٢٣٨/٤) .

وهذا النوع من الشرك مما ينافي كمال التوحيد في عبادة الله - عز وجل - ويناقضه ، وهو وإن كان لا يُخْرِجُ من الملة فإن صاحبه على خطرٍ عظيم ، ينقصُ من أجره شسيء كثير ، وقد يحبط منه العمل الذي وقع فيه هذا الشرك . وفي هذا ذكر الشوكاني - رحمه الله - أحاديثَ كثيرةً^(١) .

• ذِكْرُ نَمَازِجٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّرَكِيَّةِ ، وَكَلَامِ الشُّوْكَانِيِّ عَنْهَا :

تناول الشوكاني - رحمه الله - نماذجَ من الأعمال الشركية التي يجب على كل مسلمٍ معرفتها ليسلمَ منها ، وليكون على بينةٍ من أمرها حتى لا يقعَ فيها :

١ - الاستغاثةُ بغيرِ الله :

كالاستغاثةِ بالأمواتِ ، والاستغاثةِ بهم ، ومناجاتهم عند الحاجة ، وتعظيم قبورهم ، واعتقادُ أن لهم قدرةً على قضاء حوائج المحتاجين ، وإنجاح طلبات السائلين^(٢) .

٢ - النذرُ لغيرِ الله :

وهي نذر في معصيةٍ ، وهي من النذرِ الذي لا يُبتَغَى به وجهُ الله^(٣) .

٣ - الذبيحُ لغيرِ الله^(٤) :

٤ - الحلفُ بغيرِ الله :

كالحلف بالنبي ، أو الكعبةِ ، أو الأمانةِ ، أو الحياةِ ، أو بوليٍّ من الأولياء ، أو بالشرفِ أو بغير ذلك من المخلوقاتِ ، كل ذلك من الشركِ الأصغر .

(١) : انظر قطر الولي ص ٤٥٧-٤٥٩ ، وفتح القدير (٣/٣١٩) .

و " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٢) : انظر " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهو ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) و " فتح القدير " (٤٥٠/٢) .

(٣) : انظر " شرح الصدور في تحريم رفع القبور " وهي ضمن كتاب " الفتح الرباني " - الفقه - و " أدب الطلب ومنتهى الأرب " ص ١٧٩ بتحقيقي .

(٤) : انظر " فتح القدير " (١٧٠/١) و " نيل الأوطار " (٦٨/١٠) و " شرح الصدور " .

قال الشوكاني : ((قال العلماء : السرُّ في النهي عن الحلفِ بغيرِ الله أن الحلفَ بالشيء يقتضي تعظيمه ، والعظمةُ في الحقيقة إنما هي لله وحده ، فلا يُحلفُ إلا بالله وذاته وصفاته ، وعلى ذلك اتفقَ الفقهاء))^(١) .

٥- السحرُ وأنواعه :

ذهب الشوكاني - رحمه الله - مذهبَ أهل السنة في أن السحرَ له حقيقةٌ ، وله تأثير بإذن الله ، واستدل بقوله تعالى : ﴿... فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]^(٢) .
وذكر الشوكاني - رحمه الله - أنواعاً كثيرة من أعمالِ السحرِ التي هي شركٌ بالله منها :

أ- الكهانة والتنجيمُ وما في معناهما :

وقد ورد في النهي عن إتيانِ الكهانِ وتصديقهم أحاديثٌ كثيرةٌ أوردها الشوكاني رحمه الله في مؤلفاته^(٣) .

ب- التطيُّر :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((وأما التطيُّر فهو الطيرةُ بكسرِ الطاءِ المهملة ، وفتح المثناة التحتية ، وقد تسكنُ ، وهي التشاؤمُ بالشيء ، وكان ذلك يصدِّهم عن مقاصدِهم ، فنفاه الشرعُ ، وأبطله ، ونهى عنه))^(٤) .

ج- تعليقُ التمايمِ ونحوها :

(١) : انظر ما أورده الشوكاني من هذه الأحاديث في " نيل الأوطار " (٢١/١٠) و (١٥٨-١٦٠) و

"العذب النمير" و " الدر النضيد " ..

(٢) : فتح القدير (١٢١/١) ونيل الأوطار (٤٣/٩) .

(٣) : فتح القدير (١٢٣/١-١٢٤) ونيل الأوطار (٤٥/٩-٤٦) و " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " .

(٤) : " نيل الأوطار " (١٣٣/١٠) .

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((فمن ذلك ما ورد في تعليق التمام ، إنه من الشرك ،
وتعليقُ الحيطِ في اليدِ للحمى))^(١) .

• ذكر نماذج من البدع التي تكلم عليها الشوكاني :

١- بدعة الرافضة :

أ- معاداتهم للصحابة - رضوان الله عليهم - .

قال الشوكاني - رحمه الله - ((وانظر إلى أي مبلغ بلغ الشيطان الرجيم هؤلاء
المغرورينَ المخترئين على هذه الأعراض المصونة المحترمة المكرمة ، فيا لله العجبُ من هذه
العقول الرقيقة ، والأفهام الشنيعة ، والأذهان المختلة ، والإدراكات المعتلة ! ، فإن هذا
التلاعب الذي تلاعب الشيطان ، يفهمه أقصرُ الناس عقلاً ، وأبعدهم فطانةً ، وأجدهم
فهماً ، وأقصرهم في العلم باعاً ، وأقلهم اطلاعاً ، فإن الشيطان - لعنه الله - سؤل لهم بلأن
هؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - الذين لهم المزايا التي لا يحيط بها حصرٌ ، ولا يحصيها
حدٌ ، ولا عدٌ ، أحقّاء بما يهتكون من أعراضهم الشريفة ، ويجحدون من مناقبهم المنيفة ،
حتى كأنهم لم يكونوا هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم ، وأوصلوا دين الإسلام
إلى أطراف المعمورة ، من شرق الأرض وغربها ، وبمينها وشمالها ، فاتسعت رقعة الإسلام ،
وطبقت الأرض شرائع الإيمان ، وانقطعت علائق الكفر ، وانقصمت حباله .

يا لله العجبُ ، يعادون خيرَ عباد الله ، وأنفعهم للدين الذي بعث به رسول الله - ﷺ - ،
وهم لم يعاصروهم ، ولا عاصروا من أدركهم ، ولا أذنبوا إليهم بذنبٍ ، ولا ظلموهم في
مالٍ ، ولا دم ، ولا عرض ، بل قد صاروا تحت أطباق الثرى ، وفي رحمة واسع الرحمة
منذ مئات من السنين))^(٢) .

هذا وقد اعتنى الإمام الشوكاني - رحمه الله - اعتناءً كبيراً بالرد على هذه الطائفة

(١) : " العذب النمير " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٢) .

(٢) : " فطر الولي " (ص ٢٩٤) .

الضالة في هذا الموضوع ، فقد ألف كتابين :

(أحدهما) : " در السحابة في مناقب القراية والصحابة " (١) بين فيه مناقب وفضائل

كل من الصحابة والقراية - رضوان الله عليهم - .

(والثاني) : " إرشاد الغي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ " (٢) . نقل فيه

إجماع أهل البيت من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بسب أو ما يقاربه ...

ب- اعتقادهم بعصمة علي - رضي الله عنه - :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((عصمة علي وحجة قوله ذهب إلى القول بهما

جماعة من أهل البيت ، وذهب جماعة منهم وسائر المسلمين أجمعين إلى أن المعصوم إنما

هو رسول الله - ﷺ - على الخصوص ، والحجة إنما هي ما جاء عن الله وعنه)) (٣) .

٢- بدعة المتصوفة :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((فقد كان أول هذا الأمر يطلق هذا الاسم على من

بلغ في الزهد والعبادة إلى أعلا مبلغ ، ومشى على هدي الشريعة المطهرة ، وأعرض عن

الدنيا ، وصد عن زينتها ، ولم يغتر بيهجتها ، ثم حدث أقوام جعلوا هذا الأمر طريقاً إلى

الدنيا ، ومدرجاً إلى التلاعب بأحكام الشرع ، ومسلكاً إلى أبواب اللهو والخلاعة ، ثم

جعلوا لهم شيخاً يعلمهم كيفية السلوك ، فمنهم من يكون مقصده صالحاً ، وطريقته

حسنة ، فيلقن أتباعه كلمات تباعدهم من الدنيا ، وتقربهم من الآخرة ، وينقلهم مترتبة

إلى رتبة على أعراف يتعارفونها ، ولكنه لا يخلو غالب ذلك من مخالفة للشرع ، وخروج

عن كثير من آدابه)) (٤) .

(١) : أكرمني الله بتحقيقه على ثلاث مخطوطات والله الحمد والمنة .

(٢) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٩)

(٣) : " عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمذ " وهي ضمن كتاب " الفتح الرباني " - الفقه - .

(٤) : " أدب الطلب ومنتهى الأرب " (ص ١٩٩) بتحقيقي .

وقد ابتدعت المتصوفةُ أموراً كثيرة ، ودعوا إليها ، ولم تكن عند الزهاد السابقين ، منها تركُ الزواج ، وإدامةُ الجوع ، ومواصلةُ الصوم ، والغزلةُ ، والخلوةُ ، والغناءُ ، والوجدُ ، وتقسيمُ الدين إلى حقيقةٍ وشريعةٍ ، وتقديسُ الأولياءِ ، وتفضيلُهم على الأنبياءِ ، ومنها القولُ بالحلولِ ، ووحدَةُ الوجودِ ، والاتحادُ بين المخلوقِ والخالقِ . وهكذا تدرج المتصوفةُ إلى أن شرعوا لأنفسِهِم من الدين ما لم يأذنْ به اللهُ .

ولقد تصدى لهذه الأمور البدعية ، وكشف عن حقائقِها كثيرٌ من العلماء ومنهم الإمام الشوكاني رحمه الله . وخاصة في كتابه : " قطر الولي على حديث الولي ، أو ولاية الله والطريق إليها " . ورسالته : " الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد " ^(١) حيث نقل فيها أقوالَ العلماء أهلِ السنة في الحكم على ما تضمنته الكتبُ الصوفية من الضلال والإضلال ، كما جمع في هذه الرسالة ما صدر عن هؤلاء المتصوفين المخذولين من المقالات التي كل واحدة منها أكفر الكفر ...

وأكد - رحمه الله - أن القيامَ على هؤلاء المتصوفة من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقولَ والأديانَ على خلق من المشايخ والعلماء ، والملوك والأمراء ^(٢) .

• وإليك بعضُ البدع التي وقع فيها الصوفية :

أ- الزهد الصوفي :

وقد أنكر الشوكاني - رحمه الله - (الزهدَ الصوفي المخالفَ للإسلام) لأنه هو الذي يضعفُ جسمَ المؤمن ، ويحول دون قيامه بواجباته نحو نفسه وأسرته ومجتمعه ^(٣) .

ب- الولاية الصوفية :

وهي من أكثر الأشياء التي يدندن حولها المتصوفة في الماضي والحاضر ، وقد فصل الشوكاني - رحمه الله تعالى - موضوعَ الولاية تفصيلاً دقيقاً ، وأفرد لها تأليفاً في كتابه

(١) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٢٤) .

(٢) : انظر " الصوارم الحداد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٢٤) .

(٣) : " فتح القدير " (٦٩/٢) و (٢٠٠/٢) و (٥٣٠/٢) .

" قطر الولي على حديث الولي ، أو ولاية الله والطريق إليها " (١) .

ج- عقيدة الاتحاد بين المخلوق والخالق :

وهي عقيدة اكتسبها من الديانات والفلسفات الأجنبية ، كالهندية وغيرها (٢) .

د- رفع التكليف الشرعية (٣) :

٣- بدعة القبورين :

وهي من البدع السيئة على هذه الأمة كتشيد القبور ، وبنائها ، وتسريحها ، وتزيينها ، واتخاذها مساجد وما إلى ذلك ، وما يترتب عليها من الاعتقادات الفاسدة في أصحاب القبور (٤) .

* * *

أما الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهو من الإيمان بالغيب الذي وصف الله به المؤمنين ، وهو ركن من أركان الإيمان التي يجب الإيمان بها ، كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة من كتاب وسنة .

كقوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَعَفَّرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

قال الشوكاني (٥) : ((قوله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ أي لا نكفر بما جاءت به الرسل ، ولا نفرق بين أحد منهم ، ولا نكذب به)) .

(١) : أكرمني الله بتحقيقه على مخطوتين والله الحمد والمنة .

(٢) : " الصوامر الحداد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة برقم (٢٤) .

(٣) : " قطر الولي " (ص٤٨٧) .

(٤) : " أدب الطلب ومتهى الأرب " (ص١٩٤-١٩٥) بتحقيقي .

(٥) : " فتح القدير " (٣٠٩/١) .

وفي حديث جبريل وسؤاله للنبي - ﷺ - عن الإيمان فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " (١) .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - متفاضلون ، وأن بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] (٢) .

وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء ، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم ، وأفضل الرسل والأنبياء خمسة وهم : محمد ﷺ ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - . وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل ، وقد خصهم الله - سبحانه - بالذكر في آيتين من كتابه :

قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] .

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل ، لكوفهم من أصحاب الشرائع المشهورة ، ومن أولي العزم من الرسل ، وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم مالا يخفى)) (٣) .

كما أن الشوكاني - رحمه الله - اهتم اهتماما بالغا ببيان المهمة الكبرى التي بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حيث ألف رسالتين الأولى بعنوان :

(١) : أخرجه مسلم رقم (٨/١) وغيره .

(٢) : فتح القدير (٢٦٨/١) وانظر أيضا (٢٣٥/٣) .

(٣) : فتح القدير (٢٦٤/٤) .

" المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة " (١) والثانية بعنوان : " إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات " (٢) وأورد فيهما النصوص من القرآن والسنة ، ومن الكتب السابقة : كالتوراة ، والزبور ، والإنجيل ، مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثبات كل مقصد من هذه المقاصد ، أي التوحيد ، والمعاد ، والنبوات ، وتصديق بعضهم بعضاً .

* * *

أما الإيمان بوجود الجنّ والشياطين جزءاً من عقيدة المؤمن ، لما ثبت في ذلك من الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

وقد اعتنى الشوكاني - رحمه الله - بهذا الموضوع ، وأفرد له بحثاً صغيراً بعنوان " بحث في وجود الجن " (٣) أورد فيها الأدلة الدالة على وجود الجنّ والشياطين ، وردّ على المنكرين على وجودهما من بعض المعتزلة وأمثالهم .

وقد ذهب - رحمه الله - مذهب الفاتلين بأن جميع الجنّ ولد إبليس ، كما أن جميع الإنس هم ولد آدم . وأن الشياطين هم مرده الإنس والجن (٤) وهذا مذهب الجمهور ، الذي رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية (٥) .

والجن أجناس مختلفة ، منهم المؤمن ، والكافر ، والبرّ ، والفاجر ، قال تعالى ، إخباراً عنهم : ﴿ وَأَنَا مِنَ الصّٰلِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ [الجن : ١١] أي جماعات متفرقة ، وأصنافاً مختلفة (٦) .

(١) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٠) .

(٢) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٩) .

(٣) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٨) .

(٤) : انظر بحث في وجود الجن . وفتح القدير (٣٠٣/٥) .

(٥) : انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/١٥) وانظر أيضاً (٢٣٥/٤) .

(٦) : فتح القدير (٣٠٦/٥) .

وهل أرسلَ الله إليهم رسلاً منهم؟

اختلف العلماء في هذا على قولين : قيل : فيهم رسلٌ ، لقوله تعالى : ﴿ يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] وقيل : الرسلُ من الإنس ، والجنُّ فيهم الثُّدُرُ . وهذا قول الجمهور من العلماء سلفاً وخلفاً وهو الراجح ^(١) .
ورجح الشوكاني - رحمه الله - هذا القولَ في تفسيره ^(٢) .

* * *

أما رؤية الله - سبحانه وتعالى - في الجنة ، أعظمُ نعيمٍ يناله المؤمنون ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة ، واتفق على القول بها جميعُ الصحابة والتابعين ، وجميعُ أئمة الإسلام المعروفين بالإمامة والدين ، وأهلُ الحديث ، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى أهل السنة والجماعة .

وقد قرر الشوكاني - رحمه الله - هذه المسألة في مؤلَّف مستقلٍّ سَمَّاهُ : " البغية في مسألة الرؤية " ^(٣) .

وأورد فيها الأدلة الدالة على ثبوت الرؤية وردَّ على المنكرين للرؤية من أهل البدع والأهواء من الجهمية ، ومن تابعهم من المعتزلة والرافضة ، وغيرهم .

* * *

أما خلودُ الجنة والنار ، وبقاؤهما ، وأتھما لا يفنيان أبداً ، ولا يفنى من فيهما ، ثابت بالكتاب والسنة . وقد وافق الشوكاني - رحمه الله - أهلَ السنة في هذا الموضوع في عدة مواضع من تفسيره ^(٤) ، بل أفردته بالتأليف في رسالة بعنوان " كشف الأستار في إبطال

(١) : انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٣٤/٤) و (٣٠٧/١١) .

(٢) : فتح القدير (٣٠٣/٥) .

(٣) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٧) .

(٤) : فتح القدير (١/٥٥ ، ٥٦ ، ١٦٦) و (٣٣٥/٣) و (٤٧٥/٣) .

قول من قال بفناء النار " (١) رداً على سؤال ورد إليه في هذا الموضوع . ويقصد بمن قال بفناء النار الجهمية ومن تابعهم ، كما صرح في أول الرسالة .
كما أورد - رحمه الله - أدلة المخالفين لأهل السنة التي استدلوها بها على فناء النار وانقطاع عذاب أهلها . وفنّدها تفنيداً رائعاً ، وأجاب عن هذه الاستدلالات كلها (٢) .

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة
ولو جهك خالصة
ولا تجعل فيها شركاً لأحد

وكتبه :

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

(١) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٨) .

(٢) : انظر " كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم

(١٨) .

أسئلة و أجوبة

عن

قضايا التوحيد والشرك

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقيقه وعلق عليه وخرج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

- ١- عنوان الرسالة : أسئلة وأجوبة عن قضايا التوحيد والشرك^(١) .
- ٢- موضوع الرسالة : في قضية الشرك والتوحيد ، وخلق أفعال العباد ، والخلاف في الفروع^(٢) .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الراشدين أجمعين .. أما بعد :
- فهذه سؤالات لها أطراف وغصون وفروع وشجون ...
- ٤- آخر الرسالة : صدر الجواب وهو غير منقول ، فقابلوه بالعدر والقبول ، وما كان فيه خطأ فأصلحوه ، وما كان فيه من قصور فتمموه ، والسلام عليكم ورحمة الله .
- ٥- نوع الخط : خط الأسئلة نسخي معتاد . وخط الأجوبة نسخي دقيق .
- ٦- عدد الأوراق : (٩) ورقات .
- ٧- عدد السطور في الصفحة : ٢٢ سطراً في الأسئلة و (١٤) سطراً في الأجوبة تقريباً .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١٠ كلمات في الأسئلة و(١٦) كلمة في الأجوبة تقريباً .
- ٩- النسخ : نسخ الأسئلة بخط محمد بن أحمد الحفظي وهو السائل .

(١) : العنوان من وضعي لأنني لم أعتز لها على عنوان في صور العناوين .
(٢) : وضعت هذه الرسالة في قسم " العقيدة " ولو كان فيها سؤال يتعلق بالفقه لأن أغلب الرسالة تتحدث عن العقيدة . وهكذا أصنع على مدار الكتاب وهو " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " حيث أضع الرسالة في القسم الذي يغلب عليها والله الهادي إلى الصواب .

ونسخ الأجوبة بخط عبد العزيز بن أحمد النجدي .

ملحوظة :

- في أول صفحة من الجواب ما نصه : " هذا الجواب حرره عبد العزيز بن أحمد النجدي عند قدومه إلى صنعاء ، وأجبت أنا عن السؤال كما سيأتي " . والظاهر أن هذه العبارة بخط الإمام الشوكاني .
- في خط الجواب كلمات غير مقروءة ، وكلمات مطموسة .

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله
 وعكره الطيبين الطاهرين واصحابه الراشدين اجمعين
 اما بعد فترجمت في هذه السؤالات التي اطرافها وغصونها
 وفروعها وشجونها في جملة من الفتوى تنزهها بحجاب القدوس في
 المقدرات بنسبها الى الله والنبوة وحسنها بحجاب القدر في
 المقدرات في الروح والمنون الى علامه الهمم المصون
 المحمدي الرائي محمد علي محمد الكوئي اعانه عن نعم الله
 لمن يكون عار الاثابه باكر اجابه والاصابه فيما لم يحلوه
 السؤال الاول قد تطفئ الاموات القرائن بوضوح الاضار النيرة
 والحق لا اله الا الله علمه وصورته تصدق الله سبحانه وتعالى بالعبادة
 وقال عمر بن الخطاب علمه وما خلق الله من الاشرار الا ليعذبون
 وما امروا الا للجهنم والله فخلص له الدين خذاه
 وكذلك بوارثت الاضاد في الرادوان وتنازلت الاموات البينات
 على تحريم الرمن بالله سبحانه في العبادات سواء كان ذلك
 جليلا او خفيا ومن سئل الله فصرم الله عليه الحكمة وما واه
 التاروقا كرعا ان الله لا يعجز ان يسر به ذرعه عادون
 ذلك لمن يشاء وفي هذا ما حثت بتفحيمها المهي
 وينتقم عليها المهي الاول ان الدعوى لغير الله شرس
 وفي العباد ان المراد بها العبادات وكثرة منها والمراد بالعبادة

[الصفحة الأولى لصورة السؤال من المخطوط]

السؤال الثالث: فما يتعلق بالزوع من الاصلان المتباينين
 الاطراف فعلا كسبح الحكمة قائله لهذا المتناقض وانها كالحجر
 يعرف كل من جهته من الماء القارض ام لا تقبل الاقولا
 واجدا وليس لو رادها الامور دارا لروادها الا رابدا
 كذبت اذا خمدت كالحق فاصاب نله اوان وان اخطا نله اجر
 لهذا لنا العلم بالمصيب وما علمه علم التقريب فان
 اكثر الخلافات مفضية بالادلة من الخالف واذا ثبت
 عذر الخاطئ فله عذر مقلده ام لا والله فصل في الاصلين
 من الله عز وجل والادغام خلاف متناقض في غير الاضهارايات
 وظاهره اجماعهم اذ اعلم بالادلة واذا زرع هل يكون
 مقلدا او مقننا وما حكم ما سلف من الادغام بدل العلم
 بالادلة وموضوع الصالح الكتاب العمود في ربه
 الاصابع وشكل ما فرض به عمر صوابه بانه من ذلك
 وهذا فطر في النكاح سوال لاج في الخصال يظهر العمل
 بالخطوط مطلقا ام لا ساحة منمنه لالمس ولا منمنه
 وما ورد في الحديث عليكم سنتي وسنة ائمتي الذين اخرج
 هذا المراد مستهم في ابناءهم هذه وسنته ام المراد ما سبق
 وما لم يكن منهم نفس كسفر اذ انما رقت عن ان كل من يش
 لهذا الطلاق على غيره لانه صلا الله عليه في ما المقصود
 وذلك وما عذر عمر رضي الله عنه مما عناه هو ان الله عز وجل
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 راجه السائل المستفهد محمد احمد كقطي العجيل رحمه الله

[الصفة الألفية لصورة السؤال من المخطوط]

سواله كتاب قضا وشيخاه والسؤال عن ما ورد في الحديث عليكم بسنتهم ورواية اختلفوا الا انهم
 قالوا وانما علم سنتهم فيما سنوه اذ لم يخالف سنة النبي صلى الله عليه وآله وما استعملوا في اربابهم
 سنة صلى الله عليه وآله ولم يمتنعوا من سنة صلى الله عليه وآله ولم يخالفتهم في سنة صلى الله عليه وآله
 الا ما خالفوا في سنة النبي صلى الله عليه وآله من اهل البيت كمالا على ما قاله عليه السلام في اهل البيت
 اهل بيته واهله واهل بيته واهل بيته واهل بيته واهل بيته واهل بيته واهل بيته واهل بيته واهل بيته
 بل هو مدحهم من اهل العلم منهم بن يحيى بن ابي عمير وبن ابي عمير وبن ابي عمير وبن ابي عمير وبن ابي عمير

حكاه ابن عسقلان في كتابه في فضائل اهل البيت ورواه في كتابه في فضائل اهل البيت
 وهو غير منقول فقايلوه بالغدير والعتوق وما كان فيه من خطاه
 فاصححوه وما كان من مفسده فحذفوه والاسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الصفحة الأخيرة لصورة الجوانب من المخطوطة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[نص الأسئلة]

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الراشدين أجمعين ... أما بعدُ :

فهذه سؤالات لها أطرافٌ ، وغصونٌ ، وفروعٌ ، وشجونٌ في جملةٍ من الفنون تزُفُّها ركائبُ القُدرةِ في المقدراتِ بين الكافِ والنونِ ، وتُحسِّنُها عجائبُ الفكرةِ في المقرراتِ في الشروحِ والمتونِ إلى علامةِ اليمنِ الميمونِ ، المجتهدِ الربانيِّ محمدِ بنِ عليِّ بنِ محمدٍ الشوكانيِّ أعانه من يقولُ للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ ، على الإثابةِ بالإجابةِ ، والإصابةِ فيما هم فيه يختلفون ..

السؤال الأول

قد نطقت الآيات القرآنية ، وشهدت الأخبار النبوية ، وأجمعت الأمة المحمدية على وجوب توحيد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة ، وقال عز من قائل عليم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) ﴿ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (٢) ، وكذلك تواترت الأحاديث الواردة ، وتتابع الآيات البينات على تحريم الشرك بالله - سبحانه - في العبادات ، سواء كان ذلك جلياً أو خفياً ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) .

وفي هذا مباحث يتضح بها المعنى ، ويستقيم عليها المبنى :

الأول : أن الدعوة لغير الله شرك ، وفي التفاسير أن المراد بها العبادة في كثير منها ، فالمراد بالعبادة التوحيد كما ذكره ابن عباس (٥) - رضي الله عنهما - .

(١) : الذاريات (٥٦) .

(٢) : البينة (٥) .

(٣) : المائدة (٧٢) .

(٤) : النساء (٤٨ ، ١١٦) .

(٥) : قال ابن كثير في تفسيره (١٩٥/١) : عن ابن عباس قال : قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ للفريقين جميعاً من الكفار المنافقين ، أي وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٤٧/١-٤٨) : اختلف العلماء فيمن عني بهذا الخطاب على أربعة

أقوال :

١- أنه عام في جميع الناس ، وهو قول ابن عباس .

٢- أنه خطاب لليهود دون غيرهم ، قاله الحسن ومجاهد .

٣- أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم ، قاله السدي .

وفي الحديث أن ((الدعاء هو العبادة))^(١) ، وهذا الفصل^(٢) للحصر ، أو التخصيص للاهتمام . وعلى كل تقدير فهو دليل على هذا التقرير .
والدعاء له معنيتان^(٣) : أحدهما دعاء الطلب ، بل قد سُمي الله ذلك ديناً في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾^(٤) .

٤ - أنه خطاب للمنافقين واليهود ، قاله مقاتل . والناس اسم للحيوان الآدمسي ، وسموا بذلك لتحرّكهم في مرادهم . والنوس : الحركة . وقيل : سموا أناساً لما يعترهم من النسيان .

● والمراد هاهنا بالعبادة قولان :

أحدهما : التوحيد .

والثاني : الطاعة ، روي عن ابن عباس .

وانظر : " جامع البيان " للطبري (١٢٥/١) .

(١) : أخرجه أحمد (٢٦٧/٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٤) والطيالسي كما في المنحة رقم (١٢٥٢) وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) والطبراني في الصغير (٩٧/٢) والحاكم (٤٩٠/١-٤٩١) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وأبو نعيم في الحلية (١٢٠/٨) والبغوي في شرح السنة (١٨٤/٥-١٨٥ رقم ١٣٨٤) والنسائي في الكبرى (٣٠/٩) كما في تحفة الأشراف ، وابن حبان رقم (٢٣٩٦ - موارد) من طرق من حديث النعمان بن بشير وهو حديث صحيح .

(٢) : انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن (١٤٠/١) .

(٣) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٦٩/١) : - الدعاء في القرآن والسنة :

١/ دعاء عبادة وهذا النوع ورد كثيراً في القرآن كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

٢/ دعاء مسألة : وهو طلب ما ينفع السداعي من جلب نفع أو كشف ضرر ، ومن أدلته قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [بل

إياه تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠-٤١]

● فمتى كان الدعاء مقروناً بالطلب مذكوراً في صياغة الاستجابة فهو دعاء المسألة وإلا فهو دعاء العبادة .

وانظر : " مجموع فتاوى ابن تيمية " (٢٣٧/١٠) .

(٤) : العنكبوت (٦٥) .

وَصَرَفُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ شُرْكٌ وَكُفْرٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (١) .

فَهَلْ هَذَا الْكَلَامُ فِي سُبُلِ السَّلَامِ إِلَى بُلُوغِ الْمَرَامِ عِنْدَ جَمِيعِ الْأَعْلَامِ ، أَمْ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَاحْتِمَالٌ عَلَى قَوْلِ بَعْضِ الرِّجَالِ ؟ ، وَشَأْنُ الْكُفْرِ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ حُلُّ الدَّمِ وَالْمَالِ بِلا إِشْكَالٍ ، سِوَاءِ قَبْلِ الدَّعْوَةِ أَوْ بَعْدَهَا عَلَى التَّفْصِيلِ فِي مَنْ بَلَغَتْهُ ، وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ .

- [فَهَلْ] (٢) يُعْذَرُ الْجَاهِلُ لِقَوْلِهِمْ : إِنَّ الْعَمَلَ مَتَوَقَّفٌ عَلَى الْعِلْمِ ، وَكَذَا الْوَجُوبُ ؟ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) . هَلْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ أَوْ خَبَرِيَّةٌ ؟ (٤) .

(١) : الْأَحْقَافُ (٥-٦) .

(٢) : فِي الْأَصْلِ (وَفَهْلُ) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ .

(٣) : الْبَقْرَةَ (٢٢) .

(٤) : " وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " مُبْتَدَأٌ وَخَيْرٌ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (فَلَا تَجْعَلُوا) أَيُّ فَلَا تَجْعَلُونَ لِلَّهِ أَمْثَالًا وَأَكْفَاءً . وَهَذِهِ حَالِكُمْ وَصَفْتِكُمْ وَمَفْعُولٌ (تَعْلَمُونَ) فَمَحذُوفٌ أَيُّ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا ضِدَّ لَهُ .

وَقِيلَ : تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْمُحْسِنُ إِلَيْكُمْ الْمُنْعَمَ عَلَيْكُمْ .

(الْوَاوُ) : وَوَاوِ الْحَالِ . أَنْتُمْ : مُبْتَدَأٌ ، تَعْلَمُونَ : جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ الْخَيْرِ .

انظر : الْفَرِيدُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١/٢٤٥) .

وَقَالَ فِي الدَّرِّ الْمَصُونِ (١/١٩٦) : (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَيْرٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ عَلَى الْحَلَلِ . وَمَفْعُولُ الْعِلْمِ مَتْرُوكٌ لِأَنَّ الْمَعْنَى وَأَنْتُمْ مِنْ (أَهْلُ الْعِلْمِ أَوْ حَذَفَ اخْتِصَارًا أَيُّ : وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِطُلَانِ ذَلِكَ .

وَقَالَ الزَّرْمَخَشْرِي فِي الْكَشَافِ (١/٢١٧) : (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وَمَالِكُمْ وَصَفْتِكُمْ أَنْتُمْ مِنْ صِحَّةِ تَمْيِيزِكُمْ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِدَقَائِقِ الْأُمُورِ وَغَوَامِضِ الْأَحْوَالِ ، وَالْإِصَابَةِ فِي التَّدَابِيرِ ، وَالِدِهَاءِ وَالْفِطْنَةِ ، بِمَنْزِلِ لَا تَدْفَعُونَ عَنْهُ ، وَهَكَذَا الْعَرَبُ ، خِصُوصًا سَاكِنُو الْحَرَمِ مِنْ قَرِيْشٍ وَكِنَانَةَ يَصْطَلِي بِنَاهُمْ فِي اسْتِكْمَالِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ وَحَسَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَا ، وَمَفْعُولٌ : (تَعْلَمُونَ) مَتْرُوكٌ كَأَنَّهُ قِيلَ : وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَالتَّوْبِيخُ فِيهِ آكِدٌ ، أَيُّ أَنْتُمْ الْعَرَاْفُونَ الْمَمِيْزُونَ ثُمَّ إِنَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ =

وهل الاحتمالُ يصحُّ دليلاً للعدْرِ أم لا ، لوضوح المحجَّة وبلوغ الحجة ، وعدم فهم الحجة ليس بعدر ؟

وكيف شأن المتقدمين على هذه الدعوة النجدية إلى توحيد الإلهية ممن يُوجد في كلامه أو أفعاله ما هو شركٌ جليٌّ ، بل وقع بعض ذلك للمصنفين ، اللهم إلا أن يُقال : إنَّ الدعاء [الذي]^(١) يُنارَع فيه أنه ليس من الشرك الأكبر ، وأنه لا إنكار في المختلف فيه ، فالاعتقادات العلمية خلاف الظنَّيات فالمراد من شيخ الأكاير بإسناد الدفاتر ، بسطُ الكلام على الأول من السؤالات ، والآخِر مع النظر فيما يتفرَّع على كلِّ جملة ، والإفلادة بما عليه الجلة في الجملة .

= في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أنداداً ، وهو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ، ويجوز أن يقدر : وأنتم تعلمون أن لا مماثل .
(١) : زيادة يستلزمها السياق .

السؤال الثاني

عن الراجح لديكم في مسألة خَلَقِ الْأَفْعَالِ حَسَنَهَا^(١) وَقَبِيحَهَا ، وخيرها وشرها ، هل يكون ذلك لله تعالى اختراعاً وإبداعاً ، ووقوعاً وارتفاعاً؟؛ لعموم الآيات في ذلك ، وشمول الأحاديث فيما هنالك ، خصوصاً ما في صحيح مسلم^(٢) في ذلك مما يطول سرده ، بل في جواب سؤال جبريل أعظم دليل .

(١) : الحسن والقبح يطلق بثلاثة ، اعتبارات :

- ١/ بمعنى ملاءمة الطبع ومنافرتة كقولنا : إنقاذ الغريق حسن وإتقان البريء قبيح .
- ٢/ ما أشير إليه بقوله أو بمعنى (صفة كمال ونقص ، كقولنا : العلم حسن والجهل قبيح) .
- وكل منهما عقلي أي أن العقل يستقل بإدراكهما من غير توقف على الشرع .
- ٣/ إطلاق الحسن والقبح بمعنى المدح والثواب وبمعنى (الذم والعقاب : شرعي . فلا حاكم إلا الله تعالى ، والعقل لا يُحسن ولا يقبح . ولا يوجب ولا يُحرّم .
- وقال ابن حجر في الفتح (٢٧٤/١٣) نقلاً عن السمعاني : " إن العقل لا يوجب شيئاً ، ولا يحرم شيئاً ، ولا حظ له في شيء من ذلك ، ولو لم يرد الشرع بحكم ما وجب على أحد شيء .
- ① إن فعل غير المكلف ليس حسناً ولا قبيحاً . بمعنى أن الحسن ما أمر الله به ، والقبيح ما نهى الله عنه . والصغير أو المجنون غير مكلف ، كما أن فعله لا يوصف بحسن ولا قبح . بمعنى أن ما لفعله فعله مع كونه متمكناً منه ، عالماً بحاله ، والقبيح عكسه . لأن غير المكلف ليس عالماً بحاله . ولا متمكناً من فعله . فلا يوصف فعله بحسن ولا قبح . كما لا يوصف فعل الصغير أو المجنون بالحسن والقبح . بمعنى الثواب والعقاب ، لأن هؤلاء لا يكتب لهم ثواب ، ولا يتزل بهم عقاب .
- انظر : المسودة (ص ٤٧٣ ، ٤٧٧) ، إرشاد الفحول (ص ٧) ، تيسير التحرير (١٥٢/٢) والعواصم والقواصم (٧/ ٧ - ٨) .

(٢) : أخرجه مسلم (٣٦/١ - ٣٨) رقم (٨/١) من حديث عمر بن الخطاب وهو حديث جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية ، وهو حديث عظيم الشأن ، جليل كبير جامع نافع ، سمى النبي ﷺ ما احتوى عليه (الدين) فقال : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " وهو حديث مشهور في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وأبو هريرة وأبو ذر ، وعبد الله بن عباس ، وأبو عامر الأشعري ، وغيرهم ﷺ .

وفي صحيح البخاري^(١) في تفسير سورة ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ عن عليّ - رضي الله عنه - حديثٌ قد أحطتُم به علماء ، أم يكون ذلك الفعلُ من العبدِ خَلْقًا^(٢) وصنعةً ، لا كَسْبًا وصورَةً ، لإضافته إليه في كثيرٍ من الآياتِ ، ولجوازِ تخصيصِ تلكِ العمومياتِ بغيرِ القبيحِ السيِّءِ ، مع أنّ دلالةَ العمومِ ظنيّةٌ ، وإن كانتْ كَلِيَّةً ، ولقيامِ الحُجَّةِ على المكلِّفِ باستقلالِهِ ، وعدمِ بطلانِ المحجَّةِ في [إلجائه]^(٣) وأعمالِهِ .

وهاهنا نكتةٌ يحصلُ للقاصرِ عندها البهتةُ ، وهي : أن القائلينَ بالأولِ يقولون : إنّ خلافَهُ فيه إثباتُ شركاءِ الله ، يتصرفون بغيرِ إذنِ الله ، وأنّ الإنكارَ والخلافَ^(٤) إنّما هو

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٤٥ ، ٤٩ ، ٤٩٤٦ ، ٤٩٤٧ ، ٤٩٤٨ ، ٤٩٤٩) من حديث علي قال : " كنا مع النبي ﷺ في قبعة الغرقد في جنازة فقال : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ... إِلَى قَوْلِهِ لِلْعُسْرَى ﴾ " .

● قلت : وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٧) وأبو داود رقم (٤٦٩٤) والترمذي رقم (٣٣٤٤) وابن ماجه رقم (٧٨) وأحمد (٨٢/١ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٤٠) .

(٢) : وهو قول المعتزلة حيث يقول القاضي عبد الجبار : وهو يتكلم عن خلق الأفعال : " ... والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة ، وأنهم المحدثون لها " .

ويقول في موضع آخر : " اتفق كل أهل العدل عن أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثه من جهتهم ، وأن الله عز وجل أفدرهم على ذلك ، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم ، وأن من قال أن الله سبحانه وتعالى خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه وأحالوا حدوث فعل من فاعلين " .

انظر : شرح الأصول الخمسة ص ٣٢٣ .

● وقولهم هذا مخالف لأهل السنة .

فقد قال ابن حزم في الفصل (٤١/٣) : وذهب أهل السنة كلهم إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها " .

(٣) : كلمة غير واضحة في الأصل وما أثبتناه من رسالة " العذب النمير " .

(٤) : ذلك أن المعتزلة ترى أن قبح الأشياء وحسنها والعقاب عليها والثواب ثابتٌ عقلاً ، فهم يرون أن هنالك

=

تلازم بين إدراك قبحها ، وبين العقاب عليها ...

مِنْ جِهَةِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَلَا دَخَلَ لَهُ فِي هَذَا الْبَابِ ،
فَأَيْنَ الْمَخْصَصُ مِنَ السُّنَّةِ أَوْ الْكِتَابِ !؟ وَالْقَاتِلِينَ بِالثَّانِي يَقُولُونَ: إِنَّ خِلَافَهُ فِيهِ الْإِجْبَارُ^(١) ،

= شرح الأصول الخمسة ص ٤٨٤ .

● يقال لهم : إنه لا تلازم بين هذين الأمرين ، فالأفعال في نفسها حسنة وقييحة .

لكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي ، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً
موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل :
فمثلاً : الكذب والزنا : كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالحكم الشرعي ...
وقد دل القرآن على أنه لا تلازم بين الأمرين ، وأنه تعالى لا يعاقب إلا بإرسال الرسل ، وأن
الفعل نفسه حسن أو قبيح ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء :
١٥] .

ففي هذه الآية إشارة إلى أن العذاب لا يكون إلا بعد بعثة الرسل ، وذلك دليل على أن العقاب لا
يثبت إلا بالحكم الشرعي ، وقال تعالى : ﴿كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [ق] قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك : ٨-٩] .

● وهي دليل على أن العقاب لا يثبت إلا بالشرع بدليل أن الخزنة لم يسألوهم عن مخالفتهم للعقل ،
بل للنذر ، وبذلك دخلوا النار ، وهذا مما يبطل قول المعتزلة أن العقاب على القبائح ثابت بالعقل قبل
ورود الشرع .

وانظر : مدارج السالكين (١/٢٣١-٢٣٥) .

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (١/٢٣١ - ٢٣٢) : والحق الذي لا يجد التناقض إليه سبيلاً ...
أن الأفعال في نفسها حسنة وقييحة ، كما أنها نافعة وضارة . ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب
إلا بالأمر والنهي وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هو في
غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والكذب ... والظلم
والفواحش كلها قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع .. إلى أن قال وكثير من الفقهاء من
الطوائف الأربع يقولون : قبحها ثابت بالعقل والعقاب متوقف على ورود الشرع .

(١) : وهو قول الجبرية : الذين ينفون قدرة العبد ومشيتته وأوضح فرقة تمثل هذا الاتجاه الجهمية الذين =

وإبطال الشرائع ، وإلزام الحجة على الشارع .

فإن تخلص الفريق الأول من هذا بالكسب ، وهو العزم المصمم كما قاله بعض أهل التحقيق ، أو صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل على قول بعضهم - وإن حكى ابن السككي عن أبيه أن الناس غير مكلفين بمعرفة الكسب لصعوبته - عارضهم الفريق الثاني وقالوا : هل الكسب^(١) خلق الله أم لا ؟ .

إن قلتم لله فهو المذهب الأول ، أو للعبد وافقتم قولنا .
فليتفضل غني الزمان وإنسان الأعيان بالبيان ، وقد ورد النهي عن الخوض في القدر^(٢) ،

= يردون كل شيء إلى الله ، والعبد عندهم أشبه ما يكون بريشة في مهب الريح . حتى توصل بذلك قوم إلى إسقاط الأمر والنهي ، والوعد والوعيد وأنكر من أنكر منهم ما جعله الله تعالى من الأسباب حتى خرجوا عن الشرع ، والعقل وقالوا أن الله يحدث الشيع والري عند وجود الأكل والشرب لا يملك وكذلك يحدث النبات عند نزول المطر لا به . وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]

انظر : " بغية المرتاد " لابن تيمية ص ٢٦١ - ٢٦٢ . " فرق معاصرة " غالب بن علي عواجي (٢/ ٧٩٣ - ٨٢٠) .

(١) : سيأتي في جواب السؤال .

(٢) : منها : ما أخرجه أحمد في " المسند " (١٠٨/٢) والترمذي رقم (٢١٥٢ ، ٢١٥٣) وأبو داود رقم (٤٦١٣) وابن ماجه رقم (٤٠٦١) والحاكم (٨٤/١) .

من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " سيكون في هذه الأمة مسحٌ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزندقيّة " واللفظ لأحمد وهو حديث حسن .

ومنها : ما أخرجه أحمد (١٣٣/١) والحاكم في المستدرک (٣٢٦-٣٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وابن أبي عاصم في " السنة " (٥٩/١ رقم ١٣٠) وابن ماجه رقم (٨١) وابن حبان في صحيحه (٤٠٤/١ رقم ١٧٨) والبعوي في " شرح السنة " رقم (٦٦) . =

والأمرُ بالإمساك عن ذلك ، لكنَّ كانَ الأمرُ قبلَ ذلكَ عندَ المبتدئِ أنه واجبٌ عليه ،
كما أنَّ الكلامَ^(١) مذمومٌ ، والشافعيُّ - رحمه الله تعالى - حذَّر منه جدًّا^(٢) .

= من حديث علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر " وهو حديث صحيح .

ومنها : ما أخرجه ابن ماجه رقم (٨٥) وأحمد (١٨١/٢ ، ١٨٥ ، ١٩٥) . وعبد الرزاق رقم (٢٠٣٦٧) بسند حسن .

من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفتقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال : " بهذا أمرتم أو لهذا خلقتهم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم " . قال عبد الله بن عمرو : " فمسا غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس (تخلفي عنه) " .

● القدرية : هم نفاة القدر ، ظهرت تلك الفرقة في البصرة وأول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً ثم أسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهمي ثم غيلان الدمشقي والقدرية أربعة أصناف :

١/ القدرية النافية .

٢/ القدرية المشركية .

٣/ القدرية الإبليسية .

٤/ القدرية المجرية .

انظر : مجموع فتاوى لابن تيمية (٦٣/٨-٦٥) تاريخ المذاهب الإسلامية أبو زهرة ص ١٦٢-١٦٣ .

(١) : علم الكلام هو : علم العقائد القائم عن الأدلة العقلية فقط ويتضمن الرد والمحاجة عن تلك العقائد بتلك الأدلة .

وهو من المصائب التي ابتلى بها المسلمون ولا يزالون حتى هذه الساعة يكتبون بناها ، ويجنون الخنظل من ثمارها ويتجرعون العلقم منها تلك المصيبة الداهية - وهو علم الكلام .

ويسمى زوراً ومثاناً ومخادعة ، بعلم التوحيد ، وبعلم أصول الدين .

انظر : " الرد على المنطقيين " (ص ٣٧٤-٣٧٥) " مقدمة ابن خلدون " (ص ٨٢١) .

(٢) : قال الشافعي رحمه الله : " لأن يُبتلى العبد بكل ما هي الله عنه سوى الشرك ، خيرٌ له من الكلام ، ولقد

أطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك " =

ونقلَ ابنُ عبدِ البرِّ الإجماعَ أنَّه ليسَ من العلمِ ، وأنَّ أهلَهُ ليسُوا من العلماءِ ، وكان الإنسانُ يرى أنَّه أولُ الواجباتِ إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ .

- نعم - دتمم في جزيل النعم - حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة الذي رواه أبو داود^(١) ، وسكت عليه . عن معاوية بن أبي سفيان ، هل يدلُّ على هذا الافتراق قديماً

= * أخرجه ابن أبي حاتم في " آداب الشافعي " (ص ١٨٢) بسند صحيح وقال : " من أظهر العصبية والكلام ، ودعا إليها ، فهو مردود الشهادة ولأن يلقى العبدُ ربَّه عزَّ وجلَّ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشرك خيراً له من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء . "

أخرجه إسماعيل بن الفضل في " الحجة " (ق ٧/ب) بسند صحيح .
* وقال مالك بن أنس - رحمه الله - " أهل الأهواء يئس القوم لا يُسلم عليهم واعتزلهم أحبُّ إليَّ " .
الانتقاء (ص ٣٤) .

* وقال أحمد بن حنبل للمعتصم أيام الخنة : " ولستُ صاحبِ مراءٍ ولا كلامٍ وإنما أنا صاحبِ آثارٍ وأخبارٍ " . " الخنة " (ص ٥٤) .

وقال البغوي في " شرح السنة " (٢١٦/١) : وأتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات وعلى الرجوع عن الخوض في علم الكلام وتعلمه .

(١) : في السنن رقم (٤٥٩٧) .

قلت : وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٢٨/١) واللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (١٠٣/١) والمروزي في السنة (ص ١٤ ، ١٥) وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٦٥) وأحمد في المسند (١٠٢/٤) بإسناد حسن .

قال الحاكم في المستدرک - عن هذا الإسناد - وإسنادي حديثي أبي هريرة السابقين له - : " هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث وواقفه الذهبي " .

وقال الألباني : " صحيح بما قبله وما بعده " .

وفي الباب من حديث أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وأنس :

● وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه أحمد في المسند (٣٣٢/٢) وأبو داود في السنن رقم (٤٥٩٦) والترمذي في السنن رقم (٢٦٤٠) وقال : حسن صحيح .

وابن ماجة رقم (٣٩٩١) وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٣٤ - موارد) والحاكم في المستدرک

(١٢٨/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وواقفه الذهبي .

وحديثاً أم على زمان مخصوص؟

وقد ثبتت النجاة للصحابة - ﷺ - .

- فهل يدل [ذلك]^(١) على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً؟
- إن كان كذلك فليت شعري من وافقهم من الطائفتين؟ أم [كلُّ منهما]^(٢) وافق بعضاً؟ فيكون اختلافهم حقاً ، وهذا يرده ظاهرُ الحديث .
- وهنا مسألةٌ مُستطردةٌ من الغصون المتعددة عن الراوي هنا ، الذي هو معاويةٌ وحرورُهُ مع عليٍّ - ﷺ - ، وما جرى في تلك الوقائع . ما تقولون في ذلك؟
- وهل عدالة جميع الصحابة مُسلمةٌ؟
- وكذا إذا خرج أحدُ أصحابِ السنن عن شخصٍ ، وروى عنه ، كقول البخاري عن مروان ، هل هو تعديلٌ أم لا؟
- وهل مسألة الجرح والتعديل يصحُّ فيها التقليدُ بَعْدَ الزمان؟ أم تحبُّ المعرفةُ على كلِّ إنسانٍ لكلِّ إنسانٍ ، وإلا لم يجزِ الاحتجاجُ له؟ وهذا يُثبتُ وجوبَ الاجتهادِ

= وأخرجه ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٦٦ ، ٦٧) بسند حسن .

وصحح الألباني الحديث لطرقه . انظر : الصحيحة رقم (٢٠٣) .

● وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد أخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٦٤١) وقال : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه والحاكم (١٢٨/١ - ١٢٩) وهو حديث صحيح بشواهده السابقة واللاحقة .

● وأما حديث أنس فقد أخرجه أحمد (١٢٠/٣) ومن طريق أخرى عن أنس (١٤٥/٣) وفيه ابن لهيعة لكن لا بأس به في الشواهد والمتابعات .

وذكر المحدث الألباني سبع طرق عن أنس كلها ضعيفة إلا واحدة عند ابن ماجه رقم (٣٩٩٣) انظر الصحيحة رقم (٢٠٤) .

وخلاصة القول : أن الحديث صحيح بطرقه وشواهده والله أعلم .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : في الأصل : " كل منهم " والصواب ما أثبتناه .

على كل [فرد] ^(١) من العباد ، وبعضهم يقول : هذا مُتَعَسِّرٌ أو متَعَدِّرٌ ، ومنهم من
يقول : إنه واجبٌ مُتَيَسِّرٌ ، فما الراجحُ عندكم في هذا بخصوصه ؟ وما دليُّه بخصوصه ؟
وجزاكم اللهُ خيراً .

(١) : في الأصل (فرد) مكررة .

السؤال الثالث

فيما يتعلق بالفروع من الاختلاف المتباين الأطراف :

- هل الشريعة الحكيمة قابلة لهذا التناقض؟ وأنها كالبحر يغترف كل من جهته من الماء الفائض؟ أم لا تقبل إلا قولاً واحداً ، وليس لورادها إلا مورداً ، ولا لروادها إلا رائداً لحديث " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر " (١) ؟ .

- فمن أين لنا العلم بالمصيب؟ وما علامته على التقريب؟ فإن أكثر الخلافات معتضدة بالدليل من المخالف .

- وإذا ثبت عذر المخطئ فهل يُعذر مُقلده أم لا ؟

- وهل حصل للصحابه - ﷺ - في الأحكام خلاف متناقض في غير الاجتهاديات؟ .

- وهل رجع أحدهم إذا علم الدليل؟

- وإذا رجع هل يكون مقلداً أو مُقتدياً؟

- وما حكم ما سلف من الأحكام قبل العلم بالدليل؟ وفي رجوع الصحابة إلى كتاب

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) وابن ماجه رقم (٢٣١٤) وأبو داود

رقم (٣٥٧٤) كلهم من حديث عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " .

● وأخرج الترمذي في السنن رقم (١٣٢٦) والنسائي (٢٢٣/٨) رقم (٥٣٨١) من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد " .

وقال الترمذي : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقد صحح الألباني الحديث في الإرواء رقم (٢٥٩٨) .

عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ^(١) فِي دِيَةِ الْأَصَابِعِ ، وَتَرَكَّ مَا قَضَى بِهِ عُمَرُ^(٢) - ﷺ - بَارِقَةً مِنْ ذَلِكَ ؟ .
 - وَهَذَا خَطَرَ فِي الْبَالِ سَوَالُ لَاحٍ فِي الْخَيَالِ . هَلْ يَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْخَطُوطِ^(٣) مُطْلَقاً ؟
 أَمْ لَا سَانِحَةَ مُتَمَيَّنَةً ، لَا لِمَيْسِرَةٍ وَلَا مَيْمَنَةٍ ؟ .

(١) : أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٩٢) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين غير محمد بن عماره - وهو ابن عمرو بن حزم الأنصاري الحرمي المدني - فإنه لم يخرج له ولا لأحدهما ، وهو صدوق ، وتقه ابن معين ، وذكره ابن حبان في " الثقات " (٣٨٠/٥) وقال أبو حاتم : صالح ، ابن إدريس : هو عبد الله ابن إدريس بن يزيد الأودي الكوفي .
 وأخرجه النسائي في السنن (٥٧/٨-٥٨ رقم ٤٨٥٣) مختصراً . وابن خزيمة رقم (٢٢٦٩) وابن الجارود في " المنتقى " رقم (٧٨٤) وابن حبان في صحيحه رقم (٧٩٣-٧٩٣) ، والحاكم (١/٣٩٥-٣٩٧) ومن طريقه البيهقي (٧٣/٨) .
 ولمعظم فقراته شواهد انظر : " نصب الراية " (١/١٩٦-١٩٧) (٢/٣٤٠-٣٤١) وتلخيص الحبير (٤/١٧-١٨) .

والخلاصة : أن الحديث صحيح .

(٢) : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩/١٩٤ رقم ٧٠٥٠) عن سعيد بن المسيب " أن عمر قضى في الإهام والتي تليها نصف الكف ، وفي الوسطى بعشر فرائض والتي تليها بتسع فرائض وفي الخنصر بست فرائض " .
 وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٩٣) بلفظ : " وقضى في الإهام بخمس عشرة ، وفي التي تليها بعشر وفي الوسطى بعشر وفي التي تلي الخنصر بتسع وفي الخنصر بست " وبهذا اللفظ أخرجه الشافعي في الرسالة (ص ٤٢٢ رقم ١١٦٠) .
 وعبد الرزاق في مصنفه رقم (١٧٦٩٨) وزاد : " حتى وجدنا كتاباً عند آل حزم عن رسول الله ﷺ : أن الأصابع كلها سواء فأخذ - عمر - به " .
 وأخرجه عبد الرزاق أيضاً برقم (١٧٧٠٦) بلفظ : قضى عمر بن الخطاب في الأصابع بقضاء ثم أخبر بكتاب كتبه النبي ﷺ لآل حزم في كل أصبع مما هناك عشر من الإبل " . فأخذ به وترك أمره الأول وذكر رجوع عمر ﷺ إلى حديث عمرو بن حزم ، الشافعي في الرسالة (ص ٤٢٢ رقم ١١٦٢) .
 (٣) : وللإمام الشوكاني رحمه الله رسالة بعنوان " بحث في العمل بالخط ومعاني الحروف العلمية النقطية " سيأتي تفريغها في كتابنا هذا الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .

- فيما وردَ في الحديثِ "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ... " (١) الخ .
هل المرادُ سنتهم في أتباعهم لهديه وسنته ، أم المرادُ فيما سنوه فيما لم يكن فيه
نص (٢) ؟ .

- فكيف إذا تعارضت عند الناظر كحديث (٣) : " كانَ الطلاقُ على عهدِ رسولِ
الله ﷺ - ... " الخ .

(١) : أخرجه أحمد (١٢٦/٤-١٢٧) وأبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح . وابن ماجه رقم (٤٣ و ٤٤) والدارمي (٤٤/١-٤٥) وابن حبان في صحيحه (١٠٤/١) رقم (٥) والحاكم (٩٧-٩٥/١) وقال : هذا حديث صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي وابن أبي عاصم في السنة (١٧/١ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠) والآجري في الشريعة (ص٤٦-٤٧) من حديث العرياض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائلٌ : يا رسول الله كأن هذه موعظةٌ مودعٌ ، فما تعهد إلينا ؟ قال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حشياً . فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعةٌ ، وكل بدعةٌ ضلالةٌ " . وهو حديث صحيح .

(٢) : مفاد الحديث السنة العملية ، أي إذا عمل الصحابة عملاً لم ينقل لنا فيه سنة عن الرسول ﷺ لا موافقة ولا مخالفة فإننا نعد هذا كسنة للنبي ﷺ ونفتدي بهم فيه وعلى هذا يكون " قولهم معتبر وعملهم مقتدى به " المراد بالقول القول التكليفي لا التعريفي ، وذلك كما إذا رأينا الصحابي في الحج مثلاً يكبر أو يلي في مكان مخصوص ، وليس المراد القول بمعنى الرأي والاجتهاد وإلا فمجرد المدح بالعدالة والأمر باتباع سنتهم لا يفيدان ذلك في الاجتهاد والآراء .

وقد أوضح ابن قيم الجوزية هذا المقام وحرره تحريراً شافياً وأقام ستة وأربعين دليلاً على وجوب الأخذ بآرائهم ومذاهبهم وأنها تكون كالسنة وكذلك الاقتداء بهم في أعمالهم .
أعلام الموقعين (١٢٨/٤-١٥٣) .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٤٧٢) وأبو داود رقم (٢٢٠٠ و ٢١٩٩) والنسائي (١٤٥/٦) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاثِ واحدةً ، فقال عمر : إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيته عليهم ؟ .

ما المَعْتَمَدُ في ذلك؟ وما عُدْرُ عُمَرَ^(١) - ﷺ - فيما هنالك .

(١): وقد ذكر الصنعاني في سبيل السلام (٢٠٧/٦-٢١٠) بتحقيقي . ط ١

الأول: أنه كان الحكم كذلك ثم نُسخ في عصره ﷺ فقد أخرج أبو داود - في السنن رقم (٢١٩٥) بإسناد حسن - من طريق يزيد التَّحَوِي عن عكرمة عن ابن عباس قال: " كان الرجل إذا طَلَّق امرأته فهو أحقُّ برجعته وإن طلقها ثلاثاً فنسخ ذلك " اهـ إلا أنه لم يشتهر النسخ فبقي الحكم المنسوخ معمولاً به إلى أن أنكره عمرُ (قلت) إن ثبت رواية النسخ فذاك وإلا فإنه يضعف هذا قول عمر إن الناس قد استعملوا في أمر كانت لهم فيه أناةٌ إلخ فإنه واضح في أنه رأى محضاً لا سنة فيه وما في بعض ألفاظه عند مسلم - رقم (١٤٧٢/١٧) - أنه قال ابن عباس لأبي الصبهاء " لما تتابع الناس في الطلاق في عهد عمر فأجازهم عليهم " .

الثاني: أن حديث ابن عباس هذا مضطربٌ قال القرطبي: في شرح مسلم وقع فيه مع الاختلاف على ابن عباس الاضطراب في لفظه فظاهر سياقه أن هذا الحكم منقول عن جميع أهل ذلك العصر والعادة تقتضي أن يظهر ذلك وينتشر ولا ينفرد به ابن عباس فهذا يقتضي التوقف عن العمل بظواهره إذا لم يقتض القطع بطلانه اهـ

(قلت) وهذا مجرد استبعاد فإنه كم من سنةٍ وحادثة انفرد بها راوٍ ولا يضرُّ سيما مثل ابن عباس بحسب الأمة ويؤيد ما قاله ابن عباس من أنها كانت الثلاث واحدة ما يأتي من حديث أبي ركانة - أخرجه أبو داود رقم (٢١٩٦) وهو حديث حسن ولفظه: عن ابن عباس قال طَلَّق أبو ركانة أم ركانة فقال له رسول الله ﷺ: " راجع امرأتك " فقال: " إنِّي طَلَّقْتُهَا ثلاثاً ، قال: " قد علمتُ راجعها " - .

الثالث: أن هذا الحديث ورد في صورةٍ خاصة هي قولُ المطلق أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق وذلك أنه كان في عصر النبوة وما بعده وكان حال الناس معمولاً على السلامة والصدق فيقبل قول من ادعى أن اللفظ الثاني تأكيد الأول لا تأسيس طلاقٍ آخر ويصدق في دعواه فلماً رأى عمر تغير أحوال الناس وغلبة الدعاوي الباطلة رأى من المصلحة أن يجري المتكلم على ظاهر كلامه ولا يصدق في دعوى ضميره وهذا الجواب ارتضاه القرطبي .

قال النووي: هو أصحُّ الأجوبة .

(قلت) ولا يخفى أنه تقرير لكون نهي عمر رأياً محضاً ومع ذلك فالناس مختلفون في كل عصر فيهم الصادق والكاذب وما يعرف مافي ضمير الإنسان إلا من كلامه فيقبل قوله وإن كان مبطلاً في نفس الأمر فيحكم بالظاهر والله يتولى السرائر مع أن ظاهر قول ابن عباس طلاق الثلاث واحدة أنه كان ذلك بأي عبارة وقعت .

= الرابع : أن معنى قوله كان الطلاق الثلاث واحدة أن الطلاق الذي كان يوقع في عهده ﷺ وعهد أبي بكر إنما كان يوقع في الغالب واحدة لا يوقع ثلاثاً فمراده أن هذا الطلاق الذي يوقعون ثلاثاً كان يوقع في ذلك العهد واحدة ويكون قوله فلو أمضيناه عليهم بمعنى لو أجريناه على حكم ما شرع من وقوع الثلاث وهذا الجواب يتزل على قوله استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة تتزلاً قريباً من غير تكلف ويكون معناه الإخبار عن اختلاف عادات الناس في إيقاع الطلاق لا في وقوعه فالحكم متقرر وقد رجح هذا التأويل ابن العربي ونسبه إلى أبي زرعة وكذا البيهقي في السنن الكبرى (٣٣٨/٧) أخرجه عنه قال معناه أن ما تطلقون أنتم ثلاثاً كانوا يطلقون واحدة .

(قلت) : وهذا يتم إن اتفق على أنه لم يقع في عصر النبوة إرسال ثلاث تطليقات دفعةً واحدةً وحديث أبي ركانة وغيره يدفعه وينبو عنه قول عمر فلو أمضيناه فإنه ظاهر في أنه لم يكن معنى ذلك العصر حتى رأى إمضاءه وهو دليل وقوعه في عصر النبوة لكنّه لم يمحض فليس فيه أنه كان وقوع الثلاث دفعةً نادراً في ذلك العصر .

الخامس : أن قول ابن عباس كان طلاق الثلاث ليس له حكم الرفع فهو موقوفٌ عليه وهذا الجواب ضعيفٌ لما تقرر في أصول الحديث وأصول الفقه أن كُنّا نفعل - وكانوا يفعلون له حكم الرفع .

السادس : أنه أريد بقوله طلاق الثلاث واحدةً هو لفظ ألبتة إذا قال أنتِ طالق ألبتة - وكما سيأتي في حديث ركانة - وهو حديث ضعيف - فكان إذا قال القائل ذلك قبل تفسيره بالواحدة وبالثلث فلما كان في عصر عمر لم يقبل منه التفسير بالواحدة قيل وأشار إلى هذا البخاري فإنه أدخل في هذا الباب الآثار التي فيها ألبتة والأحاديث التي فيها التصريح بالثلاث كأنه يشير إلى عدم الفرق بينهما وأن ألبتة إذا أطلقت حملت على الثلاث إلا إذا أراد المطلق واحدةً فيقبل فروى بعض الرواة ألبتة بلفظ الثلاث يريد أن أصل حديث ابن عباس - ﷺ - كان طلاق ألبتة على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر إلى آخره .

(قلت) ولا يخفى بُعد هذا التأويل وتوهيم الراوي في التبديل وبعده أن الطلاق بلفظ ألبتة في غاية الدور فلا يحمل عليه ما وقع كيف وقول عمر قد استعجلوه في أمر كان لهم فيه أناة يدل أن ذلك واقع أيضاً في عصر النبوة والأقرب أن هذا رأي من عمر رجح له كما منع من متعة الحج وغيرها وكل واحد يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله ﷺ وكونه خالف ما كان على عهد ﷺ فهو نظير متعة الحج بلا ريب والتكلفات في الأجوبة ليوافق ما ثبت في عهد النبوة لا يليق فقد ثبت عن عمر اجتهادات يعسر تطبيقها على ذلك نعم إذا أمكن التطبيق على وجه صحيح فهو المراد .

جزاكم الله خيراً .. آمين .
والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته .
راقمةُ السائلُ المستفيدُ محمدُ بنُ أحمدَ الحفطي^(١) العجيلي - فتح الله عليه - .. آمينَ .

(١) : هو محمد بن أحمد الحفطي ذكره صاحب - نيل الوطر - من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر : الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفطي العجيلي العسيري الرجالي أخذ عن أبيه وعن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل الزبيدي وغيرهما . برعَ في فنون عدة وكان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودماثة أخلاق ولد سنة ١١٧٨هـ .
ولصاحب الترجمة مؤلفات في النحو وغيره مات بقرية رجال من عسير سنة ١٢٣٧هـ .
وله كتبٌ لا تزال مخطوطة لم تنشر بعد منها :
- " تكملة الظل الممدود في الحوادث والوقائع في عهد آل سعود " .
- " النفحات العنبرية في الخطب المنبرية " .
- " درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين " .
انظر : الأعلام للزركلي (١٨/٦) ، نيل الوطر (٢٢٥/٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[نص الأجوبة]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿ (١) ﴿

(١) : البقرة : ٣٢ .

إجابة السؤال الأول

[دعاء غير الله شرك ولا يعذر الجاهل]

- أمَّا السؤال الأول : فقد أجابَ عنه السائلُ بما شفَى وكَفَى ، وهو سؤالٌ وجوابٌ ، وقد أقامَ الأدلةَ على ما أجابَ به من الكتابِ والسُّنةِ ، فمن قالَ بغيرِهِ فلا يُلتَفَتُ إليه ، ولا يُعوَّلُ عليه .

- ومن وقعَ في الشُّركِ جاهلاً لم يُعذَرُ ، لأنَّ الحُجَّةَ قامتْ على جميعِ الخلقِ بمبعثِ محمدٍ ﷺ - فمن جهلٍ فقد أُتِيَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ، بسببِ الإعراضِ عن الكتابِ والسُّنةِ ، وإلا ففيهِما البيانُ الواضحُ كما قالَ سبحانه في القرآنِ : ﴿ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً ﴾ ^(١) ، وكذلك السُّنةُ قالَ أبو ذرٍّ - ﷺ - : " تُوفِّيَ مُحَمَّدٌ ﷺ - وما تركَ طائراً يُقَلَّبُ جَنَاحَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْماً " ^(٢) أو كما قالَ - ﷺ - .

فَمَنْ جَهَلَ فَيَسَبِّبُ ^(٣) إِعْرَاضِهِ ، وَلَا يُعذَرُ أَحَدٌ بِالْإِعْرَاضِ .

(١) : النحل : ٨٩ .

(٢) : أخرجه أحمد في المسند (١٥٤/٥ ، ١٦٢) بإسناد ضعيف لجهالة الراوي عن أبي ذر .

والطبراني في الكبير رقم (١٦٤٧) وأورده الهيثمي في المجمع (٢٦٣/٨ ، ٢٦٤) وقال : رواه أحمد والطبراني وزاد فقال ﷺ : " ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد عن النار إلا وقد بين لكم " . ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة وفي إسناد أحمد من لم يسم .

(٣) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٤٩٣/١٢) : " فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً ، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية " .

مثل قوله تعالى : ﴿ لِقَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] .

وقال ابن تيمية في مجموع فتاوى (٣٤٥/٢٣-٣٤٦) : " وحقبة الأمر في ذلك : أن القول قد يكون

كفراً ، فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال من قال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي =

= قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها .

● وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِمِّ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝ ﴾ فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق - لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن يلحقه الوعيد بفوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، وقد يكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم ، وقد يتلى بمصائب تكفر عنه ، وقد يشفع فيه شفيع مطاع .

● وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان سواء كان في المسائل النظرية ، أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام " اهـ .

مثال : ما أخرجه أحمد (٣٨١/٤) وابن ماجه رقم (١٨٥٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : لما قدم معاذٌ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال : ما هذا يا معاذ ؟ قال : أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأسافتهم وبطارتهم فوددت في نفسي أن أفعل ذلك لك ، فقال رسول الله ﷺ : " فلا تفعلوا فإني لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه " .
فقال الشوكاني في النيل (٣٢٣/٤) : وفي هذا الحديث دليل : على أن من سجد جاهلاً لغير الله لم يكفر .

مثال : الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٨١) ومسلم رقم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً : " كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبيته : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً . فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض قال : اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يارب خشيتك فغفر له " .

قال ابن تيمية تعليقاً على هذا الحديث في " مجموع فتاوى " (٢٣١/٣) : - فهذا رجل شك في قدرة الله ، وفي إعادته إذا ذرى ، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين ، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك ، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاتبه ، فغفر له بذلك .

- وأما شأن المتقدمين على هذه الدعوة النجدية ، فكما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ولم نُكَلِّفْ معرفةَ اعتقادهم ، فما وَجَدْنَا في كلامهم من الشُّركِ فهو شركٌ ، قال بسبه مَنْ قال به ، ولا نقولُ في قائلِهِ إِنَّهُ مُشْرِكٌ ، بل نُحْسِنُ بِهِ الظَّنَّ ... (٢) أو رَجَعَ عنه ، ولا نَرْجِعُ إلى التَّعَسُّفِ والتَّأْوِيلِ ، والنظرِ إلى مَنْ قال ليسَ مِنَ الشُّركِ الأكبرِ ، بل هو مِنْ الأكبرِ كما أقامَ السائلُ الدليلَ عليه في ... (٣) الأولِ . وقال في الإقناع : اتفقَ العلماءُ على أن مَنْ جعلَ بينه وبينَ اللَّهِ وسائطَ (٤) يدعُوهم ، ويتوكَّلُ عليهم ، فقد كَفَرَ إجماعاً ، لأنَّ هذا هو كُفْرُ عابِدِي الأصنامِ القائِلِينَ : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ قال تعالى عنهم ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥) ، ثم شهدَ عليهم بالكذبِ والكُفْرِ فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (٦) .

(١) : [البقرة : ١٣٤] .

(٢) و (٣) : كلمات سبع لم نستطع قراءتها فهي مطموسة .

(٤) : قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذٍ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ آل عمران : ٨٠] .

قال ابن تيمية تعليقاً على هذه الآية : " فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين " .

انظر : مجموع فتاوى (١/١٢٤) و (١/١٧٥-١٧٩) .

(٥) : [الزمر : ٣] .

(٦) : [الزمر : ٣] .

إجابة السؤال الثاني [مسألة خَلَقِ أفعالِ العبادِ]

السؤال الثاني :

- ما الراجحُ لديكم في مسألة خَلَقِ الأفعالِ ، حَسَنَهَا وَقَبِيحَهَا إلخ ، فهذه مسألة قد تكلمَ العلماءُ ، وكثُرَ الخلافُ فيها قديماً وحديثاً ، وكثُرَ الحِجَاجُ بينَ الطَّرْفَيْنِ ، والواجبُ الرجوعُ إلى ما عليه الصَّالِحُونَ من سَلَفِ الأُمَّةِ ، قال الشيخُ تقيُّ الدينِ ابنُ تيميةٍ في الردِّ على الرافضةِ^(١) : " وأما قوله أَنَّهُ عَدْلٌ حَكِيمٌ لا يَظَلُمُ أَحَدًا ، ولا يَفْعَلُ القَبِيحَ ، وإلَّا [لَزِمَ]^(٢) الجهلُ والحاجةُ - تعالى

(١) : في " منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية " وهو ردُّ على ابن المطهر الرافضي .

● **الرافضة** : يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة ، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ .
ومن أهم المسائل الاعتقادية والتي كان لها أثر هام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة وطريقة أهل الحق .

١/ قصر الخلافة في آل البيت ، علي وذريته ، الحسن ، الحسين .

٢/ دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣/ تدينهم بالتقية .

٤/ دعواهم في المهدي : أنه علي بن حسن العسكري ، وأنه حي .

٥/ دعواهم بالرجعة .

٦/ موقفهم من القرآن .

٧/ موقفهم من الصحابة .

٨/ القول بالبداة على الله تعالى .

وتوجد لهم آراء أخرى منحرفة .

انظر : " فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام " غالب بن علي عواجي (١٦٣/١-١٦٧) .

ونجد الشيخ ابن تيمية يردُّ عليهم في كتابه " منهاج السنة " .

(٢) : في المخطوط يلزم وما أثبتناه من منهاج السنة (٢/٢٩٤) .

[الله]^(١) عنهما - ، فيقال له : هذا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بينَ المسلمينَ من حيثِ الجُمْلَةُ أَنَّ اللهَ لا يفعلُ قبيحاً ، ولا يَظلمُ أحداً ، ولكنَّ التَّزَاعَ في تفسيرِ ذلكَ ، فهو إذا كانَ خالِقاً لأفعالِ العبادِ ، هل يُقالُ إنَّه ما هو قبيحٌ [منه]^(١) وظلمٌ ، أم لا ؟ فأهلُ السُّنَّةِ المُبِشُّونَ لِلْقَدَرِ يقولونَ : ليسَ [هو بذلكَ]^(١) ظالماً ولا فاعلاً قبيحاً ، والقدريةُ يقولونَ : لو كانَ خالِقاً لأفعالِ العبادِ كانَ ظالماً فاعلاً ما هو قبيحٌ [منه]^(٢) ، وأما كونُ الفعلِ قبيحاً من فاعلِهِ لا يقتضي أن يكونَ [كذلكَ لخالقِهِ]^(٣) ، لأنَّ الخالقَ خَلَقَهُ في غيرِهِ ، لم يَقُمْ بذاتِهِ ، فالمتَّصِفُ بِهِ مَنْ قامَ بِهِ الفعلُ ، لا مَنْ خَلَقَهُ في غيرِهِ ، كما أنه إذا خلقَ لغيرِهِ لونا ، وريحاً ، وحرَكَةً ، وقُدْرَةً ، وعِلْماً كانَ ذلكَ الغيرُ هو المتَّصِفُ بذلكَ اللونِ ، والريحِ ، والحركةِ ، والقُدْرَةِ ، والعِلْمِ ، فهو المتحرِّكُ بتلكَ الحركةِ ، والمتلَوُّنُ بذلكَ اللُّونِ ، والعالمُ بذلكَ العِلْمِ ، والقادرُ بتلكَ القُدْرَةِ ، فكذلكَ إذا خَلَقَ في غيرِهِ كلاماً ، أو صلاةً ، أو صياماً ، أو طوافاً ، كانَ ذلكَ الغيرُ هو المتكلمُ بذلكَ الكلامِ ، وهو المصلِّي ، وهو الصائمُ ، وهو الطائفُ ، ولكنَّ مَنْ قالَ إنَّ الفعلَ هو المفعولُ يقولُ : إنَّ أفعالَ العبادِ هي فِعْلُ اللهِ ، فإنَّ قالَ : وهو أيضاً فِعْلٌ لهم لَزِمَ أن يكونَ الفعلُ الواحدُ لفاعِلَيْنِ^(٣) ، كما يُحكى عن أبي إسحاقَ الإسفراييني^(٤) ، وإن لم يَقُلْ هو فِعْلٌ لهم لَزِمَهُ أن تكونَ أفعالُ العبادِ فعلاً لله لا لعباده كما يقوله الأشعري^(٥) ، ومَنْ وافقَهُ مِنْ أصحابِ الأئمةِ الأربعةِ وغيرِهِم

(١) : زيادة من منهاج السنة (٢/٢٩٤) .

(٢) : كذا في المخطوط وصوابه [قبيحاً من خالقه] كما في منهاج السنة (٢/٢٩٤) .

(٣) : معنى أن أفعال العباد تكون بفاعلين : أي أن أفعال العباد ليست بفعل لله وحده ، كما يقول به جهم والأشعري وغيرهما ، ولا بفعل للعبد وحده كما يقول المعتزلة ومن يحدو حدوهم ، بل هي فعل لله تعالى وللعبد معاً فكأنهم هربوا عن الجبر وعن كون العبد خالقاً لأفعاله ، إلا أنهم وقعوا في هجئة أخرى .

(٤) : أبو إسحاق الإسفراييني هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، فقيه شافعي أصولي متكلم توفي سنة

٤١٨ هـ .

طبقات الشافعية (٣/١١١-١١٤) شذرات الذهب (٣/٢٠٩-٢١٠) الأعلام للزركلي (١/٥٩) .

(٥) : سيأتي قريباً (ص ١٥١) .

الذين يقولون : إن الخلق هو المخلوق ، وإن أفعال العباد خلق الله ، فتكون هي فعل الله ، وهي مفعول الله ، فكما أنها خلقه فهي مخلوقة ، وهؤلاء لا يقولون إن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ، ولكنهم مُكتسبون لها ، وإذا طولبوا بالفرق بين الكسب^(١) والفعل لم يذكروا فرقاً معقولاً ، ولهذا كان يُقال عجائب الكلام [ثلاثة]^(٢) : أحوال أبي هاشم^(٣) ، وطفرة النظم^(٤) ،

(١) : الكسب : وهو قول الأشاعرة .

وقد ذكره ابن تيمية في مجموع فتاوى (٣٨٨/٨) : أن أفعال العباد خلق لله عز وجل وكسب للعبد . وقال في منهاج السنة (٤٥٨/١-٤٥٩) :- " ... فجعل أفعال العباد فعلاً لله ، ولم يقل : هي فعلهم - في المشهور عنه - الأشعري . إلا على وجه المجاز بل قال : هي كسبهم ، فسّر الكسب بأنه ما يحصل في محل القدرة المحدثة مقروناً بها " .

وأكثر الناس طعنوا في هذا الكلام وقالوا : عجائب الكلام ثلاثة : طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم وكسب الأشعري وأنشد في ذلك :

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال عند سد البهشمي وطفرة النظام

(٢) : زيادة من منهاج السنة (٢٩٧/٢) .

(٣) : عبد السلام بن محمد الجبائي وهو ابن أبي علي الجبائي من رؤوس المعتزلة وتنسب إلى أبي هاشم الطائفة البهشمية من المعتزلة توفي سنة ٣٢١ هـ وهو من معتزلة البصرة . وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبه لأن ابن عباد كان يدعو إلى مذهبه ولهم ضلالات وجهالات كثيرة .

منها قوله بالأحوال : أن العالم له حال يفارق به من ليس بعالم وللقادر حال به يفارق حال العالم ثم كان يقول : إن الحال ليست بموجودة ولا معدومة ولا مجهولة " .

وكذلك أن الباري عز وجل هو عالم لذاته بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً موجوداً . وإنما تعلم الصفة على الذات لا بانفرادها فأثبت أحوالاً هي صفات لا موجودة ولا معدومة ، ولا معلومة ولا مجهولة أي على حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات .

الملل والنحل (٩٢/١) والتبصير في الدين ص ٨٧ .

(٤) : النظام : هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاشم النظام وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف وعنه أخذ الاعتزال وهو شيخ أبي عنمان عمرو بن بحر الجاحظ .

وَكَسَبُ الْأَشْعَرِيِّ^(١) .

وهذا الذي يُنْكِرُهُ جَمْهُورُ الْعُقَلَاءِ ، ويقولون : إِنَّهُ مُكَابِرَةٌ لِلْحِسِّ ، وَمُخَالَفَةٌ لِلشَّرْعِ
والعقلِ .

= توفي سنة ٢٢١هـ وقالت المعتزلة إنما سمي نظاماً لأنه كان حسن الكلام في النظم والشعر وليس كذلك وإنما سمي - النظام - لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها وكان في حدائثه سنة يصحب الوثنية والسمنية الذين يقولون بتكافؤ الأدلة وفي كهولته كان يصحب الملاحدة من الفلاسفة .

● الطفرة : لغة : الوثبة مختار الصحاح (ص ٣٩٤) .

وقوله - النظام - بالطفرة ذلك بانقسام كل جزء لا إلى نهاية أي أن أجزاء الجزء لا تنتهي .
وكلمة أبو الهذيل في هذه المسألة فقال : لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهي إلى طرفها ، فقال : إنما تظفر بعضاً ، وتقطع بعضاً ، وهذا كلام منه لا يقبله عقول العقلاء لأن مالا يتناهي كيف يمكن قطعه بالطفرة . فصار قوله هذا مثلاً سائراً يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر في العقل معناه .

التبصير في الدين (ص ٧١) الملل والنحل (٦٧-٧٠) .

(١) : الأشعري : هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري اليماني البصري المتوفى سنة ٣٢٤هـ .
وكانت له ثلاثة أطوار :

أولها : انتماؤه إلى المعتزلة ، يقول بقولهم ، ويأخذ بأصولهم ، حتى صار إماماً لهم .

ثانيها : خروجه عليهم ، ومعارضته لهم بأساليب متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف ، وقد سلك في هذا الطور طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب .

ثالثها : انتقاله إلى مذهب السلف ، وتأليفه في ذلك كتابه " الإبانة في أصول الديانة " وأمثاله ، وقد أراد أن يلقي الله على ذلك .

وبناءً على هذا فإن اللقب (الأشاعرة) ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في الطور الثالث ، أما قبل ذلك فهو معتزلي ، وبعد توبته من عقيدة الاعتزال وملازمته لابن كلاب فترة من الزمن رجع في آخر أيامه إلى مذهب السلف .

والأشاعرة : هم في الجملة لا يثبتون من صفات الباري عز وجل إلا سبباً . لأن العقل دلٌّ على إثباتها ، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية " اهـ .

انظر : " منهاج الاعتدال " للذهبي (ص ٤٤) ، " البرهان " للسكسكي (ص ٣٧-٣٨) .

وأما [جمهور]^(١) أهل السنة فيقولون : إن فعل العبد له حقيقة ، ولكنّه مخلوق لله تعالى ، ومفعول لله لا يقولون هو نفس فعل الله ، ويفرقون بين الخلق والمخلوق ، والفعل والمفعول . انتهى كلامه^(٢) .

وأهل القول الثاني من السؤال لا يلزم ما يقولون في خلاف قولهم أنّه إجبار وإبطال للشرائع ، وإلزام الحجّة على الشارع بل - سبحانه - ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾^(٣) ، و ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾^(٤) ، وكل ما فعله فهو فضل أو عدل ، فلا يُعْتَرَضُ على فضله وعدله ، ومن جعل العقل ميزاناً للشرائع فقد ضلّ وأضلّ ، والله يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا وَيَقِينَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا .

[ما المراد من حديث افتراق الأمة]

- وأما حديث افتراق الأمة على ثلاث^(٥) وسبعين فرقة ، فالمراد به - والله أعلم - الاختلاف في أصول الدين ، وليس مخصوصاً في وقت من الأوقات .
- والصحابة لم يختلفوا في الأصول إلا ما كان من اختلافهم^(٦) في أهل الردّة ، ثم رجعوا

(١) : زيادة من منهاج السنة (٢/٢٩٨) .

(٢) : كلام ابن تيمية من " منهاج السنة " (٢/٢٩٨) .

(٣) : [القصص : ٦٨] .

(٤) : [الأنبياء : ٢٣] .

(٥) : تقدم تخرجه (ص ١٣٥-١٣٦) من هذا القسم - العقيدة - .

(٦) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ،

٦٩٢٤ ، ٦٩٢٥ ، ٧٢٨٤ ، ٧٢٨٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠) وأبو داود رقم (١٥٥٦)

والترمذي رقم (٢٦٠٦ و ٢٦٠٧) والنسائي (١٤/٥) و (٥/٦) و (٧٧/٧) من حديث أبي هريرة

- ﷺ - قال : " لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن

الخطاب لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : " أمّرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا

إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله " فقال أبو

بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقلاً كانوا =

إلى قولِ أبي بكرٍ - ﷺ - ، وأجمعوا عليه ، ولم يقعَ بينهمُ الاختلافُ إلا في الفروع .
 - وأما [ما ذكره] ^(١) السائل [من الحروب بين] علي عليه السلام [ومعاوية لم تكن
 من] ^(١) التفرقة في الدين المشار إليه في الحديث ، وإنما اختلفوا على الدنيا والمُلْكِ
 خصوصاً معاوية - رضي الله عنهم أجمعين - وقد ثبتَ أنَّهم كلَّهم على الحقِّ كما
 أخبرَ به النبي - ﷺ - في قتلِ الخوارج ^(٢) فقالَ : " تقتلُهم أقربُ الطائفتينِ إلى
 الحقِّ " ^(٣) فتبيَّنَ بهذا أنَّهم على الحقِّ ، وإنَّ كانَ أصحابُ عليٍّ أقربَ إليه من
 أصحابِ معاوية .

= يُؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه . فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله
 عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق " .

(١) : زيادة يستلزمها السياق . وهي مطموسة في المخطوط .

(٢) : الخوارج : في اللغة جمع خارج وخارجي اسم مشتق من الخروج وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج
 في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة " خرج " على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين
 أو على الإمام علي أو لخروجهم على الناس .
 تهذيب اللغة (٥٠/٧) تاج العروس (٣٠/٢) .

والخوارج جمع خارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين ، بدعوى
 ضلاله وعدم انتصاره للحق ولهم في ذلك مذاهب ابتدعوها وآراء فاسدة اتبعوها .
 والخوارج لا يقلون عن عشرين فرقة منها : الأزارقة ، النجدات ، والصفرية الخازمية ، والشعبية ،
 والمعلومية والمجهولية ، الحمزية ، والشمرافية ، والإبراهيمية ، الواقفة والإباضية .
 ويقال لهم : الشراة والحرورية ، والنواصب ، المارقة .

وأول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جماعة ممن كان معه في حرب صفين ، وأشدهم
 خروجاً عليه ، ومروفاً من الدين : الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن
 حصين الطائي .

الملل والنحل (١٣١/١ - ١٣٥) .

(٣) : أخرجه مسلم رقم (١٠٦٥) وأبو داود رقم (٤٦٦٧) وأحمد (٥/٣ ، ٢٥ ، ٣٢) من حديث أبي سعيد
 الخدري وهو حديث صحيح .

[الصحابة - رضي الله عنهم - كلهم عدول]

- وأما عدالتهم - ﷺ - فَمُسَلَّمَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ^(١) الَّذِينَ رَأَيْنَا كَلَامَهُمْ ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ طَعَنَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ عِدَالَتِهِ ، وَأَمَّا الرَّافِضَةُ ، وَالخَوَارِجُ ، وَأَهْلُ الْبِدْعِ فَلَا عِبْرَةَ بِكَلَامِهِمْ ، وَلَا يُعَدُّ خِلَافُهُمْ خِلَافًا ، وَإِنَّمَا هُوَ شُدُوذٌ وَمَيْلٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

- وَأَمَّا تَخْرِيجُ الْبِخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنِ الشَّخْصِ فَهُوَ تَعْدِيلٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَّ مَقْصِدٌ آخَرَ ، مِثْلَ كَوْنِ الْحَدِيثِ قَدْ صَحَّ عِنْدَهُمْ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ .

فِيخْرِجُونَهُ مِنْ طَرِيقِ ذَلِكَ الشَّخْصِ ، لِأَجْلِ قُرْبِ الْإِسْنَادِ ، أَوْ مَقْصِدِ آخَرَ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَنِ الَّذِينَ يُبْهَوْنَ عَلَى الضَّعِيفِ إِذَا أُخْرِجُوا عَنْ شَخْصٍ ، وَسَكَنُوا عَلَيْهِ ، فَهُوَ تَعْدِيلٌ^(٢) إِذَا لَمْ يَكُنْ تَمَّ غَرَضٌ ، فَمَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْحَدِيثِ يَعْلَمُ ذَلِكَ . [أَمَا]^(٣) الْجَاهِلُ فَلَا يَشْهَدُ بِمَجْرَدِ التَّخْرِيجِ عَلَى عِدَالَةِ الشَّخْصِ ، وَأَمَّا تَخْرِيجُ الْبِخَارِيِّ عَنْ

(١): سيأتي الكلام على عدالة جميع الصحابة في رسالة الإمام الشوكاني بعنوان : "سؤال عن عدالة الصحابة هل هي مسلمة أم لا ؟" .

كما تم الكلام عليها أيضاً في رسالة الإمام الشوكاني بعنوان : "إرشاد الغي" رقم (١٩) .

(٢): قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري "مقدمة فتح الباري" ص ٣٨٤ : " .. ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راوٍ كان مقتضى لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا إذا خرج له في الأصول ، فأما إذا خرج له في المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصديق لهم . وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقاً أو في ضبطه لغيره ، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح ، وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه .

(٣): زيادة يستلزمها السياق .

مروان^(١) فَإِنَّ مَعَهُ الْمَسُورَ بِنَ مَخْرَمَةَ .

(١) : (منها) مقروناً مع المسور بن مخزومة . انظر الأحاديث رقم (٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨) من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخزومة أن رسول الله - ﷺ - قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ : " أحب الحديث إليّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إمّا السبي وإمّا المال " .

وانظر الأحاديث رقم (١٧١١ ، ٢٧١٢ ، ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(ومنهما) : ما روى البخاري في صحيحه عن مروان غير مقرون بغيره وذلك كما في حديث رقم (٤٥٩٢) عن ابن شهاب قال : حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد فأقبلت حتى جلست على جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أُملى عليه : ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملأها علي فقال : يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأُنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي ، فتقلت عليّ حتى خفت أن تُرضُ فخذي ثم سُريّ عنه فأُنزل الله ﴿ غَسِيرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ .

● مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي . أبو عبد المللك ولد بعد الهجرة بستين وقيل : بأربع . مات سنة ٦٥هـ وكانت ولايته على دمشق تسعة أشهر . قال البخاري : لم ير النبي ﷺ .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤٤٤/٣ رقم ٢٣٩٩) : ولد يوم الخندق ، وعن مالك أنه ولد يوم أحد . وقال الحافظ ابن حجر : ((وعاب الإسماعيليّ على البخاري تحريج حديثه ، وعدّ من موبقاته أنه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل وها جميعاً مع عائشة ، فقتل ، ثم وثب على الخلافة بالسيف واعتذرتُ عنه في مقدمة " شرح البخاري ")) (ص ٤٤٣) .

فقلت : " مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان بن عفان يقال له رؤية فإن ثبتت فلا يعرج عليّ من تكلم فيه ، وقال عروة بن الزبير : كان مروان لا يتهم في الحديث ، وقد روى عنه سهل ابن سعد الساعدي الصحابي اعتماداً على صدقه . وإنما تقموا عليه أنه رمى طلحة يوم الجمل بسهم فقتله ثم شهر السيف في طلب الخلافة حتى جرى ما جرى ، فأما قتل طلحة فكان متأولاً فيه كما قرره الإسماعيلي وغيره . وأما ما بعد ذلك فإنما حمل عنه سهل بن سعد وعروة وعلي بن الحسين وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث وهؤلاء أخرج لهم البخاري أحاديثهم عنه في صحيحه لما كان أميراً عندهم بالمدينة قبل أن يبدو منه في الخلاف على ابن الزبير مابداً والله أعلم .

[التقليدُ في الجرحِ والتعديلِ جائز]

- وأما مسألة [هل]^(١) يجوز التقليدُ للتعديلِ ؟ ، فيجوزُ التقليدُ فيه ، لأنه لا سبيلَ إلى معرفة الشخصِ [عن طريق]^(٢) أهلِ الجرحِ والتعديلِ ، فلا بُدَّ من التقليدِ على [.....]^(٢) أخذٍ بمجردِ لفظِ الجرحِ أو التعديلِ ، أو عُرفِ حالِ الشخصِ بنقلِ هذا الجرحِ والمعدّل .

= وقد اعتمد مالك على حديثه ، ورأيه والباقون سوى مسلم .

وانظر تهذيب التهذيب (٥٠/٤) .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : طمس في الأصل بمقدار كلمتين - في الموضعين . أما في الموضع الأول لعلها (عن طريق) .

إجابة السؤال الثالث

[حكم الاختلاف في الفروع]

السؤال الثالث :

فيما يتعلّق بالفروع من الاختلاف المتباين الأطراف : هل الشريعة الحكيمة قابلة لهذا التناقض ، وأنها كالبحر يعترف كلٌّ من جهته من الماء الفائض ؟.. إلى آخره ، فالجواب :-

- أن الشريعة مُنزّهة عن التناقض ، فالمصيب واحدٌ في المختلَفين .
- وإن أدلّى كلٌّ بدليلٍ فلا بُدَّ في الدليلين من موافقةٍ تخفى على [.....] ^(١) ، فإن لم يكن ثمَّ موافقةٌ فأحدهما ناسخٌ للآخر ، فإن بان ما يُوجبُ الترجيحَ وجبَ العملُ بالترجيح ، وإن لم يكن تعيّن الاجتهادُ مع اعتقاد أن الحقَّ واحدٌ .
- وإذا اجتهد فأخطأ فهو معذورٌ ، ولا يجوز لأحدٍ أن يُقرّه على خطئه ، ولا يُعذرُ أحدٌ بتقليده كائناً من كان .
- وأما الاختلاف بين الصحابة في غير الاجتهادات فلا نعلم [...] ^(١) - والله أعلم .
- وقولُه : هل رجع أحدٌ ؟ نعم ، إن عَلِمَ الدليلَ ؛ فقد رَجَعَ عمرٌ وغيرُه من الصحابة إلى قولِ أبي بكرٍ في أهلِ ^(٢) الردّة ، ورجع ابنُ عباسٍ عن المتعة ^(٣) .

(١) : كلمة مطموسة في الأصل .

(٢) : تقدم تحريجه (ص ١٥٢) .

(٣) : روى البخاري في صحيحه رقم (٥١١٦) عن أبي حمزة قال سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء

فرفض فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس : نعم .

وقال المحدث الألباني في " الإرواء " (٣١٩/٦) : وجملته القول أن ابن عباس رضي الله عنه روي عنه في المتعة

ثلاثة أقوال :

الأول : الإباحة مطلقاً .

الثاني : الإباحة عند الضرورة .

- وقولُهُ : إذا رَجَعَ هلْ يكونُ مقلِّداً أو مقتدياً ؟ فإنْ كانَ رَجَعَ إلى الدليلِ فهو مُقتدٍ ، وإنْ رَجَعَ إلى رأيٍ فهو مُقلِّدٌ .

- وأما سؤالُهُ عن جوازِ العملِ بالخطوطِ [.....]^(١) بكتابِ القاضي إلى القاضي إذا أشهدَ عليه شاهِدَيْنِ عدلَيْنِ ، وقرأهُ عليهم ، والعملُ عندنا على قَبُولِهِ ، سواءً كانَ كتابَ قضاءٍ أو كتابَ شهادةٍ^(٢) .

- والسؤالُ عما وردَ في الحديثِ " عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينِ "^(٣) فالمرادُ - والله أعلم - سُنَّتِهِمْ فيما سُنُّوه إذا لم يخالفُ سُنَّةَ النبيِّ - ﷺ - ، وأما سُنَّتُهُمْ في اتِّباعِهِمْ سُنَّتَهُ - ﷺ - فهو مِنْ سُنَّتِهِ - ﷺ - .

[حكم الطلاق بلفظِ الثلاث]

- وأما ما خالفَ فيه^(٤) عمرٌ - رضي الله عنه - في مسألةِ الطلاقِ ، فإنَّهُ لم يثبتْ^(٥) بلفظِ مقيِّدٍ

= الثالث : التحريم مطلقاً ، وهذا مما لم يثبت عنه صراحة بخلاف القولين الأولين فهما ثابتان عنه والله أعلم . اهـ

(١) : هنا كلمات مطموسة في الأصل .

(٢) : وقد بوب البخاري في صحيحه (١٣/١٤٠ مع الفتح) باب رقم (١٥) الشهادة على الخط المختوم ، وما يجوز من ذلك وما يضيف عليه وكتاب الحاكم إلى عماله ، والقاضي إلى القاضي .

وقال ابن حجر في فتح الباري : مراده هل تصح الشهادة على الخط أي بأنه خط فلان ، وقيد بالمحتوم لأنه أقرب إلى عدم التزوير على الخط وقوله : وما يجوز من ذلك وما يضيف عليه ، يريد أن القول بذلك لا يكون على التعميم إثباتاً ونفيًا ، بل لا يمنع ذلك مطلقاً فتضيع الحقوق ، ولا يعمل بذلك مطلقاً فلا يؤمن فيه التزوير فيكون جائزاً بشروط .

وقوله : (كتاب الحاكم إلى عماله والقاضي إلى القاضي) يشير إلى الرد على من أجاز الشهادة على الخط ولم يجرها في " كتاب القاضي " و " كتاب الحاكم " .

(٣) : تقدم تخريجه والتعليق عليه .

(٤) : تقدم تخريجه والتعليق عليه .

(٥) : بل ثبت من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال طلق أبو ركانة أم ركانة . فقال له =

أَنَّ أَحَدًا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ - فَقَضَى فِيهَا وَاحِدَةً . وَقَدْ اتَّفَقَ الْجُمْهُورُ عَلَى فُتْيَا عَمْرٍ - ﷺ - ، فَمَنْ أَفْتَى بِضِدِّهَا لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُنْقَضْ حُكْمُهُ ، بَلْ هُوَ مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمْ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (١) ، وَابْنُ الْقَيْمِ (٢) .

وَقَدْ أَفْرَدَ فِيهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ تَأْلِيْفًا (٣) - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - .

حَاكَمَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، صَدَرَ الْجَوَابُ وَهُوَ غَسِيرٌ مَنْقُولٌ ، فَقَابَلُوهُ بِالْعِذْرِ وَالْقَبُولِ ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَطِئٍ فَأَصْلِحُوهُ ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قِصُورٍ فَتَمَمُّوهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

= رسول الله ﷺ : " راجع امرأتك " فقال : إني طلقته ثلاثاً . قال : " قد علمت راجعها " .

أخرجه أبو داود في السنن رقم (٢١٩٦) وهو حديث حسن .

(١) : قال ابن تيمية في كتاب الطلاق ضمن مجموع فتاوى (٩٨/٣٣) : - فهذا للعلماء من السلف والخلف فيه ثلاثة أقوال سواء كانت مدخولاً بها أو غير مدخول بها ومن السلف من فرق بين المدخول بها وغير المدخول بها وفيه قول رابع محدث مبتدع .

(الأول) : أنه طلاق مباح لازم وهو قول الشافعي وأحمد في الرواية القديمة .

(الثاني) : أنه طلاق محرم لازم وهو قول مالك ، وأبي حنيفة وأحمد في الرواية المتأخرة عنه اختارها

أكثر أصحابه وهذا القول منقول عن كثير من السلف من الصحابة والتابعين .

(الثالث) : أنه محرم ولا يلزم منه إلا طلاق واحدة وهذا القول منقول عن طائفة من السلف والخلف

من أصحاب رسول الله ﷺ مثل : الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ويروى عن ابن عباس وعلي

وابن مسعود القولان وهو قول كثير من التابعين .

(الرابع) : قاله بعض المعتزلة والشيعة . فلا يعرف عن أحد من السلف وهو أنه لا يلزمه شيء .

ثم قال ابن تيمية : والقول " الثالث " هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة : فإن كل طلاق شرعه الله

في القرآن في المدخول بها إنما هو الطلاق الرجعي ، لم يشرع الله لأحد أن يطلق الثلاث جميعاً " .

(٢) : انظر زاد المعاد (٥/٢٢٦-٢٣٦) .

(٣) : - بيان الطلاق المباح والحرام .

- في الحلف بالطلاق وتنجزه ثلاثاً .

- الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة .

انظر : الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣١٩) .

العذبُ النميرُ

في

جواب مسائلِ عالمِ بلادِ عسير

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

[الحمد لله وحده]

صار هذا الكتابُ المسمى الفتحَ الربانيَّ - ما قبل هذا وذلك ثمان وسبعون
صفحة وما بعدها - من جملة خزانة المولى سيف الإسلام والذي أحمد بن قاسم
حميد الدين حفظه الله تعالى في سنة ١٣٥٢هـ -

عبد الرحمن بن أحمد بن قاسم^(١)

(١) : ما بين الخاصرتين وجد على غلاف الرسالة . والله أعلم .

وصف المخطوط

- ١- عنوان الرسالة : " العذب النмир في جواب مسائل عالم بلاد عسير " .
- ٢- موضوع الرسالة : في قضايا الشرك والتوحيد ، وخلق أفعال العباد ، والاختلاف في الفروع^(١) .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين ، ورضي الله عن صحبه أجمعين وبعد : فإنه وصل إلينا من الأخ العلامة الزكي الفهامة الفطن اللوذعي محمد بن أحمد حمد الله مساعيه ...
- ٤- آخر الرسالة : ... عن عدم وقوع الطلاق البدعي بحث طالت فيه الأقوال واضطربت فيه آراء الرجال ، وقد أفردته جماعة بالتصنيف ، ومن آخر من أفردته بالتصنيف أيضاً راقم الأحرف غفر الله له .
وإلى هنا انتهى جواب السائل كثر الله فوائده في شهر شوال سنة ١٢٢٢هـ —
بقلم المجيب محمد الشوكاني . غفر الله له .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي جيد .
- ٦- الناسخ : المؤلف رحمه الله : محمد بن علي الشوكاني .
- ٧- عدد الأورا (١) ورقة + ورقة العنوان .
- ٨- عدد الأسط ورقة : (٢٥-٢٧) سطرأ .
- ٩- عدد الكلا في السطر : (١١-١٣) كلمة .
- ١٠- تاريخ النسخ : شوال سنة ١٢٢٢هـ .

(١) : وضعت هذه الرسالة في قسم " العقيدة " ولو كان فيها سؤال يتعلق بالفقه لأن أغلب الرسالة تتحدث عن العقيدة . وهكذا أصنع على مدار الكتاب وهو " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " حيث أضع الرسالة في القسم الذي يغلب عليها والله الهادي إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم المحمد بن عبد الله
 والصلوة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين
 ورضى الله عنهم أجمعين وبعد فانه وجدنا السامع الاج
 حلاله مساعيه ونفح بعلمه وكثر مواعيد سبواته نافع
 ومباحث شتات فاجبت عليها جماعة عديد امتثالاً
 لرسمه وبعد نقا لظنه كونه وجهها الله وعنونها بالشي
 مسعنا بالمدعو وطرد من كرامته **فانما** فالله بعد الخطيب
 السوار الاول **رطفت** الامات المراته وسهدت الاعاد
 النبويه واجعب الامه المحمدية على حورب لوجبه الله سبحانه
 بالاحاديث وقال عز من قال لعلمه وما طغت الحن والاس
 الا للعبدين وما امروا الا للصد والادب **مخلصي** لهم الدين
 وكذلك بواثرت الاحاديث السيركاته الواردات وما يعجب الامات
 الميناث على محرم السيركاته سبحانه في العبادات سواها
 حلتها او حلتها **ومر** سيركاته مع فهدم الله علم الحن وما واه
 النار وما اعلى ان الله لا يعوا سيركاته مع ويعرفها دون ذلك
 لمن يشا وفيها هذا ما حاشه يفضح بها المحن وتسلم عليها
 الميناث الا وان الدعوى لغير الله سيركاته **والتعاسير** المراد
 بها العبادات وكثير منها والمراد بالعبادة التوحيد وكله انما
 رضى الله عنه وفي الحديث ان الدعاء هو العباده وكهذا الفصل
 للحصر او المخلص للاهتام وعلم كل بقدر فهمه وليد على هذا
 التوير واليه عالم محسبان احدها دعا الطلب لرفد نبي **الطلب**
 كذلك بناء قوله فادار لهما في العبد دعوا الله **مخلصي** له الدين
 ومرف هذه العباده لغير الله سيركاته **وكثر** يد يد قوله مع ومن اصل
 من الدعوى دون الله المقوله وكانوا العباد لغيره **فانما** وهو هذا
 الكلام

[الصفحة الأولى من المخطوط]



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربَّ العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين ، ورضي الله عن صحبه أجمعين . وبعد :

فإنه وصل إلينا من الأخ العلامة الذكيّ الفهامة الفطن اللوذعيّ محمد بن أحمد^(١) ، حمد الله مساعيه ونفع بعلمه وكثر فوائده ، سؤالات نافعات ومباحث شافيات ، فأجبتُ عليها بما عندي امتثالاً لرسمه ، وتصديقاً لظنه ، كونه وجهها إليّ وعنوانها باسمي وها أنا أكتب الأسئلة وأعقبها بما فتح الله به من الأجوبة مستعيناً بالله عز وجل ومتكلاً عليه .

[نص الأسئلة]

قال عافاه الله بعد الخطبة :

(السؤال الأول) : قد نطقت الآيات القرآنية وشهدت الأحاديث النبوية ، وأجمعت الأمة المحمدية على وجوب توحيد الله سبحانه بالعبادة وقال عز من قائلٍ عليهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾^(٣) ، وكذلك تواترت الأحاديث الواردة وتتابعت الآيات البينات على تحريم الشرك بالله سبحانه في العبادات سواء كان ذلك جلياً أو خفياً ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٥) ، وفي هذا مباحث يتضح بها المعنى ويستقيم عليها

(١) : تقدمت ترجمته في رسالة " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد وغيرها " رقم (١) .

(٢) : [الذاريات : ٥٦] .

(٣) : [البينة : ٥] .

(٤) : [المائدة : ٧٢] .

(٥) : [النساء : ٤٨] .

المبنى الأول أن الدعوة لغير الله شريك ، وفي التفاسير أن المراد بها العبادة في كثير منها ، والمراد بالعبادة التوحيد كما ذكره ابن عباس رضي الله عنه وفي الحديث : إن " الدعاء هو العبادة " ^(١) وهذا الوصل للحصر أو للتخصيص للاهتمام ، وعلى كل تقدير فهو دليل على هذا التقدير . والدعاء له معنيان أحدهما دعاء الطلب ^(٢) بل قد سمى الله ذلك ديناً في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ^(٣) ، وصرف هذه العبادة لغير الله شرك وكفرٌ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ - إِيَّاهُ يُدْعَوْنَ - وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ^(٤) فهل هذا [١] الكلام في سبيل السلام إلى بلوغ المرام عند جميع الأعلام أم فيه تفصيل واحتمال على قول بعض الرجال ، وشأن الكفر المجمع عليه جلُّ الدم والمال بلا إشكال سراً قبل الدعوة أو بعدها على التفصيل فيمن بلغته ومن لم تبلغه ، وهل يُعذر الجاهل لقولهم إن العمل متوقف على العلم وكذا الوجوب ؟ وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) هل هذه الجملة حالية أو خبرية وهل الاحتمال يصح دليلاً للعذر أم لا لوضوح المحجة ، وعدم فهم الحجة ليس بعذر ، وكيف شأن المتقدمين على هذه الدعوة النجدية إلى توحيد الإلهية ممن يوجد في كلامه أو في أفعاله ما هو شرك جلي بل وقع ذلك للمصنفين ، اللهم إلا أن يقال إن الدعاء يُنازع فيه أنه ليس من الشرك الأكبر وأنه لا إنكار في المختلف فيه فاعتقادات العلماء خلاف الظنيات العمليات فالمراد شيخ الأكاير بإسناد الدفاتر بسط الكلام على الأول من السؤالات والآخر مع النظر فيما يتفرع على كل جملة ، والإفادة بما

(١) : تقدم تحريجه .

(٢) : تقدم ذكر أنواع الدعاء في رسالة " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد وغيرها " رقم (١) .

(٣) : [العنكبوت : ٦٥] .

(٤) : [الأحقاف : ٥-٦] .

(٥) : [البقرة : ٢٢] .

عليه الجَلَّةُ في الجملة .

أقول هذا السؤال قد اشتمل على أبحاث :

الأول : ما ذكره السائلُ عافاه الله ، من كون الدعاءِ عبادةً ليرتَبَ عليه ما رتبه .
فاعلم أن الدعاءَ نوعٌ من أنواع العبادةِ المطلوبة من العباد ولو لم يكن في الكتاب العزيزِ إلا مجردُ طلبِهِ منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب ، أعني كونه من العبادة قال الله تعالى : ﴿ آدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٤) فهذه الآياتُ البيناتُ دلَّتْ على أن الدعاءَ مطلوبٌ لله عزَّ وجلَّ من عباده ، ثم توعدَّ على عدم الدعاءِ فقال عزَّ وجلَّ من قائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٥) وهذا القدرُ [٢] يكفي في إثبات كونه عبادةً فكيف إذا انضم إلى ذلك النهيُّ عن دعاء غيرِ الله سبحانه ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ (٧) وقال سبحانه ناعياً على من يدعو غيره ضارباً له الأمثالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ

(١) : [الأعراف : ٥٥-٥٦] .

(٢) : [الإسراء : ١١٠] .

(٣) : [غافر : ٦٠] .

(٤) : [غافر : ٦٠] .

(٥) : [الجن : ١٨] .

(٦) : [الرعد : ١٤] .

أَمْثَالِكُمْ ﴿^(١)﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٢) ، فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادةً تصریحاً لا يبقى عنده ريبٌ لمُرتابٍ ، قال الله سبحانه : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ - الآية - ^(٣) ، فقد طلب الله سبحانه من عباده في هذه الآية أن يدعوه ، وجعل جزاء الدعاء له منهم الإجابة منه فقال : ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ولهذا جزمه لكونه جواباً للأمر ، ثم توعدهم على الاستكبار عن هذه العبادة - أعني الدعاء - بما صرح به في آخر الآية ، وجعل العبادة مكان الدعاء تفسيراً له وإيضاحاً لمعناه وبياناً لعباده بأن هذا الأمر الذي طلبه منهم وأرشدهم إليه هو نوعٌ من عبادته التي خص بها نفسه وخلق لها عبادة كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٤) .

ومع هذا كله قد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة فأخرج أحمد ^(٥) وأبو داود ^(٦) والترمذي ^(٧) وصححه والنسائي ^(٨) وابن ماجه ^(٩) وابن أبي شيبة ^(١٠) .

(١) : [الأعراف : ١٩٤] .

(٢) : [سبا : ٢٢] .

(٣) : [غافر : ٦٠] .

(٤) : [الذاريات : ٥٦] .

(٥) : في المسند (٢٧١/٤) .

(٦) : في السنن رقم (١٤٧٩) .

(٧) : في السنن رقم (٢٩٦٩) و (٣٢٤٧ و ٣٣٧٢) وقال : حسن صحيح .

(٨) : في تفسيره رقم (٤٨٤) .

(٩) : في السنن رقم (٣٨٢٨) .

(١٠) : في " المصنف " (١٠/٢٠٠) .

والحاكم^(١) من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : " أن الدعاء هو العبادة " وفي رواية : " مُخَّ العبادة " ثم قرأ رسول الله الآية المذكورة ، فهذه الصيغة الشريفة النبوية المصطفوية [٣] قد اشتملت على ثلاثة أشياء^(٢) ، كلُّ واحد منها يقتضي الحصر .

الأول : تعريفُ المسندِ إليه .

الثاني : تعريفُ المسند .

الثالث : ضميرُ الفصل .

وقد صرح أربابُ علمِ المعاني والبيان والأصول بأن كلَّ واحدٍ آله من آياته وأداةٌ من أدواته ، وأن وجودَ أحدها يقتضي الحصرَ ، فكيف إذا اجتمعت جميعاً وانضم إليها حرفُ التأكيدِ المشعرُ بأن ما دخل عليه كلامٌ مؤكَّدٌ ، فانظر هذه المبالغةَ البليغةَ والعبارةَ المناديَّةَ بأبلغِ نداءٍ ، المفيدةَ أكملَ إفادةٍ ، المشعرةَ أتمَّ إشعارٍ .

فإن قلت : علامَ كلُّ هذا الحصرِ . هل على الحقيقي أم على الادعائي ؟

قلت : احمله على الادعائي لأنه قد عُلم من هذه الشريعة أن من أنواع العبادة أموراً كثيرةً لو لم يكن من ذلك إلا أركانُ الإسلام الخمسة : الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج فضلاً عن غيرها ، فأقلُّ ما يفيدُه الحديثُ أن الدعاءَ عبادةً كاملةً مؤكدةً ، فمن دعا غيرَ الله عز وجل طالباً منه أمراً من الأمور التي لا يقدرُ عليها إلا اللهُ سبحانه فقد عبد غيرَ الله ، ولم يبعث اللهُ سبحانه رسالَه ولا أنزلَ عليهم كُتبه إلا لإخلاص توحيدِه

(١) : في المستدرك (١/٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي .

وهو حديث صحيح وقد تقدم .

(٢) : يشير إلى أن الحصر هنا اجتمع فيه ثلاثة عناصر كلها تفيد الحصر :-

● تعريف الجزأين [المسند والمسند إليه] وهذا يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة . ومثاله : الحمد لله .

● وكذلك وجود ضمير الفصل وهو يفيد الحصر .

انظر معترك الأقران (١/١٤٠-١٤٢) .

وإفراده بالعبادة : ﴿ يَقَوْمٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾^(١) ، ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾^(٢) ، ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾^(٣) ، ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٤) ، ﴿ فَايُنَىٰ فَاَعْبُدُونِ ﴾^(٥) ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾^(٦) ، ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾^(٧) ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ﴾^(٨) [٤] ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾^(٩) ، ﴿ يَنْبِيَّيَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(١٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^(١١) ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١٢) قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾^(١٣) ، ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١٤) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

(١) : [الأعراف (٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥) هود (٥٠ ، ٦١ ، ٨٤) والمؤمنون (٢٣)] .

(٢) : [هود : ٢٦] .

(٣) : [نوح : ٣] .

(٤) : [الأعراف : ٧٠] .

(٥) : [العنكبوت : ٥٦] .

(٦) : [الفاتحة : ٥] .

(٧) : [طه : ١٤] .

(٨) : [النحل : ٣٦] .

(٩) : [البقرة : ٢١] .

(١٠) : [يس (٦٠ - ٦١)] .

(١١) : [نوح (٣-١)] .

وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾ ، ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٦﴾ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿١٨﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿١٩﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٢٣﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾ ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ، وقد حكى الله سبحانه في سورة الأعراف عن نوح وهودٍ وصالحٍ أن كلَّ واحدٍ قال لقومه : ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿٥﴾ . وبالجملة فرسل الله صلواتُ الله عليهم ، وكذلك جميعُ كتبه المتزلزة متفقةً على هذه الدعوة ، وقد تكفل القرآن الكريم بحكاية جميع ذلك لمن تبعه ، وإذا تقرَّر هذا فاعلم أن مَنْ دعا غيرَ الله طالباً منه أمراً لا يقدر عليه إلا الله سبحانه فقد عبدَ غيره وشركه معه : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ ﴿٧﴾ ، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ﴾

(١) : [العنكبوت (١٦-١٧)] .

(٢) : [الشعراء (٦٩-٧٧)] .

(٣) : [الممتحنة : ٤] .

(٤) : [الزخرف : (٢٦-٢٧)] .

(٥) : [الأعراف : (٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣)] .

(٦) : [الكهف : (١١٠)] .

(٧) : [النور : (٥٥)] .

إِلَّهَا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ ﴿١﴾ ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ [٥] أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ
بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿ إِذِ أَوْىِ الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ - إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ - ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿٤﴾ .

البحث الثاني : من مباحث السؤال الأول ما أشار إليه السائل عافاه الله بقوله : وهل
يُعذر الجاهل... الخ . والجواب أن ما سأل عنه من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥﴾ هل الجملة حالية أو خبرية ؟ الظاهر فيه أن الجملة حالية^(٦) ،
والمراد أنكم لا تجعلوا لله أنداداً في حال علمكم بأنه لا أنداد لله عز وجل ، وأنه المتفرّد
بالإلهية والمستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وهذا يعلمه كل من بلغته الدعوة الإسلامية
وصار من جملة المتممين إلى الإسلام ، فله الحجة البالغة ، ولم يكن للعباد على الله حجة

(١) : [التوبة : (٣١)] .

(٢) : [آل عمران : (٦٤)] .

(٣) : [الكهف : (١٠-١٤)] .

(٤) : [النحل : (٧٣)] .

(٥) : [البقرة : (٢٢)] .

(٦) : قال الشوكاني في فتح القدير (١ / ٧١-٧٢) : جملة حالية والخطاب للكفار والمنافقين فإن قيل : كيف
وصفهم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك حيث قال : " ولكن لا يعلمون ، ولكن لا يشعرون ، وما كانوا
مهتدين ، صم بكم عمي " فيقال : إن المراد أن جهلهم وعدم شعورهم لا يتناول هذا : أي كونهم
يعلمون أنه المنعم دون غيره من الأنداد ، فإنهم كانوا يعلمون هذا ولا ينكرونه كما حكاها الله عنهم في
غير آية ، وقد يقال : المراد وأنتم تعلمون وحدانيته بالقوة والإمكان لو تدبرتم ونظرتم .

بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ﴾^(١) ،
 ﴿ وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾^(٢) ، وقد فسرها ابن مسعود^(٣) بأن المراد لا
 تجعلوا لله أكفأءً من الرجال تُطيعونهم في معصية الله وروي ذلك عن ابن عباس^(٤) ، وقال
 الله عز وجل في موضع آخر : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
 كَحُبِّ اللَّهِ ﴾^(٥) .

فإن قلت : قد يجهل بعض المسلمين بعض أسباب الردة الموجبة لوقوعه في الكفر ،
 ويجهل بعض أنواع الشرك ، بل قد يجهل ذلك كثيرٌ من أهل العلم حتى يُنبه عليه فينتبه ،
 كما يعرف ذلك من عرف أحوال الناس . ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في
 المسند^(٦) من حديث أبي موسى قال : خطبنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم فقال : " يا أيها
 الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل " فقيل له : فكيف نتقيه وهو
 أخفى من ديب النمل يا رسول الله ، قال : " قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نُشركَ بك
 شيئاً نعلمه ونستغفرُك لما لا نعلمه " .

(١) : [النساء : (١٦٥)] .

(٢) : [الإسراء : (١٥)] .

(٣) : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٧/١) .

(٤) : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٧/١) .

(٥) : [البقرة : (١٦٥)] .

(٦) : (٤٠٣/٤) .

وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير في " الكنى " ص ٥٨ وابن أبي شيبة في كتاب الدعاء (١٠/١٠)

٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٩٥٩٦) والطبراني في الأوسط (٤/١٠ رقم ٣٤٧٩) .

وأورده الهيثمي في المجمع (٢٢٦/١٠ - ٢٢٧) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد

رجال الصحيح غير أبي علي وثقه ابن حبان . وهو حديث حسن .

وقد روي من وجه آخر من حديث أبي بكر الصديق عن رسول الله ﷺ أنه قال :
 " الشرك أخفى فيكم من ديب النمل " فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا من دعا مع الله
 إلهاً آخر ، فقال رسول الله ﷺ [٦] " الشرك أخفى فيكم من ديب النمل ، ثم قال :
 ألا أدلك على ما يُذهبُ عنك صغيرَ ذلك وكبيره ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشركَ
 بك وأنا أعلم ، وأستغفركَ لما لا أعلم " . رواه من هذا الوجه أبو بكر الموصلي^(١)
 ورواه أيضاً الحافظ أبو القاسم البغوي^(٢) من حديث أبي بكر الصديق بلفظ : " الشرك
 أخفى في أمي من ديب النمل على الصفا " فقال أبو بكر يا رسول الله فكيف النجاة
 والمخرجُ من ذلك قال ألا أُحرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره
 قال بلى يا رسول الله قال : " قل اللهم إني أعوذ بك أن أشركَ ما أعلم وأستغفركَ لما لا
 أعلم .

قلت : إذا كان من جملة أنواعه ما هو أخفى من ديب النمل كما نطق به الصادقُ
 المصدوق فمعلوم أن يجمله غالبُ الخاصّة فضلاً عن العامة ، ولهذا قال أبو بكر الصديق
 ﷺ لما سمع ذلك من النبي ﷺ وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهاً آخر فأجاب عليه
 رسول الله ﷺ بقوله : " الشرك أخفى فيكم من ديب النمل " مؤكداً لقوله السابق .
 وأخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير^(٣) قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم
 تعلمون ﴾ أنه قال : " الأندادُ أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ،
 وهو أن يقول وحياتك يافلان وحياتي وتقول لولاك ما كلمته وما كان بهذه المنزلة

(١) : في المسند (١/٦٠-٦١ رقم ٥٨) بإسناد ضعيف .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٢٤٤) وقال : رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم ، عن أبي
 محمد ، عن حذيفة ، وليس مدلس ، وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود ، أو الذي روى
 عن عثمان بن عفان ، فقد وثقه ابن حبان ، وإن كان غيرهما فلم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) : لم أجده في الجعديات .

(٣) : (١/٦٢ رقم ٢٢٩) .

من الخفاء وعدم الظهور فلا يطلع على كثير منه إلا من تدبر الكتاب العزيز كلية التدبر وتفكر في آياته أكمل التفكير ، ونظر في السنة المطهرة أبلغ النظر ، وتبع ما ورد عن المصطفى ﷺ أتم التبُّع . وكثيراً ما نرى من له في العلم نصيبٌ وفي الفهم حظٌ يقع في نوع من الأنواع التي جاءنا النصُّ النبويُّ بأنها من الشرك ، ويستعمله جاهلاً عن كونه كذلك بعد العلم به بوجه من الوجوه أو جاهلاً له مع علمه بكثير من المعارف العلمية ، وها نحن نقص عليك بعضاً من تلك الأمور التي ورد بها النصُّ حتى يتبين لك صحة ما ذكرناه ويتقرر لك ما سنقرره في هذا المقام ، ونحرره من الكلام إن شاء الله [٧] .

فمن ذلك ما ورد في تعليق التمام أنه من الشرك كما أخرجه أحمد في المسند^(١) من حديث عُقبة بن عامرٍ مرفوعاً وكذلك تعليق الحِيط في اليد للحمي كما أخرجه ابنُ أبي حاتم^(٢) عن حذيفة وأخرج أحمد^(٣) وأبو داود^(٤) من حديث ابن مسعود : سمعتُ رسولَ

(١) : (١٥٦/٤) .

قلت : والحاكم في المستدرک (٢١٩/٤) من حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا قال : " إن عليه تميمة " فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال : " من علق تميمة فقد أشرك " .

وهو حديث صحيح انظر الصحيحة رقم (٤٩٢) .

(٢) : في تفسيره (٢٢٠٨/٧) رقم (١٢٠٤٠) .

(٣) : في المسند (٣٨١/١) .

(٤) : في السنن رقم (٣٨٨٣) مختصراً .

وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٣٠) والبخاري في " شرح السنة " رقم (٣٢٤٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥٠/٩) .

من طريقين عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود ، وقد وقع عند ابن ماجة (ابن أخت زينب) بدل (ابن أخي زينب) وأشار الحافظ المنذري في " الترغيب والترهيب " (٢٠٥/٤) إلى أنه وقع في بعض نسخ ابن ماجة (ابن أخي) وقلنا : وهو على كلا التقديرين مجهول .

الله ﷺ يقول : " إن الرُّقَى والتَّمَائِمَ والتَّوَلُّةُ شِرْكٌ " وكذلك ما ورد في ذات أنواط حيث قال بعضُ الصحابة يا رسولَ الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ - وهي سِدْرَةٌ كان المشركون يعلِّقون بها أسلحتهم - فقال رسولُ الله ﷺ : " الله أكبر قلتُم - والسدي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة " أخرجه الترمذي^(١) وصححه من حديث أبي واقدٍ الليثي ، وكذلك الحليفُ بغير الله ، أخرجه الترمذي^(٢) وحسنه والحاكم^(٣) وصحَّحه من حديث.....

= وقال الحافظ في " التقریب " رقم (٨٤٩٦) كأنه صحابي ، ولم أره مسمًى .
ولكن تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤/٤١٧-٤١٨) وصحَّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

كما أن للحديث طريقان آخران يتقوى بهما ، فقد أخرجه الحاكم (٤/٢١٧) من طريق إسرائيل ، عن مسيرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن الأسدي ، قال : دخل عبد الله بسن مسعود ﷺ على امرأة ... فذكره .

وأخرجه الحاكم أيضاً (٤/٢١٦ - ٢١٧) من طريق أبي الضحى ، عن أم ناجية ، قالت دخلت على زينب امرأة عبد الله أعوذها ...

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بطرقه ، والله أعلم .

(١) : في السنن رقم (٢١٨٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قلت : وأخرجه أحمد (٥/٢١٨) والحميدي رقم (٨٤٨) والطيالسي رقم (١٣٤٦) وأبو يعلى رقم (١٤٤١) والطبراني في " الكبير " رقم (٣٢٩٠ و ٣٢٩١ و ٣٢٩٢ و ٣٢٩٣) وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٧٦) وعبد الرزاق في " المصنف " رقم (٢٠٧٦٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠١/١٥) من طرق .

وهو حديث صحيح .

(٢) : في السنن رقم (١٥٣٥) .

(٣) : في المستدرک (١/٥٢) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . وقد أعلل

بالانقطاع فقد قال البيهقي (١٠/٢٩) ، " وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر " .

قلت : وأخرجه أحمد (٢/١٢٥) وأبو داود رقم (٣٢٥١) والطيالسي رقم (١٨٩٦) .

وهو حديث صحيح بشواهده .

[ابن]^(١) عُمَرَ أن رسولَ الله ﷺ قال : " من حلف بغيرِ الله فقد أشرك " وكذلك أخرج مالكٌ في الموطأ^(٢) أن رسولَ الله ﷺ قال : " اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ " ومن ذلك ما أخرجه أحمدُ^(٣) من حديث قُبَيْصَةَ عن أبيه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول : " إن العِيفَةَ والطَّرْقَ والطَّيْرَةَ مِنَ الْجِبْتِ " وأخرجه أيضاً أبو داود^(٤) والنسائي^(٥) وابنُ حبانَ^(٦) ، وأخرج النسائي^(٧) من

(١) : زيادة من مصادر الحديث .

(٢) : تقدم ترجمته في " الرسالة السابقة " رقم (١) وهو حديث صحيح .

(٣) : في المسند (٤٧٧/٣) و (٦٠/٥) .

قلت : وأخرجه عبد الرزاق في " المصنف " رقم (١٩٥٠٢) وابن سعد في " الطبقات " (٣٥/٧) والنسائي في " التفسير " رقم (١٢٨) والدولابي في " الكنى " (٨٦/١) والطحاوي في " شرح معاني الآثار " (٣١٣-٣١٢/٤) والطبراني في " الكبير " (١٨ رقم ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥) والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٣٩/٨) ، والبغوي في " شرح السنة " رقم (٣٢٥٦) وأبو نعيم في " تاريخ أصبهان " (١٥٨/٢) والخطيب في " التاريخ " (٤٢٥/١٠) والمزي في " تهذيب الكمال " (٤٧٥/٧) - (٤٧٦) وابن حبان في " صحيحه " رقم (٦١٣١) من طرق ...

وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي ، فقال بعضهم: حيان ، لم ينسبه . وقال بعضهم : حيان أبي العلاء . وقال بعضهم حيان بن عمير وقال آخر : حيان بن مخارق .

قلت : فالاضطراب في اسمه مشعر بعدم الضبط الموجب لضعف الحديث .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف .

* العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها .

* الطَّيْرَةَ : بكسر الطاء وفتح الباء ، وقد تسكن : هي التشاؤم بالشيء ، وأصله فيما يقال : التَّطْيِيرُ بالطير والطباء وغيرهما .

* الطرق : الضرب بالخصي وهو ضرب من التكهف .

* الجبْت : كل ما عبد من دون الله .

(٤) و (٥) و (٦) : انظر التعليقة السابقة .

(٧) : في السنن (١١٢/٧) رقم (٤٠٧٩) بسند ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف ، وعنعه

الحسن .

حديث أبي هريرة: "من عقد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سحرَ ؛ ومن سحرَ فقد أشرك".
وأخرج أهل السنن^(١) والحاكم^(٢) وصححه من حديث أبي هريرة أيضاً قال: قال النبيُّ

= وخلاصة القول أن الحديث "ضعيف" لكن جملة: "ومن تعلق شيئاً وكلّ إليه" ثبتت في حديث
الترمذي (٤٠٣/٤ رقم ٢٠٧٢) والحاكم (٢١٦/٤) وأحمد (٣٠١/٤ ، ٣١١) عن عبد الله بن عكيم .
قال الترمذي: وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى
وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ ، وكان في زمن النبي ﷺ يقول: "كتب إلينا رسول الله ﷺ .
وقال الألباني في "غاية المرام" (ص ١٨٢): قلت: وابن أبي ليلى سعى الحفظ وكأنه لذلك سكت
عليه الحاكم والذهبي ، وأشار المنذري في "الترغيب" (١٥٧/٤) إلى إعلاله بابن أبي ليلى .
لكن الحديث حسن عندي ، فإن له شاهداً عن الحسن البصري مرسلأً أخرجه ابن وهب في
"الجامع" (ص ١١٣): أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن يقول: فذكره مرفوعاً وهذا إسناد
مرسل صحيح ، وقد رواه بعض الضعفاء عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً .
وخلاصة القول أن حديث عبد الله بن عكيم حسن والله أعلم .

(١) : أبو داود رقم (٣٩٠٤) والترمذي رقم (١٣٥) وابن ماجه رقم (٦٣٩) والنسائي في "عشرة النساء"
رقم (١٣١) .

(٢) : في المستدرک (٨/١) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

قلت : وأخرجه الدارمي (٢٥٩/١) ، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٩٨/٧) وأحمد في المسند
(٤٠٨/٢ ، ٤٧٦) وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي
تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به .

قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة .

وقال البخاري في "التاريخ الكبير" (١٧/٣) عقب الحديث : "هذا حديث لا يتابع عليه ، ولا
يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصرين" .

وقال ابن عدي في "الكامل" (٦٣٧/٢) : "وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلا
اليسير" اهـ .

قلت : علّلوا الحديث بأمرين :

الأول : ضعف حكيم بن الأثرم .

والثاني : الانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة .

ﷺ : " من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه فقد كفر بما أنزل على محمد " .

وثبت في الصحيحين^(١) وغيرهما^(٢) من حديث زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح على إثر سماء فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : " هل تدرّون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : [٨] أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر . فأما من قال مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب ، وأما من قال مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب " . وأخرج مسلم^(٣) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " . وأخرج أحمد^(٤) عن أبي

= فالجواب عن الأول : أن حكيم وثقه ابن المديني ، وأبو داود ، وابن حبان وقال النسائي : " لا بأس به " وقال الذهبي : " صدوق " .

انظر : " تهذيب التهذيب " (١ / ٤٧٥ - ٤٧٦) ، و " الكاشف " (١ / ١٨٦) .

أما الجواب عن الثاني : فأبو تيممة اسمه طريف بن مجالد ، قد توفي سنة ٩٧ هـ وأبو هريرة توفي سنة ٥٨ - ٥٩ هـ ، والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور ، إن كان ثقة غير مدلس ، وأبو تيممة كذلك وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد انظر : الإرواء (٧ / ٦٩ - ٧٠) .

وخلاصة القول أن الحديث صحيح .

(١) : البخاري في صحيحه رقم (٨٤٦) ومسلم في صحيحه رقم (٧١ / ٢٥) .

(٢) : كأبي داود رقم (٣٩٠٦) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤٦) .

قلت : وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٠٤) وأحمد (٣٠١ / ٢) ، (٤٣٥) .

وهو حديث حسن .

(٤) : في المسند (٣ / ٣٠) .

قلت : وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٠٤) والبيهقي في " الشعب " رقم (٦٨٣٢) وقال البوصيري في

" مصباح الرجاء " (٣ / ٢٩٦) رقم (٤٢٠٤ / ١٤٩٨) : " هذا إسناد حسن كثير بن زيد ورييح بن عبد الرحمن مختلف فيهما ... " .

والخلاصة : أن الحديث حسن والله أعلم .

سعيد مرفوعاً : " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى ، قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيزيئُ صلته لما يرى من نظر رجلٍ " . وأخرج النسائي^(١) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ " أن رجلاً قال ما شاء الله وشئت " فقال : " أجعلتني لله نداً قل : ما شاء الله وحده " ، وأخرج أحمد^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك " قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال : " أن يقول أحدكم اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك " .

وبالجملمة فالأحاديث في هذا الباب كثيرة وقد أوردت منها شطراً صالحاً في رسالتي المسماة " الدرّ النضيد في إخلاص التوحيد " ^(٣) وتكلمت على أطرافها وما يستفاد منها بما فيه كفاية ، وليس المراد هنا إلا بيان ما قصدنا بيانه من أن في بعض أنواع ما يطلق عليه اسم الشرك خفاءً ودقةً من غير نظر إلى كونه شركاً أكبر أو أصغر ، فمن وقع في شيء من هذه الأنواع أو ما يشابهها جاهلاً فلا شك أن أتى من تقصيره في طلب علم الشرع وسؤال أهله ولكنه يجب على من أتاه الله من علمه وارتضاه لحمل دينه أن يبين لهذا الجاهل ما شرعه الله لعباده مما جهله وخفي عليه علمه وفاءً بما أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب من البيان للناس وأن لا يكتُموه ^(٤) عنهم ، فإن نزع ذلك الجاهل بعد البيان عن

(١) : تقدم تخرجه في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : في المسند (٢/٢٢٠) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠٥/٥) وقال : رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقيّة رجاله ثقات " .

وهو حديث صحيح .

(٣) : تم تحقيق هذه الرسالة ضمن هذا القسم " الفتح الرباني " العقيدة رقم (٤) .

(٤) : يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

[آل عمران : ١٨٧] .

العَوَايَةِ وَرَجَعَ مِنْ طَرِيقٍ [٩] الضَّلَالَةَ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَايَةِ فَقَدْ وَفَى الْعَالَمُ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّعْلِيمِ ، وَوَفَى الْجَاهِلُ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّعَلُّمِ وَإِنْ أَبَا إِلَّا اللَّجْاجَ وَالْمَشْيَ عَلَى جَادَةِ الْأَعْوَجَاجِ انْتَقَلَ مَعَهُ ذَلِكَ الْعَالَمُ مِنْ طَرِيقَةِ التَّلِينِ إِلَى طَرِيقَةِ التَّخْشِينِ ، فَإِنْ أَصْرَّ وَاسْتَكْبَرَ وَصَمَّمَ عَلَى غِيِّهِ وَضَلَّاهُ وَاخْتَارَ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَكَانَ مَا وَقَعَ فِيهِ وَجَادَلَ عَنْهُ مِنَ الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ الَّذِي يُخْرِجُ صَاحِبَهُ بِهِ مِنْ فَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَمْرَةِ الْمَشْرُوكِينَ فَالسَيْفُ هُوَ الْحَكْمُ الْعَدْلُ .

فَإِنْ قُلْتَ قَدْ جَعَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيِّينَ الَّذِينَ يَعْكُفُونَ عَلَى قُبُورِ مَنْ يَعْتَقِدُونَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ عَكُوفَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَصْنَامِهِمْ فَيَدْعُوهُمْ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مَنْ دُونَهُ وَيَسْتَعِيثُونَ بِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُمْ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْكُفْرِ الْعَمَلِيِّ لَا الْكُفْرِ الْجُحُودِيِّ ، وَاسْتَدْلُ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ كَقَوْلِهِ ﷺ "بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ"^(١) وَكَمَا وَرَدَ فِي مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢) وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ

(١) : أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رَقْمَ (٨٢/١٣٤) وَأَبُو عَوَانَةَ (٦١/١ ، ٦٢) وَالتِّرْمِذِيُّ رَقْمَ (٢٦١٨) وَ (٢٦١٩) وَ (٢٦٢٠) وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَالنَّسَائِيُّ رَقْمَ (٤٦٥) وَأَحْمَدُ (٣٨٩/٣) وَابْنُ مَاجَةَ رَقْمَ (١٠٧٨) وَالبَيْهَقِيُّ (٣٦٦/٣) وَالبَغْوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ (١٧٩/٢) مِنْ طَرَفِ ابْنِ حَرِيحٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ " وَالسِّيَاقُ لِمُسْلِمٍ .

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ رَقْمَ (٤٦٧٨) وَالدَّارِقُطَنِيُّ (٥٣/٢) وَالتَّطَرَّبِيُّ فِي " الصَّغِيرِ " (١٣٤/١) وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ (٢٩٦/٤ ، ٢٩٧) وَوَأَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ وَهُوَ كَمَا قَالَا . وَالدَّارِمِيُّ (٢٨٠/١) وَأَبُو يَعْلَى (٣١٨/٣) - ٣١٩ رَقْمَ (١٧٨٣/١٦) مِنْ طَرِيقِ حَمَادِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا ، بِهِ .
وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَدِيثَ صَحِيحٌ .

(٢) : [الْمَائِدَةُ : (٤٤)] .

في كفر من أتى إمراً حائضاً أو كاهناً أو عرافاً أو قال لأخيه يا كافر ، ومن ذلك ما عقده البخاري في صحيحه^(١) من كتاب الإيمان في كفرٍ دون كفرٍ وجعلَ هذا من الكفر الذي لا يُضادُ الإيمانَ من كل وجه .

وروي عن ابن القيم نحواً مما قاله وجعل ما نقله عنه مؤيداً لكلامه - قلت : ... ليس هذا بصحيح ولا مستقيم فإن من يدعو الأموات ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله عزَّ وجلَّ [١٠] لا يصدرُ منه ذلك إلا عن اعتقاد كاعتقاد أهل الجاهلية في أصنامهم هذا إن أراد من الميت الذي يعتقد ما كان تطلبه الجاهلية من أصنامهم من تقريبهم إلى الله فلا فرق بين الأمرين وإن أراد استغلال مَنْ يدعو من الأموات بأن يُعطيه ما لا يقدر عليه إلا الله عزَّ وجلَّ فهذا أمرٌ لم تبلغ إليه الجاهلية فإنهم قالوا ما حكاه الله عنهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٢) ولم يدعوا لأصنامهم أنهم يستقلون بإيصالهم إلى ما يطلبونه دون الله عز وجل فهذا هو شرك الجاهلية الذي بعث الله لأجله رسلاً وأنزل فيه كتبه وقالتهم الأنبياء عليه .

وأما الخلق والرزق والموت والحياة ونحو ذلك فالجاهلية يُقرّون في جاهليتهم وقبل بعثة الرسل التفهم بأن الله سبحانه هو المستقلُّ بذلك : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣) ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ

(١) : باب : كفران العشير ، وكفر دون كفر . (٨٣/١ رقم الباب ٢١ رقم ٢٩) . من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال :- يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قلت : ما رأيت منك خيراً قط " .

(٢) : [الزمر : (٣)] .

(٣) : [الزحرف : (٨٧)] .

الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ ﴿١﴾ ، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
 فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٧٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ
 كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
 تُسْحَرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٧٥﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿ هَتُّؤُلَاءِ شُفَعَاتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿٧٦﴾ ، ﴿٥﴾ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ : " لَيْسَ لَكَ
 شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ " ﴿٦﴾ وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ ذَلِكَ الْقَائِلُ عَنْ ابْنِ الْقَيْمِ
 فغَيْرُ صَحِيحٍ فَإِنَّ كَلَامَهُ فِي كِتَابِهِ مَصْرُوحٌ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ صَرَحَ فِي شَرْحِ الْمَنَازِلِ ﴿٧﴾ بِأَنَّ
 هَذَا [١١] الَّذِي يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْقُبُورِ هُوَ مِنَ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ بَلْ قَالَ بَعْدَ تَقْسِيمِ الشَّرِكِ إِلَى
 أَكْبَرٍ وَأَصْغَرَ مَا لَفْظُهُ : " وَمِنْ أَنْوَاعِهِ - أَيِ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ - طَلَبُ الْخَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى
 وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمُ وَالْتِمُحُّهُ إِلَيْهِمْ وَهَذَا أَصْلُ شَرِكِ الْعَالَمِ - إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ - " . وَقَدْ أَطْلَقْنَا
 الْكَلَامَ فِي " الدَّرِ النَّضِيدِ " ﴿٨﴾ عَلَى قَوْلِ هَذَا الْقَائِلِ فَحَكَيْنَا كَلَامَهُ أَوْلًا ثُمَّ ذَكَرْنَا تَنَاقُضَهُ فِي

(١) : [الزخرف : (٩)] .

(٢) : [يونس : (٣١)] .

(٣) : [المؤمنون : (٨٤ - ٨٩)] .

(٤) : [الشعراء : (٩٧ - ٩٨)] .

(٥) : [يونس : (١٨)] .

(٦) : تقدم تخرجه .

(٧) : " مدارج السالكين " (٣٧٩-٣٨٢) .

(٨) : تم تحقيق الرسالة ضمن هذا القسم من " الفتح الرباني " رقم (٤) .

نفسه ومخالفته للصواب ، وعدم صحّة ما نقله عن غيره ونقلنا كلام ابن القيم من مؤلفاته ، وذكرنا ما قاله أهل العلم في هذه المسألة في مؤلفاتهم المشهورة ، وإطباقهم على ما قدمنا ذكره وليس هذا مقام بسطه فلسنا بصدد تقدير المسألة على الوجه الذي ينبغي تحريره بل بصدد جواب ما سأل عنه السائل عافاه الله مما اشتمل عليه سؤاله .

وبالجملة فإن خلاص التوحيد لله عز وجل وقطع علائق الشرك كائنة ما كانت لا تحتاج إلى أن تنتقل فيه أقوال الرجال أو يُستدلّ عليه بالأدلة فإنه الأمر الذي بعث الله لأجله رسله وأنزل فيه كتبه ، وفي هذا الإجمال ما يُغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكير في القرآن الكريم فإنه سيحده من أعظم مقاصده وأكثر موارده ، فإن عجز عن ذلك فلينظر في سورة من سوره ، فإن قال أريد منك مثلاً أقندي به وأمشي على طريقته وأهتدي إلى التفكير الذي أرشدتني إليه بتقدم النظر فيه فنقول ها نحن نقرب لك المسافة ونسهل عليك ما استصعبته . هذه فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها [١٢] كل مصل في كل صلاة ويفتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فإن فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعاً :

الأول : قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يُقدّر المتعلق متأخراً ليفيد اختصاص البداية^(١) باسم الله تعالى لا باسم غيره ، وفي هذا المعنى ما لا يخفى من إخلاص التوحيد .

الثاني والثالث : وفي الاسم الشريف أعني لفظ (الله) عز وجل ، فإن مفهومه كما حققه علماء هذا الشأن الواجب الوجود المختص بجميع المحامد فكان في هذا المفهوم إشارتان إلى إخلاص التوحيد : أحدهما تفرّده بوجود الوجود ، وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد ما يستفيد من الاسم الشريف الذي أضيف إليه لفظ اسم هذان الأمران^(٢) .

(١) : انظر الكشاف للزمخشري (١/١٠١-١٠٢) .

(٢) : انظر : روح المعاني للألوسي (١/٧٥) .

الرابع : تحلية الرحمن باللام فإنها من أدوات الاختصاص سواء كانت موصولة كما هو شأن آلة التعريف إذا دخلت على المشتقات ، أو مجرد التعريف كما تكون إذا دخلت على غيرها من الأسماء والصفات وقد أوضح هذا المعنى أهل البيان بما لا مزيد عليه .

الخامس : اللام الداخلة على قوله الرحيم ، والكلام فيها كالكلام في الرحمن .

السادس : اللام الداخلة على قوله ﴿ الحمد لله ﴾ فإنها تفيد أن كل حمد له لا يشاركه فيه غيره ، وفي هذا أعظم دلالة على إخلاص توحيدِهِ^(١) .

السابع : لام الاختصاص الداخلة على [١٣] الاسم الشريف وقد تقرر أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم فلا ثناء إلا عليه ولا جميل إلا منه ولا تعظيم إلا له ، وفي هذا من أدلة إخلاص التوحيد ما لا يقادر قدره .

الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر : قوله ﴿ رب العالمين ﴾ فإن لفظ الرب باعتبار معناه اللغوي مُشعرٌ أتم إشعار بإخلاص توحيدِهِ هذا باعتبار معناه الإفرادي دون الإضافي ثم في معناه الإضافي دلالة أخرى فإن كونه رب العالمين يدل على ذلك أبلغ دلالة .

ثم في لفظ العالمين معنى ثالث فإن العالم هو اسم لمن عدا الله عز وجل ، فيدخل في هذا كل شيء غير الله سبحانه فلا رب غيره وكل من عداه مربوب .

ثم في تعريفه باللام معنى رابع لمثل ما قدمنا ، فإنها تفيد زيادة الاختصاص . وتقرير ذلك المفهوم في هذا الموضع ، ثم في صيغة الجمع معنى خامس بزيادة تأكيد وتقرير ، فإن العالم إن كان اسماً لمن عدى الله لمن يكن جمعه إلا بمثل هذا المعنى ، وعلى فرض انهادامه باللام فهو لا يقتضي ذهاب هذا المعنى المستفاد من أصل الجمع .

الثالث عشر والرابع عشر : قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ وتقرير الكلام فيهما كما

سلف .

(١) : انظر : الكشف (١٠٩/١-١١٢) وفتح القدير (١٩/١) .

الخامس عشر والسادس عشر : قوله : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، فإن لفظَ مالك ومعناه الإفراديُّ من غير نظر إلى معناه الإضائيُّ يُفيد استحقاقه بإخلاص توحيدِهِ ، ثم في معناه الإضائيُّ إلى يوم الدين معنى ثانٍ ، فإن من كان له المُلْكُ [١٤] في مثل هذا اليوم الذي هو يومُ الجزاءِ لكل العبادِ ، وفيه يجتمع العالمُ أولهم وآخِرهم ، سابقهم ولاحقهم ، جنُّهم وإنسهم وملائكتهم ، فيه إشارةٌ إلى استحقاقه إخلاصَ توحيدِهِ .

السابع عشر : ما يُستفاد من نفس لفظِ (الدين) من غير نظرٍ إلى كونه مضافاً إليه .
الثامن عشر : ما يستفاد من تعريفه ، فإن في ذلك زيادةٌ إحاطةً وشمولٍ فإن ذلك المُلْكُ إذا كان في يوم هو يومُ الدين الذي يشتمل على كل دينٍ كان من له هذا المُلْكُ حقيقةً بأن يُخلصَ العبادُ توحيدَهُ ، ويفردوه بالعبادة كما تفرد بملك يومٍ له هذا الشأنُ .
فإن قلت : هذان المعنيان الكائنان في لفظ الدين باعتبار أصلِهِ وباعتبار تعريفِهِ قد أخذنا في المعنى الإضائيُّ حسبما ذكرته سابقاً . قلت : لا تزاحم بين المقتضيات ، ولا يستنكر النظرُ إلى الشيء باعتبار معناه الإفراديُّ تارةً ، وباعتبار معناه الإضائيُّ أخرى ، وليس ذلك بممنوع ولا بمحجور عند من يعرف العلم الذي يُستفاد منه دقائقُ العربيةِ وأسرارُها وهو علم المعاني والبيان .

التاسع عشرَ والموفي عشرين والحادي والعشرين : قوله ﴿ إياك نعبد ﴾^(١) ، فإن تقدمَ الضميرِ معمولاً للفعل الذي بعده يفيد اختصاصَ العبادةِ به ، ومن اختص بالعبادةِ

(١) : قال ابن القيم في " مدارج السالكين " (١٠٢/١) : أما تقدم المعبود والمستعان على الفعلين ، ففيه ، أدبهم مع الله بتقدم اسمه على فعلهم ، وفيه الاهتمام وشدة العناية به ، وفيه الإيذان بالاختصاص ، المسمى بالحصص فهو في قوة : لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك .

● وفي ضمير " إياك " من الإشارة إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل ، ففي إياك قصدت وأحببت من الدلالة ، على معنى : حقيقتك وذاتك قصدي ، ما ليس في قولك : قصدتك وأحببتك .

وانظر : روح المعاني للألوسي (٨٧/١) .

فهو الحقيقُ بإخلاصٍ توحيدِهِ ، ثم مادةُ الفعلِ أعني لفظَ (نعبد) يفيدُ معنىَ آخرَ : ثم المحيُّ بنون الجماعة الموجبة لكون هذا الكلامِ صادراً عن كلِّ مَنْ تقوم به العبادةُ من العابدين كذلك فكانت الدلالاتُ في هذه الجملةِ ثلاثاً .

الأولى : في إياك مع النظر إلى الفعلِ الواقعِ بعده .

الثانيةُ : ما يفيدُهُ مادةُ (نعبد) مع ملاحظة كونها واقعةً لمن [١٥] ذلك الضميرُ عبارةٌ عنه وإشارةٌ إليه .

الثالثةُ : ما تفيده النونُ مع ملاحظة الأمرين المذكورين ، ولا تراخُمَ بين المقتضيات .

الثاني والعشرون والثالثُ والعشرون والرابعُ والعشرون : قوله : ﴿ وإياك

نستعين ﴾^(١) فإن تقدمَ الضميرُ معمولاً لهذا الفعلِ له معنىٌ ثم مادةُ هذا الفعلِ لها معنىٌ آخرُ ، فإن مَنْ كان لا يُستعان بغيره لا ينبغي أن يكون له شريكٌ ، بل يجب إفراده بالعبادة وإخلاصُ توحيدِهِ ، إذ وجودُ من لا يُستعان به كعدمه . وتقريرُ الكلامِ في الثلاثِ الدلالاتِ كتقريره في إياك نعبد فلا نعيده .

الخامسُ والعشرون والسادسُ والعشرون والسابعُ والعشرون : قوله : ﴿ إهدنا

الصراطَ المستقيم ﴾ فإن طلبَ الهدايةِ منه وحده باعتبار كونِ هذا الفعلِ واقعاً بعد الفعلين^(٢) الذين تقدم معمولُهُما فكان له حكمُهُما ، وإن كان قد تغيّر أسلوبُ الكلامِ في الجملةِ حيث لم يقلْ نستهدي أو نطلب الهدايةَ حتى يصحَّ أن يكونَ ذلك الضميرُ المتقدمُ المنصوبُ معمولاً له تقديراً ، لكن مع بقاء المخاطبةِ وعدم الخروجِ عما تقتضيه لم يقطع النظرُ عن ذلك الضميرِ الواقعِ على تلك الصورةِ لتوسُّطه بين هذا الفعلِ ، أعني (اهدنا)

(١) : وفي إعادة " إياك " مرةً أخرى دلالةٌ على تعلق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين . ففي إعادة الضمير

من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه . مدارج السالكين (١٠٣/١) .

وانظر معترك الأقران في إعجاز القرآن (١٤٠/١) .

(٢) : أي " نعبد ونستعين " .

وبين من أُسند إليه . ثم في ضمير الجماعةِ معنى يشير إلى استحقاقه سبحانه إخلاصَ التوحيدِ على الوجه الذي قدمناه في الفعلين السابقين ، ثم في كون هذه الهداية هي هداية الصراطِ^(١) المستقيم - التي هي الهدايةُ بالحقيقة ولا اعتبارُ بهداية إلى صراطٍ لا استقامة^(١) فيه - معنى ثالثٌ يشير إلى ذلك المدلول .

الثامن والعشرون : قوله : ﴿ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم ﴾ فإن من يهدي إلى هذا الصراطِ الذي هو صراطُ [١٦] من أنعم اللهُ عليهم يستحق أن لا يُشتغلَ بغيره ولا يُنظر إلى سواه ، لأن الإيصالَ إلى طرائقِ النعمِ هو المقصودُ من المشي ، والمرادُ بحركات السائرين وذلك كنايةً عن الوصول إلى النعمِ أنفُسِها ، إذ لا اعتبارَ إلى طرائقها من دون وصولٍ إليها فكان وقوعُ الهداية على الصراطِ المستقيمِ نعمةً بمجردِها لأن الاستقامة إذا تصوّرت عند تصوّر الاعوجاج كان فيها راحةٌ بهذا الاعتبار ، فكيف إذا كان ذلك كنايةً عن طريق الحقِّ ؟ فكيف إذا كان حقاً مُوصلاً إلى الفوز بنعم الله سبحانه !

التاسع والعشرون : قوله : ﴿ غيرِ المغضوبِ عليهم ﴾^(٢) ووجهُ ذلك أن الوصولَ إلى النعم قد يكون منعصاً مكدرّاً بشيء من غضب المنعمِ سبحانه ، فإذا صفا ذلك عن هذا الكدر وانضم إلى الظفر بالنعمة الظفرُ بما هو أحسنُ منها موقِعاً عند العارفين ، وأعظمُ قدرًا في صدور المتقين وهو رضا رب العالمين كان في ذلك البهجة والسرور مالا يمكن

(١) : قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣٣/١) : لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور : الاستقامة ، والإيصال إلى المقصود ، والقرب وسعته للمارين عليه وتعيينه طريقاً للمقصود . ولا يخفى تضمن الصراطِ المستقيم لهذه الأمور الخمسة .

● وذكر " الصراطِ المستقيم " مفرداً معرّفاً تعريفين باللام ، وتعريفاً بالإضافة وذلك يفيد تعيينه واختصاصه . وأنه صراط واحد وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله : " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " . وانظر الكشاف (١٢١/١) .

(٢) : انظر روح المعاني للأوسمي (٩٥-٩٦) ، الكشاف (١٢٢/١) بدائع التفسير (٢٢٧-٢٣٢) .

التعبيرُ عنه ولا الوقوفُ على حقيقته ولا تصوُّرُ معناه ، وإذا كان المُسَوِّلي لهذه النعمة والمتفضِّلُ بها هو الله سبحانه ، ولا يقدر على ذلك غيره ولا يُمكن منه سواه ، فهو المستحقُّ لإخلاص توحيدِه وإفراده بالعبادة .

الموفي ثلاثين : قوله : ﴿ ولا الضالين ﴾ ووجهُه أن الوصولَ إلى النعمِ مع الرضا قد يكون مَشوباً بشيء من العَوَاية ، مكدراً بنوع من أنواع المخالفةِ وعدمِ الهدايةِ ، وهذا باعتبار أصلِ الوصولِ إلى نعمة من النعمِ مع رضَى المنعمِ بها ، فإنه لا يستلزم (سلبها كونُ المنعمِ عليه على ضلالة)^(١) لا باعتبار هذه النعمةِ الحاصلة [١٧] من هذا المنعمِ عز وجل .

ولما كان الأمرُ في الأصلِ هكذا كان في وصولِ النعمِ إلى المنعمِ عليه من المنعمِ بها - مع كونه راضياً عليه غيرَ غاضبٍ منه إذا كان ذلك الوصولُ مصحوباً بكونِ صاحبه على ضلاله في نفسه -^(٢) قصوراً عن وصولها إلى من كان جامعاً بين كونه واصلاً إلى النعمِ فائزاً برضا المنعمِ خالصاً من كَدَرِ كونه في نفسه على ضلالةٍ وتقريرِ الدلالةِ من هذا الوجهِ على إخلاص التوحيدِ كتقريرها في الوجه الذي قبله .

فهذه ثلاثون دليلاً مستفادةً من سورة الفاتحة باعتبار ما يستفاد من تراكيبها العربية مع ملاحظة ما يُفيدُه ما اشتملت عليه من تلك الدقائقِ والأسرارِ التي هي راجعةٌ إلى العلومِ الآليةِ وداخلَةٌ فيما تقضيه تلك الألفاظُ بحسبِ المادةِ والهيئةِ والصورةِ مع قطعِ النظرِ عن التفسيرِ بمعنى خاصٍ كما قاله بعض السلفِ ، أو وقفِ عنده من بعدهم من الخلفِ .

فإن قلتَ هذه الأدلةُ التي استخرجتها من هذه السورةِ المباركةِ وبلغت بها إلى هذا العددِ وجعلتها ثلاثين دليلاً على مدلول واحد ، لم نجدُ لك فيها سلفاً ولا سبقك بها غيرُك .

قلتُ : هذه شكَاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها ، واعتراضٌ غيرُ واقعٍ موقعه ولا مصادفٍ محلّه فإن

(١) : في المخطوط : سلب كون المنعم عليه على ضلاله ، وصوابه ما اعتمدناه .

(٢) : ظاهر العبارة أنه بالرفع قصور على أنه اسم كان مؤخر : كان في وصول النعم .

القرآن عربيٌّ ، وهذا الاستخراجُ لما ذكرناه من الأدلة هو على مقتضى اللغة العربية [١٨] وبحسب ما يقتضيه علومها التي دوّنها الثقاتُ ورواها العُدولُ الأثباتُ وليس هذا من التفسير بالرأي الذي ورد النهيُّ عنه والزجرُ لفاعله ، بل من الفهم الذي يُعطاه الرجلُ في كتاب الله كما أشار إليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام) في كلامه المشهورِ ، وما كان من هذا القبيلِ فلا يُحتاج فيه إلى سلف . وكفى بلغة العربِ وعلومها المدونةِ بين ظهراني الناسِ وعلى ظهر البسيطةِ سلفاً .

البحثُ الثالثُ من مباحثِ السؤالِ الأولِ :

قوله : وكيف شأنُ المتقدمين على هذه الدعوةِ التوحيديةِ إلى توحيد الألوهيةِ ممن يوجد في كلامه أو في أفعاله شركٌ ... الخ ؟

والجوابُ أنه ينبغي أن يعلمَ السائلُ عافاه الله أولاً بأن أهلَ العلم ما زالوا في كل زمانٍ ومكانٍ يُرشدون الناسَ إلى إخلاص التوحيدِ ويُنفروهم عن الوقوع في نوعٍ من أنواع الشركِ ويذكرون ذلك في مصنفاتهم المشتهرةِ بأيدي الناسِ ، ولكن لما كان الشركُ أخفى من ديبِ النملِ كما قاله الصادقُ المصدوقُ (عليه السلام) خفيَ ذلك على كثيرٍ من أهل العلمِ ووقعوا في أمورٍ منه جاهلين عن ذلك ، وسرى ذلك الذهولُ إلى تحرير شيءٍ مما فيه ذلك في المصنفات وفي أشعار كثيرٍ من الأدباء ، خصوصاً المتصديين لمذح الجنابِ النبويِّ ثم المشتغلين بممادح بعض الخلفاء الراشدين ، ثم سائر الملوك والسلاطين ، فإنه يقع لهم في بعض الأحوال ما يقشعُ منه الجلدُ ويحُفُّ له القلبُ ، ويُخاف من حلول غضبِ الله على قارئه فضلاً عن قائله ، ولا سببَ لذلك إلا ما عرفناك من الذهول في بعض الأوقاتِ ، والغفلةِ تارةً والجهلِ أخرى مع ما قد انضمَّ إلى ذلك مما هو أوكدُ الأسبابِ في قُبْح هذه الأبوابِ ، وهو ما زينه الوسواسُ الخناسُ لكثيرٍ من الناسِ : من تشييد [١٩] القبورِ ورفعِ سَمَكِها واتخاذِ القبابِ عليها وتزيينِ بعضها بالستورِ الفائقةِ وإيقادِ الشموعِ عليها

(١) : سيأتي تحريجه في رسالة رقم (٢١) " هل حص النبي (صلى الله عليه وآله) أهل البيت بشيء من العلم " في القسم الأول

واجتماع الناس عندها ، وإظهار الخضوع والاستكانة وسؤال الحوائج ، والدعاء من صميم القلب ثم ورث الأخر الأول ، وتبع الخلف السلف ، واقتدى باللاحق بالسابق ، فتفاقم الأمر وتزايد الشر وعظمت المحنة ، واشتدت البلية ، وصار في كل قطر من الأقطار بل في كل مدينة من المدائن بل في كل قرية من القرى جماعة من الأموات يعتقدهم الأحياء ويعكفون على قبورهم وينتسبون إليهم ، وصار ذلك عندهم أمراً مأنوساً مألوفاً تنبسط إليه نفوسهم وتقبله عقولهم وتستحسنه أذهانهم ، فيولد المولود ويكون أول ما يقرع سمعه عند فهم الخطاب هو النداء لأهل تلك القبور من أبويه وغيرهما ، وإذا عثر صرخ من يراه باسم واحد من المعتقدين في ذلك المكان ، وإذا مرض نذر من يحب شفائه بجزء من ماله لذلك الميت ، وإذا أراد حاجة توسل إلى صاحب ذلك القبر برشوة يبدلها للعاكفين على قبره المحتالين على الناس به ، ثم يكبر ذلك المولود وقد ارتسم في فكره وتقرر عنده ما يسمعه من أبويه لما في ذلك من التأثير في طبع الصغير ، ولهذا قال الصادق المصدوق عليه السلام " كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه " (١) .

فاعرف هذا وافهم هذا السر المصطفوي ، فإن الصبي ينطبع بطبع من يتولى تربيته ويسري إلى أخلاقه ما هو من أخلاق أبويه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ثم يفصل هذا الصغير عن أبويه ويفارق عشته الذي دب فيه ودرج منه ، فيجد الناس على ذلك الأمر الذي سمع أبويه عليه وقد يكون أول ممشي يمشيه ومكان يعرفه [٢٠] بعد مكانه الذي ولد فيه هو قبر من تلك القبور المعتقدة ، ومشهد من هذه المشاهد التي ابتلي الناس بها فيجد عنده الزحام والضجيج والصراخ والنداء من أبيه ومن هو من أمثاله وأكبر منه فينضم إلى ذلك الاعتقاد الذي قد تلقنه من أبويه ما يوجب تأكيده وتأييده وتشديده ،

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٨٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة

ولا سيما إذا وجد ذلك القبر قد بُنيت عليه المباني النفيسة وصُبغت جدرانُه بالأصبغة الفائقة ، ونُصبت عليه الستورُ الرفيعةُ ، وفاحت بجوانبه روائحُ العودِ والتَّدِّ والعنبرِ ، وسطعتُ بنواحيه أشعةُ السُّرُجِ والقناديلِ والشموعِ ، وسَمِعَ سَدَنَتَهُ العاكفين عليه المحتالين على الناس به يعظّمون الأمرَ ويهوِّلونه ويُمسِكُون بيد زائريه والوافدين إليه ويدفعون في أَقْفِيَتِهِم فإنه عند هذا يتعاضم اعتقاده ويضيقُ ذهنُه عن تصور ما يستحقه ذلك الميتُ من عِظَمِ المنزلةِ ورفيعِ الدرجة فيقع حينئذٍ في بلية لا ينزعُها من قلبه إلا توفيقُ الله وهدايته ولطفه وعنايته أو السيفُ الذي هو آخِرُ الأدويةِ وأنفعُ العقاقيرِ .

وإذا اشتغل هذا الذي نشأ على هذه الصفةِ بطلب العلمِ وجد غالبَ أهله قد اتفقوا على اعتقاد ذلك الميتِ وتعظيمِ شأنه وجعلوا محبته من أعظم الذخائرِ عند الله ، وطعنوا على من خالفهم في شيء من باطلهم بأنه لا يعتقدُ الأولياءَ ولا يحبُّ الصلحاءَ ، ورموه بكل حجرٍ ومدَرٍ وألصقوا به كلَّ عيب ، فيزداد لذلك الميتِ محبةً وفيه اعتقاداً ، وعلى فرض وجود فردٍ من أفرادهم يُلهمه اللهُ الصوابَ ويهديه إلى الحق ويُرشده إلى فهم ما جاء عن الشارع من النهي عن رفع القبورِ^(١) وتخصيصها والكتِّبِ عليها والتسريحِ لها والأمرِ بتسوية ما هو مُشرفٌ منها والزجرِ عن جعلها مساجدَ وأوثاناً [٢١] ثم فهمَ كونَ الدعاءِ عبادةً والعبادةِ مختصةً بالله عز وجل ، والمنعُ من دعاء غير الله في السراء والضراءِ وتعظيمِ مَنْ سواه والالتجاءِ إليه في الخير والشرِّ كائناً مَنْ كان من غير فرقٍ بين الأنبياءِ والخلفاءِ الراشدين وسائرِ الصحابةِ ومَنْ بعدهم من طوائف المسلمين .

فهذا الفردُ النادرُ والغريبُ الشاذُّ قد يكتُم ما أمره اللهُ به من البيان للناس إما بعُذر

(١) : قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان" (١/٢١٠) : فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت على القبورِ أولى وأحرى لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليها فيجب المبادرة والمساورة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ونهى عنه والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وطفية فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول ﷺ ولا يصح هذا الوقف ولا يصح إثباته وتنفيذه .

مسوِّغ أو بالتفريط فيما أوجبه الله ، محبةً للسلامة وميلاً إلى الراحة والدعة واستبقاءً للجاه بين العامة والسواد الأعظم من الناس ، فيكون علمه محنةً له ونعمةً عليه ، ويكون وجوده كعدمه بل يكون الضُّرُّ بوجوده أكثرَ لأنه ربما يدخل بداخلهم وتُطَقِّق الموافقة لهم فيعتقدون أنه معهم وفي عدادهم فلا يقبلون من أمثاله ويحتجّون عليهم بموافقتهم ، وما أقلُّ من يصدع بالحق ويقوم بواجب البيان من أهل العلم ، ولهذا ينزع الله البركة من علومهم ويمحقها محققاً لا يُفلحون بعده .

وهذا الذي يتصدى للصدع بالحق والقيام بواجب البيان لا يوجد في المدينة الكبيرة بل الأقطار الواسعة إلا الفرد بعد الفرد ، وهم مكثورون بالسواد الأعظم مغلوبون بالعامّة ومن يلتحق بهم من الخاصة ، فقد يتأثر من قيام ذلك الفرد النادر بعض الواقعيين في أمر من الأمور لإخلاص التوحيد ، وقد لا يتأثر عنه شيء . فمن هذه الحيثية خفي على بعض أهل العلم ما خفي من هذه الأمور ووقع في مؤلفاتهم وأشعارهم ما أشار إليه السائل ، وقد صاروا تحت أطباق الثرى وقدموا على ما قدّموا من خير أو شر ، ولم يبق لنا سبيل إلى الكلام معهم والنصح لهم ، ولكن يتحتم علينا بيان بطلان ذلك الذي وقعوا فيه ، واشتملت عليه مؤلفاتهم وأشعارهم ، والإيضاح للأحياء [٢٢] بأن هذا الذي قاله فلان في كتابه الفلاني أو في قصيدته الفلانية واقع على خلاف ما شرعه الله لعباده ، ومخالف لما جاءت به الأدلة ، ومستلزم لدخول من عمل به في باب من أبواب الشرك ونوع من أنواع الكفر ، والتعريض بذلك في الرسائل التي يكتبها من أوجب الله عليهم البيان والتحذير منه بأبلغ عبارة ، والزجر عنه بأوضح بيان حتى يعلم الناس ما فيه ، ويتحاموا الوقوع في شيء منه إن بقي لرجوعهم إلى الحق سبيل .

وعلى فرض عدم الرجوع إلى الحق فقد قامت عليهم حجة الله وخلص العالم عن الفرض الذي أوجبه الله عليه وبرئت ذمته وظهرت معذرتُه .

وأعلم أن هذه البدعة العظيمة والمحنة الكبرى التي طبقت المشرق والمغرب ووقع فيها السلف والخلف ، أعني الاعتقاد في الأموات إلى حد يُخدش في وجه الإيمان ويفت في

عضد الإسلام أسُّها ورأسها تشييدُ القبورِ والتأثُّقُ في بناء القِبابِ عليها ، والمبالغةُ في التهويلِ على زوارها بكل ما يوجب الرُّوعةَ ويحصلُ المهابةَ ويُؤثرُ التعظيمَ من الأمور التي قدمنا الإشارةَ إليها ، ولا ينكر أحدٌ من العقلاء أن هذا الأمرَ من أعظم محصّلاتِ الاعتقاداتِ الفاسدةِ وموجباتِ الوقوعِ في البلايا المخالفةِ لإخلاص التوحيد ، ومن شك في هذا ولم يقبله عقله وكأبرَ الوجدانِ فعليه بالتتبع والاستقراء ، وأقربُ من هذا أن يعمِدَ إلى بعض العامة ويسأله عن ذلك ويكشف ما عنده منه فإنه سيجد ما ذكرناه عند كل فردٍ من أفرادهم .

وعند تحريرِ هذه الأحرفِ ذكرتُ واقعةً ذكرها أهلُ التاريخ مع بعض الخلفاءِ العباسيين وهي : أنه قدِمَ على أحدهم رسولٌ من بعض أهلِ الممالكِ النائيةِ فاحتفل ذلك الخليفةُ بجمع أعيانِ مملكتهِ وأكابرِها وجعلهم في الأمكنةِ التي سيمُرُ الرسولُ بها ثم أوقف خاصَّتهِ وهم جمْعٌ جَمُّ بياوان كبيرٍ قد بالغ في تحسينِ فرشهِ وستوره [٢٣] وتأنق في كل أموره وجعل نفسه في مكانٍ يُشرفُ على ذلك الإيوانِ على صفةٍ في غاية التهويلِ والتعظيمِ فما زال ذلك الرسولُ يدخلُ من مكانٍ إلى مكانٍ ويمرُّ بجماعةٍ جماعةٍ حتى وصل إلى ذلك الإيوانِ ، فوجده فوق ما قد مرَّ به فامتلاً مهابةً ورُوعةً وتعاورته أسبابُ التعظيمِ والتهويلِ من كل جهةٍ وطرقته موجباتُ الجلالةِ من كل بابٍ وأقيم بذلك الإيوانِ رجالان من خدمه الخاصِّ يُمسكان بعضديه فلم يُنفسوا من خناقه ولا أبلعوه ريقه حتى انفتحت طاقاتُ ذلك المتزل الذي فيه الخليفةُ وقد نُصبت فيه الآلاتُ الراقيةُ من الذهبِ والفضةِ والأحجارِ النفيسةِ من الجواهرِ المعدنيةِ وسطعت فيه الحمايرُ وفاحت روائحُ الأطيابِ الملوكيةِ وظهر وجهُ الخليفةِ وعليه من الثيابِ ونحوها ما هو الغايةُ في الحسنِ والنهايةِ في البهاء ، فعند أن وقعت عينُ هذا الرسولِ المسكينِ على ذلك الخليفةِ قال للمسكينِ بيده ، أهذا الله ؟ فقالا له : بلى هذا خليفةُ الله .

فانظر أرشدك الله إلى أي حالة بلغ بهذا المسكينِ ما رآه من التهويلِ والتعظيمِ وأنظُرْ الحكمةَ البليغةَ في ما ورد عن الشارع من الزجر عن رفع القبورِ وتخصيصها وتسريحها

ونحو ذلك ، وإني لأكثرُ التعجبَ من تلقيِّ هذه الأمةِ المرحومةِ لما ورد عن نبيها الصادقِ المصدوقِ ﷺ من النهي عن ذلك والزجرِ عنه والتحذيرِ منه بعكس ما ينبغي وخلافِ ما يجب ، مع مبالغته في ذلك كليةً المبالغة ، حتى كان من آخر ما قاله في مرضه الذي قبضه الله فيه : " لا تتخذوا قبوري مسجداً ، لعن الله اليهودَ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ " (١) ، ثم كان أولُ ما فعلته الأمةُ من العمل بهذه السنةِ الصحيحةِ والقبولِ لها أن وضعوا [٢٤] على قبره الشريفِ هذه العِمارةَ ، وكان الشروعُ فيها قبلَ انقضاءِ القرنِ الذي هو خيرُ القرونِ بعدَ قرنِ الصحابةِ ﷺ ، ثم انفتح بابُ الشرِّ إلى جميعِ أقطارِ الأرضِ ، وطبَّقَ مشارقها ومغاربها وبدوها وحضرها . فإن الله وإنا إليه راجعون .

ومن عظيمِ اهتمامه ﷺ بهذا الأمرِ أنه بعثَ بهدمَ القبةِ المشرفةِ أميراً من أهله هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ ، كما ثبت في الصحيح (٢) أن علياً قال لأبي الهيثمِ : ألا أبغضُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ " أن لا تدعَ قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته " والأحاديثُ في هذا البابِ وفي منع الكتابةِ والتحصيصِ والتسريحِ كثيرةٌ ثابتةٌ من طريقِ جماعةٍ من الصحابةِ قد استوفيتها في كثيرٍ من مؤلفاتي . وفي هذا المقدارِ كفايةٌ لمن له هدايةٌ ، وبه يُعرف جوابُ ما سأل عنه السائلُ كثر الله فوائده في البحثِ الثالثِ من مباحثِ السؤالِ الأولِ ، وعلى الله في جميعِ الأمورِ المعوَّلِ .

وحاصله أن الذي يجب علينا عند الوقوفِ على شيءٍ مما فيه مالا يجوز اعتقاده من مؤلفات المتقدمين أو أشعارهم أو خطبهم أو رسائلهم أن يُحكَمَ على ذلك الموجودِ بما يستحقه ويقتضيه ، ونوضِّح للناس ما فيه ، ونحذِّرهم عن العمل به والرُّكونِ إليه ، ونكلَ أمرَ قائله إلى الله مع التأوُّل له بما يمكن ، وإبداءِ المعاذيرِ له بما لا يرُدُّه الفهمُ ويأباه العقلُ ولم يكلفنا الله سبحانه غيرَ هذا ولا واجبَ علينا سواه .

(١) : سيأتي تحريجه في رسالة " الدر النضيد " ضمن هذا القسم برقم (٤) .

(٢) : أخرجه مسلم رقم (٩٦٩/٩٣) وأبو داود رقم (٣٢١٨) والنسائي (٨٨/٤) رقم (٢٠٣١) وأحمد

(٨٩/١) والترمذي في السنن رقم (١٠٤٩) . وهو حديث صحيح .

قال السائلُ عافاه اللهُ : السؤالُ الثاني :

عن الراجح لديكم في مسألة خَلْقِ الأفعالِ حَسَنِها وقبيحِها وخيرِها وشرِّها هل يكون ذلك لله تعالى اختراعاً وإبداعاً وقوعاً وإيقاعاً لعموم الآياتِ في ذلك وشمولِ الأحاديثِ فيما هنالك ، خصوصاً ما في صحيح مسلم^(١) من ذلك مما يطول سرُّه بل في جواب سؤالِ جبريلَ أعظمُ دليلٍ ، وفي صحيح البخاري^(٢) في تفسيرِ سورةِ والليلِ إذا يغشى [٢٥] عن عليٍّ رضي الله عنه حديثٌ : قد أحطتم به علماً أم يكون ذلك الفعلُ من العبدِ خلقاً وحقيقةً لا كسباً وصورةً لإضافته إليه في كثير من الآيات ، وبجوازِ تخصيصِ تلك العموماتِ بغيرِ القبيحِ السيئِ ، مع أن دلالةَ العمومِ ظنيةٌ وإن كانت كليةً ، ولقيامِ الحجةِ على المكلفِ باستقلاله وعدمِ بطلانِ المحجَّةِ في إجماله وأعماله ، وهاهنا نُكتةٌ تحُصلُ يتقاصر عندها البهتةُ ، وهي أن القائلينِ بالأولِ يقولون إن خلافه فيه إثباتُ شركاءَ لله يتصرفون بغيرِ إذنِ الله وأن الإنكارَ والخلافَ^(٣) إنما هو من جهةِ التحسينِ والتقيحِ العقلِيِّينِ في الثوابِ والعقابِ ، ولا دخلَ له في هذا الباب .

ثانياً المُخصَّصُ من السنة والكتاب : والقائلين^(٤) بالثاني يقولون إن خلافه فيه الإجمارُ^(٥) وإبطالُ الشرائعِ وإلزامُ الحجَّةِ على الشارع ، فإنَّ يخلصُ الفريقُ الأولُ من هذا بالكسبِ وهو العزمُ المصمَّمُ كما قاله بعضُ أهلِ التحقيقِ ، أو صرفُ العبدِ قدرته وإرادته إلى الفعلِ على قولِ بعضهم — وإن حكى ابنُ السُّبكيِّ عن أبيه أن الناسَ غيرُ مكلفين بمعرفةِ الكسبِ لصعوبته — عارضهم الفريقُ الثاني وقالوا^(٦) هل الكسبُ خلقُ الله أم لا ؟

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) (ص ١٣٠) .

(٢) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) (ص ١٣١) .

(٣) : انظر الكلام على ذلك في الرسالة السابقة رقم (١) (ص ١٣٠-١٣٧) .

(٤) : النصب عطفاً على اسم إن السابق ، أن القائلين .

(٥) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٦) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

إن قلتُم لله فهو المذهبُ الأولُ ، أو للعبد وافقتم قولنا ، فليفضل عينُ الزمانِ وإنسانُ الأعيان بالبيان .

وقد ورد النهيُّ عن الخوض في القدرِ والأمرُ بالإمساك عند ذلك لكن كان الأمرُ قبل ذلك عند المبتدي أنه واجبٌ عليه كما أن علمَ الكلامِ مذمومٌ ، والشافعيُّ^(١) رحمه الله حذّر منه جداً ، ونقل ابنُ عبد البرِّ أنه ليس من العلم ، وأن أهله ليسوا من العلماء وكان الإنسان يرى أنه أولى الواجباتِ إلا من عصمه الله .

نعم - دُتم في النعم - حديثُ افتراقِ الأمةِ على ثلاثٍ وسبعين فرقةً^(٢) الذي رواه أبو داود وسكت عليه [٢٦] عن معاوية بن أبي سفيان ، هل يدلُّ على هذا الافتراقِ قديماً وحديثاً أم على زمانٍ مخصوصٍ ؟ وقد ثبتت النجاةُ للصحابةِ ﷺ فهل يدلُّ على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً إن كان كذلك فليت شعري من وافقهم من الطائفتين أم كلُّ منهن وافق بعضاً فيكون اختلافُهم حقاً^(٣) ، وهذا يرده ظاهرُ الحديث ، وهنا مسألةٌ مستطردةٌ من الغصون المتعددة عن الراوي هنا الذي هو معاويةٌ وحروبه مع عليٍّ ﷺ وما جرى في تلك الوقائع ما يقولون في ذلك ؟ وهل عدالةُ جميع الصحابةِ مُسلمةٌ وكذلك إذا خرَّج أحدُ أصحابِ السنن عن شخصٍ ورووا عنه كفعل البخاري عن مروان هل هو تعديلٌ أم لا ، وهل مسألةُ الجرح والتعديلِ يصحُّ فيها التقليدُ بعد الزمانِ أم تجب المعرفةُ على كل إنسانٍ لكل إنسانٍ ، وإلا لم يُجز الاحتجاجُ به ، وهذا يُثبتُ وجوبَ الاجتهادِ على كل فردٍ من العباد ، وبعضهم يقول هذا متعسّرٌ أو متعذرٌ ، ومنهم من يقول إنه واجبٌ متيسّرٌ فما الراجح عندكم في هذا بخصوصه ، وما دليُّه بمنصوصه جزاكم الله خيراً .

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : تقدم تخرجه في الرسالة رقم (١) (ص ١٣٥-١٣٦) .

(٣) : انظر الرسالة السابقة رقم (١) .

أقول هذا السؤال قد اشتمل على أبحاث :

الأول : السؤال عن مسألة خلق الأفعال وما تشعب عنها من الشعب التي أشار السائل عافاه الله إلى بعض منها في سؤاله . واعلم أن هذه المسألة قد طالت ذبولها وتنوعت مسألكها وتباينت طرائقها وتفرقت الناس فيها فرقاً وتحزبوا بسببها أحزاباً وتكلموا فيها فأنفق كل متكلم مما عنده وأخذ من الأدلة ما قوياً له ورجح ما ترجح له ، وجملة الأقوال فيها^(١) أربعة عشر قولاً منها لأهل السنة والأشعرية أربعة أقوال وللمعتزلة ثمانية أقوال ، وللجبرية الخالص قولان . ولا حاجة بنا إلى ذكر هذه الأقوال وتقرير أدلتها والكلام عليها ودفع ما يستحق الدفع منها ، فذلك كله معروف في كتب هذا الشأن ، وقد أفرد هذه المسألة جماعة من المحققين بالتصنيف ، وراقم الأحرار غفر الله له قد أفرد هذا بمؤلف جمعه [٢٧] في أيام شبابه عند الشغف بالنظر في كل مقال والوقوف على حقيقة كل ما ينسب إلى العلم ويدون في كتب أهله ولما كان سؤال السائل عافاه الله عن الراجح عند المحيب غفر الله في هذه المسألة فأقول :

الراجح عندي فيها السكوت وإمرار الأدلة الواردة فيها الدالة عليها بمطابقة أو تضمين أو التزام كما وردت ، وعدم التعرض لشيء من مباحثها ولا التكلف لشيء منها بالتلويل وإخراجه عن معناه الحقيقي .

وهذا السكوت الذي رجحته وإن كان يعدُّه بعض المتكلمين جهلاً فأنا بيه راضٍ ، والجهل في كثير من المواطن خيرٌ من تكلف العلم بها والدخول في مضايق لم يتعبد الله بها أحداً من عباده . ومن لم يسعه ما وسع خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم في هذه المسألة ونظائرها فلا وسع الله عليه .

على أي لم أرجح هذا الترجيح وأقف في هذا الموقف إلا بعد أن قطعت في هذه المسألة وما شابهها من مسائل هذا العلم شطراً من عمري وأضعت فيه بعض أوقاتي ، وأفردت

(١) : انظر الرسالة السابقة رقم (١) . وانظر : الأصول الخمسة (ص ٣٢٦) ، التبصير في الدين (ص ٧٩) ،

المغني في أبواب العدل والتوحيد (٤٣/٦) .

أمهات مسائله بالتأليف ورجحتُ في كل مسألةٍ منها قولاً من الأقوال ونصرتُ مذهباً من المذاهب بحسب ما بلغتُ إليه القدرةُ ودلت عليه الأدلةُ التي غلب الظنُّ بأنها أرجحُ من الأدلةِ المقابلةِ لها .

ثم لم أبعدُ من طريقةِ الإنصافِ في شيءٍ منها ولا خرجتُ عما يوجهه الحقُّ الذي كنتُ أعتقدُه حقاً بعد أن جرّدتُ نفسي عن التعصّب لمذهب من المذاهب أو قولٍ من الأقوال أو عالمٍ من العلماء ، ثم لما فرغتُ من تحرير هذه المسائلِ وتقديرها واستوفيتُ في كل بحثٍ من المباحث ما كنتُ أظنُّ أنه قد فاق على كثير من التصانيف المتقدمةِ قرعتُ البابَ الذي كان يدخلُ منه خيرُ القرونِ ثم الذين يلوهم [٢٨] ثم الذين يلوهم بعد أن ألقيتُ عن كاهلي حملاً ثقيلاً وأراحني الله من عناء طويلٍ ، وقالٍ وقيلٍ ، وهذيان ليس له تحصيلُ ففتح الله لي ذلك البابَ الذي لازمتُ قرعتهُ ودخلتُ منه إلى بيتٍ فيه برْدُ اليقينِ وطُمأنينةُ الحقِّ فطاحتُ تلك الدقائقُ التي كنتُ فيها وذهبتُ عني إلى حيث يعوي الذئبُ . وما أحسنَ ما قاله القائلُ :

وكيف ترى ليلي بعين ترى بها
وتلتذّ منها بالحديث وقد جرى
ولله درُّ الشاعرِ الآخرِ حيث يقول :
ألا إن وادي الجزع أضحى تراهُ
وما ذاك إلا أن هنّداً عشيّةً
سواها وما طهرّتها بالمدامع
حديثُ سواها خروّةٌ للمسامع
من المسّ كافوراً وأعواده رنّداً
تمشّت وجرّت في جوانبه برّداً

البحث الثاني من مباحث السؤال الثاني :

قولُه عافاه الله : نعم - ودمتم في النعم - حديثُ افتراقِ الأمةِ على ثلاث وسبعين فرقةً إلخ ، والجوابُ عنه أن حديثَ معاويةَ هذا الذي سأل عنه السائلُ وقال إنه أخرجه أبو داود^(١) ، هو أخرجه في سنّنه في كتاب السنة منه ، وإسناده هكذا : حدثنا أحمدُ بنُ

(١) : في السنن رقم (٤٥٩٧) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده وقد تقدم (ص ١٣٥-١٣٦) .

حنبل ، ومحمد بن يحيى بن فارسٍ قالوا : حدثنا أبو المغيرة : حدثنا صفوان [ح] وحدثنا عمرو بن عثمان : حدثنا بَقِيَّةُ : حدثني صفوانُ : حدثني أزهرُ بن عبدِ الله الحرَازيُّ قال أحمدُ : عن أبي عامرِ الهوزَني عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ أنه قامَ فينا فقال : ألا إن رسولَ الله ﷺ قامَ فينا فقال : " ألا إن مَنْ قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقوا على ثنتينِ وسبعينَ مِلَّةً وإن هذه الأُمَّةَ ستفترقُ على ثلاثِ وسبعينَ ثنتانِ وسبعونَ في النارِ وواحدةٌ في الجنةِ وهي الجماعةُ " ، زاد ابنُ يحيى وعمروٌ في حديثيهما وإنه سيخرُجُ في أمِّي أقوامَ تجارى بهم تلكَ الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ لصاحبه ، وقال عمرو : الكلبُ بصاحبه لا يبقى من عرقٍ ولا مَفْصِلٍ إلا دخله . انتهى .

فهذا الحديثُ قد رواه أبو داود^(١) من طريقتين إحداهما من طريق أحمد بن حنبلٍ ومحمد بن يحيى عن أبي المغيرة عن صفوان ، والثانية من طريق عمرو بن عثمان عن بَقِيَّةِ [٢٩] عن صفوان ، ثم تفرد به صفوانُ عن أزهرٍ عن الهوزَني .

فأما أحمدُ بنُ حنبلٍ فهو الإمامُ الجليلُ الحافظُ الذي اتفقَ الموالفُ والمخالفُ على توثيقه ، وروى عنه أهلُ الصحيحين وغيرهما وهو أجلُّ قدرًا من أن يُحتاجَ إلى تعديلٍ وأرفعُ محلاً من أن يتكلمَ فيه متكلمٌ بل هو إمامُ الجرح والتعديلِ وإمامُ الحفظِ والإتقانِ ، وأما محمدُ بنُ يحيى بنِ فارسٍ فهو الذُّهليُّ^(٢) الإمامُ الجليلُ الثَّقَةُ الثَّبْتُ الحافظُ وأما أبو المغيرة فهو عبدُ القدوسِ^(٣) بنُ الحجاجِ الخولانيُّ أبو المغيرةِ الحِمَصيُّ الثَّقَةُ المشهورُ أخرج حديثه الشيخان وسائرُ أهلِ الأمهات ، وأما عمرو بنُ عثمان فهو القرشيُّ مولاهم الحِمَصيُّ فقد وثَّقه ابنُ حبانٍ وقال في التقريب^(٤) صدوقٌ ، وأما بَقِيَّةُ فهو ابنُ الوليدِ الكُلاعيُّ أبو محمد

(١) : في السنن رقم (٤٥٩٧) .

(٢) : انظر : تهذيب التهذيب (٧٢٨/٣) .

(٣) : انظر : تهذيب التهذيب (٦٠٠/٢) .

(٤) : رقم (٥٠٧٣) وقال : صدوق من العاشرة ، مات سنة خمسين ومئتين .

الحمصيّ أحدُ الأعلامِ قال النسائي^(١) : " إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقةٌ " وقال ابنُ عَدِي^(٢) إذا حدث عن أهل الشام فهو ثبتٌ وقال الجوزجاني^(٣) إذا حدث عن الثقات فلا بأس به ، قلتُ هو هاهنا قد صرَّح بالتحديث فقال حدثني صفوانٌ وحدث عن شاميٍّ وهو صفوانٌ ، وروى عن ثقةٍ وهو أيضاً صفوانٌ فحصل الشرطُ الذي ذكره هؤلاء الأئمةُ الثلاثة أعني النَّسائيُّ وابنُ عَدِيٍّ والجوزجانيُّ ، وقد أخرج له مسلم^(٤) فردَّ حديثٍ وقال في التقريب^(٥) صدوقٌ كثيرُ التدليس عن الضعفاء .

قلت قد صرَّح بالتحديث فذهبت مظنةُ التدليس . وعلى كل حال فهو لم يتفرد بل تابعه أبو المغيرة وهو ثقةٌ كما تقدم ، وأما صفوانٌ فهو ابنُ عمرو السكسكي^(٥) الحمصيُّ . قال عمرو بنُ علي ثبتٌ وقال أبو حاتم ثقةٌ وقد أخرج له مسلم^(٦) فردَّ حديث . وقال في التقريب^(٧) ثقةٌ ، وأما أزهر بنُ عبد الله الحرازي فكذا وقع في سنن أبي داود^(٨) وجزم البخاري^(٩) بأنه ابنُ سعيد وهو الحرازيُّ الحميريُّ الحمصيُّ قال في التقريب^(١٠) : صدوقٌ تكلموا فيه للنصب وقال في الخلاصة^(١١) صدوقٌ انتهى .

(١) : كما في تهذيب التهذيب (١/٢٤٠) .

(٢) : كما في تهذيب التهذيب (١/٢٤٠) .

(٣) : في صحيحه رقم (١٠١/١٤٢٩) باب رقم (١٦) الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة .

(٤) : رقم (١٠٨) .

(٥) : انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/٢١٣) .

(٦) : في صحيحه رقم (٤٤/١٧٥٣) باب رقم (١٣) " استحقاق القاتل سلب القتل " .

(٧) : رقم (١٠٩) .

(٨) : (٥/٥) رقم (٤٥٩٧) .

(٩) : انظر التاريخ الكبير (١/١/٤٥٦) .

(١٠) : رقم (٣٤٩) .

(١١) : ص (٢٥) .

وقد روى عنه مع أبي داود الترمذي والنسائي وليس ممن يُحتجّ به لا سيما في مثل هذا الأمر العظيم . وهذه الصيغة أعني قولهم إنه صدوق هي من صيغ التلّين كما أشار إليه أهل علم اصطلاح الحديث ، وأما أبو عامر الهوزني فهو عبد الله بن لُحَيّ - بضم اللام وفتح المهملة - الحِمْرِيُّ الهُوْزَنِيُّ بفتح الهاء والزاي بينهما واوٌ : أبو عامر الحِمْصِيُّ وثقه العجلي^(١) وقال في التقريب^(٢) ثقةً محضراً .

إذا عرفتَ هذا فرجالُ إسناده الحديث كلُّهم ثقاتٌ إلا بقیةَ بن الوليد وأزهرَ بن عبد الله الحرّازي ، فأما بقیةٌ فلم يتفرّد كما عرفت ، وأما أزهرٌ فقد [٣٠] تفرد كما عرفت ، وهو ضعيفٌ فيكون هذا الحديث ضعيفاً ، ولكن قد ورد هذا الحديث بدون الزيادة أعني قوله ثنان وسبعون في النار ... إلخ ، من حديث أبي هريرة عند أبي داود^(٣) قال : حدثنا وهبُ بن بقیةَ عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً ، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً ، وتفرقت أمّتي على ثلاث وسبعين فرقةً " وقد أخرج هذا الحديث^(٤) الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسنٌ صحيح . انتهى .

وهبُ بن بقیةَ المذكورُ في الإسناده شيخُ أبي داود هو الواسطيُّ ، أخرج حديثه مسلمٌ ووثقه أبو زرعة وقال في التقريب^(٥) ثقةٌ ، وأما خالدٌ فهو ابنُ عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المُرَبِّعيُّ مولاهم أبو الهيثم أو أبو محمد الواسطيُّ الطحانُ . قال أحمدُ كان ثقةً . قلتُ وقد اتفق على إخراج حديثه الشيخان وغيرهما من أهل الأمّهات . وقال في التقريب^(٦)

(١) : في معرفة الثقات (١/٢١٥ رقم ٥٦) وقال : شامي ثقة تابعي .

(٢) : رقم (٥٧٣) .

(٣) : تقدم تخريجه .

(٤) : تقدم تخريجه .

(٥) : رقم (١٠٦) .

(٦) : رقم (٤٦) .

ثقة ثبت ، وأما (محمد بن عمرو^(١) فلعله جَلجلة) ، وقد وثقه أبو حاتم^(٢) وأخرج حديثه الشيخان وغيرهما من أهل الأمهات ، وأما أبو سلمة فهو عبد الله^(٣) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ثقة إمام ، أخرج حديثه الشيخان وغيرهما من أهل الأمهات ، فتقرر بهذا أن رجال حديث أبي هريرة رجال الصحيح ، فيكون أصل الحديث أعني افتراق الأمة إلى تلك الفرق صحيحاً ثابتاً .

وأما الزيادة التي في الحديث الأول فضعيفة كما تقدم تقريره فلا يقوم بها حجة في حكم شرعي ولو على بعض المكلفين فكيف في مثل هذا الأمر العظيم الذي هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة التي شرفها الله واختصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة وزادها شرفاً وتعظيماً وتحليلاً بأن جعلها شهداء على الناس ، وأي خير في أمة تفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعها فلا ينجو منها [٣١] إلا فرقة واحدة !

ولقد أحسن بعض الحفاظ حيث يقول : " وأما زيادة : كلها هالكة إلا واحدة فزيادة غير صحيحة القاعدة ، وأظنها من دسيس بعض الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ ابن حزم^(٤) ، ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس أهل الإلحاد والزندقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يُقادر قدره ، فيحصل لوضعها ما يطلبه من الطعن على هذه الأمة المرحومة ، والتنفير عنها كما هو شأن كثير من المخدولين الواضعين للمطاعن المنافية للشريعة السمحة السهلة كما قال الصادق المصدوق ﷺ : " بُعِثْتُ

(١) : محمد بن عمرو بن حلحلة . كذا في التقريب رقم (٥٨٨) وفي تهذيب التهذيب (٦٦١/٣) محمد بن عمرو بن حلحلة الدبلي المدني .

(٢) : ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٦٦١/٣) .

(٣) : انظر ترجمته في رجال صحيح البخاري (٤١٣/١) رقم (٥٩٤) والتقريب (٤٣٠/٢) والخلاصة (ص ٢٠٤) .

(٤) : في " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (٢٩٢/٣) .

بالحنيفية السمحة السهلة" (١) ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢) وقال ﷺ : " بَشُرُوا وَلَا تُنْفَرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تَعَسَّرُوا " (٣) وها أنا سأضرب لك مثلاً وهو أنك لو رأيت جماعة من الناس قد جُمِعوا في مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قائل ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طلعت عليه الشمس وستضرب أعناقُ الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتعطى تلك المملكة فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحال هكذا ؟ أو لا تدري مَنْ هذا الواحد الذي سيفوز بالسلامة ولا سيما إذا رأيت كل واحدٍ منهم يدعي لنفسه أنه الفائز بالسلامة والظافرُ بالغنيمة لمجرد الأمانة والدعوى العاطلة عن البرهان [٣٢] .

فإن قلت : إن قوله في هذا الحديث في الفرقة الناجية وهي " الجماعة " وقوله في

(١) : أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٠٩/٧) من حديث جابر مرفوعاً بلفظ " بعثت بالحنيفية السمحة أو السهلة ومن خالف سنتي فليس مني " الشطر الأول منه حسن لغيره أما الشطر الثاني فهو صحيح من طرق أخرى .

أما شواهد الشطر الأول من حديث أبي قلابة الجرمي مرسلأ بلفظ : " يا عثمان إن الله لم يعثني بالرهبانية . مرتين أو ثلاثة ، وأن أحب الدين عند الله الحنيفية السمحة " أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٩٥/٣) .

وله شاهد آخر من رواية عبد العزيز بن مروان بن الحكم مرسلأ أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٨٩، ٣١٠) بسند صحيح .

انظر : تمام المنة (ص ٤٤-٤٥) وغاية المرام (ص ٢٠-٢١) والصحيحة رقم (٨٨١) .
 وخلاصة القول أن الشطر الأول حسن بشواهد .

ومن شواهد الشطر الثاني :

● ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك مطول ، وفيه : " فمن رغب عن سنتي فليس مني " .

(٢) : [الحج ٧٨] .

(٣) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٧٣٢/٦) من حديث أبي موسى .

حديث آخر " وهي من أنا عليه اليوم وأصحابي " .

قلتُ : هذا التعيين وإن قلَّ شيئاً من ذلك التخويفِ والتنفيرِ لكن قد تعاورتْ هذه الفرقةُ المعينةُ الدعاوي وتناوبتها الأمان ، فكلُّ طائفةٍ من الطوائفِ تدّعي لنفسها أهمّ الجماعةُ وأهمّ الطائفةُ بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وأهمّ الذين لا يزالون على الحقّ ظاهرين .

فإن قلتَ إن معرفة الجماعةِ ومعرفة المتّصّفين بموافقة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ممكنةٌ ، ومن ادّعى من المبتدعة إثبات ذلك الوصفِ لنفسه فدعواه مردودةٌ عليه مضروبٌ بها في وجهه . قلتُ نعم ، ولكن ليس ههنا حجةٌ شرعيةٌ توجب علينا المصيرَ إلى هذا التعيينِ وتلجئنا إلى تكلفِ تعينِ الفرقِ المهلكةِ وتعدادها فرقةً فرقةً كما فعله كثيرٌ من المتكلمين للكلام على هذا الحديث .

وأما ما ذكره السائلُ - كثر الله فوائده - من قوله هل يدل على هذا الافتراقُ قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوصٍ فالجوابُ عنه أن الافتراقَ لما كان منسوباً إلى الأمة ، وحيث قال ﷺ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً كما في حديث أبي هريرة المذكور ، وكذلك قوله ﷺ في حديث معاوية المذكور وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين - كان ذلك صادقاً على هذه الأمة بأسرها وعلى هذه الملة أولّها وآخرها من دون تخصيصٍ لبعض منها دون بعض ولا لعصرٍ دون عصرٍ ، فأفاد ذلك أن هذا الافتراقَ المنتهيَ إلى ثلاث وسبعين فرقةً كائنٌ في جميع هذه الأمة من أولّها إلى آخرها ، ومن زعم اختصاصَ ذلك [٣٣] بأهل عصرٍ من العصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهر بلا سبب يقتضي ذلك .

وأما ما ذكره السائل عافاه الله من أهمّها قد ثبتت نجاة الصحابة ، فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً ... إلخ ؟

فالجوابُ أن السائلَ إن كان يريد بيان ما عند المسؤلِ غفر الله له فالذي عنده أنه لا ملازمةَ بين نجاة جميع الصحابة ﷺ وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم

بنجاحهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول ، وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندي متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبةً واحدةً ، وكون بعضها راجعاً إلى الاعتقاد وبعضها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تفاوتها على وجه يكون الاختلاف في بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين ، وفي بعضها لا يوجب ذلك ، فاعرف هذا وافهمه .

واعلم أن ما صح عنه ﷺ من أن المصيب في اجتهاده له أجران وللمخطئ أجرٌ لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عن مسائل الاعتقاد . فما يقوله كثيرٌ من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية ، وتصويب المجتهدين في الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر ، فالحق عند الله عز وجل واحدٌ متعينٌ يستحق موافقه أجرين ويُقال له مُصِيبٌ [٣٤] ، من الصواب ومن الإصابة ، ويقال لمخالفه إنه مخطئٌ كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين^(١) وغيرهما^(٢) من حديث عمرو بن العاص إن اجتهد فأصلب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ .

وفي بعض الروايات الخارجة عن الصحيح من غير حديثه أنه إن أصاب فله عشرة^(٣)

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) .

(٢) : كأحمد (٤/١٩٨، ٢٠٤) والدارقطني (٤/٢١١) والبيهقي (١٠/١١٨-١١٩) .

(٣) : أخرجه الدارقطني في السنن (٤/٢٠٣ رقم ٤) بإسناد ضعيف .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " إذا قضى القاضي فاجتهد فأصاب كانت له عشرة أجور... " .

وأخرج الحاكم (٤/٨٨) عن عبد الله بن عمرو أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقال : " لعمرو أقض بينهما فقال أقضي بينهما وأنت حاضر يا رسول الله قال نعم على أنك إن أصبت فلك عشر أجور... " ، قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ورده الذهبي بقوله : " فرج ضعفه " .

قلت : " وفي سنده اضطراب... " وفي الباب من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجرٌ " . =

أجورٍ ، وهذه زيادةٌ خارج من مخرج حسنٍ كما هو معروف ، فالنبي ﷺ قد سُمي من خالف الحقَّ مخطئاً فمن قال إنه مصيبٌ في الظنِّيات الفروعيات إن أراد إنه مصيبٌ من الإصابة فقد أخطأ وخالف النصَّ ، وإن أراد أنه مصيبٌ من الصواب الذي يصح إطلاقه باعتبار استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحقِّ فلذلك وجهٌ فاعرف هذا وافهمه حتى يتبين لك اختلافُ الناسِ في أن كلَّ مجتهدٍ^(١) مصيبٌ أم لا ، وسيأتي لهذا مزيدٌ تحقيقٍ إن شاء الله .

واعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ما يسميه الناسُ فروعاً وبين ما يسمونه أصولاً . هذا إن كان مطلوبُ السائل عافاه الله ما هو عند الحبيب وإن كان مطلوبه ما قاله الناسُ فكلامهم معروفٌ في مؤلفاتهم .

البحث الثالث من مباحث السؤال الثاني :

قوله " وههنا مسألةٌ مستطردةٌ من الغصون المتعددة عن الراوي ... الخ .
والجوابُ أن هذه المسألة الإمساك عن الكلام فيها أولى ، وسدُّ هذا الباب الذي لا

= أخرجه البخاري رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) وأبو داود رقم (٣٥٧٤) وابن ماجه رقم (٢٣١٤) والنسائي في " الكبرى " كما في " تحفة الأشراف " (١٥٨/٨) والدارقطني (٤/٢١٠-٢١١، ٢١٢) والبيهقي (١١٩/١٠) والبعقوي رقم (٢٥٠٩) وابن عبد البر في " جامع بيان العلوم " رقم (١٦٦٤) وأحمد (٤/١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥) .

(١) : اعلم أن الخلاف في هذه المسألة تختص بالمسائل الشرعية لا العقلية فلا مدخل لها في هذا .
والمسائل الشرعية تنقسم إلى قسمين : الأول منها : قطعياً معلوماً بالضرورة أنه من الدين كوجوب الصلوات الخمس ... فليس كل مجتهد فيها مصيب بل الحق فيها واحد : فالموافق له مصيب والمخطئ غير معذور بل آثم .

والثاني : المسائل الشرعية التي لا قاطع فيها ، فالكلام فيها طويل فالذي يرفع النزاع حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة مرفوعاً : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإن حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر " .

انظر " إرشاد الفحول " ص ٢٦٠ والسيل الجرار (١/١٩-٢١) .

يُستفاد من فتحه إلا ما لم يتعبّد الله به عباده [٣٥] أسلم ، وكلام الطوائف في ذلك معروف وكل حزب بما لديهم فرحون ، والحق بين المُقصرِ والغالي ، والصواب في التوسط بين جانبي الإفراط والتفريط ، والحديثُ الثابتُ في الصحيح^(١) أن عمّاراً تقتله الفئة الباغية قد دل أكمل دلالة على من بيده الحق ومن هو مقابله ، وما ورد في قتال الخوارج^(٢) أنهما تقتلهم أولى الطائفتين بالحق واضح الدلالة على المراد ، وقد كان بايع علياً من بايع أبا بكر وعمر ، وشذ عن بيعته من شذ بلا حجة شرعية ، وطلبوا أن يُمكنهم من قتل عثمان رضي الله عنه فقال إن الحكم فيهم إلى الإمام وهو إذ ذاك الإمام .

وقد ثبت في الصحيح^(٣) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن : " إن ابني هذا سيّدٌ وسيُصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ، وبالجملة فلا يأتي التطويل في مثل هذا بفائدة ، وقد قدموا على ما قدموا ، ولم يكلفنا الله بشيء من هذا بل أرشدنا إلى ما قصه علينا في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾^(٤) فرحم الله امرأً قال خيراً^(٥) أو صمت .

البحث الرابع من مباحث السؤال الثاني :

قوله : هل عدالة جميع الصحابة مُسلّمة ؟

والجواب : أن لأهل العلم في هذه المسألة أقوالاً :

(١) : أخرجه البخاري رقم (٤٤٧) ومسلم رقم (٢٩١٦) .

(٢) : تقدم التعريف بها (ص١٥٣) .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٢٧٠٤) وأطرافه (٣٦٢٩ ، ٣٧٤٦ ، ٧١٠٩) .

(٤) : [الحشر (١٠)] .

(٥) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٤٧) من

حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان

يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " .

الأول : ذهب إليه الجمهور^(١) أنهم كلهم عدولٌ ﷺ وأرضاهم .

الثاني : أنهم كغيرهم وبه قال الباقلاني .

والثالث : أنهم عدولٌ إلى حين ظهور^(٢) الفتنِ بينهم وهو قولُ عَمْرٍو بنِ عُبَيْد^(٣) .

والرابعُ : أنهم عدولٌ إلا من ظهر فسقُه وهو قولُ المعتزلة^(٤) وجماعةٍ من الزيدية ، والحقُّ ما ذهب إليه الأولون لمُخصَّصاتٍ بينهم يتعسَّرُ حصرُها ، منها أن الله سبحانه قد تولى تعديلهم بقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٥) وبقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾^(٦) أي عدولاً ، وبقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

(١) : انظر إرشاد الفحول (ص٦٩) ، الاستيعاب (١/٩) ، المسودة (ص٢٤٩) وقال إمام الحرمين بالإجماع - ولعل السبب فيه أنهم نقلت الشريعة ، ولو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار .

انظر : البحر المحيط (٤/٢٩٩) .

(٢) : " أما ما وقع بينهم من الحروب والفتن فتلك أمور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل ومأجور ، وكما قال عمر بن عبد العزيز : تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا ..

البحر المحيط (٤/٢٩٩) .

(٣) : هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة ولد سنة ٨٠هـ ، توفي سنة ١٤٤هـ كان جده من سبي كابل عاش في البصرة ، وعاصر واصل بن عطاء وكان ترباً له ، فلما قام واصل بحركته انضم إليه وآزره . فأعجب واصل به وزوجه أخته وقال : زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة . وقد أصبح - عمرو - شيخ المعتزلة بعد واصل . له رسائل وخطب وكتب منها : " التفسير " " الرد على القدرية " .

انظر : الأعلام للزركلي (٥/٨١) ميزان الاعتدال (٢/٢٩٥-٢٩٦) .

(٤) : سيأتي التعريف بها (ص٦٥٦) .

(٥) : [آل عمران : ١١٠] .

(٦) : [البقرة : ١٤٣] .

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ونحو ذلك ، وكذلك تولى رسولُ الله ﷺ تعديلهم بقوله : " خيرُ القرونِ قَريَني ... الحديث " [٣٦] وهو في الصحيح^(٢) ، ومثلُ حديثِ : " لو أنفق أحدكم مثلَ أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهِم ولا نَصيفَهُ " وهو في الصحيح^(٣) أيضاً وقوله : " أصحابي كالنجوم " ^(٤) وقوله : " لا تَمَسُّ النارَ رجلاً "

(١) : [الفتح : ١٨] .

(٢) : سيأتي تخريجه في الرسالة رقم (٣) (ص ٢٥٥) .

(٣) : سيأتي تخريجه في الرسالة رقم (١٩) (ص ٨٣٩) .

(٤) : أما حديث " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " فقد ورد من حديث جابر ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، ونبيط :

● فأما حديث جابر : فقد أخرجه ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٩١/٢) وابن حزم في " الإحكام " (٨٢/٦) من طريق سلام بن سليم قال : حدثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً به .

وقال ابن عبد البر : هذا إسناد لا تقوم به حجة ، لأن : الحارث بن غصين مجهول . وقال ابن حزم هذه رواية ساقطة ... فيه سلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة ، وهذا منها ، وهذا منها بلاشك .

وقال الألباني في " الضعيفة " (٧٨/١ رقم ٥٨) موضوع .

وأما قول الشعراي في " الميزان الكبرى " (٣٠/١) : " وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين فهو صحيح عند أهل الكشف " فباطل وهراء لا يلتفت إليه وانظر المسألة الثانية عشرة " صحة الأحاديث لا تثبت بالكشف والإلهام والأحلام " ص ١٠١ - ١٠٢ من كتابنا " مدخل إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة " .

● وأما حديث أبي هريرة ؓ ، عن النبي ﷺ قال : " مثلُ أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى " وهو حديث موضوع .

أخرجه القضاعي في " المسند " (٢٧٥/٢ رقم ١٣٤٦) والذهبي في الميزان (٤١٣/١) في ترجمة " جعفر بن عبد الواحد " وقال هذا من بلاياه .

وقال الألباني في الضعيفة (٤٣٩/١) موضوع . وأفته جعفر هذا قال عنه الدارقطني في الضعفاء =

= رقم (١٤٤) : يضع الحديث . وقال أبو زرعة روى أحاديث لا أصل لها كما في لسان الميزان

(١١٧/٢) . وقال ابن عدي في الكامل (٥٧٦/٢) : منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث .

● وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحدكم في تركه ، فإن لم يكن في كتاب الله ، فسنة مني ماضية ، فإن لم يكن سنة مني ماضية ، فما قال أصحابي ، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيهما أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة " .

وهو حديث موضوع .

أخرجه الخطيب في " الكفاية في علم الرواية " ص ٤٨ . من طريق سليمان بن أبي كريمة - عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً .

قلت : إسناد ضعيف جداً : سليمان بن أبي كريمة ، قال ابن أبي حاتم (١٣٨/٤) عن أبيه : " ضعيف الحديث " وجويبر هو ابن سعيد الأزدي متروك كما قال الدارقطني في الضعفاء رقم (١٤٨) ، والنسائي أيضاً في الضعفاء رقم (١٠٦) وقال الذهبي في الكاشف (١٣٢/١) رقم (٨٣٥) : تركوه وقال ابن حجر في التقريب (١٣٦/١) رقم (١٣١) ضعيف جداً ، وقال السخاوي في المقاصد ص ٦٩ وجويبر ضعيف جداً ، والضحاك عن ابن عباس منقطع .

ومن طريق جويبر هذا روى الديلمي في مسند الفردوس الجملة الأخيرة ، كما في الموضوعات الكبرى للقراري ص ٥٢ رقم ١٦١ ، وكشف الخفاء للعجلوني (٦٨/١) .

● وأما حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي ، فأوحى الله إليّ يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء ، بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى " وهو حديث موضوع .

أخرجه الخطيب في الكفاية ص ٤٨ ، وفي الفقيه والمتفقه (١٧٧/١) وابن الجوزي في العلل (٢٨٣/١) ، وابن عدي في الكامل (١٠٥٧/٣) كلهم من طريق نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعاً .

قال ابن الجوزي : وهذا - أي الحديث - لا يصح ، نعيم مجروح - قلت : بل هو صدوق يخطئ كثيراً ، فقيه عارف بالفرائض . كما في التقريب (٣٠٥/٢) - وعبد الرحيم قال يحيى بن معين كذاب - قلت : وقال البخاري تركوه ، وقال الجوزجاني غير ثقة ، وقال أبو حاتم : ترك حديثه ، وقال =

رآني" (١) على ما فيهما من المقال . والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة .
 وورد في البعض منهم خصائصٌ تُخصَّصه كما ورد في أهل بدرٍ : " إن الله اطَّلَع على
 أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم " (٢) على أن المطلوبَ من الحكم بعدالة
 الجميع هنا ليس هو إلاَّ قبولَ الروايةِ من غير بحثٍ عن حال الصحابيِّ ، ومرجعُ القبولِ

= أبو زرعة واه ، وقال أبو داود : ضعيف - كما في الميزان (٦٠٥/٢) .

وقال الألباني في الضعيفة (٨٠/١-٨١ رقم ٦٠) . موضوع .

● وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما أصحابي مثل النجوم فأبهم أخذتم بقوله
 اهتديتم " . وهو حديث موضوع .

أخرجه ابن عدي في الكامل (٧٨٥/٢) في ترجمة (حمزة بن أبي حمزة الجزري) ، وقال فيه : كل ما
 يرويه أو عامته مناكير موضوعة ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك ، وساق له
 الذهبي في الميزان (٦٠٧/١) أحاديث من موضوعاته ، وهذا منها .

وقال ابن حبان في المجروحين (٢٧٠/١) : ينفرد عن الثقات بالموضات حتى كأنه المتعمد لها ، ولا
 تحل الرواية عنه ، وقال الألباني في الضعيفة (٨٢/١ رقم ٦١) موضوع .

● وأما حديث نبيط رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أهل بيتي كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم " وهو
 حديث موضوع .

قال الألباني في الضعيفة (٨٤/١ رقم ٦٢) : " موضوع . وهو في نسخة أحمد بن نبيط الكذاب " .
 وقال الذهبي في الميزان (٨٢/١) عن هذه النسخة . فيها بلايا !! . . . وأحمد بن إسحاق بن إبراهيم
 ابن نبيط بن شريط . لا يحل الاحتجاج به فإنه كذاب . . .

وأورد الحديث ابن عرَّاق في تزيه الشريعة (٤١٩/١ رقم ٣٣) والشوكاني في الفوائد المجموعة
 ص ٣٩٧ رقم ١٣٣ .

(١) : أخرجه الترمذي رقم (٣٨٥٨) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن
 إبراهيم الأنصاري .

وروى على بن المديني وغير واحد من أهل الحديث عن موسى هذا الحديث . وهو حديث
 ضعيف .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٠٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٤) من حديث عبيد الله بن
 أبي رافع .

على ما هو الحقُّ عندي هو صدقُ اللهجةِ والتحوُّزُ عن الكذبِ ولم يتفشَّ في خيرِ القرونِ الكذبُ بل ولا في القرنِ الذي يليهم ولا في الذي يليه كما في حديثٍ : " خيرُ القرونِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يعشوا الكذبُ " (١) ، وبالجملة فالقولُ بعدالةِ الجميعِ أقلُّ ما يستحقونه من المزايا التي وردت بها الأدلةُ الصحيحةُ .

ويقال في جواب القولِ الثاني بأن جعلهم كغيرهم إهمالٌ لمزاياهم وإهدارٌ لخصائصهم وطرحٌ لكثير من الآيات والأحاديثِ الصحيحةِ ويقال في جواب القولِ الثالثِ بأن تقييدَ ثبوتِ العدالةِ إلى وقتِ ظهورِ الفتنِ لا يتمُّ إلا بعد تسليمِ أنهم دخلوا فيها - صانهم اللهُ - جرأةً لا على بصيرةٍ ولا تأويلٍ ، وذلك مما لا ينبغي إطلاقه على آحادِ المسلمين مع الاحتمالِ فكيف بالواحد من الصحابةِ بل كيف بجمعهم . ثم لبت شعري ما يقول صاحبُ هذا القولِ أعني عمرو بن عبيدٍ في البدرين الداخلين في تلك الحروبِ فإن الله قد غفر لهم ما قارفوه من الذنوب ، ولعله لا يجد عن هنا جواباً ، وهو مع زهده من رؤوسِ البدعِ ومن المتهمين في الدين ومما يحقق تصميمه على هذه المقالةِ في الصحابةِ أنه كان يقول : لو شهد عندي عليٌّ وطلحةٌ والزبيرُ على باقةٍ بقل ما قبلتُ شهادتهم ، فانظر هذه الجرأةَ العظيمةَ من هذا المبتدعِ الجاهلِ للشرعِ وأهله .

ويقال لأهل القولِ الرابعِ إن ما ذكرتم من ظهورِ الفسقِ لا نسلمُ وجوده على الحقيقةِ ، وأما بحسبِ الأهواءِ والدعاويِ الفارغةِ والقيامِ في مراكزِ المذاهبِ فذلك لا يضرُّنا ولا ينفعكم ، وأيضاً إن ذلك الموجبُ للفسقِ إن كان لا يعود إلى ما يتعلَّقُ بالروايةِ والحفظِ فلا اعتدادُ به لما قدمنا لك من أنه الاعتبارُ بصدقِ اللهجةِ وحفظِ المرُويِّ وعدمِ الدخولِ في بدعةٍ من البدعِ [٣٧] توجبُ التُّهمةَ لذلك الراوي بالدعاءِ إلى مذهبه ، وجميعُ الصحابةِ ﷺ منزهون عن جميعِ ذلك لا يخالف في هذا إلا من قد غلستُ في صدره مَراجِلُ الرِفْضِ .

(١) : سيأتي تحريجه في الرسالة رقم (٣) (ص ٢٥٥) .

البحث الخامس من مباحث السؤال الثاني :

قوله : وكذلك إذا أخرج أصحاب السنن عن شخص ورووا عنه كفعل البخاري^(١)

عن مروان هو تعديل أم لا ؟

والجواب أنه إذا كان لذلك الراوي شرطٌ معروفٌ فيمن يروي عنه وكان من أهل التحري والإتقان والخبرة الكاملة في الفن ، وصرح بأنه لا يروي إلا عمَّن حصل فيه ذلك الشرط كان الظاهر وجود الشرط المذكور في جميع روايته ، فإن كان المجتهد يرى أن ما جعله ذلك الراوي شرطاً تحصل به مفهوم العدالة عنده وفي اجتهاده فلا بأس بذلك وإن لم يكن للراوي شرطٌ معروفٌ أو كان ولكن لا يراه المجتهد المطلع على ذلك محصلاً لمفهوم العدالة فلا يكون ذلك تعديلاً ، فلا بد من هذا التفصيل وتقييد أقوال المختلقين في هذه المسألة به فاعرفه .

البحث السادس من مباحث السؤال الثاني :

قوله : وهل مسألة الجرح والتعديل يصح فيها التقليد ... الخ ؟

أقول : ينبغي أن يعلم السائل عافاه الله أن التقليد^(٢) هو قبول رأي الغير دون روايته من دون مطالبة بالحجة ، وتعديل المعدل للراوي ليس من الرأي في وِرْدٍ ولا صَدْرٍ بل هو

(١) : تقدم في رسالة " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد " رقم (١) .

(٢) : التقليد لغة : جعل القلادة في العنق ، ومنه تقليد الهدى في الحج ، أي جعل القلادة في عنق ما يهدي إلى الحرم من النعم .

وفي اصطلاح الأصوليين : هو أن قول الغير من غير معرفة دليله .

انظر : نزهة الخاطر العاطر (٢/٤٤٩-٤٥٠) .

قال الشوكاني في " القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد " - سيأتي تحقيقها ضمن الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني في قسم الفقه وأصوله - : " إن التقليد لم يحدث إلا بعد انقراض خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وأن حدوث التمدد بمذاهب الأئمة الأربعة إنما كان بعد انقراض الأئمة الأربعة ، وأنهم كانوا على نمط من تقدمهم من السلف في هجر التقليد وعدم الاعتداد به وأن هذه المذاهب إنما أحدثها عوام المقلدة لأنفسهم من دون أن يأذن بها إمام من الأئمة المجتهدين " .

من الرواية لحال من يُعدّ له أو يجرجه لأنه ينقل إلينا ما كان معلوماً لديه من حال الراوي ، وهذا بلا شك من الرواية لا من الرأي فلا مدخل لهذه المسألة في التقليد ، وقد أوردها بعض المتأخرين بقصد التشكيك على المدّعين للاجتهاد زاعماً أنهم لم يُخْرِجُوا عن التقليد من هذه الحيثية ، وأنت خبيرٌ بأن هذا تشكيكٌ باطلٌ نشأ من عدم الفرق بين الرواية والرأي ، ومن هاهنا يعرفُ السائلُ عافاه الله بأن الاجتهادَ متيسراً لا متعذراً ولا متعسراً والهداية بيد الله عز وجل وقد أوسمتُ هذه المسألة في مؤلفاتي بمباحث مطوّلة لا يتسع المقام لبسطها ، وأطال وأطاب الكلام في شأنها الإمام محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في كتابه العواصم من القواصم^(١) في الذبّ عن سنة أبي القاسم عليه السلام فليرجع إليه فإنه كتابٌ يُكتب بماء الأحداق في صفحات الحدود والرقاق ، وقد أوضحت ما يحتاج إليه المجتهد من العلوم في الكتاب الذي سمّيته (أدب الطلب ومنتهى الأرب)^(٢) بحسب ما ظهر لي وقوي لديّ والله أعلم [٣٨] .

قال كثر الله فوائده :

السؤال الثالث : فيما يتعلق بالفروع من الاختلاف المتباين الأطراف هل الشريعة الحكيمة قابلة لهذا التناقض وأما كالبحر يعترف كل من جهته من الماء الفائض أم لا تقبل إلا قولاً واحداً وليس لورادها إلا موردٌ ولا لروادها إلا رائدٌ ، لحديث " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر " ^(٣) فمن أين لنا العلم بالمصيب وما علامته على التقريب ، فإن أكثر الخلافات معضدة بالدليل من المخالف ، وإذا ثبت عذر المخطئ فهل يُعذر مقلده أم لا ؟ وهل حصل بين الصحابة عليهم السلام في الأحكام خلاف متناقض في غير الاجتهادات ؟ وهل رجع أحدهم إذا علم بالدليل ؟ وإذا رجع هل يكون مقلداً أو مقتدياً

(١) : (٨/٢ - وما بعدها) .

(٢) : (١٩ - ١٨١) بتحقيقي .

(٣) : تقدم تحريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص ١٣٨) .

وما حكم ما سلف من الأحكام قبل العلم بالدليل. وفي رجوع الصحابة إلى كتاب عمرو ابن حزم^(١) في دية الأصابع وترك ما قضى به عمر رضي الله عنه بارقة من ذلك. وهنا خطر في البال سؤال لاح في الخيال هل يجوز العمل بالخطوط مطلقاً أم لا سائحة متمنة لا لميسرة ولا ميمنة فيما ورد في الحديث: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين... الخ"^(٢) هل المراد سنتهم في اتباع هديه وسنته أم المراد فيما سنوه فيما لم يكن فيه نص؟ فكيف إذا تعارضت عند الناظر كحديث كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ، ما المعتمد في ذلك وما عذر عمر رضي الله عنه فيما هنالك جزاكم الله خيراً والسلام عليكم ورحمة الله، انتهى.

أقول هذا السؤال قد اشتمل على أبحاث:

الأول: سؤاله هل المصيب في الفروع واحد أم كل مجتهد مصيب. والجواب أنه قد اختلف الناس في ذلك فالجمهور قالوا بوحدة الحق وتخطئة من خالفه وأن الله سبحانه لم يشرع لعباده في كل مسألة من مسائل الشرع إلا شيئاً واحداً فمن وافقه فهو المصيب، ومن خالفه فهو المخطئ، وقال الأشعري^(٣) والباقلاني وابن سريج وأبو يوسف ومحمد إن كل مجتهد مصيب^(٤).

واختلف هؤلاء فقال ابن سريج وأبو يوسف ومحمد إنه مصيب مع الأشبه، وهو ما لو حكم الله لم يحكم إلا به فمخطئه مصيب مخالف للأشبه وربما قال بعضهم إنه يخطئ في الانتهاء لا في الابتداء. وقال الأشعري والباقلاني: بل كل مجتهد مصيب مع عدمه إلى عدم الأشبه فجعلوا حكم الله تابعاً لنظر المجتهد فكل ما اجتهد فيه فهو حكم الله في

(١): تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص ١٣٩).

(٢): تقدم تخريجه (ص ١٤٠).

(٣): انظر هذه الأقوال في مجموع فتاوى (٢٠٤/١٩) لابن تيمية، الرسالة (ص ٤٨٩)، جمع الجوامع (٣٨٩/٢).

(٤): انظر "مسألة تصويب المجتهد" أقوال العلماء وأدلتهم بتوسع "المسودة" (ص ٤٩٧، ٥٠١) تيسير التحرير (٢٠٢/٤) التبصرة (ص ٤٩٦) وما بعدها.

حقه . واختلف أيضاً أهل القول الأول أعني الفائلين [٣٩] بوحدة الحق فقال أكثرهم انه مخطئ معذور وقال الأقلون أنه مخطئ آثم ، وحجج هذه الأقوال عقلياً ونقلها مدونة في مطولات الأصول .

والحق الذي لا شبهة فيه أن المصيب من المجتهدين من وافق مراد الله عز وجل في ذلك الأمر المختلف فيه ، وأن من خالفه فهو مخطئ كما قاله الجمهور والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة جداً فمنها قوله تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ فلو كان كل واحد منهما أعني سليمان وداود مصيباً لم يكن لتخصيص سليمان معنى .

ومنها الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان^(١) وغيرهما عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر " وأخرجه أيضاً الشيخان^(١) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وفي الباب عن عتبة بن عامر كما أشار إليه الترمذي^(١) وهو بلفظ أن رسول الله ﷺ قال له في قضاء أمره به : " اجتهد فإن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة " وأخرجه أحمد في المسند ورواه الحاكم في مستدركه بلفظ : " إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإن أصاب فله عشرة أجور " ^(١) ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد . فانظر ما اشتملت عليه هذه الأحاديث الصحيحة من الحججة النيرة الدافعة لقول من قال إن كل مجتهد مصيب دفعاً لا يبقى بعده ريب لمرتاب فإن النبي ﷺ سمي من خالف الحق مخطئاً فقال : " وإن اجتهد فأخطأ فله أجر " وهؤلاء القائلون بأن كل مجتهد مصيب قالوا أنه لا يكون المجتهد مخطئاً بل هو مصيب في كل ما يقتضيه اجتهاده .

ولما كانت هذه المقالة ظاهرة البطلان خالية عن الرهان قال بعض أهل العلم في تأويلها إن لفظ مصيب قد يراد به الإصابة للشيء ، وقد يراد به كون القول صواباً في نفسه أي لثبوت [٤٠] الأجر لفاعله وإن كان مخطئاً في الواقع ، فالمصيب من الإصابة

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة رقم (١) (ص١٣٨) وفي الرسالة رقم (٢) (٢١٠-٢١١) .

يُنَافِي الخَطَأَ على كل حال ، والمصيبُ من الصواب لا ينافي الخطأ الذي ثبت عليه الأجرُ كخطأ المجتهدِ .

ولا يخفَاك أن هذا الكلامَ وإن كان صحيحاً في نفسه لكن لا يصلح لتأويل قول مَنْ قال بأن كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ فإن كلامهم لا يحتمل هذا التأويلَ لتصريحهم بأنه مصيبٌ للحق ، ولاريب أن هذا هو معنى الإصابة لا سيما عند مَنْ قال منهم إن حكمَ الله تسابعٌ لنظر المجتهدِ ، ولقد أحسن من قال إنهم شابهوا هذه المقالةَ الفِرْقَةَ التي يقال لها العُنْدِيَّةُ من فرق السُّوفِسْطَائِيَّةِ^(١) فإنهم ثلاثُ فرقٍ : عُنْدِيَّةٌ وَعِنَادِيَّةٌ وَاللَادَرِيَّةُ وَأَقْوَالُهُمْ خَارِجَةٌ عَنِ القَوَائِنِ العَقْلِيَّةِ لِأَنَّ القَائِلَ يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ أَنْتَ موجودٌ فيقول : لا ، فيقول له : فما هذا الشبْحُ الذي أراه والكلامُ الذي أسمعُه والحِسُّ الذي أدركُه ؟ فيقول : وجودي ثابتٌ عندك لا عندي وهذه هي الفِرْقَةُ العُنْدِيَّةُ وأما الفِرْقَةُ العِنَادِيَّةُ فيقول له القائل : أنت موجودٌ ويستدل على ذلك بنحو ما تقدم فيكابر ويصمّم على أنه لا وجودَ له ، وإنما ذلك خيالٌ عَرَضَ للمدعي للوجود ، فلما كان هذا عناداً قيل لهذه الفِرْقَةَ عِنَادِيَّةٌ ، وأما الفِرْقَةُ الثالِثَةُ أعني التي يقال لها اللَادَرِيَّةُ ، فإنه يقال له أنت موجودٌ فيقول لا أدري فيقال له فما هذا الشبْحُ المرئيُّ والصوتُ المسموعُ ، فيقول : لا أدري ولقد أحسن من قال من علماء المعقول إن هؤلاء لا يُنَاطَرُونَ إلا بالضرب المؤلم فإذا استغاثوا قيل لهم ألمٌ تقولوا إنه لا وجودَ لكم ؟ وهذا وإن كان فيه خروجاً [٤١] عمّا نحن بصدده ففيه أيضاً فائدةٌ اقتضاها ذلك ما قاله ذلك القائلُ .

(١) : السوفسطائية : طائفة من اليونانيين ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد تقوم فلسفتهم على إنكار حقائق الأشياء ، ويزعمون أنه ليس هاهنا ماهيات مختلفة وحقائق متميزة فضلاً عن ، اتصافها بالوجود ، بل كلها أوهام لا أصل لها . وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء وبايراد الحجج الخلابة في مختلف ، المسائل والمواقف ، اشتهر منهم بروتاغوراس ، وغورغياس .

انظر : قصة الحضارة . ول ديورانت (٢١٢/٧) .

تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم - ٥٧ .

ولا ريب أن كل واحدٍ من المصوّبة يدّعي لنفسه أنه مصيبٌ ويعترفُ لخصمه بأنه مصيبٌ فكان هذا شبيهاً بما تقوله العنديّة . ويا عجباً لقوم جعلوا مُرادَ الله عز وجل أحداً دائراً بين المُراداتِ وتابعاً لنظر المجتهدين ، والتزموا إنصافَ العينِ الواحدةِ بأنّها حلالٌ بتحليل هذا المجتهد لها وحرامٌ بتحريم هذا المجتهد لها وأن الله سبحانه شرع لعباده فيها أهماً حلالاً وأهناً حراماً ، وقد يتوقف الحكمُ من الله عز وجل بالحِلِّ أو الحُرْمَةِ على وجود مجتهدٍ يوجد في آخر الأزمنة ، وقد يرتفع ما شرعه الله من الحِلِّ أو الحُرْمَةِ بموت المجتهدِ وعدم المتابع له .

وبالجمله فهذا تلاعبٌ لا مزيدَ عليه وهذيانٌ لا يجوز نسبةٌ مثله إلى أعجز العبادِ فكيف يُنسبُ إلى أحكم الحاكمين ، وليس لهم على هذه المقالة الساقطة أنارةٌ من علم ولا ألجأهم إليها دليلٌ عقلٍ ولا نقلٌ ، بل مجردُ خيالاتٍ مُختلّةٍ ودعاوي (مضلة) ، والحاصلُ أن الأدلة الدالة على هدم هذه المقالة كثيرةٌ جداً وهي محتملةٌ لإفرادها بالتصنيف وقد كلن قرنُ الصحابة الذي هو خيرُ القرونِ بصريحٍ بتخطئة بعضهم بعضاً في غير مسألة ، ويخشى بعضهم على بعض إذا رآه قد أخطأ في اجتهاده والواقعاتُ في هذا كثيرةٌ جداً قد اشتملت عليها كتبُ الأحاديثِ والسّيرِ فارجعُ إليها فإن ذلك يغنيك عن التطويل هنا [٤٢] .

وأما ما ذكره السائلُ من قوله : فمن أين لنا العلمُ بالمصيب وما علامته .

فأقول : إن كان هذا الذي يريد أن يعرف المصيبَ مجتهداً فلم يتعبده الله بذلك بل تعبده بأن يعرف الصوابَ ، ومعرفةُ الصوابِ تحصلُ له بأن ينظرَ في أدلة الكتابِ والسنةِ نظراً يحصلُ له عنده الظنُّ القويُّ بأنه قد أحاط بما يتعلق بما ينظرُ فيه من المسائل من الأدلة الدالة عليها ، فإذا فعل ذلك جمعَ بين ما كان ظاهره التخالفَ منها جمعاً مقبولاً ، فإن تعذر الجمع رجع إلى الترجيح وقدمَ الراجحَ على المرجوح وعملَ به ، وطرقُ الجمع^(١)

(١) : انظر : تيسير التحرير (١٦١/٣) مجموع فتاوى (٢٠١/١٩-٢٦٧) (٢٢/٣٦٨) . المستصفي

والترجيح معروفة مدونة لا تلتبس على من ترشح للاجتهد والنظر في المسائل .
وهذا يُعرف الصوابُ ، ومعرفته تستلزم معرفة المصيب ولكن هذا إنما هو في ظن ذلك
المجتهد ولم يتعبده الله بزيادة على هذا ، فإن انكشف أن ذلك الذي ظنه صواباً هو
الصواب في الواقع فقد ظفر هذا المجتهد بالأجرين المذكورين في الحديث ، وإن انكشف
أنه خلاف الصواب في الواقع فقد ظفر بأجر ، وأما إذا كان الذي أراد أن يعرف المصيب
أو الصواب مقلداً فقد كلف نفسه مالا تبلغ إليه قدرته وتقصّر عن إدراكه ملكته ، ومن
أين لمن يُقرُّ على نفسه بأنه لا يتعلّق الحُجج بأنه يعرف صواباً أو إصابةً ! ولكن ينبغي أن
يعلم هذا المقلد بأن بين جنبه نفساً شريفةً وهمّةً عاليةً تُنازعه إلى مكان لا يرتقي إليه إلا
من قطع عن عنقه أطواق التقليد ، وأقبل على علوم الاجتهاد بساعد شديد وناب حديد ،
فليقبل على العلوم بكليته ، ويستفرغ فيها وسعه ، فإن بلغ إلى المترل ظفر بالثبته وفاز
بالأمل ، وإن بات [٤٣] دونه فقد أعذر وأورد في المعالي وأصدر .

البحث الثاني من مباحث السؤال الثالث :

قوله - عافاه الله - وإذا ثبت عذر المخطئ فهل يُعذر مقلده أم لا ؟

والجواب : أنه لم يرد الدليل إلا في خطأ المجتهد ، ولم يأت في تسويغ التقليد حرفة
واحد من كتاب ولا سنة ، وما يزعمه من سوغ التقليد من أنه دليل على ما زعمه فهو
خارج عن ذلك كما يعرفه من يعرف الدليل وكيف يستدل به . بل قد ثبت عن الأئمة
الأربعة رحمهم الله النهي عن تقليدهم وقد أوضحتُ هذا في مؤلّف مستقلّ سمّيته " القول
المفيد في حكم التقليد " (١) ولم أدع شيئاً مما قاله الناس في هذه المسألة إلا ذكرته ، وتعقبتُ
ما يستحق التعقيب ، وبسطُ الكلام في ذلك لا يتسع له المقام ولكنه قد يشغل ذهن
المطلع على هذا الجواب بسؤال وهو : (أن قول يقول) (٢) ليس في وسع كل أحد من

(١) : (ص ١١٧ وما بعدها) بتحقيقنا ط .

(٢) : هكذا في المخطوط ، ولعله صوابه : (وهو قول من يقول) .

العباد أن يُحيطَ بعلوم الاجتهادِ لاختلافِ الأفهامِ وتباينِ القرائحِ ، والاشتغالِ بالكسبِ على النفسِ والأهلِ وتقويمِ أمرِ المعاشِ ، ففي المنعِ من التقليدِ حرجٌ .

فأقول : لا حرجَ إن شاء الله بل على المقتصِرِ أن يسألَ الكاملَ عن النصِ الواردِ فيها يعرضُ له من كتابٍ أو سنّةٍ ويسترويهِ ما في تلكِ الحادثةٍ فيعملُ به في عباداته ومعاملاته كما كان يصنعه المقتصرون من الصحابةِ فمَن بعدهم قبل ظهورِ هذه المذاهبِ ، ومن لا يسعُهُ ما وسعَ خيرَ القرونِ ثم الذين يُلونهم ثم الذين يُلونهم فلا وسعَ الله عليه ، فإنه لم يضيقُ عنهم شيءٌ من الحقِ قط وهم المعيار الذي لا يزيغُ والقُدوة التي لا يخسرُ من إثمِ بها ومشى خلفها فاعرف هذا [٤٤] .

البحث الثالث من مباحث السؤال الثالث :

قوله عافاه الله: وهل حصل بين الصحابةِ ﷺ خلافٌ متناقضٌ في غير الإجهاداتِ إلخ .
أقول : الذي لا مسرحَ للاجتهادِ فيه هو الشاذُّ النادرُ كتنكير الحدودِ وعددِ الركعاتِ ونحوِ ذلك مما مرجعُه الروايةُ ، فإن كان السائلُ يريدُ أنه هل وقع الخلافُ بين الصحابةِ في نفس الأشياءِ المرويةِ فنعم ، قد اختلفوا في آياتٍ من كتابِ الله إنباتاً ونفيّاً واختلفوا في كثيرٍ من السنة ، وأنكر بعضهم على بعضٍ شيئاً مما يرويه ورجعوا لعدِّ الاختلافِ إلى الحقِّ ، كما في إنكارِ عمر^(١) ﷺ على فاطمة بنتِ قيس^(٢) ما روته في العدة ،

(١) : أخرج مسلم رقم (١٤٨٠/٤٦) عن أبي إسحاق قال كنتُ مع الأسودِ بنِ يزيدِ جالساً في المسجدِ الأعظمِ ، ومعنا الشعبي ، فحدث الشعبي بحديثِ فاطمة بنتِ قيسٍ أن رسولَ الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة ، ثم أخذ الأسودُ كفاً من حصي فحصبه به . فقال : ويلك ! تُحدث بمثل هذا ، قال عمر : لا ندعُ كتابَ الله وسنةَ نبينا ﷺ لقول امرأةٍ ، لا ندرى لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة ، وتلا الآية : قال الله عز وجل : ﴿ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾ [الطلاق : ١] .

(٢) : أخرج مسلم رقم (١٤٨٠/٤٤) عن الشعبي عن فاطمة بنتِ قيسٍ ﷺ عن النبي ﷺ - في المطلقة ثلاثاً -
" ليس لها سكنى ولا نفقة " .

وإنكاره^(١) على أبي موسى ما رواه في الاستئذان ، وإنكاره على عمّار ما رواه في التيمّم^(٢) ، والوقائع في هذا كثيرة جداً لا حاجة لنا في الاستكثار منها ، وإن كان يريد أنهم هل اختلفوا في شيء من مسائل الصفات فقد كان دأبهم وديدئهم وهجّيراهم ﷺ أن لا يتعرضوا لشيء من التكلف والتأويل ، بل يُمرّونها كما جاءت ويؤمنون بها كمل ووردت ، وأما إنكار بعضهم على بعض إذا خالف الرواية بالرأي فهو كثير جداً قد تضمنته كتب السير والتواريخ ، وهكذا إنكارهم على من أخطأ في رأيه ولم يُصب في استنباطه فذلك كثير جداً ، وأما ما سأل عنه عافاه الله بقوله وهل رجع أحدهم إذا علم بالدليل . فجوابه أنهم قد رجعوا كثيراً عن الرأي عند العلم بالدليل ووقع هذا لكثير منهم [٤٥] والوقائع مبسوطة في كتب الرواية بل لم يخلُ عن مثل هذا غالب أكابرهم ولا سيما الخلفاء

= وانظر ما قاله محمد بن إسماعيل الأمير في " سبل السلام " بتحقيقي (٢٨٣/٦-٢٨٥) وخلاصته :
 " أن الحق ما أفاده الحديث " . وقد أطال ابن القيم الجوزية في " زاد المعاد " (٦٧٥/٥) ناصرًا للعمل
 بحديث فاطمة بنت قيس .

(١) : أخرج البخاري رقم (٦٢٤٥) ومسلم رقم (٢١٥٣) عن بسر بن سعيد قال : سمعتُ أبا سعيد الخدري يقول : كنتُ جالساً بالمدينة في مجلس الأنصار : فأتانا أبو موسى فرعاً أو مدعوراً . قلنا : ما شأنك ؟ قال : إنَّ عمر أرسل إليَّ أن آتيه . فأتيتُ بابه فسلمتُ ثلاثاً فلم يرد عليّ . فرجعتُ فقال ما منعك أن تأتينا ؟ فقلتُ : إني أتيتُك فسلمتُ على بابك ثلاثاً فلم يردوا عليّ فرجعتُ . وقد قال رسول الله ﷺ :
 " إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له ، فليرجع " فقال عمر : أقم عليه البينة وإلا أوجعتك . فقال أبي بن كعب : لا يقوم معه إلا أصغرُ القوم . قال أبو سعيد : قلتُ : أنا أصغرُ القوم قال : فاذهب . به .

(٢) : أخرج البخاري رقم (٣٣٨) ومسلم رقم (٣٦٨/١١٢) :
 عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبيزى ، عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال : إني أجنبتُ فلم أجد ماء . فقال : لا تُصل . فقال عمارٌ : أما تذكرُ ، يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبتنا ، فلم نجد ماءً : أما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليتُ . فقال النبي ﷺ : " إنما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك " فقال عمر : اتق الله يا عمار ! قال : إن شئت لم أحدث به .

الراشدين والمقصورين للإفتاء منهم ، وقد رجع عمر^(١) لما سمع الحجة الشرعية من امرأة وقال كل الناس أعلم من عمر حتى المخدرات .

وأما قول السائل عافاه الله : وإذا رجع هل يكون مقلداً ٠٠٠ إلخ .

فأقول : قد صاهم الله عن هذه البدعة ورفع شأنهم عن الوقوع في هذه النقيصة ، فلم يسمعوا بها ولا تلوّثوا بشيء منها بل كان من رجع منهم عن رأي رآه إلى رواية سمعها عمل بها مقتدياً بالرسول ﷺ ، وقد عرفت مما ذكرناه سابقاً أن التقليد إنما هو الأخذ بالرأي لا بالرواية .

البحث الرابع من مباحث السؤال الثالث :

قوله : هل يجوز العمل بالخطوط مطلقاً أم لا ؟

والجواب : أنه قد أمر الله سبحانه بالكتابة فقال : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ، فلو كان الخط غير معمول به لم يكن للأمر بالكتابة معنى ، وقد ثبت في الصحيح^(٢) أنه قال ﷺ : " اكتبوا لأبي شاة " وذلك لما طلب أن يكتبوا له خطبة الوداع فأمرهم ﷺ بأن

(١) : قال المحدث الألباني في " الإرواء " (٣٤٧-٣٤٨) : (تنبيه) : أما ما شاع على الألسنة من اعتراض المرأة على عمر وقولها : " همت الناس أنفاً أن يغالوا في صداق النساء ، والله تعالى يقول في كتابه ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَنَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء : ٢٠] ، فقال عمر ﷺ : كل أحد أفقه من عمر ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم رجع إلى المنبر ، فقال للناس : إني كنت همتكم أن تغالوا في صداق النساء ، ألا فليفعل رجل في ماله ما بداله .

فهو ضعيف منكر يرويه مجالد عن الشعبي عن عمر . أخرجه البيهقي (٢٣٣/٧) وقال : هذا منقطع . قلت : ومع انقطاعه ضعيف من أجل مجالد وهو ابن سعيد ليس بالقوي ، ثم هو منكر المتن ، فإن الآية لا تنافي توجيه عمر إلى ترك المغالاة في مهر النساء ٠٠٠ " اهـ .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٣٤) ومسلم في صحيحه رقم (١٣٥٥/٤٤٧) . من حديث أبي هريرة .

يكتبوا له .

وثبت في الصحيح^(١) أيضاً أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو : " اكتب " لما استأذنه في كتابة الحديث بل قد هوى القرآن عن أبي الكاتب أن يكتب فقال : ((ولا ياب كاتب.. الآية))^(٢) . وقد كان النبي ﷺ يبعث بكتبه إلى الملوك^(٣) في الأقطار النائية ثم يرتب على ذلك غزوهم وسفك دمائهم وسلب أموالهم وسبي ذراريهم وهذا دليل على أن الحجة قد لزمتهم ببلوغ تلك الكتب ، فلو كان الخط غير معمول به لم يرتب على الكتابة مثل هذه الأمور العظيمة ، ومع هذا فإنهم لا يعرفون [٤٦] خطوط تلك الكتب ولا يفهمون ما فيها إلا بعد أن تُترجم لهم ، ومن ذلك أمره ﷺ بكتب المصالحة بينه وبين قريش^(٤) يوم الحديبية ، ومنها ما كان يأمر بكتبه من كتب الأمانات وكتب الإقطاعات وكتب عقد الذمة وكتب المصالحة لسائر من صالحهم من القبائل ومنها كتاب عمرو بن حزم^(٥) الذي كتبه إليه النبي ﷺ فأخذ به الصحابة واعتمدوا عليه ، وقد روي مسنداً ومُرسلًا، فمن رواه مسنداً أحمد والنسائي وأبو داود في كتاب المراسيل ، وعبد الله بن عبد

(١) : أخرجه أحمد (١٦٢/٢ ، ١٩٢) وأبو داود رقم (٣٦٤٦) والدارمي (١٢٥/١) والحاكم (١٠٥/١) - (١٠٦) وقال عقبه : " رواة هذا الحديث قد احتجوا بهم عن آخرهم غير الوليد هذا ، وأظنه (الوليد بن أبي الوليد الشامي) فإنه (الوليد بن عبد الله) وقد غلبت على أبيه الكنية . فإن كان كذلك فقد احتج به مسلم " ووافقه الذهبي .

وعقب الألباني في " الصحيحة " (٤٦/٤) على كلام الحاكم قائلاً : " كذا قال ، وإنما هو الوليد ابن عبد الله بن أبي مغيث مولى بني الدار حجازي وهو ثقة كما قال ابن معين وابن حبان " وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٩٦) .

(٢) : [البقرة : ٢٨٢] .

(٣) : منها ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٢٤) باب رقم (٨٣/٨٢) كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقصر .

(٤) : انظر السيرة النبوية (٤٤٠/٣) .

(٥) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٣٩) .

الرحمن الدارميُّ وأبو يعلى الموصليُّ ويعقوبُ بنُ سفيانَ في مسانيدهم ، ورواه الحسنُ بنُ سفيانَ النسوي وعثمانُ بنُ سعيدِ الدارميُّ وعبدُ الله بنُ عبدِ العزيزِ البغوي وأبو زُرْعَةَ الدِمَشْقِيَّ وأحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ الجبَّارِ الصوفيُّ وحامدُ بنُ محمدِ بنِ سَعِيدِ البُلْخِيَّ والحافظُ الطبراني وأبو حاتمِ بنُ جِبَانَ في صحيحه وجماعةٌ .

وأما المرسلُ فرواه النَّسَائِيُّ وأبو داودَ والشافعيُّ وعثمانُ بنُ سعيدِ الدارميُّ وغيرُهُم ، ولو لم يكن الخطُّ معمولاً به لم يأخذ الصحابةُ كثيراً من الأحكام الشرعية من هذا الكتابِ وكذلك أخذ به مَنْ بعدهم وصار ما فيه من التكليف العامة لجميع الأمة ، ومن ذلك ما ثبت في الصحيح^(١) من قوله ﷺ : " ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يريد أن يوصي فيه يبيتُ ليلتين إلاَّ ووصيتهُ مكتوبةٌ عنده " وقد اتفق عليه الشيخان^(٢) من حديث ابنِ عمرَ ، فلولا أن الخطُّ معمولٌ به لم يكن للأمر بكتابة الوصية معنىً ، ومن ذلك أمره ﷺ بكتابة القرآن .

ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه أمر بكتاب يُكتب ويختَمه^(٣) ، وأمر سريةً تذهب إلى حيث عينه لهم وأهم لا يقرأون الكتابَ إلاَّ في ذلك الموضع وأهم يعملون بما فيه ، ومنها [٤٧] قول^(٤) عليٍّ ؓ " وقد سئل هل خصصكم رسول الله ﷺ بشيء فقلل : " لا إلاَّ ما في هذه الصحيفة " وفيها أحكامٌ شرعيةٌ .

ومن ذلك عمله ﷺ بما جاء من عماله من الكتب ، ومنه إجماعُ الصحابةِ على العمل

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٣٨) ومسلم رقم (١٦٢٧) من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) : انظر التعليقة السابقة .

(٣) : أخرج البخاري رقم (٦٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٩٢) من حديث أنس بن مالك قال : كتب النبي ﷺ كتاباً أو أراد أن يكتب فقلل له : إهم لا يقرأون كتاباً إلا محتوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة نقشه : محمد رسول الله ، كأنني أنظر إلى بياضه في يده ، فقلت لقتادة : من قال : نقشه محمد رسول الله ؟ قلل : أنس .

(٤) : تم تخرجه في رسالة " هل خص النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم " رقم (٢١) .

بالخط كما رواه أبو الحسين البصري في المعتمد وكذلك رواه الدارمي والحافظان يعقوب بن سفيان وإسماعيل بن كثير ، ورواه الإمام المنصور عبد الله بن حمزة كما نقله عنهم العلامة محمد بن إبراهيم الوزير في تنقيح الأنظار^(١) واستدل على ذلك الرازي في الحصول بإجماع الصحابة وبالعقل فقال : " وأما المعقول فلأن الظن هاهنا حاصل والعمل بالظن واجب " انتهى .

ومن ذلك الإجماع الفعلي في جميع الأعصار والأمصا في اعتبارهم بالخطوط الكائنة بين الناس في معاملاتهم وخطوط الأمرء والقضاة ، ومن ذلك عمل السلف والخلف بالوجادة التي صرح العلماء بقبولها ، وقد صرح ابن رسلان في " شرح سنن أبي داود " أن القاضي عياضاً حكى ذلك عن أكثر الصحابة والتابعين قال ثم أجمع عليها المسلمون وزال الخلاف . ثم قال وقد اختلف الناس في الجواب على حديث أبي سعيد أعني الذي رواه مسلم^(٢) من حديثه أن النبي ﷺ قال : " لا تكتبوا شيئاً إلا القرآن " ف قيل إن النهي منسوخ بأحاديث الإذن ، وكان النهي في أول الأمر لخوف اختلاطه بالقرآن ، فلما أمن ذلك أذن فيه ، وجمع بعضهم بأن النهي في حق من وثق بحفظه ، والإذن في حق من لم يثق كأبي شاة ، وحمل بعضهم النهي على كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فرمما كتبوه معه فنهوا عن ذلك لئلا يختلط به فيشتبه على القارئ^(٣) انتهى .

وعلى كل حال فهذا النهي ورد في كتابة الحديث في ابتداء الأمر ولم يرد في كل كتابة وسؤال السائل هو عن العمل بالخط مطلقاً . ومن ذلك ما أخرجه أبو داود أنه دخل زيد

(١) : (ص ٢٤٦) بتحقيقي .

(٢) : في صحيحه رقم (٣٠٠٤/٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : " لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني ولا حرج . ومن كذب علي - قال هام أحسبه قال : متعمداً فليتوأ مقعده من النار " .

(٣) : كلام محمد بن إبراهيم الوزير في كتاب " تنقيح الأنظار " (ص ٢٤٨) بتحقيقي .

ابن ثابتٍ على معاوية فسأله عن حديث فأمر إنساناً بكتبه فقال له زيدٌ بن ثابتٍ : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه ، وهذه المسألة محتملة للتطويل وقد أفردتها بمصنفٍ مستقل^(١) ، وفي هذا المقدار كفاية^[٤٨] .

البحث الخامس من مباحث السؤال الثالث :

قوله : فيما ورد في الحديث عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين ١٠٠٠ الخ^(٢) .
والجواب : أن أهل العلم قد أطالوا الكلام في هذا وأخذوا في تأويله بوجوه أكثرها متعسفة ، والذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو العمل بما يدل عليه هذا التركيب بحسب ما يقتضيه لغة العرب فالسنة هي الطريقة فكأنه قال : الزموا طريقي وطريقة الخلفاء الراشدين وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته ﷺ فإنهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء وعلى كل حال ، وكانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها ، وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عملوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر . وهذا الرأي عند عدم الدليل هو أيضاً من سنته لما دل عليه حديث معاذ لما قال له رسول الله ﷺ : " بم تقضي ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي . قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسولنا ، أو كما قال " ^(٣) وهذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم بما هو معروف ، فالحق أنه من قسم الحسن لغيره وهو معمول به ، وقد أوضحت هذا في بحث مستقل . فإن قلت إذا كان ما عملوا فيه بالرأي هو من سنته لم يبق لقوله وسنة الخلفاء الراشدين ثمرة . قلت ثمرة أن من الناس من لم يدرك زمنه ﷺ وأدرك زمن الخلفاء الراشدين أو أدرك زمنه وزمن الخلفاء ، ولكنه

(١) : رسالة بعنوان " بحث في العمل بالخط ومعاني الحروف العلمية النقطية " وهي ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

(٢) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص ١٤٠) .

(٣) : سيأتي تخريج هذا الحديث في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني . وهو حديث منكر .

حدث أمرٌ لم يحدث في زمنه ففعله الخلفاء ، فأشار بهذا الإرشاد إلى سنة الخلفاء إلى دفع ما عساه يتردد في بعض النفوس من الشك ويختلج فيها من الظنون ، وأقلُّ فوائد الحديث أن ما يصدر عنهم من الرأي وإن كان من سنته كما تقدم ولكنه أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل .

وبالجُملة فكثيراً ما كان ﷺ ينسب الفعل أو الترك إليه وإلى أصحابه في حياته مع أنه لا فائدة لنسبته إلى غيره مع نسبته إليه ، لأنه محلُّ القدوة ومكانُ الأسوة ، فهذا ما ظهر لي في تفسير هذا الحديث ولم أقف في تحريره على ما يوافق من كلام أهل العلم فإن كان صواباً [٤٩] فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم .

البحث السادس من مباحث السؤال الثالث :

قوله : فكيف إذا تعارضت عند الناظر كحديث كان الطلاق^(١) على عهد رسول الله ﷺ ... الخ .

والجواب : أن هذه المسألة طويلةُ الذبول كثيرةُ النقول واسعةُ الأطراف رحبة الأكناف وقد أفردتها جماعة بالتصنيف آخرهم رقم هذه الأحرف غفر الله له ولا بد من الإشارة إلى ما هو الحقُّ بأخصر عبارة فاعلم أنه قد احتج القائلون بأن الطلاق الثلاث يكون ثلاثاً دفعةً واحدة ، وهم جمهورُ التابعين وكثيرٌ من الصحابة وأئمة المذاهب الأربعة ، وطائفةٌ من أهل البيت لقوله تعالى : ﴿ أَلْطَّلِقُ مَرَّتَانِ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ ﴾^(٢) وظاهرها جواز إرسال الثلاث أو الاثنتين دفعةً أو مفرقةً ، ويجاب عنه بأنه لا دليل في الآية على ما زعموه من وقوع الثلاث دفعةً فلم يكن في الآية إلا المرتان ، وأما التسريحُ فهو إما يكون بعد إيقاع الطلقتين وهو أمرٌ غيرُ الطلقتين وقد قيل إن الآية حجةٌ عليهم لا لهم ، وإنما تدل على المنع من إيقاع الثلاث دفعةً وهو أظهرٌ وأوضحٌ وعندني أن

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : [البقرة : ٢٣٠] .

هذه الآية مطلقةٌ مقيّدةٌ بالسنة الصحيحة الصريحة لما في الآية من اجتماع الجمع للطلقتين والتفريق لهما ، وأما الثالثة فلا ذكر لها باعتبار مايزعمونه من انضمامها إلى الاثنتين لا باعتبار صحة إرسالها منفردةً ووقوع التسريح بها فقد استدلوا بأدلة قرآنية وهي أبعدُ من هذه الآية التي ذكروها بمراحل فيما قصده كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ ^(٢) ونحو ذلك ، وغاية ما في هذه الآيات الإطلاق ولا تقوم به حجة بعد تقييده بما سيأتي واستدلوا بأحاديثٍ أقربها إلى الدلالة على ما قصده حديثُ الذي طلق امرأته ألفت تطلقه فقال ﷺ : " بانك منك بثلاث على غير السنة " ^(٣) وعارضه بأن في إسناده يحيى بن العلاء ^(٤) وهو ضعيفٌ وعبيد الله بن الوليد ^(٥) وهو هالكٌ ، وإبراهيم بن

(١) : البقرة : ٢٣٠ .

(٢) : البقرة : ٢٢٧ .

(٣) : أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١٣٣٩) والدارقطني (٢٠/٤ رقم ٥٣) وقال الدارقطني رواه مجهولون وضعفاء ، إلا شيخنا وابن عبد الباقي .

وقال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٢٤٠/٥) : " خير في غاية السقوط لأن في طريقه يحيى بن العلاء ، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن إبراهيم بن عبيد الله ضعيف عن هالك عن مجهول ، ثم الذي يدل على كذبه وبطلانه أنه لم يعرف في شيء من الآثار صحيحها ولا سقيمها ولا متصلها ولا منقطعها ، أن والد عبادة بن الصامت أدرك الإسلام فكيف بجده ، فهذا محال بلا شك وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً .

(٤) : يحيى بن العلاء البجليُّ أبو سلمة ، ويقال أبو عمرو الرّازي .

قال أحمد بن حنبل : كذاب يضع الحديث ، وقال أبو زرعة : في حديثه ضعف وقال أبو حاتم : عن ابن معين : ليس بشيء .

انظر : تهذيب التهذيب (٣٨٠/٤) .

(٥) : عبيد الله بن الوليد الوصّافي ، أبو إسماعيل الكوفي .

قال البخاريُّ : هو من ولد الوصّاف بن عامر العجلي .

عبيد الله وهو مجهولٌ فأَيُّ حجةٍ في روايةٍ ضعيفٍ عن هالكٍ عن مجهولٍ؟
واستدلوا بما وقع في حديث رُكَّانَةَ^(١) أنه طلق امرأته البتة فقال ما أردتُ إلا واحدةً
فاستحلفه ﷺ وردّها إليه . رواه الشافعيُّ وأبو داودَ والترمذيُّ وصححه ابنُ حبانَ
والحاكمُ ويُجاب عنه بأنَّ عامَّةَ ما فيه أنه يُقبل قولُ الزوج في تفسير البتة مع يمينه وعلى
كل حال فالحديثُ في إسناده اضطرابٌ كما قال البخاريُّ^(٢) وفيه أيضاً الزبيرُ بنُ سعيدٍ
الهاشميُّ^(٣) وقد ضَعَفَهُ غيرُ واحدٍ ، وقيل إنه متروكٌ وقد روى أحدهم أنه طلقها ثلاثاً
فجُزِيَ عليها وروى ابنُ إسحاقَ أنه قال يا رسولَ الله إني طلقْتُها ثلاثاً فقال قد علمتُ^(٤)
أرجعُها ثم تلا : ﴿ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ... الْآيَةَ ﴾^(٥) أخرجه أبو داودَ [٥٠] وأحمدُ
والحاكمُ من حديث ابنِ عباسٍ فكيف تقوم الحجةُ بمحتملٍ مضطربٍ متناقضٍ في إسناده
متروكٌ؟ وهذا غايةُ ما جاءوا به من الأدلة التي تحتاج إلى دفعٍ وبيان ، وأما سائرُ ما
استدلوا به فبطلانُ دلالته على المطلوب غنيَّةٌ عن البيان غيرُ محتاجةٍ إلى إيضاح .
واعلم أنه قد ذهب إلى القول بأنَّ الثلاثَ الواقعةَ دفعةً واحدةً فقط ولا يقع منها فوق
الواحدة جماعةً من الصحابة منهم عليُّ وابنُ مسعودٍ وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ والزبيرُ كما

= قال ابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : ضعيف الحديث .

قال العقيلي : في حديثه مناكير لا يتابع عن كثير من حديثه .

انظر : تهذيب التهذيب (٣/٣٠) .

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) وهو حديث ضعيف .

(٢) : انظر : فتح الباري (٩/٣٦٢-٣٦٧) .

(٣) : هو الزبير بن سعيد بن سليمان بن سعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، الهاشمي ، أبو

القاسم ، ويقال : أبو هاشم ، المدنيُّ : نزل المدائن .

قال ابن المديني : ضعيف . وقال العجلي : روى حديثاً منكراً في الطلاق .

انظر : تهذيب التهذيب (١/٦٢٤) .

(٤) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) وهو حديث حسن .

(٥) : [الطلاق : ١] .

حكاه ابن مُغيث في كتاب الوثائق^(١) ، وحكاه في البحر^(٢) عن أبي موسى وابن عباس وحكاه ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاووس وعمر بن دينار وحكاه عنهم أيضاً صاحب البحر^(٣) ونقله ابن مغيث عن جماعة من مشايخ قُرطبة كمحمد بن بُقيّ ومحمد بن عبد السلام وغيرهما ، ونقله في البحر^(٤) عن القاسم بن إبراهيم والمهادي يحيى ابن القاسم والباقر والناصر وأحمد بن عيسى وعبد الله بن موسى بن عبد الله ، ورواية عن زيد بن عليّ ، وإليه ذهب ابن تيمية^(٥) وابن القيم^(٦) وجماعة من المحققين واستدل هؤلاء بأدلة منها ما ثبت في صحيح مسلم^(٧) ومُسند أحمد وغيرهما عن ابن عباس أنه قال : " كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ وستين من خلافة عمرَ طلاقُ الثلاثِ واحدةٌ فقال عمرُ : إن الناسَ قد استعجلوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناه عليهم " ^(٨) فقد اعترف عمرُ ﷺ ها هنا أن السنةَ الثابتةَ عن النبي ﷺ أن الثلاثَ واحدةٌ واعترف أنه لم يرجع فيما وقع منه من الإمضاء إلى شيء غير مجرد ما استحسنته وقوي في رأيه من إمضاء ذلك عليهم ، وكلُّ من له علمٌ يعترف بأنه لا حجةَ في (قول) ^(٩) أحدٍ لاسيما إذا خالف المرويَّ عن رسول الله ﷺ ، وهذا هو الحقُّ الذي لا تفریطَ به ولا خلافَ فيه ، وقد أجاب القائلون بوقوع الثلاث^(١٠) عن حديث ابن عباس هذا بأجوبة متكلفَةٍ متعسفةٍ قد أوضحتُ بطلانها في ذلك المؤلفِ الذي أشرتُ إليه وسُقتُ فيه من

(١) : ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٦٣/٩) .

(٢) : (١٧٤/٣-١٧٥) .

(٣) : انظر : مجموع فتاوى (٨٢/٣٣-٩٠) .

(٤) : في زاد المعاد (٢٣٤/٥) .

(٥) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) . وهو حديث صحيح .

(٦) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٧) : زيادة اقتضاها التركيب .

(٨) : تقدم ذكر ذلك في الرسالة السابقة رقم (١) .

الأدلة الدالة على ما ذهب إليه القائلون بأن الثلاثَ واحدةٌ مالا يحتاج الناظرُ فيه إلى زيادة عليه ، وقد ذهب قومٌ إلى أنه لا يقع من الثلاثِ المُرسلة دفعةً شيئاً ، لا واحدةً ولا أكبرَ منها وتمسكوا بما ورد من المنع من وقوع الطلاقِ المخالفِ للسنة كما في حديث ابنِ عمرَ الثابتِ في الصحيح^(١) الحاكي لطلاقه لزوجته ، وأن النبي ﷺ أنكر عليه ذلك ، وثبت في بعض الروايات أنه لم يرَها شيئاً . ومن القائلين بهذا بعضُ التابعين وبعضُ أهل الظاهرِ وبعضُ الإمامية وابنُ عُلَيَّةَ وهشامُ بنُ الحكمِ وأبو عُبَيْدَةَ ، وهذا^(٢) أيضاً عن عدم وقوع الطلاقِ البِدْعِيِّ بَحْثُ طالت فيه الأقوالُ واضطربت فيه آراءُ الرجال ، وقد أفردته جماعةٌ بالتصنيف ، ومن آخر من أفردته بالتصنيف أيضاً راقمُ الأحرفِ غفر الله له^(٣) .

وإلى هنا انتهى جوابُ السائلِ كثرَ اللهُ فوائده في شهرِ شوالِ سنة ١٢٢٢ هـ بقلمِ المُجيبِ محمدِ الشوكانيّ غفر الله له .

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : لعل الأصل وهناك .

(٣) : بعنوان : " بحث في الطلاق الثلاث مجتمعة هل يقع أم لا ؟ " وقد حصلت على جزء من المخطوط من " الهند " ولم أجد لها كاملة .

التحرف
في
الإرشاد إلى مذهب السلف^(١)

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقيقته وعلقت عليه وخرّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

(١) : عنوان الرسالة في (ب) : (التحف في مذاهب السلف) .

وصف المخطوط (أ)

- ١- عنوان الرسالة : " التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف " .
- ٢- موضوع الرسالة : في توحيد الله سبحانه .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وآله الكرام . ورضي الله عن صحبه الأعلام .
وبعد : فإنه وصل سؤالاً من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه :
- ٤- آخر الرسالة : وفي هذه الجملة - وإن كانت قليلة - ما يغني من شحّ بدينه ، وتحصر عليه من تطويل المقال ، وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروع وأصوله ، والمهدي من هداه الله ، ..
- ٥- نوع الخط : خط نسخي معتاد .
- ٦- عدد الأوراق : (٧) ورقات .
- ٧- عدد الأسطر في الصفحة : ٢٦-٢٧ سطرًا .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١٠-١٢ كلمة .
- ٩- النسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .
- ١٠- تاريخ النسخ : ١٢٢٨هـ .

وفيه ذكر المشايخ والفقهاء على الله تعالى والحمد لله رب العالمين
 في سنة ١٠١٥ هـ الموافق ١٦٠٦ م في شهر ربيع الثاني
 في مدينة القاهرة بمصر
 في سنة ١٠١٥ هـ الموافق ١٦٠٦ م في شهر ربيع الثاني
 في مدينة القاهرة بمصر



[صورة الوثيقة]

[الأجزاء من المخطوط]

(٢)

وصف المخطوط (ب)

- ١- عنوان الرسالة : " التحف في مذاهب السلف " .
- ٢- موضوع الرسالة : في توحيد الله سبحانه .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وآله الكرام ، ورضي الله عن صحبه الأعلام .
وبعد : فإنه وصل سؤالاً من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه ...
- ٤- آخر الرسالة : وفي هذه الجملة ، وإن كانت قليلة - ما يغني من شحّ بدينه ، وتحرص عليه عن تطويل المقال ، وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله ، والمهدي من هداه والله أعلم
- ٥- نوع الخط : خط نسخي جيد .
- ٦- عدد الأوراق : (٥) ورقات .
- ٧- عدد الأسطر في الصفحة : ٢٩ سطرأ .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١٢ - ١٣ كلمة .
- ٩- تاريخ النسخ : ١٨ شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٥هـ .

التحفة في معرفة السلف

السلامة

محمد بن علي الشوكلي

سورة التوبة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
 الذين وعظما المحمديين وجاهنا المومنين من بيت النفاذ واحبارنا الذين
 بحالكتنا العظم واعصمت منها سنة الهادي الى مرادنا سعيهم على اقرارنا باوارها
 واجراؤنا على الظاهر غير تكليف ولا تمثيل ولا تاويل ولا تعطيل عسى الله
 وسيدنا بالكتبة الميعة واتباع ما تلف الصالحين او هدى مد هب الحسنيين
 فاجمع من ازل الصفات ودمها وصفاته به نفسه ووصفه به نبشده وتأييده
 بالنصوص وانفق عليه الخصوص من ان الله سبحانه في سماه مستوعب على غيره
 من خلقه وعله في كل مكان واليه ليل اليت الا توى والصعود والتفج ووجهه
 المنعم من في السما ومن السند حدث البخاريه والنزول وعمران بن حصين وقوله
 على به عليه والى علم الانا منوي وانا امين من في السماء
 والاحاديث المتكاثرة واقل الايات وجعل الاوتوى
 وهكذا جعل التاويل على مطردة في سائر النصوص الصفة
 العقل صفة في الجهل والشبهات واذا قيل للذين اتهم
 لكن لم يكن الا اوجوا فرقى المضلين فهل هدى جوار الحسنيين والرسولين
 واسئل المتكلمين ام احتار على السنين اهيد وثانا الجوا صفة جوار الشوايب
 نوم تاني كل نفس مجاول عز نفسها فان هدى المقام طاب فيه النزاع وجازيت
 فيد الافهام وزلت الاقدام وكل من يدعى الصواب من عرف الجوار ابينوا

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط (ب) مع العنوان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلامُ على خير الأنام ، وآله الكرام ورضي الله عن صحبه الأعلام .

وبعدُ : فإنه وصلَّ سؤالٌ من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام ، وهذا لفظه : -
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الحمدُ لله رب العالمين ، ما يقولُ فقهاءُ الدين ، وعلماءُ المحدثين ، وجماعةُ الموحِّدين ، في آياتِ الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها الكتابُ العظيم ، وأفصحت عنها سنَّةُ الهادي إلى صراطِ مستقيم ؟
هل إقرارها ، وإمرارها^(١) ، وإجراؤها على الظاهر بغير تكيف^(٢) ، ولا تمثيل^(٣) ، ولا تأويل^(٤) ، ولا تعطيل^(٥) عقيدةُ الموحِّدين وتصديقُ بالكتاب المبين ، واتباعُ بالسلفِ الصالحين ؟ أو هذا مذهبُ الجسِّمين ؟ .

وما حكم من أوَّل الصفاتِ ، ونفى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به بنيُه ، وتأييد

-
- (١) : قال المحافظ ابن عبد البر كما في مختصر العلو (ص٣٩) : " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز . إلا أنهم لم يكيفوا شيئاً من ذلك " .
وقال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد : عن الأحاديث التي في الصفات ؟ فكلهم قالوا لي : أمرؤها كما جاء بلا تفسير . وفي رواية : بلا كيف .
انظر : الفتوى الحموية (ص١٠٩) ، مختصر العلو للذهبي (ص٣٨) للألباني .
- (٢) : التكيف : تحديد وتعيين كنه الصفة وحقيقتها ، بمعنى أن يجعل لها كيفية معلومة ، وليس المراد بنفسي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات بل المعنى معلوم من لغة العرب . وهذا هو مذهب السلف ، كما قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم والكيف مجهول ...
- (٣) : التمثيل : هو تشبيه الله بخلقه في الصفات الذاتية أو الفعلية .
- (٤) : التأويل : هو صرف الصفة عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي .
- (٥) : التعطيل : نفي الصفات الإلهية عن الله ، وإنكار قيامها بذاته ، أو إنكار بعضها .
وانظر : " الكواشف الجليلة شرح العقيدة الواسطية " للشيخ عبد العزيز بن سلمان (ص٥٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسن (ص٦٤-٦٨) .

بالنصوص ، واتفق عليه الخصوص ، من أن الله - سبحانه - في (١) سمائه ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ ، بائن (٢) من خلقه ، وعلمه في كل مكان ؟ والدليل : آيات الاستواء (٣) ، والصعود (٤) ، والرفع (٥) ،

(١) : (في) : بمعنى (على) . كما قال تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ وَلَاصَلْبَيْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] أي : على جذوع النخل .

(٢) : أي : منفصل من خلقه .

انظر : " الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة " ص ٥٥-٥٧ .

(٣) : (منها) :

(١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

(٢) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ... ﴾ [يونس : ٣] .

(٣) ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِعِزِّ عَمَدٍ تَرْوَاهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد : ٢] .

(٤) ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] .

(٥) ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

(٦) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ... ﴾ [الحديد : ٤] .
(٤) : ومن آيات الصعود :

(١) قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

(٢) ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥] .

(٣) ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(٥) : من آيات الرفع :

(١) قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(٢) : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾^(١) .

ومن السنة : حديثُ الجارية^(٢) ، والتزول^(٣) ، وعمران بن حصين^(٤) ، وقوله

(١) : [الملك : ١٦] .

قال ابن الجوزي في " زاد المسير " (٣٢٢/٨) : وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي : (أأمنتم) بمزتين ﴿من في السماء﴾ قال ابن عباس : أمنتم عذاب من في السماء وهو الله عز وجل ؟؟ اهـ .

(٢) : يشير إلى حديث معاوية بن الحكم السلمي ، قال : وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم . أسف كما يأسفون . لكنني صككتها صكة . فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ . قلت : يا رسول الله ! أفلا أعتقها ؟ قال : " اتني بها " فأتيته بها . فقال لها : " أين الله " قالت : في السماء . قال : " من أنا ؟ " قالت : أنت رسول الله . قال : " أعتقها . فإنها مؤمنة " .

● أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٥٣٧/٣٣) . وأحمد (٤٤٧/٥ - ٤٤٨ - ٤٤٩) والطيالسي في المسند (ص ١٥٠ رقم ١١٠٥) .

واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (٣/٣٩١ - ٣٩٢ رقم ٦٥٢) وابن أبي عاصم في " كتاب السنة " (١/٢١٥ رقم ٤٨٩) والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٤٢١ - ٤٢٢ . وابن خزيمة في " كتاب التوحيد " ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) : يشير إلى حديث أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : " يتزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له " .

● أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٤٥) ومسلم رقم (٧٥٨/١٦٨) ، وأبو داود رقم (٤٧٣٣) والترمذي رقم (٤٤٦) وابن ماجه رقم (١٣٦٦) وأحمد (٢/٢٦٤) . وابن خزيمة في " كتاب التوحيد " ص ١٣٠ . وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٤٩٢ و ٤٩٣) واللالكائي في " شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة " رقم (٧٤٢ - ٧٤٥) . والطيالسي في المسند (ص ٣٢٨ رقم ٢٥١٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٣) .

(٤) : يشير إلى الحديث أخرجه الترمذي (٥/٥١٩ رقم ٣٤٨٣) .

عن عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ لأبي : " يا حصينُ كم تعبد اليوم إلها ؟ " =

- ﷺ - ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ا" (١) .

وغير ذلك من الآيات المتواترة ، والأحاديث المتكاثرة (٢) .

وأول الآيات ، وجعل الاستواء استيلاءً (٣) ،

= قال أبي : سبعة ، ستاً في الأرض ، وواحد في السماء . قال : " فأيهم تُعدُّ لرغبتك ورهبتك ؟ " قال : الذي في السماء . قال : " يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتُك كلمتين تنفعانك " قال : فلما أسلم حصين قال : يا رسول الله ، علّمني الكلمتين اللتين وعدتني ، فقال : " قل : اللهم أهمني رشدي ، وأعذني من شرّ نفسي " .

● قال الترمذي : هذا حديث غريب وقد روى هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه . وأورده الذهبي في " العلو للعلي الغفار " ص ٢٤ وقال شيبب ضعيف . وقال الألباني : حديث ضعيف .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥١) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤) وأحمد (٤/٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) : كذا في المخطوط وصوابه الآيات المتكاثرة ، والأحاديث المتواترة .

(٣) : قال ابن تيمية في " الأسماء والصفات " (١١١/٢) أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى ، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه . وقالوا : إنه ليست مصنوع لا يعرف في اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته . فكيف يبيت من الشعر لا يعرف إسناده؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة ، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه " الإفصاح " قال : سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغتها .

٢- أنه روي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله تعالى لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال فامتنع أن يكون بمعنى استولى . وقالوا : لا يكون استوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعاً مغالباً ، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل استولى . والله لم ينازعه أحد في العرش .

٣- أن معنى هذه الكلمة مشهور ، ولهذا لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك عن قوله : =

وأوّل التّروّل بالرحمة^(١) ، وهكذا جعل التّأويلَ علّةً مطرّدةً في سائر نصوص الصفات ،

= ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٣٥﴾ قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا يريد أن : الاستواء معلوم في اللغة دون الآية - لأن السؤال عن الاستواء في الآية كما يستوي الناس .

٤- أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين فإنه لم يفسره أحد من الكتب الصحيحة عنهم . بل أول من قال ذلك : بعض الجهمية والمعتزلة .

٥- الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك ، هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش ، وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿المؤمنون : ٨٦﴾ . وكما في دعاء الكرب ، فلو كان استوى بمعنى استولى - كما هو عام في الموجودات كلها لجاز مع إضافته إلى العرش أن يقال : استوى على السماء ، وعلى الهواء ، والبحار والأرض ، وعليها ودونها ونحوها ، إذ هو مستوى على العرش . فلما اتفق المسلمون على أنه يقال : استوى على العرش ولا يقال : استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء ، علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء .

وانظر " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " اللالكائي (٣/٣٩٩) و" العلو " للذهبي ص ١٣٣ والأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٥-٤١٥ .

(١) : قال ابن تيمية في " شرح حديث التّروّل " (ص ١٤٤-١٤٨) : وإن تأول ذلك بتروّل رحمته أو غير ذلك . قيل له : الرحمة التي تثبتها : إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها ، وإما أن تكون صفة قائمة في غيرها .

- فإن كانت عيناً وقد نزلت إلى السماء الدنيا : لم يمكن أن نقول : من يدعوني فأستجب له ، كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك .

- وإن كانت صفة من الصفات : فهي لا تقوم بنفسها بل : لا بد لها من محل ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها ، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا فأبي منفعة لنا في ذلك ؟ .

وإن قال : بل الرحمة ما ينزله على قلوب قوأم الليل في تلك الساعة من حلابة المناجاة والعبادة وطيب الدعاء والمعرفة ، وما يحصل في القلوب من مزيد المعرفة بالله والإيمان به . وذكره تحلية لقلوب أوليائه ، فإن هذا أمر معروف يعرفه قوأم الليل =

وغاص في ظلام العقل ، بسبِّحه في الجهل والشبهات .

وإذا قيل له : أين الله ؟ أجاب بأنه لا يقال : أين الله ؟ الله لم يكن له مكان كما هو

جواب فريق المضلين .

فهل هذا جواب الجهميين^(١) والمريسيين^(٢) ، وأضلاء المتكلمين ، أم اختيار

علماء السنين ؟!

أفيدونا بجواب رجاء الثواب ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾^(٣)

= قيل له : حصول هذا في القلوب حق ، ولكن هذا يتزل إلى الأرض إلى قلوب عباده ، لا يتزل إلى السماء الدنيا ، ولا يصعد بعد نزوله ، وهذا الذي يوجد في القلوب يبقى بعد طلوع الفجر ، لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب هي من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى .

كما وصف نفسه بالتزول عشية عرفة ، في عدة أحاديث صحيحة ، وبعضها في " صحيح مسلم "

رقم (١٣٤٨) ورقم (٣٠١٤) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : " ما من يوم أكثر من

أن يُعْتَقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَدْنُو ثُمَّ يباهي بهم الملائكة فيقول : ما

أراد هؤلاء " .

(١) : الجهمية : نسبة إلى جهم بن صفوان الضال المبتدع ، تلميذ الجعد بن درهم أول من صدر عنه القول بخلق القرآن .

وهو الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز . انظر : الفرق بين الفرق (ص ٢١١) .

(٢) : المريسيون : نسبة إلى بشر المريسي ، وهو رأس من رؤوس القائلين بخلق القرآن .

وقال الذهبي في الميزان (٣٢٢/١) : عن بشر هذا : مبتدع ضال ، لا ينبغي أن يُروى عنه ، ولا كرامة ولم يدرك الجهم بن صفوان ، إنما أخذ مقالته ، واحتج لها ، ودعا إليها وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كان والد بشر المريسي يهودياً قصاباً صباعاً في سوقة نصر بن مالك وقال قتيبة بن سعيد : بشر المريسي كافر . ا هـ .

(٣) : [النحل : ١١١] .

فإن هذا المقام طال فيه النزاع ، وحاتر فيه الأفهام ، وزلت الأقدام ، وكل يدعي الصواب بزُحرف الجواب ، فأبينوا المدعى بالدليل ، وبيّنوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ، ضاعف الله لكم الأجور ، ووقاكم الشرور ، آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهى .

وأقول : اعلم أن [أ] الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيوله ، وتشعبت أطرافه ، وتباينت فيه المذاهب ، وتفاوتت فيه الطرائق ، وتخالفت فيه النحل .

وسبب هذا : عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقوا فرقاً ، وتشعبوا شعباً ، وصاروا أحزاباً ، وكانوا في البداية ، ومحاوله الوصول إلى ما يتصورونه من العامة ، مختلفي المقاصد ، متبايني المطالب .

فطائفة : وهي أحف هذه الطوائف المكلفة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه إثماً ، وأقلها عقوبة وجزماً - وهي التي أرادت الوصول إلى الحق ، والوقوف على الصواب ، لكن سلكت في طلبه طريقة متوعرة ، وصعدت في الكشف عنه إلى عقبة كثود لا يرجع من سلكها سالماً ، فضلاً أن يظفر فيها بمطلوب صحيح .

ومع هذا ، أصّلوا أصولاً ظنوها حقاً ، فدفعوا بها آيات قرآنية ، وأحاديث صحيحة نبوية ، واعتلوا في ذلك الدفع بشبه واهية ، وخيالات محتلة .
وهؤلاء هم طائفتان :

الطائفة الأولى : هي الطائفة التي غلت في التزويه ، فوصلت إلى حد يقشعِرُّ عنده الجلدُ ، ويضطرب له القلب ، من تعطيل^(١) الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح

(١) : وهم نفاة الصفات قال ابن تيمية في شرح حديث التزول ص ٧٤-٧٥ : ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات : (معطلة) لأن حقيقة قولهم : تعطيل ذات الله تعالى ، وإن كانوا هم قد لا =

من شمسِ النهار ، وأظهر من فَلَتِ الصبح ، وظنوا هذا من صنيعهم موافقاً للحقّ ، مطابقاً لما يريدُه الله سبحانه ، فضلّوا الطريقَ المستقيمَ ، وأضلُّوا من رامَ سلوكَها .
والطائفة الأخرى : هي الطائفة التي غلت في إثبات القدرة غلوّاً بلغ إلى حدّ أنه لا تأثير لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك إلى الجبر المحض^(١) ، والقَسْرِ الخالص ،

= يعلمون أن قولهم مستنزم للتعطيل بل : يصفونه بالوصفين المتناقضين ، فيقولون : هو موجود قـدم واجب ، ثم ينفون لوازم وجوده فيكون حقيقة قولهم : موجود ليس بموجود حق ليس بحق ، خالق ليس بخالق ، فينفون عنه النقيضين إما تصريحاً بنفيهما وإما : إمسكاً عن الإخبار بواحد منهما .
فلا يقولون موجود ولا موجود ، ولا حي ولا حي ، ولا عالم ولا عالم قالوا لأن وصفه بالإثبات : تشبيه له بالموجودات ، ووصفه بالنفي فيه تشبيه له بالمعدومات فال بهم إغراقهم في نفي التشبيه : إلى أن وضعوه بغاية التعطيل .

(١) : الجبر : وهو القول بالجبر الذي يقول به الجبرية وهم الذين ينفون قدرة العبد ومشيتته وأوضح فرقة تمثل هذا الاتجاه الجهمية الذين يردون كل شيء إلى الله والعبد عندهم أشبه ما يكون بريشة في مهب الريح .
وقد أنكره السلف والأئمة ، حتى توسل بذلك قوم إلى إسقاط الأمر والنهي والوعد والوعيد ، وأنكر من أنكر منهم ما جعله الله تعالى من الأسباب حتى خرجوا عن الشرع والعقل ، وقالوا إن الله يحدث الشيع والري عند وجود الأكل والشرب لا بما يحدث النبات عند نزول المطر لا به .
وهذا خلاف ما جاء به الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنْتَهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

وكره السلف أن يقال (جبر) وأن يقال ما جبر .

- قال الأوزاعي : " ما أعرف للحبر أصلاً من القرآن والسنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلف والجبل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ وإنما وصفت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق " .
- روي عن الزبيدي عندما سئل عن (الجبر) قال : " أمر الله أعظمُ وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ، ويخلق ويجبل عبد على ما أحب " . انظر : بغية المرئاد (ص ٢٦١-٢٦٣) وشرح حديث النزول (ص ٢٥٢-٢٥٣) .

فلم يبق لبعثة الرسل ، وإنزال الكتب كثيرٌ فائدة ، ولا يعود ذلك على عباد الله بعائدة .
وجاءوا بتأويلات للآيات البينات ، ومحاولاتٍ لِحَجَجِ الله الواضحات ، فكانوا
كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال ، مع أن كِلا المقصدين صحيح ، وَوَجْهُ كُلِّ منهما
صحيحٌ ، لولا ما شابه من الغلوِّ القبيح .
وطائفةٍ توسَّطت ، ورامتِ الجمعَ بين الضَّبِّ^(١) والثُّونِ^(٢) ، وظنت أنها قد وقفت
بمكان بين الإفراط والتفريط .

(١) : جمع بين الضَّبِّ والثُّونِ .

الضَّبُّ : حيوان معروف ، جمعه ضباب ، وكنيته أبو حِسل ، والحِسلُ ولده .
والثُّونُ : الحوت ، وجمعه نينان ، وهذا مثل يضرب في الجمع بين أمرين متنافيين ، والتأليف بين
شيئين متخالفين .
لأنَّ الضَّبَّ حيوانٌ بَرِّيٌّ لا يرد الماء ويلزم الصحراء وأكثر ما يكون في الكُدى كما قال خالد بن
علقمة :

ترى الشرَّ قد أفنى دوائر وجهه كضبُّ الكُدى أفنى برائينه الحفر

● لأن في طبعه النسيان وعدم الهدية ولذلك يحفر حجره عند صخرة أو في أكمة لثلا يضل عنه إذا خرج
لطلب الطعام لذلك يقال أحيرٌ من ضَبِّ ومن عجيب أمره أنه يعيش سبعمائة سنة ولا تسقط له سِنَّ ،
وهو لا يشرب الماء . ويقال إنه يبول كل أربعين يوماً مرة .

ومن كلام العرب : لا أفعل ذلك حتى يرد الضَّبُّ ، كما يقولون : حتى يشيب الغراب .
ومن الكلام الموضوع على ألسنة العجماءات ، قالت السمكة : رِدْ يا ضَبُّ ! فقال :

أصبح قلبي صرداً لا يشتهي أن يرداً

(٢) : والنون حيوانٌ بحريٌّ لا يفارق الماء أبداً فلا يجتمعان . قال الصابي :

الضَّبُّ والثُّونُ قد يُرْجى اجتماعهما وليس يُرْجى اجتماعُ المال والأدب

ولما بين الضَّبِّ والثُّونِ من التنافي والتقابل قال حاتم الأصم أو غيره :

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفل بالارزاق للخلق كلهم وللضبِّ في البيدا وللحوت في البحر

ولوضوح ذلك يقال . عند التحجيل : فلان لا يفرِّقُ بين الضَّبِّ والثُّونِ . زهر الأكم في الأمثال

والحكم ، للحسن البُوسي (٢/٥٠-٥١) و(١٤٨/٢) .

ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل ، وتُحَقِّق وتَدَقِّق [اب] في زعمها ، وتَجُولُ على الأخرى وتَصُولُ بما ظفرت مما يوافق ما ذهبَتْ إليه . ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ^(١) ، وعند الله تلتقي الخصوم .

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلفِ أسلمٌ ، ولكن زعموا أن طريق الخلفِ أعلمٌ . فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلفِ أن تمنى محققوهم وأذكيأؤهم في آخر أمرهم دينَ العجائز ، وقالوا هنيئاً للعامّة .

فتدبر هذه الأعلمية التي كان حاصلها أن يهتئ من ظفر بها لأهل الجهل البسيط ، ويتمنى أنه في عدادهم ، ومن يدين بدينهم ، ويمشي على طريقتهم ، فإن هذا ينادي بأعلى صوت ، ويدلُّ بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها ، الجهلُ خيرٌ منها بكثيرٍ ، فما ظنك بعلمٍ يُقرُّ صاحبه على نفسه أن الجهلَ خيرٌ منه ، ويتمنى عند البلوغ إلى غايته والوصولِ إلى نهايته أن يكون جاهلاً به ، عاطلاً عنه ! .

ففي هذا عبرةٌ للمعتبرين ، وآيةٌ بيّنة للناظرين ، فهلاً عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدءٍ ، وسَلِمُوا من تبعاتها ، وأراحوا أنفسهم من تبعها ، وقالوا كما قال القائل :
أرى الأمر يُفضي إلى آخرٍ فصيرَ آخره أولاً
ورجوا الخلوصَ من هذا التمني ، والسّلامةَ من هذه التهئة للعامّة ، فإن العاقل لا يتمنى رتبةً مثل رتبته ، أو دونها ، ولا يهتئ لمن هو مثله أو دونه ، بل يكون ذلك لمن رتبته أرفع من رتبته ، ومكانه أعلى من مكانه .

فيالله العجبُ من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبةً منه ، وأفضلَ مقداراً بالنسبة إليه ! وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة ، أو نقل الناقلون ما يُماتلها ويشأهها !؟
وإذا كان هذا حال هذه الطائفة التي قد عرفناك أنّها أخفُ الطوائف تكلفاً ، وأقلُّها تبعاً ، فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فسادُ مقاصدها ، وتبيّنَ بطلانُ

(١) : [الروم : ٣٢] .

مواردها ومصادرها ، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت بها كإسعاد الإسلام وأهله ، والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين ، وتنفير أهله عنه ؟ .

وعند هذا تعلم أن خير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة ، هو ما كان عليه خير القرون ، ثم الذين يلونهم [٢] ، ثم الذين يلونهم^(١) وقد كانوا رحمهم الله ، وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم - يُمرُّون أدلة الصفات على ظاهرها ، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يحرفون ولا يؤلون .

وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم ، والمتقرر من مذاهبهم . ولا يشك فيه شك ، ولا ينكره منكر ، ولا يُجادل فيه مجادل . وإن نزغ من بينهم نازغ ، أو نجم في عصرهم ناجم ، أوضحوا للناس أمره ، وبيّنوا لهم أنه على ضلالة ، وصرّحوا بذلك في الجامع والمحافل ، وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني^(٢) وأصحابه ،

(١) : يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته " .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٥٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٣) والترمذي رقم

(٣٨٥٩) وقال : حديث حسن صحيح .

● وأخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير

أمي القرن الذي بُعث فيهم ، ثم الذين يلونهم " والله أعلم أذكر الثالث أم لا .

قال : " ثم يخلف قومٌ يحبون السّمانه ، يشهدون قبل أن يُستشهدوا " .

● وأخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٥١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٥) بلفظ " خيركم .. " .

● وأخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٦) عن عائشة قالت : سألت رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير ؟ قال :

" القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ، ثم الثالث " .

(٢) : يقال : هو ابن عبد الله بن عكيم ويقال : ابن عبد الله بن عويمر ، ويقال ابن خالد . وكان رأساً في

القدر ، وهو أول من تكلم في القدر بالبصرة ، قدم المدينة فأفسد بها أناساً وذكره أبو زرعة في =

وقالوا : إِنَّ الأَمْرَ أَنفٌ^(١) فْتَبَرُوا مِنْهُ ، وَبَيَّنُوا ضَلَالَتَهُ ، وَبَطْلَانَ مَقَالَتِهِ لِلنَّاسِ ، فَحَذَرُوهُ إِلَّا مِنْ خَتَمِ اللّهِ عَلَى قَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً .

وهكذا كان مَنْ بَعْدَهُمْ ، يوضح للناس بطلانَ أقوالِ أهل الضلال ، ويحذّرهم منها ، كما فعله التابعون - رحمهم الله - بالجَعْدِ بنِ درهم^(٢) ، ومن قال بقوله ، وانتحل نِحْلَتَهُ الباطلة

= الضعفاء ومن تكلم فيهم .

وقال الدارقطني : حديثه صالح ومذهبه رديء .

قال الأوزاعي : أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق ، يقال له سوس ، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار عن أبيه وعمه : كان الحسن يقول : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل . مات بعد الثمانين وقيل التسعين .

انظر تهذيب التهذيب (١٠/٢٠٣-٢٠٤ رقم ٤١٦) .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٦-٣٧ رقم ٨/١) عن يحيى بن يعمر ، قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبدُ الجهني . فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد . فاكتفته أنا وصاحبي . أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله . فظننت أن صاحبي سيكلُ الكلام إليّ . فقلت : أنا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقرون العلم . وذكر من شأنهم وأهم يزعمون أن لا قدر . وأن الأمر أنفٌ قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأهم برآء مني . والذي يخلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

● إنما الأمر أنفٌ : أي مستأنف استئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير ، وإنما هو مقصود على اختيارك ودخولك فيه .

النهاية (١/٧٥) . ولسان العرب (١/٢٣٨) .

(٢) : الجعد بن درهم . عداة في التابعين ، مبتدع ضال . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر ، والقصة مشهورة .

" وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة " :

منها : أنه جعل قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهوام ، فقال : أنا خلقت هذا لأنني كنت سبب

كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد ، فقال : ليقل كم هو - وكم الذكران منه والإناث - إن كان =

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المتدعُ في الصفات أن يتظاهر بدعته ، بل يكتمونها كما
تكتّم الزنادقة^(١) بكفرهم ، وهكذا سائر المتدعين في الدين ، على اختلاف البدع
وتفاوت المقالات الباطلة .

ولكنّا نقتصر هاهنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها ، وهي مسألة

= خلقه ، وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره ، فبلغه ذلك فرجع " اهـ .

ولما ظهر قول الجعد بخلق القرآن تطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقبه فيها الجهم بن
صفوان فتقلد هذا القول عنه ولم يكن له كثير أتباع غيره ، ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن
عبد الله القسري الأمير ، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة ، وذلك لأن خالدًا خطب الناس فقسال في
خطبته تلك : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضحٌ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم
يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا .
ثم نزل فدبحه في أصل المنبر .

أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " رقم (٣) و " التاريخ الكبير " (٦٤/١) والدارمي في
الرد على الجهمية . ص ١٣،٧ وفي " الرد على المريسي " ص ١١٨ . والبيهقي في الأسماء والصفات
ص ٢٥٤ ، وفي " السنن الكبرى " (٢٠٥/١٠-٢٠٦) والآجري في الشريعة (ص ٩٧، ٣٢٨) .
وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب .

وقال الألباني في " مختصر العلو " : لكنه يتقوى بالذي بعده ، فإن إسناد خير منه ولعله لذلك جزم
العلماء بهذه القصة .

انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣٦٤/٩-٣٦٥) . الميزان (٣٩٩/١) رقم (١٤٨٢) ولسان الميزان
(١٠٥/٢) .

(١) : ورد في كتاب " جامع العلوم في اصطلاحات الفنون " (١٥٧/٢) ما يلي : الزندقة ألا يؤمن بالآخرة
ووحداية الخالق ... وعن ثعلب أن الزند معناه : الملحد والدهري ، وعن ابن دريد : أنه فارسي
معرب ، وأصله زنده وهو من يقول بدوام الدهر .

وفي " شرح المقاصد " : وإن كان باعترافه بنبو النبي ﷺ وإظهار شعائر الإسلام يبطن العقائد التي
هي كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق وهو في الأصل منسوب إلى " زند " اسم كتاب أظهره مزدك في
أيام " قباد " وزعم أنه تأويل كتاب المحوس الذي جاء به زرادشت ، يزعمون أنه نبهم .
انظر كتاب " من تاريخ الإلحاد في الإسلام " عبد الرحمن بدوي ص ٣٥ .

الصفات ، وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق ، المتكلف علم ما لم يسأذن الله بأن يعلموه ، وبيان أن إمرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأن كل من أراد من نزاع المتكلفين ، وشذوذ المحدثين ، والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر ، قاموا عليه ، وحذروا الناس منه ، ويبنوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الإسلام .

فصار المبتدعون في الصفات ، القائلون بأقوال تُخالف ما عليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم إلا مغرور ، ولا ينخضع بزخارف أقوالهم إلا مخدوع ، وهم مع ذلك على تخوف من أهل الإسلام ، وترقب لتزول مكروههم من حماة الدين ، من العلماء الهادين ، والرؤساء والسلطين ، حتى نجم ناجم المحنة ، وبارق بارق الشر من جهة الدولة^(١) ، ومن لهم في الأمر والنهي والإصدار والإيراد أعظم صولة ، وذلك في الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبي دؤاد^(٢) ،

(١) : في عهد الدولة العباسية كانت محنة القول بخلف القرآن ، التي ثبت فيها علماء الأمة أمام زعم البدعة فأيد الله بهم هذا الدين .

انظر : " مناقب الإمام أحمد بن حنبل " للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص ٣٨٧-٤٢٠ .
 (٢) : أحمد بن أبي دؤاد بن جرير ، أبو عبد الله القاضي الأيادي . يقال إن اسم أبي دؤاد : الفرج ...
 والصحيح أن اسمه كنيته . ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للوائق ، وكان موصوفاً بالجلود والسخاء ، وحسن الخلق ، ووفور الأدب . غير أنه أعلن بمذهب الجهمية ، وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن .

قال الحسن بن ثواب : قال : سألت أحمد بن حنبل عمَّن يقول : القرآن مخلوق ؟ قال : كسافر . قلت : فابن دؤاد ؟ قال كافر بالله العظيم . قلت بماذا كفر ؟ قال : بكتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ فَالْقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ، فمن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم ...

وقال عبد العزيز بن يحيى المكي : دخلت على أحمد بن دؤاد وهو مفلوج ، فقلت : إني لم أتك عائداً ، ولكن جئت أحمد الله على أنه سجنك في جلدك .

فعند ذلك أطلع المنكمشون [ب٢] في تلك الزوايا رؤوسهم ، وانطلق ما كان قد حرس من ألسنتهم ، وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة ، وبدعهم المضلة ، ودعوا الناس إليها ، وجادلوا عنها ، وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمنكر ، واشتبه على العامة الحق بالباطل ، والسنة بالبدعة .

ولما كان الله - سبحانه - قد تكفل بإظهار دينه على الدين كله^(١) ، وبحفظه عن التحريف^(٢) ، والتغيير والتبديل ؛ أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم ، ويُنكر على أهل البدع بدعهم ، فكان لهم - والله الحمد - المقامات المحمودة ، والمواقف المشهودة في نصر الدين ، وهتك المبتدعين .

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا ، وتعرف أن مذهب السلف^(٣) من الصحابة [ﷺ]

= ولد أحمد بن أبي دؤاد سنة ستين ومائة بالبصرة ومات في المحرم سنة أربعين ومائتين يوم السبت لسبع بقين منه ، ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس .

انظر : تاريخ بغداد (٤/١٤١-١٥٦ رقم ١٨٢٥) .

(١) : قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة: ٣٣] .

(٢) : قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

(٣) : يقوم على دعائم أربع :-

١) الإنبات المفصل الجمل لكل صفة كما ورد بها النص . فيتحقق بهذا قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ

أَيًّا مِمَّا تَدْعُونَ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

وقد تضمنت هذه الدعامة الإيمان بكل صفة لله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة .

٢) الدعامة الثانية : التثنية ، وعدم التكييف والتنشيب . فيتحقق بهذا قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصفات: ١٨٠] ولذلك

= تضمنت هذه الدعامة تزيه صفات الرب تعالى عن مشابهة صفات خلقه .

والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها ، من دون تحريف لها ، ولا تأويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل . وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تَلَوْا عليه الدليل ، وأمسكوا عن القال والقييل ، وقالوا : قال الله هكذا ، ولا ندري . بما سوى ذلك ، ولا نتكلف ، ولا نتكلم بما لم نَعْلَمُهُ^(١) ، ولا أذن الله لنا بمجاوزته ، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زَجْرُوهُ عن الخوض فيما لا يعنيه ، ونَهْوُهُ عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ماهم عليه ، وما حفظوه عن رسول الله - ﷺ - ، وحفظه

= ٣) الدعامة الثالثة : عدم التأويل المفضي إلى التعطيل . فيتحقق بهذا قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .
والتعطيل : إلحاد في أسماء الله وصفاته .

وقد تضمنت هذه الدعامة إثبات كل صفة على الحقيقة كما ورد بها النص من غير صرف له إلى معنى آخر غير ظاهر .

٤) الدعامة الرابعة : العلم بالله تعالى والمعرفة به من خلال صفاته فيتحقق بهذا قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] .
وقد تضمنت هذه الدعامة أن السلف كانوا يعلمون معاني الصفات ويفرقون بينها بحسب ما دللت عليه مما تعرفه العرب من لسانها فالعلم غير الحياة ، والإتيان غير الاستواء على العرش ، واليد غير الوجه وهكذا سائر الصفات .

انظر : " الرسالة في اعتقاد أهل السنة " ص ٣-٤ و " مجموع الفتاوى " (٥١٨/٦) .

(١) : كان السلف أبعد الناس عن الخوض فيما لم يحيطوا به علما مما أخبر الله تعالى عنه من الغيب ، فكما أنهم لم يكونوا يحيطون بذات الله علما ، لم يكونوا يحيطون بصفاته علما ، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات إلا أن صفاته كانت دليل المعرفة به ، ولا تصلح أن تكون كذلك وهي من المتشابه الذي ليس للعباد أن يعلموا حقيقته ، وإنما كانت معلومة المعاني عندهم بجهولة الكيف ، كما أن ذاته تعالى معلومة عندهم بصفاته ، بجهولة الكيف ، وهذا معنى إمرار الصفات كما جاءت .
انظر : " الرسالة في اعتقاد أهل السنة " ص ٤ .

التابعون عن الصحابة ، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين . وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحددة ، والطريقة لهم جميعاً متفقة ، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه من الإيمان بالله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وإنفاق الأموال في أنواع البر ، وطلب العلم النافع ، وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه ، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، والقيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة ، وبما تبلغ إليه القدوة ، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ، ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته .

فكان الدين إذ ذاك صافياً عن كدر البدع ، خالصاً عن شوب قذر التَّمذهب ، فعلى هذا النمط كان الصحابة - ﷺ - والتابعون وتابعوهم ، وبهذه رسول الله - ﷺ - [أ٣] اهتدوا ، وبأفعاله وأقواله اقتدوا .

فمن قال : إهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها ، فقد أعظم عليهم الفرية ، وليس بمقبول في ذلك ، فإن أقوال الأئمة المطلعين على أحوالهم ، العارفين بها ، الآخذين عن الثقات الأثبات ، يردُّ عليه ، ويدفع في وجهه ، يعلم ذلك كلُّ من له علم ، ويعرفه كل عارف .

فاشدُّ يدك على هذا ، واعلم أنه مذهب خير القرون ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم (١) ، ودع عنك ما حدث من تلك التَّمذُهبات في الصفات ،

(١) : تقدم تخريج الحديث بذكر " القرون الثلاثة " أما زيادة قرن رابع . فقد أخرجها أحمد في " المسند "

(٢٦٧/٤) من طريق شيبان ، عن عاصم ، عن خيثمة والشعبي عن النعمان بن بشير فذكره .

وأخرجها أحمد (٢٦٧/٤) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن مهذلة ، عن خيثمة بن عبد

الرحمن ، عن النعمان بن بشير ، فذكره .

وأخرجها أحمد في المسند (٢٧٧-٢٧٨) من طريق أبي بكر عن عاصم ، عن خيثمة عن النعمان

=

ابن بشير ، فذكره .

وأرْحُ نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون ، واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلاً يردُّ إليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ - فإن وافقها فقد وافق الأصول المتقررة في زعمهم ، وإن خالفاً الأصول المتقررة في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم ، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ، ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ، ظاهرة المعنى ، أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح لم يبالوا به ، ولا رفعوا إليه رؤوسهم ، ولا عدُّوه شيئاً .

ومن كان مُنكراً لهذا ، فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام ، فإنَّه سيقف على الحقيقة ، ويسلم هذه الجملة ، ولا يتردد فيها .

ومن العجب العجيب والنبأ الغريب أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولاً - لا مُستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل ، والفرية على الفطرة ، وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم ، وتحالفت عنده إدراكاتهم ، فهذا يقول : حكم العقل في هذا الكلام كذا ، وهذا يقول : حكم العقل في هذا كذا ، ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من تقلده ويقنديه به ، أصلاً يرجع إليه ، ومعياراً لكلام الله [تعالى] وكلام رسول الله ﷺ - ، يقبلُ منهما ما وافقهُ ،

= وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٩ / ١٠) وقال : رواه أحمد والبرار ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفي طرقهم عاصم بن بدلة وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله رجال أحمد رجال الصحيح اهـ .
وأخرجها ابن حبان في " الثقات " (١ / ٨) من طريق حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن عبد الله بن مولة ، عن بريدة الأسلمي .. وذكره .

وقال ابن حبان : هذه اللفظة : " ثم الذين يلونهم " في الرابعة ، تفرد بها حماد بن سلمة وهو ثقة مأمون ، وزيادة الألفاظ عندنا مقبولة عن الثقات ، إذ جائز أن يحضر جماعة شيخاً في سماع شيء ثم يخفى على أحدهم بعض الشيء ويحفظه من هو مثله أو دونه في الإتقان كما بيناه في غير موضع من كتبنا اهـ .

والخلاصة أن الحديث صحيح بهذه الزيادة والله أعلم .

وَيَرُدُّ مَا خَالَفَهُ .

فيا لله ، ويا للمسلمين ، ويا لعلماء الدين من هذه الفواقر [٣ب] الموحِشَة التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلها .

وأعزب من هذا وأعجب ، وأشنع وأفظع أنَّهُم بعد أن جعلوا هذه التعلّقات التي تعقلوها ، على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتها ، أصولاً تُرَدُّ إليها أدلّة الكتاب والسنة ، جعلوها أيضاً معياراً لصفات الربّ تعالى ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزماً ، وما تعقله خصمه منها قطع به ، فأثبتوا لله - عز وجل - الشيء ونقيضه ، استدلالاً بما حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة ، وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله [ﷺ] ، بل إن وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقوّياً ، وقالوا : قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل . وإن وجدوه مخالفاً لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ، ومتشابهاً وغير معقول المعنى ، ولا ظاهر الدلالة .

ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم ، فافتري على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلاً يُرَدُّ إليه أدلّة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابهة عند أولئك محكماً عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده ، فكان حاصلُ كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه ، وكفكاف بهذا ، وليس بعده شيء ، وعنده يتعشّر القلم حياءً من الله - عز وجل - .

وربما استبعد هذا مستبعد ، واستكثره مستكثر ، وقال : إن في كلامي هذا مبالغةً وقهويلاً وتشنيعاً وتطويلاً ، وإن الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل ، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها .

فأقول : خذ جملة البلوى ، ودع تفصيلها ، واسمع ما يصكُّ سمعك ، ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعته ، ولا جرى القلم بمثله .

هذا أبو علي^(١) ، وهو رأس من رؤوسهم ، وركنٌ من أركانهم ، وأسطوانةٌ من أساطينهم ، قد حكى عنه الكبار ، آخر من حكى عنه ذلك صاحبُ شرح القلائد^(٢) : والله لا يعلم الله من نفسه إلا ما يعلم هو .

فخذ هذا التصريح حيث لم تكتفِ بذلك التلويح ، وانظر هذه الجرأة على الله [سبحانه]^(٣) التي ليس بعدها جرأةٌ ، فيا لأم أبي علي الويلُ ، أينهُقُ مثلُ هذا النهيق ويُذخِلُ نفسه إلى هذا المضيق؟! وهل سمع السامعون يمينَ أ فجرٍ من هذه اليمين الملعونة؟ أو نقل الناقلون عن مسلم كلمةً تقاربُ معنى [٤أ] هذه الكلمة المفتونة؟ أو بلغ مفتخرٌ إلى ما بلغ إليه هذا المختالُ الفخورُ؟ أو وصل من يفجرُ في أيمانه إلى ما يقاربُ هذا الفجورَ؟ وكلُّ عاقلٍ يعلم أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو لكان كاذباً في يمينه ، فاجراً فيها ، لأن كلَّ فردٍ من أفراد الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يحبُّ أن يطلع عليها غيره ، ويكره أن يقف على شيء منها سواه ، ومن ذا الذي يدري بما يجولُ في خاطر غيره! . ويستكينُ في ضميره ، ومن ادعى علم ذلك وآته يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغيرُ من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغيرُ من

(١) : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي ، من أئمة المعتزلة . ورئيس علماء الكلام في عصره ، وإليه نسبة الطائفة " الجبائية " له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب . نسبتة إلى جبي (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة ، ودفن بجبي . له " تفسير " حافل مطول ، ردُّ عليه الأشعري . ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين . ومات سنة ثلاث وثلاثمائة .

الأعلام للزركلي (٢٥٦/٦) واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٢٥٥/١ - ٢٥٦) .

(٢) : اسم الكتاب " الدرر الفرائد شرح القلائد " للإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى الذي ولد بمدينة ذمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة ٧٧٥هـ قرأ علم العربية حتى برع فيها ، ثم أخذ علم الكلام ، وهل من علم الفقه ودرس الكشاف وتبحر في العلوم واشتهر فضله ، وبعد صيته ، وله مؤلفات عديدة . وقد توفي في شهر ذي القعدة سنة ٨٤٠هـ وقبره بظفير حجة مشهور .

البدر الطالع (١٢٢/١ - ١٢٦ رقم ٧٧) .

(٣) : زيادة يستلزمها السياق .

نفسه إلا ما يعلمه هذا المدّعي ، فهو إما مُصاب العقل ، يَهْذِي بما لا يدري ، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذبٌ شديدُ الكذب ، عظيمُ الافتراء ، فإن هذا أمرٌ لا يعلمه غيرُ الله - سبحانه - ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وما يُسرُّ عباده وما يعلنون ، وما يُظهرون وما يكتُمون كما أخبرنا بذلك في كتابه^(١) العزيز في غير موضع .

فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه إلا الله من عباده ، فما ظنُّك بمن جاوز هذا وتعدّاه ، وأقسم بالله [سبحانه] أن الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو؟! ولا يصحُّ لنا أن نحمله على اختلال العقل ، فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعاتٌ من أهل عصره ، ومن جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر ، ويحكون عنه في مقامات الاختلاف .

ولعلُّ أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائلٌ وأورد عليهم مُوردٌ قولَ الله - عز وجل - ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٣) ، وقال لهم : هذا يُردُّ ما قاله صاحِبُهُم ، ويدلُّ على أن يمينه هذه فاجرةٌ مفترأةٌ ، لقالوا : هذا ونحوه مما يدلُّ دلالتَه ، ويفيدُ مفادَه ، هو من المتشابه

(١) : (منها) :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ [ق : ١٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة : ٧٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] .

(٢) : [طه : ١١٠] .

(٣) : [البقرة : ٢٥٥] .

الواردِ على خلاف دليل العقل ، المدفوع بالأصول المقررة .

وبالجملة ، إطالة ذيول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للأوقات ، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات ، لا المضحكات . وليس مقصودنا هاهنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تحريف ، ولا تكلف ، ولا تعسف ، ولا جبر ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل . [٤ب] وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

فإن قلت : ماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها ؟ فإن أهل المذاهب الإسلامية يتنزّهون عن ذلك ، ويتحاشون عنه ، ولا يُصدّقُ معناه ، ولا يوجد مدلوله إلا في طائفة من طوائف الكفار ، وهم المنكرون للصانع ؟ .

قلت : يا هذا ، إن كنت ممن له إمام بعلم الكلام الذي اصطُح عليه طوائف من أهل الإسلام ، فإنه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ، ويذكرونه في مؤلفاتهم ، ويحكونه عن أكابرهم ، أن الله - سبحانه وتعالى ، وتزّه وتقدّس - ، لا هو جسم ، ولا جوهر ، ولا عَرَضٌ ، ولا داخل العالم ولا خارجة^(١) .

فأنشدك الله ، أي عبارة تبُلغ مبلغ هذه العبارة في النفي؟! وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة؟! .

فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل :

فكنتُ كالساعي إلى متعبٍ مؤاثلاً من سُبُلِ الراعي^(٢)

أو كالمستجير من الرمضاء^(٣) بالنار ، والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية ، ومن

(١) : انظر رد ابن تيمية على هؤلاء في منهاج السنة (٢/١٣٠- وما بعدها) . الأسماء والصفات (١/٣٨-٤٠)

(٢) : لابن تيمية وتلبيس الجهمية (١/٨٩) .

(٣) : المتعب : مسيل الماء في الوادي . الموائل : طالب النجاة . وهو مثل يضرب لمن يهرب من الشيء فيقع بما هو أشد منه .

(٣) : يضرب في الخلتين من الإساءة بجمعان على الرجل .

قرصة النملة إلى قضمه الأسد .

وقد كان يُعني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلمين كلمتان من كتاب الله عز وجل ، وصفَ بهما نفسه ، وأنزلهما على رسوله وهما : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (١) و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٢) . فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب ، وتضمّنتا بما يُعني أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب والهضاب الصاعدين في متوَعّدات هاتيك العقاب ، فالكلمة منها دلّت دلالةً بيّنة على أن كلّ ما تكلم به البشرُ في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ، ودعاوى التحقيق فهو مشوبٌ بشعبةٍ من شُعب الجهل ، مخلوطٌ بمخلوطٍ هي منافية للعلم ، ومباينة له فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك أن صحّة ذلك متوقفةٌ على الإحاطة ، وقد نُفيت عن كلّ فردٍ لأن هذه القضية هي في قوة لا يحيط به فرد من الأفراد علماً .

فكل قول من أقوال المتكلمين صادرٌ عن جهل ، إما من كل وجه أو من بعض الوجوه ، وما صدر عن جهل فهو مضافٌ إلى جهل ، ولا سيما إذا كان في ذات الله [هأ] وصفاته ، فإن ذلك من المخاطرة في الدين ما لم يكن في غيره من المسائل ، وهذا يعلمه كلُّ ذي علم ، ويعرفه كلُّ عارف .

ولم يُحط بفائدة هذه الآية ، ويقف عندها ، ويقتطف من ثمراتها إلا الممرّون للصفات على ظاهرها ، المريحون أنفسهم من التكلّفات والتعسّفات والتأويلات والتحريفات ، وهم السلفُ الصالح - كما عرفت - فهم الذين اعترفوا بالإحاطة ، وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله ، وقالوا : الله أعلم بكيفية ذاته وماهيّة صفاته ، بل العلم كلّ له ، وقالوا كما قال من

(١) : [طه : ١١٠] .

(٢) : [الشورى : ١١] .

قال^(١) من اشتغل بطلب هذا المحال ، فلم يظفر بغير القليل والقال :

العلم للرحمن جلّ جلاله وسواه في جهالاته يتعمّم
ما للتراب وللعلوم وإتما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلمين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به
السلف الصالح إلا بمجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلمين فقال^(٢) :

(١) : فخر الدين الرازي محمد بن عمر القرشي المتوفي ٦٠٦ هـ فقد سطر في آخر عمره اعترافه بفساد علم
الكلام وبطلانه فقال : " لقد تأملت الطريقة الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي غليلاً ، ولا
تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات : ﴿ أَلَرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر :
١٠] وأقرأ في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه :
١١٠] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مریم : ٦٥] .

من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأنشد :

فهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواضاً في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال : من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز .

انظر : درء التعارض (١/٦٦٠) ، الحموية (ص٢٠٧-٢٠٨) ، البداية والنهاية (١٣/٥٦) ، منهاج
السنة (٥/٢٧١) .

(٢) : وهو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ هـ أو ٥٤٩ هـ فقد ورد عنه أنه
قال : " عليكم بدين العجائز فهو من أسنى الجوائز " .

وأخبر عما انتهى إليه أمر هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين من الحيرة ، والندم وقد كان منهم ثم أنشده :
لقد طفت في تلك المعاهد

وقد ردّ عليه الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى بقوله :

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعاً سيناً نادم =

وقد طُفَّتْ في تلك المعاهد كُلِّها وسيرتُ طَرْفي بين تلك المعالم
 فلم أرَ إلَّا واضِعاً كَفَّ حائِرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادِمٍ^(١)
 وها أنا أحرك عن نفسي ، وأوضح لك ما وقعتُ فيه في أمسي ، فإني في أيام الطلب ،
 وعنقوان الشباب شُعِلْتُ بهذا العلم الذي سمّوه تارةً علمَ الكلام ، وتارةً علمَ التوحيد ،
 وتارةً علمَ أصول الدين ، وأكببتُ على مؤلفات الطوائف المختلفةِ منهم ، ورمتُ الرجوع
 بفائدة ، والعودُ بعائدة ، فلم أظفر من ذلك بغير الحبيّة والحيرة ، وكان ذلك من الأسباب
 التي حَبَّبَتْ إليّ مذهب السلف ، على أنّي كنت قبل ذلك عليه ، ولكن أردت أن أزداد
 فيه بصيرةً ، وبه شَعَفًا ، وقلت عند النظر في تلك المذاهب :

وغايمة ما حصَّلتُه من مباحثي ومن نظري من بعد طول التَّدبُّرِ
 هو الوقفُ ما بين الطريقينِ حيرةً فما علمُ من لم يلقَ غيرَ التَّحْيِيرِ
 على أنني قد خُضْتُ منه غِمَارُهُ وما قَعَّتْ نفسي بدون التَّبَحُّرِ [ب] ^(٢)
 وأما الكلمة الثانية ، وهي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٣) فيها يستفادُ نفْيُ المماثلة في
 كل شيء ، فيُدْفَعُ بهذه الآية في وجه المُجَسِّمَةِ ، ويُعرفُ بها الكلامَ عند وصفه سبحانه
 بالسميع والبصير ، وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتملَ عليه
 الكتاب والسنة ، فيقرَّرُ بذلك الإثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة
 للمخلوقات ، فيندفعُ به جانبي الإفراطِ والتفريطِ ، وهما المبالغة في الإثبات ، المفضيةُ إلى
 التحسيم ، والمبالغة في النفي المفضيةُ إلى التعطيل ، فيخرجُ من بين الجانبين وغُلُوَّ الطرفين

= انظر : ديوان الإمام الصنعاني ص ٣٦٩ ، وانظر : ترجمة أبو الفتح وكلامه ، درء التعارض
 (١٥٩/١) منهاج السنة (٢٧٠/٥) الفتوى الحموية ص ٧ .

(١) : وقد نسب ابن خلكان هذه الأبيات لابن سينا كما في ديوان الصنعاني ص ٣٦٩ . وهي في نهاية الأقدام
 ص ٣ للشهرستاني .

(٢) : للشوكاني في ديوانه ص ١٨٩ .

(٣) : [الشورى : ١١] .

أَحَقِّيَّةُ مَذْهَبِ السَّلْفِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ بِإِثْبَاتِ مَا أُثْبِتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ لَا يَعْلَمَهُ إِلَّا هُوَ ، فَإِنَّهُ الْقَائِلُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

وَمِنْ جَمَلَةِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَمَرَهَا السَّلْفُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَأَجْرَوَهَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مِنْ دُونَ تَكْلِيفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ : صِفَةُ الاسْتِوَاءِ الَّتِي ذَكَرَهَا السَّائِلُ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : نَحْنُ نَثْبِتُ مَا أُثْبِتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ اسْتِوَاءِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، عَلَى هَيْئَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَفِي كَيْفِيَّةٍ لَا يَدْرِي بِهَا سِوَاهُ ، وَلَا نَكْلُفُ أَنْفُسَنَا غَيْرَ هَذَا ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ ، وَلَا يَحِيطُ عِبَادُهُ بِهِ عِلْمًا .

وَهَكَذَا يَقُولُونَ فِي مَسْأَلَةِ الْجَهَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا السَّائِلُ ، وَأَشَارَ إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَيْهَا ، وَالْأَدْلَةُ فِي ذَلِكَ طَوِيلَةٌ كَثِيرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهَا لَا سِوَا أَهْلِ الْحَدِيثِ مَبَاحَثَ طَوَّلُوهَا بِذِكْرِ آيَاتِ قُرْآنِيَّةٍ ، وَأَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ .
وَقَدْ وَقَفْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُؤَلِّفٍ (٢) بَسِيطٍ فِي مَجْلَدِ جَمْعِهِ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (٣) رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَوْفَى فِيهِ كُلَّ مَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْجَهَةِ مِنْ كِتَابٍ ، أَوْ سُنَّةٍ ،

(١) : [الشورى : ١١] .

(٢) : وَهُوَ كِتَابُ " الْعُلُوِّ لِلْعَلِيِّ الْغَفَّارِ " لِلذَّهَبِيِّ .

وَقَدْ اخْتَصَرَهُ الْمَحْدَثُ الْأَلْبَانِيُّ . مَقْتَصِرًا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْهُ .

وَمِثْلُهُ : كِتَابُ " إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ " لِلْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِدَامَةَ الْمُقَدَّسِيِّ . كِتَابُ " عَلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ " لِلدَّكْتُورِ مُوسَى بْنِ سَلِيمَانَ الدُّوَيْشِ .

(٣) : هُوَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ، مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ : شَمْسُ الدِّينِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَائِمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّرْكْمَانِيِّ الْفَارَقِيِّ الشَّافِعِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الشَّهْرِيَّ بِالذَّهَبِيِّ .

وُلِدَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٦٧٣ هـ فِي قَرْيَةِ كَفَرِ بَطْنَا فِي غَوَطَةِ دِمَشْقِ ، وَنَشَأَ الذَّهَبِيُّ فِي أُسْرَةٍ عِلْمِيَّةٍ مَتَدِينَةٍ اعْتَنَتْ بِإِرْسَالِهِ إِلَى مَشَائِخِ دِمَشْقِ الْمَشْهُورِينَ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِتْمَامًا إِلَى عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ ، وَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامَ وَزَارَ أَكْثَرَ الْمَدَائِنِ لِتَلْقَى الْعِلْمَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْلَمَهُ الْمِثْلُ .

تَوَلَّى الذَّهَبِيُّ عِدَّةَ وِظَائِفٍ عِلْمِيَّةٍ فِي دِمَشْقِ شَمِلَتْ الْخُطَابَةَ وَالتَّدْرِيسَ وَالْمَشِيخَةَ فِي كَتَبَاتِ دَوْرِ الْحَدِيثِ وَلَمْ تَشْغَلْهُ هَذِهِ الْوِظَائِفُ عَنِ الْبَحْثِ وَالتَّأْلِيفِ بَلْ تَرَكَ ثَرَوَةً عِلْمِيَّةً عَظِيمَةً مِنْ أَهْمِهَا : =

أو قول صاحب .

والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف ، وأبين من أن يُحتاج فيها إلى التطويل ، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية كَثُرَ الكلام فيها ، وفي مسألة الاستواء ، وطال خصوصاً بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب ، فلهم في ذلك تلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى ، وما زالوا هكذا في عصرٍ بعد عصرٍ .

والحقُّ هو ما عرفناك من مذهب [أ٦] السلفِ الصالح ، فالاستواء على العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطنٍ يكثرُ حصرُها ، ويطول نشرها وكذلك صرَّح به رسول الله ﷺ في غير حديث^(١) ، بل هذا مما يجده كلُّ فردٍ من أفراد المسلمين في نفسه ، ويُحسُّه في فطرته ، وتجذبه إليه طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى ، والتجأ إليه ، ووجه أدعيته إلى جنبه الرفيع ، وعزّه المنيع ، فإنه يشير عند ذلك بكفِّهِ ، أو يرمي إلى السماءِ بطرفِهِ ، ويستوي في ذلك عند عُروض أسباب الدعاء ، وحدث بواعث الاستغاثة ، ووجود مقتضيات الإزعاج ، وظهور دواعي^(٢)

= تاريخ الإسلام الكبير ويقع في تسع وأربعين مجلداً . وسير أعلام النبلاء ويقع في (٢٥) مجلداً ، وميزان الاعتدال ويقع في (٤) مجلدات .

توفي في ليلة الاثنين (٣) ذو القعدة سنة ٧٤٨هـ ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق .

الأعلام للزركلي (٣٢٦/٥) .

(١) : تقدم في حديثه الجارية . وحديث أبي سعيد الخدري .

(٢) : لعله يشير المؤلف رحمه الله إلى الأيدي وظهور دواعي الالتجاء كما في حديث أنس أن رجلاً دخل يسوم

الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا

رسول الله هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال : فرجع رسول الله ﷺ يديه . . .

أخرجه البخاري رقم (١٠١٣) ومسلم رقم (٨٩٧) .

● وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة . انظر الصحيحة رقم

(٢٩٤١) .

الالتجاء - عالم الناس وجاهلهم ، والماشي على طريقة السلف والمقتدي بأهل التأويل ،
القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء^(١) - كما قاله جمهور المتأولين ، أو الإقبال^(٢) - كما
قاله أحمد بن يحيى^(٣) ثعلب . . . ، والزجاج^(٤) والفراء^(٥) وغيرهم ، أو كناية عن

(١) : تقدم التعليق على ذلك .

(٢) : قال ابن كثير في تفسيره (٢١٣/١) : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ

السَّمَاءِ ﴾ أي : قصد إلى السماء والاستواء ههنا تضمّن معنى القصد والإقبال .

(٣) : هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم الإمام البغدادي أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو

واللغة ولد سنة ٢٠٠هـ - ابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنه ستة عشرة ، وحفظ كتب الفراء

فلم يشذ منها حرف وعني بالنحو أكثر من غيره .

فلما أتقنه أكب على الشعر والمعاني والغريب .

من مصنفاته : المصون في النحو ، واختلاف النحويين ، ومعاني القرآن .

وثقل سمعه بآخره ، ثم صمّ وتوفي يوم السبت لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ٢٩١هـ .

بغية الوعاة للسيوطي (٣٩٦/١ رقم ٧٨٧) .

(٤) : هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، عالم بالنحو واللغة ، كان من أهل الفضل والدين ، حسن

الاعتقاد ، وكان في فتوته يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو ، معلمه المبرد ، واختص بصحبة الوزير عبيد

الله ابن سليمان بن وهب ، وعلم ولده القاسم الأدب ، أخذ عنه الزجاجي وغيره .

من مؤلفاته : معاني القرآن وإعرابه ، والاشتقاق . توفي سنة ٣١٠هـ .

انظر : بغية الوعاة (٤١١/١-٤١٣ رقم ٨٢٥) .

(٥) : هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي ، أبو زكريا المعروف بالفراء ، أعلم الكوفيين بالنحو

واللغة وفنون الأدب ، فقيه متكلم ، عالم بأيام العرب وأخبارها ، عارف بالنجوم والطب ، ولد في

الكوفة سنة ١٤٤هـ ، ودرس اللغة والقرآن بها وبالبصرة وبغداد على الرواسي ويونس بن حبيب

والكسائي ، وانتقل إلى بغداد ، واتخذ المأمون العباسي مؤدباً لولديه ، فكان أكثر مقامه فيها ، فإذا كان

آخر السنة أتى الكوفة فأقام أربعين يوماً يفرق في أهله ما جمعه . وكان يميل إلى الاعتزال . ومات الفراء

بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ .

معجم المفسرين لعادل نويهض (٧٢٩/٢) .

الملك^(١) والسلطان كما قاله آخرون .

فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر ، والإدعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف، ولا قيل ولا قال ، ولا فضول في شيء من المقال . فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتدٍ بالسلف ، ولا واقفٍ في طريق النجاة ، ولا معتصمٍ عن الخطأ ، ولا سالكٍ في طريق السلامة والاستقامة^(٢) .
وكما نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة ، فكذا نقول في مثل قوله

(١) : انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/١٠٧) وانظر رد ابن تيمية على ذلك في الأسماء والصفات (١٠٩/٢) .

(٢) : والخلاصة :

إن " علو الله تعالى " ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع .

● أمَّا الكتاب : فقد تنوعت دلالاته على ذلك : فتارةً بلفظ " العلو " و " الفوقية " و " الاستواء على العرش " و " كونه في السماء " :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

● وتارةً بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه :

قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

● وتارةً بلفظ " نزول الأشياء منه " ونحو ذلك

قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

قال تعالى : ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ٥] .

وأما السنة : قال ﷺ في سجوده : " سبحان ربي الأعلى " . أخرجه مسلم في صحيحه رقم

(٧٧٢/٢٠٣) من حديث حذيفة ، وقوله ﷺ : " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه ، =

سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(١) و ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾^(٢) وفي نحو ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٤) إلى ما يشابه ذلك وبمئاته ويقاربه ويضارعه .

فنقول في مثل هذه الآيات^(٥) : هكذا جاء القرآن أن الله سبحانه مع هؤلاء ، ولا

= إن رحمتي سبقت غضبي " من حديث أبي هريرة . أخرجه البخاري رقم (٧٤٢٢) ومسلم رقم (٢٧٥١) .

وقوله : " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء " وقد تقدم تخريجه .

وثبت عنه أنه ﷺ رفع يده وهو على المنبر يوم الجمعة يقول : " اللهم اغثنا " . أخرجه البخاري رقم (١٠١٤) ومسلم رقم (٨٩٧/٨) .

وأما العقل : فقد دلَّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص والعلو صفة كمال والسفل نقص فوجب لله تعالى صفة العلو وتزيهه عن ضده .

وأما الفطرة : فقد دلَّت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية : فما من داع أو خائف فزاع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك بمنة ولا يسرة ، وأسأل المصلين يقول الواحد منهم في سجوده " سبحان ربي الأعلى " .

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على : أن الله فوق سمواته مستو على عرشه . قال الأوزاعي : " كُنَّا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات " . وهو أثر صحيح . أخرجه الذهبي في العلو (ص١٣٨-مختصر) . وقال ابن تيمية في " الفتوى الحموية " (ص٤٣) إسناده صحيح . والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠٨) .

(١) : [الحديد : ٤] .

(٢) : [المجادلة : ٧] .

(٣) : [الأنفال : ٤٦] .

(٤) : [النحل : ١٢٨] .

(٥) : قال ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٤٧ : وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة ، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى =

نتكلف بتأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته ، فإن هذه شعبة من شعب التأويل^(١) ، تخالف مذاهب السلف ، وتباين ما كان

= من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى . فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا . ويقال : هذا المتاع معي لمجمعته لك ، وإن كان فوق رأسك . فالله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق عرشه حقيقة .

ثم هذه (المعية) تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف : أنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته .

● فلفظ " المعية " قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضوع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع . أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردنا - وإن امتاز كل موضوع بخاصية - فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق . حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها .

● ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة ، مثل أن يقول القائل : ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] .

وذلك أن الله معنا حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة ، كما جمع بينهما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] . فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا .

الفتوى الحموية (ص ١٤٦-١٤٧) .

(١) : كذا قال رحمه الله ، وليس هذا الصواب ، بل السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم الذين فسروا هذه المعية بمعية العلم والاطلاع ولعل الشوكاني لم يقف على أقاويل السلف في هذه الآيات عند تحرير الجواب ، لأننا نجد في تفسير " فتح القدير " قد فسرها على مذهب السلف .

فقال : (١٦٦/٥) : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ أي بقدرته وسلطانه وعلمه ، وقال =

= أيضاً (١٨٧/٥) : ومعنى ﴿ أينما كنتم ﴾ إحاطة علمه بكل تناجٍ يكون منهم ، في أي مكان من الأمكنة .

● قال الآجري في " الشريعة " ص ٢٨٨ : فإن قال القائل : فإيش معنى قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] . التي بما يحتجون ؟ قيل له : علمه عز وجل والله على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلفه كذا فسره أهل العلم . والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم .

انظر " مختصر العلو " (ص ١٣٨-١٣٩) رقم (١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦) .

● وذكر ابن رجب في شرح " الحديث التاسع والعشرين " من الأربعين النووية : أن المعية الخاصة تقتضي التّصّر والتأييد والحفظ والإعانة .

قال تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] . وأن المعية العامة تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم " .

● وقال ابن كثير في تفسير آية المعية في " سورة المجادلة " (٤٢/٨) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه المعية معية علمه " .

قال : " ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذٌ فيهم فهو سبحانه مطلقٌ على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء " اهـ .

● قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص ١١٥) : " وليس معنى قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ [الحديد : ٤] ، أنه مختلط بالحق فإن هذا لا توجهه اللغة بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان " اهـ .

ولم يذهب إلى هذا المعنى الباطل إلا " الحلولية " من قدماء " الجهمية " وغيرهم الذين قالوا : إن الله بذاته في كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

خلاصة القضية :

١) : معية الله تعالى لخلقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

٢) : هذه المعية حقٌ على حقيقتها لكنها معيةٌ تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أي مخلوق لمخلوق .

٣) : هذه المعية تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً . =

عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم . وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزهُ :

وهذا الحقُّ ليس به خَفَاءٌ فدعني من بنيات الطريق [٦ب]

وقد هلك المنتطعون^(١) ، ولا يهلكُ على الله إلا هالكٌ ، وعلى نفسها^(٢) براقشُ تجني .

وفي هذه الجملة - وإن كانت قليلةً - ما يغني من شحِّ بدينه ، وتحرص عليه عن تطويل

المقال ، وتكثير ذبوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله ، والمهدي من هداه الله .

حرره المحيَّبُ محمد بن علي الشوكاني في شهر ربيع الآخر بحصن كوكبانَ حامداً لله

سبحانه مصلياً مسلماً على رسوله وآله سنة ١٢٢٨هـ .

[انتهت الرسالة المفيدة يوم الثلاثاء بعد العصر لعله (١٨) شهر ربيع أول من سنة

خمسة وسبعين ومائتين بعد الألف (١٢٧٥هـ) ختمها الله بحق محمد وآله صلى الله

عليه وسلم] ^(٣) .

= ٣) : هذه المعية لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم .

٤) : هذه المعية لا تناقض ما ثبت لله تعالى من علوه على خلقه واستوائه على عرشه .

وقد تقدم توضيح ذلك وشرحه .

وانظر الفتوى الحموية (ص١٠٧-١٢٠) والعقيدة الواسطية (ص١١٥) الصواعق المرسله على الجهمية

والمعطله لابن القيم في المثال التاسع (ص٤٠٩) مختصر العلو (ص١٣٨-١٣٩) .

(١) : يشير إلى قوله ﷺ : " هلك المنتطعون " قالها ثلاثاً . وهو من حديث عبد الله بن مسعود . أخرجه

مسلم رقم (٢٦٧٠/٧) وأبو داود رقم (٤٦٠٨) .

● هلك المنتطعون : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

(٢) : مثل يضرب لمن يعمل عملاً يرجع ضرره إليه .

قال في مجمع الأمثال للميداني (٣٣٧/٢-٣٣٨) : كانت براقش كلبة لقوم من العرب ، فأغبر

عليهم ، فهربوا ومعهم براقش فأتبع القوم آثارهم بنباح براقش ، فهجموا عليهم فاصطلموهم ، قال حمزة

ابن بيض :

لم تكن عن جناية لحقتني لا يساري ولا يميني رميتني

بل جناها أخ عليّ كريمٌ وعلى أهلها براقش تجني

(٣) : زيادة من المخطوطة " ب " .

الدر النضيد
في
إخلاص التوحيد

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقيقته وعلقت عليه وخرّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف مخطوطة الأسئلة

- ١- في أعلى الصفحة الأولى مكتوب بخط الإمام الشوكاني رحمه الله العبارة التالية :
" هذا السؤال كتبه إليّ القاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم رحمه الله وأجبت بالرسالة الآتية " .
- ٢- أول الأسئلة : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله . وبعد : فإنه خطر بالخاطر الفاتر القاصر تحرير هذا السؤال عما أهمه من مسألة التوسل بالأنبياء والأولياء الأكابر ...
- ٣- آخر الأسئلة : ثم نقل كلام ابن الهمام في " الفتح القدير " وسيحيط الجواب منكم - إن شاء الله - بجميع ما فيه ، وإثبات ما يشبهه البأل ، ونفي ما ينفيه . والسلام .
- ٤- نوع الخط : خط نسخي معتاد .
- ٥- عدد الصفحات : ٩/صفحة .
- ٦- المسطرة : ٢٣ سطرًا .
- ٧- عدد الكلمات في السطر :
- ٨- الناسخ : السائل القاضي : محمد بن أحمد مشحم .

المحرمه اورد السوطي حراما في البر المشور في تعريف قوله تعالى كلما وحل عليها
 الحجاب احادث كثيره في النهي عن الخاد الحاربه في المساجد بالسول
 ادلا عن تيمم بكل الاحادث ثمان عن صفه الحاربه اليهود عن الخاد بها
 هل هي الطافات كما في حصن الامار التي يرد بها ام هذه الحاربه التي
 توحد الان في المساجد ثمان عن محرم الرسول صلى الله عليه واله سلم
 القدي كان في عهدك كيف صفته وهل غير الان عن صفته الذي
 كان عليها وهل وانما هل نظروا لكم علة للنهي لعلمها ان يحصل
 الاله ام من الناس على هذه الحاربه على فرض انها هي المهيمنه
 وقد ساق السوطي بكل الحاربه بحسبها في الخصاصه الكوري لعلمها
 بلطفه كانت احصاه صلى الله عليه واله سلم براهه المصلو في الحجاب
 وقد كان من علمنا كما قال تعالى مادسه المسكوه وهو نام لصل في الحجاب
 اخرج ابن اسفل في المصنف عن موسى الجهمي قال قال رسول الله صلى
 عليه واله سلم لا تزال امتي بخير ما لم يحدوا في مساجدكم هذا الخ كذا
 الصاري واخرج ابن اسفل عن عبد بن محمد قال كان اصحاب
 حجر صلى الله عليه واله سلم يقولون ان من اشراط الساعة ان يحد الخ
 في المساجد عن الطافات واخرج ابن اسفل عن ابن اسفل عن
 ابو هانئ الحاربه واخرج ابن اسفل عن ابن اسفل عن ابن اسفل
 ان يحد الخ في المساجد واخرج ابن اسفل عن ابن اسفل عن ابن اسفل
 في الطواف واخرج مسلم عن الحسن وابراهيم الصحبي وسالم ابن اسفل
 وان جالوا الى واخرج الطبراني والبيهقي في مسنده عن ابن اسفل
 حديثا انقوا هذه الحاربه المدائح لعني الحاربه انتهى منه
 بعد محرم هذا ادعت علم شرح المنادى لحديث القواعد المدائح لعني الحاربه
 ففر الحاربه لصدور المجلس اي يحتمل بحري صدر المجلس قال
 ودفع للمصنف انه فحل هذا الخ الخاد الحاربه في المساجد والوقوف بها
 ودل حين على قوم كون الحاربه المسجده بدعه وخطوا انه كان في من صلى الله عليه واله سلم
 ولم يكن في رسته ولا في من جعلوا به لحدث في الماسه الثانيه عن صفه النبي عن
 مروه الساري وقال ابن اسفل عن الحاربه لصدور الحاربه بقدره ويقال له كلاما
 محمله من بها مروج الروايه السوطي لم نقل كلام ابن الهمام في الصحيح القدر
 الحاربه من ان شاء الله جميع ما فيه وانما ما تبين لنا ولعمري تصحيحه واللام

[الصفحة الأخيرة من صورة مخطوط الأستخ]

[السؤال]

هذا السؤال كتبه إلي القاضي العلامة / محمد بن أحمد مشحم^(١) - رحمه الله - :
وأجبت بالرسالة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وبعده .
فإنه خطر بالخاطر الفاتر القاصر تحرير هذا السؤال عما أهمه من مسألة التوسل بالأنبياء
والأولياء الأكابر ، مع ما عرف فيها من اقتراف الأقوال ، والرَّمي من كل فئة للأخرى
بالداء العُضال ، وخروج أكثر المتوسلين عن جادة الطريق ، وتعصّب مخالفيهم ورَميهم في
بعض أقوالهم بالتكفير والتفسيق ، فحراني ما رأيتُ إلى رَقَم هذه الكلمات في المسألة ،
واستفاح أفعالها المقفلة مُوجَّهاً للسؤال إلى من أَلقتُ إليه العلومُ مقاليدَها ، وملكته
بالوَهب والكسب طارِفها وتليدَها ، فاقتصر منها أباكراً المعاني التي لم يطمئنها أحدٌ قبله ،
وفتَح من مُقفلاتها ما كان مضموماً لم يَحُم أحدٌ حوله ، فأصبحتُ عيونُ المعاني به
قريرةً ، وأسرار البلاغة بوجوده مسرورةً ، ومعالمُ الترتيل بأنواره منيرةً ، وصدورُ
الأمّهاتِ السّتِّ بأها منشرحة ، كما أن سطورها مشروحةً ، وأطرافها مزينةً ، بجُلاه ،

(١) : هو محمد بن أحمد بن جار الله الصعدي ، ثم الصنعاني ، اليماني ، المعروف بمشحم الكبير ، عالم أديب ،
ولي الخطابة والقضاء في بعض المدن أيام المنصور الحسن وابنه المهدي العباس ، وتوفي بصنعاء
(١١٨١هـ - ١١٧٦٧م) .

من آثاره : تنوير الصحيفة بذكر عوالي الأسانيد الشريفة .

إتحاف أهل الطاعة بفضيلة صلاة الجماعة .

إرشاد السالك إلى أوضح المسالك .

النسيم الساري على صفحات نهر الزلال الجاري في آداب المقرئ والقاري .

نظم نخبة الفكر في علم الأثر .

معجم المؤلفين (٥٦/٣ رقم ١١٦٥٧) والبدر الطالع (١٠٢/٢) الأعلام للزركلي (١٤/٦) .

التي هي اللآلئ المروجة ، شيخ الإسلام ، وقاضي الأنام محمد بن علي أعلى الله شأنه ، ورزقه المكانة ، وأباح له فضله وإحسانه - ، وإذا تشرفت هذه الكتابة بمثلها بين يديه فالتوسل في ستر ما فيها به أعزه الله إليه ، ولتعلم أولاً أن السائل ممن يرى جواز هذه الوسائل لكنّه وقف قديماً وحديثاً على كلام لبعض الأكابر أوجب تحرير هذه الأحرف ، وإبراز ما عنده ولا عند القاصر ، ولما كان الأمر على هذه الصفة كان التحرير على طراز لعله يوافق الطائفة المنصفة ، وسينجاب عن وجه السؤال غبار الأشكال إن شاء الله . إذا لوحظ من مولاي - حفظه الله بالأفعال ، ويحمد السرى عند الصباح ، وتظهر أسرارير وجهه عليها تباشير الفلاح ، والله تعالى يدمّ ديم فوائدكم ، ويبعد علينا بركات عوائدكم بمّنه وفضله .

فقول : التوسل^(١) إلى الله - عز وجل - معناه التقربُ إليه والاستشفاعُ إلى جنبه - جل جلاله - بمن له منزلةٌ لديه ، وكرامةٌ من عملٍ أو شخصٍ . ولا يخفى أن لبعض الأعمال مزايا ومنازلُ لدى الملك المتعال ، كما أن لبعض الأشخاص كذلك بلا إشكال ، ومنه حديث الثلاثة^(٢) الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم ، ومنه : كلمتان^(٣) خفيفتان [١] حبيبتان إلى الرحمن ، فإن وصفها بكونهما حبيبتين مما يشعر بأن الحبيب إلى الله مما يتوسل به إليه لكرمه عليه .
ومن التوسل بالأشخاص حديث الضير^(٤) الذي علمه الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - صلاة الحاجة ، وهو في (الحصن الحصين) ، ورمز له للترمذي والنسائي والحاكم في المستدرک : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، نبي الرحمة ، يا محمد ، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه في قال المحقق

(١) : سيأتي تعريفه (ص ٣١٢) .

(٢) : سيأتي تخريجه (ص ٣١٥) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤٤ و ٦٥٤٨) ومسلم رقم (٢٨٥٠) من حديث أبي هريرة .

(٤) : سيأتي تخريجه (ص ٣١٣) .

الفاسي : أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، والنسائي وابن ماجة والطبراني . وذكر في أوله قصةً ، وابنُ خزيمة في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

ولفظ النسائي : أن أعمى أتى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله لي أن يكشفَ لي عن بصري ، قال : أو ادعك قال : يا رسول الله إنه قد شقَّ عليَّ ، قال : فانطلق فتوضأ ، ثم صلَّ ركعتين) الحديث . فهذا فيه التوسُّلُ بنبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - .

ومنه الدعاءُ الواردُ إذا تفلت القرآن عزاه السيوطيُّ في أذكاره إلى الديلميِّ في مسند الفردوس^(١) ، وابنِ حبان (اللهم إني أسألكُ بمحمد نبيِّك ، وإبراهيمَ خليلِكَ ، وموسى نبيِّك ، وعيسى روحِكَ وكلمتِكَ) الحديث .

وفي أدعية الصباح والمساء مما رواه الطبرانيُّ في الكبير^(٢) : (أسألكُ بنور وجهِكَ الذي أشرقتُ له السماواتُ والأرضُ ، وبكلِّ حقٍّ هو لك ، وبحقِّ السائلينَ عليك) .

وفي الأدعية الواردة بعد الصلاة : (اللهم إني أسألكُ بحقِّ السائلينَ عليك ، فإن للسائلينَ عليك حقاً) الحديث . عزاه السيوطيُّ في أذكاره إلى الديلميِّ^(٣) .

(١) : ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٤/٣٠٢) من حديث أبي بكر . وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط محقق الكتاب : كذا في الأصل بياض بعد قوله أخرجه وفي المطبوع : أخرجه رزيـن ولم أره بهذا اللفظ .

(٢) : (١٠/٣١٥) رقم (١٠٦٠٠) .

(٣) : قلت : أخرجه ابن ماجة في السنن رقم (٧٧٨) وأحمد في مسنده (٣/٢١) والطبراني في الدعاء رقم (٤٢١) وابن خزيمة في التوحيد كما في تحريج أحاديث الإحياء (٢/٨٠٧) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٨٥) كلهم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف لضعف فضيل بن مرزوق ولضعف عطية العوفي أيضاً .

وجملة القول أن الحديث ضعيف والله أعلم .

ومنه ما ذكره المفسرون^(١) في تفسير الكلمات التي تلقاها أبو الخليفة آدم - عليه السلام - من ربه - جل وعلا - فأخرج ابن المنذر^(٢) عن محمد بن علي بن الحسين بن علي - عليه السلام - قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربُه، واشتدَّ ندمُه، فجاءه جبريل [عليه السلام] فقال: يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذي يتوبُ اللهُ عليك؟ قال: بلى يا جبريلُ. قال: قم في مقامك الذي تناجي فيه ربَّك فمجدِّه، وامدحْ حتى قال في آخر الحديث: اللهمَّ إني أسألك بجاهِ محمدٍ عندك وكرامته عليك أن تغفرَ لي خطيئتي، فقال اللهُ: يا آدم، من علمك هذا؟ قال: يا ربُّ إنك لما نفختَ فيَّ الروحَ فقمْتُ بشراً سوياً أسمعُ وأبصرُ وأعقلُ وأنظرُ رأيتُ على ساقِ عرشِك مكتوباً: "بسمِ اللهُ الرحمنِ الرحيم، لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، محمدٌ رسولُ اللهُ، فلما لم أرَ على أثرِ اسمِك اسمَ ملكٍ مقربٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ غيرَ اسمه علمتُ أنه أكرمُ خلقِك عليك، قال صدقتَ يا آدم". وهذا وإن كان منقطعاً فإن مثله [٢] من مثل الباقرِ محمدِ بن علي - عليه السلام - لا يقالُ بالرأي ولا يطلقه شاكاً في سنده .

وأخرج الديلمي^(٣) في مسند الفردوس بسندٍ واهٍ عن عليٍّ - رضي اللهُ تعالى عنه - أنه قال آدم: "اللهم إني أسألك بحقِّ محمدٍ وآلِ محمدٍ".

وأخرج ابنُ النجار^(٤) عن ابن عباس قال: سألتُ رسولَ اللهِ - عليه السلام - عن الكلمات التي تلقاها آدم قال: (سأل بحقِّ محمدٍ، وعليٍّ، وفاطمةَ، والحسنِ والحسينِ إلا تُبِتَ عليَّ فتابَ عليه).

وأخرج الطبرانيُّ في معجمه الصغير^(٥)، والحاكم^(٦) وأبو نعيم،

(١): انظر: - فتح القدير للشوكاني (١٠٣/١-١٠٥). - جامع البيان للطبري (٢٤٣/١).

(٢): كما في الدر المنثور (١٤٦/١-١٤٧) بسند ضعيف منقطع.

(٣): كما في " الدر المنثور " (١٤٧/١) بسند واهٍ.

(٤): كما في " الدر المنثور " (١٤٧/١) ضعيف جداً.

(٥): (٨٢-٨٣).

(٦): (٦١٥/٢): وقال صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . =

والبيهقي^(١) كلاهما في الدلائل ، وابنُ عساكر^(٢) عن عمرَ بن الخطاب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " لما أذنبَ آدمُ الذنبَ الذي أذنبه رفعَ رأسَهُ إلى العرش ، وقال : أسألك بحقِّ محمدٍ إلا غفرتَ لي " الحديث . كل هذه الأحاديثِ في الدرِّ المنثور^(٣) - رحم الله مؤلِّفَهُ ، وجزاهُ خيراً - .
فهذه الأحاديثُ مناديةٌ بجواز التوسُّلِ بمن له عند الله منزلةٌ . وقد ساق الحافظ السيوطيُّ في الخصائص^(٤) الكبرى صلاةَ الحاجةِ التي علَّمها النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - الضريرِ في باب اختصاصِهِ - عليه الصلاة والسلام - بجواز أن يقسِمَ على الله تعالى به ، وذكر فيه قصةً رواها أبو نعيمٍ ، والبيهقيُّ في دلائل النبوة حاصلها عن أبي أمامة بن سهل بن حنيفٍ أنَّ رجلاً كان يَخْتَلِفُ إلى عثمانَ بن عفان - رضي الله عنه - وكان عثمانُ لا ينظر في حاجتهِ ، ولا يلتفتُ ، فلقي عثمانَ بنَ حنيفٍ ، فشكى عليه ، فقال له : ائت الميضاةَ ، وعلمه صلاةَ الحاجةِ ففعلها ثم أتى باب عثمانَ بن عفان فأدخله البوابُ على عثمانَ ، ثم لقي عثمانَ بنَ حنيفٍ فقال : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي - يريدُ عثمانَ بنَ عفانَ - حتى كلمتهُ ، قال له : ما كلمتهُ ولكن رأيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - جاءه ضريرٌ فشكى إليه الحديث .

قال السيوطي^(٥) : قال ابن عبد السلام : ينبغي أن يكونَ هذا مقصوراً على رسول الله

= فتعقبه الذهبي بقوله : بل موضوع وعبد الرحمن وإه . وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو .
والفهري هذا أورده الذهبي في " ميزان الاعتدال " بهذا الحديث وقال : " خير باطل ، رواه البيهقي في الدلائل " اهـ .

(١) : في " دلائل النبوة " (٤٨٨/٥) وقال : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف .

(٢) : ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (١٤٢/١) . و خلاصة القول أن الحديث موضوع .

(٣) : (١٥٢-١٤٢/١) .

(٤) : (٢٠٢-٢٠١/٢) .

(٥) : في الخصائص (٢٠٢/٢) .

- صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه سيّدُ ولدِ آدمَ ، وأن لا يقسمَ على الله بغيره من الأنبياء والأولياء ، لأنهم ليسوا في درجته ، وأن يكون هذا مما خُصَّ به - صلى الله عليه وآله وسلم - تنبيهاً على علوِّ درجته ومرتبته أنتهى .

ولعله لأجل كلام ابن عبد السلام ترجم السيوطي^(١) هذا الباب بهذه الترجمة ، ولا يخفى أنه ليس في كلام ابن عبد السلام ما يشعر بالجزم ، فإنه إنما قال ينبغي ، وأصل وصفها إنما هو بمعنى الأولوية ، وأيضاً ليس في هذه الأدلة ما ينفي الجواز بل كلها صريح في جواز التوسّل بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أو بمن له [٣] منزلة عند الله رفيعة . ولتأمل في الأحاديث الواردة في شأن قصة آدم ، فإنها منادية بأن كل ذي جاه عند ربّه تعالى يجوزُ التوسّل إليه تعالى ، وعلى هذا جرى أكثر العلماء في توسّلاتهم وأدعيتهم وأشعارهم بلا تكبير . فأما ما يُقَالُ عن ابن عبد السلام^(٢) ، ومثله عن مالك فإنه ما أداهما إليه اجتهادهما . وهذه الأحاديث تلقاها الناس خلفاً عن سلفٍ بالقبول ، وعملاً بهذه الأدعية الفاضلة منهم والمفضول ، وما تحرّج أحد من المسلمين عن الدعاء فيما أحسب هذه الأدعية ، ولا عن صلاة الحاجة .

فأما ما تُوهّم من اختصاص صلاة الحاجة والتوسّل بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في حاله حياته فهذا التوهّم ما أبعد عن فهم الأحاديث ، وعن قوانين أهل العلم ! فإنه لو صح التخصيص بهذه التخيلات الفاسدة لجاز في أكثر الأحاديث أن يُقال : هذا خاص في حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - ومن أين لنا أنه عامٌ بعد مماته ! ونحو هذا ما تُوهّم أيضاً في التوسّل بالعباس^(٣) بن عبد المطلب - ﷺ - أنه يجوزُ التوسّل بالحيّ دون الميت ، لأن الميت الذي قد صار رهيناً في الثراب ليس بأهلٍ يتوسّل بماله من الجاه والكرامة

(١) : أي باب " اختصاصه ﷺ بجواز أن يقسم على الله به " في الخصائص (٢/٢٠١) .

(٢) : ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/٢٠٢) .

(٣) : سيأتي تخرجه (ص ٣١٤) .

والتوابع وهذا كما أنه تخصيصٌ بلا دليلٍ بل بحسب الواقعة ، بعيدٌ في النظر فإن الحسيَّ يجوزُ منه الغفلةُ والخطأُ ، فأما الميِّتُ الذي غفر اللهُ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر - صلى اللهُ عليه وآله وسلم - أو المقطوعُ بأن لهم عند الله منازلٌ رفيعةٌ فإنه لا يجوزُ منه ما ذكر ، والتوسُّلُ إنما هو بتلك المترلة التي لذلك الشخصِ في الحقيقة التي نالها من ربِّه تعالى .
وحاصل الأمر أن من علّمنا بطريقٍ صحيحةٍ منزلته عند ربِّه تعالى ، فأَيُّ مانعٍ لنا من التوسُّلِ به إلى ربه الذي أعطاه هذه الرتبة لديه ! وإذا جازت الشفاعةُ في يوم القيامة لمن لهم الشفاعةُ من الأنبياءِ والصدّيقينَ والشهداءِ والعلماءِ فما المانعُ من أن الله يشفّعهم في هذه الدارِ ، وهذه الأدعيةُ الواردة عن النبيِّ - صلى اللهُ عليه وآله وسلم - أصلٌ لهذه الدّعوى ، فإنها واقعةٌ منه - صلى اللهُ عليه وآله وسلم - في هذه الدارِ نقلها روايةُ أخباره لتعليم العبادِ بالدعاء بها عند الشدائدِ ، ونزولِ المِلَمَاتِ ، واستجلابِ الخسراتِ ، ودفْعِ البليّاتِ [٤] .

ومن فروع هذه المسألة الدعاءُ عند قبورِ الصالحينَ . قال العلامةُ شمسُ الدين محمد بن محمد الجزري - رحمه اللهُ تعالى - في عدة الحصنِ الحصينِ^(١) : وجرت استجابة الدعاء عند قبورِ الصالحينَ انتهى . وفي كثيرٍ من التراجم لكثيرٍ من العلماء لا يأتي عليهم الحصرُ : وقبرُهُ مشهورٌ مزورٌ . وقبرُهُ مشهورٌ باستجابة الدعاء . وقبر فلان تريباقٌ مجرَّبٌ . وقبرُ فلانٍ مَنْ دعا عنده قضيتُ حاجتُهُ وغير ذلك مما لا يحصى كثرةً في التراجم ، لا سيما ما في كتب المتصوفة كطبقات الشعرايين^(٢) ، والجندي ، والشرجي ، ونفحة المندل .

(١) : (ص ١٣٥) - مع هداية المستبصرين .

(٢) : هو عبد الوهاب بن أحمد الحنفي ، نسبه إلى محمد ابن الحنفية - من المتصوفين الغلاة ولد بمصر (١٨٩٨هـ/١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته "الشعرايين" والشعراوي ،

مات في القاهرة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م له مؤلفات غالبها في التصوف منها :-

- "لوائح الأنوار في طبقات الأخيار" .

- "القواعد الكشفية" .

ولا ريبَ أن الدعاء عند القبور بغير ما ورد عن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بدعةٌ ، فقد مات في عصر النبوة أجلاء الصحابة ، ومنهم حمزةُ أسدُ الله وأسدُ رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وشهداءُ أُحُدٍ ، وشهداءُ بدرٍ ، ومات عثمان بن مظعون^(١) الذي بكى عليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلم على قبره بصخرةٍ لِيُلْحَقَ به من مات من أهله ، وسعدُ بن معاذ^(٢) الذي اهتزَّ عرش الرحمن لموته وغيروهم من أكابر الصحابة ولم يُؤْتَر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه أرشد أحداً من أمته أنه إذا أهمته مهمةٌ ، أو نزلت به حاجةٌ أن يأتي إلى قبر فلانٍ من الصحابة ويقصده في قضاء الحاجات ، ويتوسَّلُ به في المهمات ، وعرفهم أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - سيموت ، ولم يرشدهم أنه إذا نابتهُم نائبةٌ أن يأتوا إلى قبره الشريف ، ويدعون عنده ، وقبره سيّد القبور ، وعصره خيرُ العصور . بل قال : " لا تتخذوا قبوري عيداً "^(٣) وعرفهم بالمحلات والأوقات التي تستجاب فيها الدعوات ، ولم يقل إن قبر سعد بن معاذ الذي اهتزَّ له عرش الرحمن ، أو قبر سيّد الشهداء تريقاً مجرَّبٌ لقضاء الحاجات ونيل الطلبات .

فتعمدُ القبور للأدعية لديها ، والتوسَّلُ بأهلها لا يخفى على متحلِّ بالإنصاف ، متخلِّ عن الاعتساف أنه بدعةٌ لم يأت بها أثرٌ عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا عن أصحابه - ﷺ - ، ولا عن التابعين .

وخيرُ الأمور السالفاتُ على الهدى وشرُّ الأمور المحدثاتُ البدائعُ [٥]

ويكفي المتدينين بدين الإسلام قوله - عليه الصلاة والسلام - : " كل عمل ليسَ عليه

= انظر : الأعلام للزركلي (٤/١٨٠-١٨١) .

(١) : أخرجه الترمذي رقم (٩٨٩) وأبو داود رقم (٣١٦٣) وابن ماجه رقم (١٤٥٦) عن عائشة أن النبي

ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي . أو قال عيناه تزرقان .

وهو حديث صحيح .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٠٣) ومسلم رقم (٢٤٩٦) من حديث جابر .

(٣) : سيأتي تخريجه (ص ٣٢٥) .

أمرنا فهو ردٌّ" (١) فأقلُّ أحوال المُمَّتْلِ للحديث أن ينظر هل جاء بقصد القبور لقضاء الحاجات أمر من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أو فعل ، أو تقرير ؟ فإن جاء فيها ونِعَمَت ، وإن لم يجيء شيء من ذلك عرف أنه مردودٌ .

فإن قيل : زيارة القبور سنةٌ مثابٌ عليها جاءت بها السنة قولاً وفِعلاً وتقريراً ، فإذا دعا الداعي بعد الزيارة فإن الدعاء بعد عمل الصالحات من مظان الإجابة ، وهو إن لم يرد بخصوصه فهو داخل فيما ذكره من تقديم عمل صالح قبل الدعاء .

قلت : لا ريب أن زيارة القبور من أجل الطاعات ، وأن الدعاء بعد العمل الصالح من مظان الإجابة ، ولعله - والله أعلم - حمل ابن الجزري وغيره على ما قالوه من استجابة الدعاء عند قبور الصالحين ؛ فإن رحمة الله لا تعزب عن قبورهم ، لكن الاعتبار بالمقاصد ، فإن كان قصد الزائر إنما هو التوسل بالميت الصالح فهذا هو الذي نعدّه بدعةً ، وإن كان القصد الزيارة للقبور فتلك سنةٌ مثابٌ فاعلها ، والدعاء بعدها مظان الإجابة . وقد أجمع المسلمون إجماعاً فعلياً على الدعاء بعد زيارة قبر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فإن الزائر بعد إكمال الزيارة يتوجه إلى القبلة ، ويستدبر القبر الشريف ، وقد يستقبل بعض الناس القبر الشريف ويدعو ، وهذا لا إنكار فيه من أحدٍ ؛ فالأموء من مولانا

(١) : أخرج البخاري في صحيحه رقم (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه رقم (١٧١٨) وأحمد (٧٣/٦ ، ٢٧٠) وأبو داود رقم (٤٦٠٦) وابن ماجه رقم (١٤) والدارقطني في السنن (٢٢٤-٢٢٥ ، ٢٢٧) والبيهقي (١١٩/١٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٣١/١) وابن عدي في الكامل (٢٤٧/١) والطيالسي في المسند (ص ٢٠٢ رقم ١٤٢٢) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ " .

● وأخرج البخاري في " خلق أفعال العباد " ص ٤٣ ، وأحمد في المسند (١٤٦/٦ ، ١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠) والبخاري في شرح السنة (٢١١/١) رقم (١٠٣) .

وابن حجر في " تغليق التعليق " (٣٩٧/٣) كلهم بلفظ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ " .

● وأخرج ابن حجر في " تغليق التعليق (٣٩٨/٣) بلفظ : " من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ " .

العلامة الإمام - نصر الله به شريعة سيّد الأنام - .

بيان ما في مسألة التوسّل بالأنبياء والأولياء ، والدعاء عند القبور واستيفاء الكلام في ذلك ، مما يجوز به المستول أعظم الأجر .

ولقد وقفتُ حالَ همّي بتحرير السؤالِ في ترجمة السُّبُكِي الكبير - رحمه الله - في طبقات ولده - رحمه الله - على أمر غريبٍ من مثل السبكي . قال التاج في الطبقات^(١) في ترجمة والده^(٢) بعد أن ذكر من علومه وصلاحه ، وأثنى عليه ، ومنها ما حكاه الأخ الشيخ العلامة الإمام بهاء الدين أبو حامد ، ونقلته من خطّه قال : عدتُ من الحجازِ في سنة ٧٥٦هـ ووجدتهُ ضعيفاً ، فاستشارني في نزوله لولده قاضي القضاة تاج الدين عن قضاء الشام ، ووجدته كالجازمِ بأن ذلك سيقعُ ، وقال لي : سبُّ هذا أي قبل أن أمرضَ بأيام [٦] - أغلب ظني أنه قال خمسة أيام - رحّت إلى قبر الشيخ حمادٍ خارجَ بابِ صغير ، وجلست عند قبره منفرداً ليس عندي أحد ، وقلت له : يا سيدي الشيخ ، لي ثلاثة أولاد : أحدهم قد راح إلى الله ، والآخَرُ في الحجاز ، ولا أدري حاله ، والثالث هذا ، وأشتهي أن موضعي يكون له ، قال : فلما كان بعد أيام - أغلب ظني أنه قال يومين أو ثلاثة - جاءني الخالدي يسيرٌ إلى شخصٍ كان فقيراً صالحاً يصحبُ الفقراءَ فقال لي : فلان يسلم عليك ويقولُ لك : تقاطعُ عليه الزورة ، تروح للشيخ حماد تطلبُ حاجتكُ منه ولا تقولُ له ! قال : فقلتُ له على سبيل البسطِ : سلّم عليه وقلْ له : أَلست تعلمُ أي فقيهٍ بائسٌ ، وأن كل أحدٍ رأني ذاهباً إلى قبر الشيخ حماد ، ولكن الشيطان يقولُ له : إيش حاجتهُ ؟ قال : فتوجّه الخالدي إليه ثم عاد وقال : يقول لك : لا تكنُ تعترضُ على الفقراءِ ، الشيخ حمادٌ يقولُ لك : انقضتُ حاجتك التي هي كيتَ وكيتَ . قال : فقلتُ

(١) : " طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٢١٦) .

(٢) : وهو علي بن عبيد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن سوار بن سليم

السُّبُكِي . شيخ إمام فقيه محدث أصولي نحوي متكلم .

انظر ترجمته " طبقات الشافعية " (١٠/١٣٩-٣٢٨) .

له : أما الآن فَتَعَمَّ ، فإن هذا لم يشعر به أحد . قال : فقلتُ له : سلهُ هل ذلك كشفٌ أو منامٌ ؟ قال : فعاد وقال : ليس ذلك إليك . انتهى المنقولُ من خط الأخ انتهى المنقول من (١) الطبقات (٢) ، وهو مما نتعجبُ منه ونسألُ عنه .

نعم يبقى الكلامُ فيما لو فعل الإنسان هذا الذي قررنا أنه بدعةٌ يعني أنه أصابته نائبةٌ فقصد قبرَ إمامٍ من أئمةِ المسلمين ، مشهورٍ بالصلاح ، ووقف لديه ، وأدى الزيارة ، وسأل الله بأسمائه الحسنى ، وبما لهذا الميت لديه من المترلةٍ ، هل تكون هذه البدعةُ عبادةً لهذا الميتِ ؟ ويصدق عليه أنه قد دعا غيرَ الله ، وأنه قد عبد غيرَ الرحمن ، ويُسَلَّبُ عنه اسمُ الإيمان ، ويصدقُ على هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان ، ويُحَكَّمُ برِدَّةِ ذلك الداعي ، والتفريقِ بينه وبين نسائه ، واستباحةِ أمواله ، ويعامل معاملةَ المرتدين ، أو يكونُ فاعلَ معصيةٍ كبيرة ، أو مكروهٍ ؟ هذا كلُّه فيمن فعل على هذه الصورة ، ثم كذلك من يأتي من العوامِّ إلى قبورِ الأولياءِ فيقولُ : يا فلانُ - يخاطبِ الوليَّ - أنا عليك ، أنا مستجيرٌ بك ، أنا أنا إلى غير ذلك . ولا ريبَ أن هذا عاصٍ لله تعالى ، لكن هل يكون عصيانه مخرجاً له من الإيمان ؟ وكاسياً له ثوبَ الكفرانِ [٧] مع كونه يعترفُ بعقله ولسانه أن الله تعالى هو المسبَّبُ لجميعِ الأمورِ حقيقةً لا تحومُ حولَ حِمَاها ؟ فإذا سألتَهُ عن هذا الفعلِ الذي يصنعه فيقولُ : إن للولي كراماتٍ عند الله ، وله جاهٌ وشفاعةٌ ، ونحوُ هذا جرى في أشعارٍ كثيرٍ من علمائهم في مدحِ الأولياءِ نحوَ : قمَّ بي بأهلي وبصحي . ونحو قولِ بعضِ الأدباءِ :

هاتِ لي منك يا ابن موسى إغاثةً عاجلاً في مسيرها حثائهُ
وأجرني من الزمانِ الذي يسرُّ لي ذا البلاءِ بغائهُ

[ونحو هذا كثير] (١) ، حاصلُ الأمرُ أنها أوصافٌ لا تطلقُ إلا على الله تعالى ، فإذا سألت من يتمسكُها قال : لا أقول إن الوليَّ يفعلُها استقلالاً ، وإنما له من

(١) : في المخطوط مكرر .

(٢) : أي طبقات الشافعية الكبرى (٢١٦/١٠) .

الكرامات^(١) بعد الممات ما ينجو به الداعي لديه ، والمستحيرُ به ، وهذا لا ريبَ في خطئه، إنما الشأن في كفر فاعله ، ومعاملته معاملة المرتدِّ في جميع أحواله ، بحيث لو تيسر للإنسلك قتلُه لقتله ، أو لو تيسرتُ أمواله لأخذها ، فإن كان الأمر هكذا فما بال أئمة المسلمين وعلماء الدين لم يناشِدُوا أهل هذه الجهاتِ التهامية واليمينية والشامية كصعدة وأحوالها بالقتال ، ويذيقونهم أشدَّ النَّكال ! وقد أمرهم الله تعالى بالقوة التي لا تنكر ، والأمداد الذي هو أشهر من أن يُشهرَ . وإن كان الأمر مفضياً إلى الفسقِ فالمطلوبُ تحقيقُ هذا السؤالِ بأطرافه ، ولا يمنع مولاي - حفظه الله وحماه - سوءُ أدبِ السائلِ لتحريرِ السؤالِ على غير قاعدة السؤالِ ، فإنه إنما عرض ما في خَلدهِ الملازم للاختلالِ ، ليتبين للمسؤلِ علقه السؤالِ فيرشدُ إلى دواءِ ذلك الاعتلالِ ، والله تعالى هو المطلعُ على خفياتِ السرائرِ ، ونسأله أن يغفر لنا الكبائرَ من الذنوبِ والصغائرَ والسلامُ ختامٌ .

ومن تمام الفائدة المطلوبة نقلُ ما تكلم به ابن تيمية^(٢) وتلميذه^(٣) في الدعاء عند القبور، والتكلم عليه نفيًا أو إثباتًا فقد أطال الكلام في مواضع من كتبه . ومحط الفائدة هل تلك الكلماتُ الصادرةُ من العوامِّ أو الخواصِّ عبادةٌ لغير الله أم لا^(٤)؟ . والله الهادي وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله .

الحمد لله ، وأورد السيوطي - رحمه الله - في الدر المنثور^(٥) في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ...﴾^(٦) . أحاديث كثيرة في النهي عن اتخاذ المحلوب^(٧) في

(١) : انظر : رسالة " بحث في التصوف " رقم (٢٥) من القسم الأول . وسيأتي مناقشة ذلك خلال رسالتنا هذه .

(٢) : انظر اقتضاء الصراط (٥٦٩/٢ ، ٧٧٦) وسيأتي .

(٣) : أي ابن القيم انظر : " مدارج السالكين " (٣٨٥/١) وسيأتي ، " إغاثة اللهفان " (٢٨٨/١) .

(٤) : وانظر ذلك خلال الجواب وتعليقنا عليه .

(٥) : (١٨٤/٢ - ١٩١) .

(٦) : [آل عمران : ٣٧] .

(٧) : * قال الشيخ الألباني في " الضعيفة " (٦٤٧/١) .

المساجد فالسؤال :

أولاً : عن رتبة تلك الأحاديث .

ثانياً : عن صفة المحاريب المنهي عن اتخاذها ، هل هي الطاقات كما في بعض الآثار التي سردها أم هذه المحاريب التي توجد الآن في المساجد ؟.

ثالثاً : عن محراب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي كان في عهده كيف صفتُه ، وهل غير الآن عن صفتِه الذي كان عليها ؟.

رابعاً : هل يظهر لكم علةٌ للنهي لعلها زالت فحصل الإقدام من الناس على هذه المحاريب على فرض أنها هي المنهي عنها .

وقد ساق السيوطي تلك الأحاديث بعينها في الخصائص^(١) الكبرى فنقلتها بلفظهِ ، قال : باب : اختصاصه - صلى الله عليه وآله وسلم - بكرامة الصلاة في المحراب . وقد كان لمن قبلنا كما قال تعلق : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾^(٢) . أخرج ابن أبي شيبة في المصنف^(٣) عن موسى الجهني قال : قال رسول الله - صلى الله

= " وجملة القول : إن المحراب في المسجد بدعة ، ولا مسوغ لجمعه من المصالح المرسلة ، مادام أن غيره مما شرعه رسول الله ﷺ يقوم مقامه مع البساطة ، وقلة الكلفة ، والبعد عن الزخرفة " اهـ .

* قال ابن حزم في " المحلى " (٢٣٩/٤) رقم المسألة (٤٩٧) : " وتكره المحاريب في المساجد ... قلل علي : أما المحاريب فمحدثه ، وإنما كان رسول الله ﷺ يقف وحده ويصف الصف الأول خلفه ... " اهـ .

(١) : (٢٠٦/٢) .

(٢) : [آل عمران : ٣٩] .

(٣) : (٥٩/٢) وهو حديث ضعيف .

قال الألباني في " الضعيفة " (١/٦٤٠) ((وهذا سند ضعيف وله علتان :

الأولى : الإعضال ، فإن موسى الجهني ، وهو ابن عبد الله - إنما يروى عن الصحابة بواسطة التابعين ، أمثال : عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والشعبي ومجاهد ، ونافع وغيرهم ، فهو من أتباع التابعين ، وفيهم أورده ابن حبان في " ثقافته " (٧/٤٤٩) .

عليه وآله وسلم - : " لا تزال أمتي بخيرٍ ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كذابح النَّصاري ". وأخرج ابن أبي شيبة^(١) عن عبيد بن الجعد قال : كان أصحابُ محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - يقولون : إن من أشراط الساعة أن تُتخذَ المذابحُ في المساجدِ ، يعني الطاقاتِ . وأخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن ابن مسعود قال : " اتَّقوا هذه المخابرَ " . وأخرج ابن أبي شيبة^(٣) عن أبي ذر قال : إن من أشراط الساعة أن تُتخذَ المذابحُ في المساجدِ . وأخرج ابن أبي شيبة^(٤) عن عليٍّ أنه كره الصلاةَ في الطاقِ . وأخرج مثله^(٥) عن الحسن وإبراهيم النخعي^(٦) ، وسالم ابن أبي

= وعليه ، فقول السيوطي في " إعلام الأريب بدعة المخابر " (ص ٦٨) بتحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق " إنه مرسل " ليس دقيقاً ، لأن المرسل في عرف المحدثين إنما هو قول التابعي : قال رسول الله ﷺ . وهذا ليس كذلك .

الأخرى : قال : الحافظ في " التقریب " : " صدوق سيئ الحفظ " وهذا ما وقع في نسختنا المخطوطة من " المصنف " ووقع فيما نقله السيوطي عنه في " الإعلام " : (إسرائيل) ، يعني : إسرائيل ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وهو ثقة ، وهو من طبقة أبي إسرائيل ، وكلاهما من شيوخ وكيع ، ولم أستطع البت بالأصح من النسختين وإن كان يغلب على الظن الأول ، فإن نسختنا جيدة مقابلة بالأصل . نسخت سنة ٧٣٥هـ وبناء على ما وقع للسيوطي قال : " هذا مرسل صحيح الإسناد " ! وقد عرفت أن الصواب أنه معضل ، وهذا إن سلم من أبي إسرائيل وما أظنه بسالم ، فقد ترجح عندي أن الحديث من روايته ، بعد أن رجعت إلى نسخة أخرى في " المصنف " (١/١٨٨/١) فوجدتها مطابقة للنسخة الأولى فالسند ضعيف مع إعضاله ثم رأيت كذلك في المطبوعة (٥٩/٢) اهـ .

(١) : في مصنفه (٥٩/٢) .

ولكنه عن سالم بن أبي الجعد ، وليس عبد الله بن أبي الجعد كما في المخطوط .

(٢) : في المصنف (٥٩/٢-٦٠) بسند صحيح .

(٣) : في مصنفه (٦٠/٢) .

(٤) : في مصنفه (٥٩/٢) .

(٥) : في مصنفه (٥٩/٢) .

(٦) : في مصنفه (٥٩/٢) .

الجمع^(١)، وأبي خالد الوالي . وأخرج الطبراني^(٢) والبيهقي في سننه^(٣) عن أبي عمر مرفوعاً : " اتَّقُوا هذه المذابحَ يعني المحاريبَ انتهى منه .

بعد تحرير هذا وقفتُ على شرح المناوي^(٤) لحديث : اتَّقُوا هذه المذابحَ يعني : المحاريبَ ، ففسَّرَ المحاريبَ بصدور المجالس أي تجنَّبوا صدورَ المجالس قال : ووقع للمصنِّف أنه جعل هذا نمياً عن اتِّخاذِ المحاريبِ في المساجدِ والوقوفِ فيها . وقال : خفي على قوم كونُ المحرابِ بالمسجدِ بدعةً ، وظنُّوا أنه كان في زمن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولم يكن في زمنه ولا في زمن خلفائه بل حدثَ في المائةِ الثانيةِ مع ثبوتِ النَّهي عنه ، ثم ردَّه المناوي ، وقال : إن ابن الأثير^(٥) فسَّرَ المحاريبَ بصدورِ المجالسِ ، وتَّبِعَهُ غيرهُ ، ونقل فيه كلماتٍ محتملةٌ ليس فيها صريحُ الردِّ لما فهمه السيوطيُّ ، ثم نقل كلامَ ابنِ الهمامِ في الفتحِ القديرِ^(٦) ، وسيحيطُ الجوابُ منكم - إن شاء الله - بجميع ما فيه ، وإثبات ما يثبته البالُ ، ونفي ما ينفيه .
والسلامُ .

-
- (١) : في مصنفه (٥٩/٢) بسند صحيح .
(٢) : كما في " مجمع الزوائد " (٦٠/٨) وقال الهيثمي : " وفيه عبد الله بن مغراء وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه ابن المديني في روايته عن الأعمش وليس هذا منها .
(٣) : أخرجه البيهقي في " السنن الكبرى " (٤٣٩/٢) بسند حسن .
(٤) : في " فيض القدير شرح الجامع الصغير " (١٤٤/١) .
(٥) : في النهاية (٣٥٩/١) .
(٦) : في شرح فتح القدير (٤٢٥/١) .
- للإمام الشوكاني بحث في " المحاريب " سيأتي في القسم الرابع " الفقه وأصوله " من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

وصف المخطوط

- ١- عنوان المخطوط : الدرّ النضيد في إخلاص التوحيد .
- ٢- موضوع الرسالة : في العقيدة .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم . أحمدك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلي وأسلم على رسولك وآل رسولك
- ٤- آخر الرسالة : .. وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية ، والله ولي التوفيق . انتهى تحريره بقلم مؤلفه في ليلة الأحد لسبع مضت من شهر رجب سنة /١٢١٤هـ — حامداً ومصلياً مسلماً على رسوله وآله .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي معتاد .
- ٦- عدد الصفحات : /٦٠/ صفحة . الصفحة الأولى هي للعنوان .
- ٧- المسطرة : ٢٣ سطرأ .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١٢-١٤ كلمة .
- ٩- الناسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

البرص النضيد في اراض النويد
جمع كاتفه محمد بن علي
مكفر الم زينه : السوكاي
عمر الله لها

[صورة عنوان الرسالة من المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم احمدك لا احصى ثنا محمد بن عبد الله
 انت كما اثبتت على نفسك واصلى واسلم على رسوك
 والرسوك وانجب فانه وطراى الحقير الجاني محمد بن علي الشوكاني
 عفر الله ذنوبه وستر عن عيوبه العاصم عيوته سوال
 من عالج مفضل عارف بما قد قيل وما قال محمد بن ابراهيم الجوام
 والجلال عنده احطاف الاقوال وتباين اراء الرجال
 وهو العلامة الفخامة الافخيم محمد بن محمد بن محمد بن محمد
 كثر الله فوائده وقبته على اهل العلم موافق وخصه السؤال
 هو عن التوسل بالاموات كذا الاستغاثه بهم ومناجاتهم
 عنده الحاجم والمستعمل من نحو على الله وعليك يا فلان وانا بالله
 وبك وما يشابه ذلك ويعلم قورهم وانفقوا ان لهم قدره
 على فاضل حواشي المحتاجين وبجاء طلبات السائلين وما حكم من فعل
 شياء من ذلك وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية
 الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثه بهم بل للتوسل بهم
 فقط فاقول مستعينا بالله اعلم ان الكلام على هذه الاطراف
 يتوقف على ايضاح الفاظه على مفاضة الاختلاف والالتباس
 منها الاستغاثه بالعين العجم والمثلثة ومنها الاستغاثه
 بالعين المهملة والنون ومنها التشفيق ومنها
 التوسل فاما الاستغاثه بالمعجم والمثلثة فهي طلب العون
 وهو ان الله الشبه كالاقتضار وهو طلب النصر
 والاختلاف انه يجوز ان يستغاث بالمخلوق فيما تقدر
 على العون فيمن من الامور والحاج مثل ذلك الى استمدد الار
 فهو في غاية الوضوح وما الهتم لاجد فيه خلاف ومنه واستغاثه الذي
 من

قس
 المشهور
 بالفضل
 وكذلك
 الاجاب
 ٢٠٢

تف

[الصفحة الأولى من صوره مخطوط الجواب]

فانه يراكم الجاهل والجاهل ومن هو عن علمك وتغييرك
 ويفطر كفضلك وبقدرتك وليس له بصيرة مثل بصيرتك
 ولا قوة والدين مثل قوتك فكلي وحلك صورة وكالفه
 حقيقه ويعتقد انكم تقصد هذا القبر الا لامر
 ويختتم اللعين ^{اللجين} غير هذا المكان الذي اقتدى
 بك واستن بسنتك فيستدركه حتى يبلغ به الرحى
 يريد فرحم الله امرأة هر ب بنفسه عن غوائل **القوليد**
 واخلص عما وثم للحمد المجيد وقد ظهر مجموع هذه التقييم
 ان من يقصد القبر ليدعو عنده واذا لم يكن له اعتقاد
 في الميتة على الصفة التي ذكرنا فهو عاصي ثم وهذا
 اقل احواله واحقر ما يرضى في راس ماله وفي هذا
 المقدر الكفالم لمن لم يهبه الله والى الموقف انتهى
 تخيرين بقلم مولفهم في ليلة الاحد لسبع مضت مؤتمرا
 رجب سنة ١٢١٩ الم حاشا لله ومصليا على رسوله والم

هو احد
 ثلاثة
 ارضي
 ليعقد
 الدار
 فقط
 وعرض
 لم الرضا
 ولم يحضر
 بلعانه تقرير
 على العبير قد تك

جابر وال مشق لقصه الديار
 فوط اوله مع الوار وبقية ما فيها فهو على ذلك
 الاعتقاد باقتناء الرضا وخطا عروته
 الوفا في حاشا ٩٥

[الصفحة الأخيرة من صورة مخطوط الجوان]

[الجواب]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلي وأسلم على رسولك وآل رسولك ، وبعد : فإنه وصل إلى الحقيير الجاني محمد بن علي الشوكاني غفر الله له ذنوبه ، وستر عن عيون الناس عيوبه - سؤال من عالم مفضل عارف بما قد قيل وما يُقال في مدارك الحرام والحلال عند اختلاف الأقوال ، وتباين آراء الرجال ، وهو العلامة الفهامة الأفحُم محمد بن أحمد بن محمد^(١) مشحَم كثر الله فوائده ، ومدد على أهل العلم موائده .

وحاصل السؤال هو عن التوسُّل بالأموات المشهورين بالفضل وكذلك الأحياء والاستغاثة بهم ومناجئهم عند الحاجة من نحو : " على الله وعليك يا فلان " و " وأنا بالله وبك " وما يُشابه ذلك ، وتعظيم قبورهم واعتقاد أن لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين ، ونجاح طلبات السائلين ، وما حُكِمَ مَنْ فعل شيئاً من ذلك ، وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثة بهم ، بل للتوسُّل بهم فقط؟ .

فأقول مستعيناً بالله : اعلم أن الكلام على هذه الأطراف يتوقف على إيضاح ألفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس ، فمنها الاستغاثة بالعين المعجمة ، والمثلثة ، ومنها الاستعانة بالعين المهملة والنون ، ومنها التشفع ومنها التوسُّل .

[معنى الاستغاثة^(٢)]

فأما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار وهو

(١) : تقدمت ترجمته (٢٨٥) .

(٢) : الاستغاثة : فقد اتفقت المصادر على أن معناه طلب الغوث وهو إزالة الشدة ، كما أن الاستنصار طلب

النصر ، والاستغاثة طلب العون ، فيقال : استغاثه استغاثة فأغاثه إغاثة وغوثاً وغياثاً .

ويرى ابن الأثير : أن الإغاثة والإعانة بمعنى واحد . وعلى هذا تكون الاستغاثة هي الاستعانة ، =

طلبُ النصرِ ، ولا خلافَ أنه يجوزُ أن يُستَغاثَ بالمخلوقِ ، فيما يقدرُ على الغوثِ فيه من الأمورِ ، ولا يُحتاجُ مثلُ ذلكِ إلى استدلالٍ فهو في غايةِ الوضوحِ ، وما أظنُّه يوجدُ فيه خلافٌ ، ومنه : ﴿ فَاسْتَعِثْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي [١] مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ ^(١) . وكما قال : ﴿ وَإِنْ أَسْتَنْصِرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ ^(٢) . وكما قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ ^(٣) . وأما ما لا يقدرُ عليه إلا الله فلا يستغاثُ فيه إلا به كغفرانِ الذنوبِ ، والهدايةِ ، وإنزالِ المطرِ والرزقِ ، ونحوِ ذلكِ كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٤) . وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ ^(٦) .

وعلى هذا يُحمَلُ ما أخرجه الطبراني في معجمه ^(٧) الكبير أنه كان في زمن النبي - صلى

= ولا ريب أن من استغاثك فأغثته فقد أعنته إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة بخلاف الاستعانة .

النهاية (٤٠٠/٣) ولسان العرب (١٥٣/١٠) .

(١) : [القصص : ١٥] .

(٢) : [الأنفال : ٧٢] .

(٣) : [المائدة : ٢] .

(٤) : [آل عمران : ١٣٥] .

(٥) : [القصص : ٥٦] .

(٦) : [فاطر : ٣] .

(٧) : أورده الهيثمي في المجمع (١٥٩/١٠) وقال : " رواه الطبراني في الكبير " - من حديث عبادة بن الصامت - ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث .

● قلت : وأخرجه أحمد في المسند (٣١٧/٥) بإسناد ضعيف من حديث عبادة بن الصامت قال : " خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر ؓ : قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : " لا يقام لي ، إنما يقام لله تبارك وتعالى " .

الله عليه وآله وسلم - منافقٌ يؤذي المؤمنينَ ، فقال أبو بكر : قوموا بنا نستغيثُ برسولِ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من هذا المنافق ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : " إنه لا يُسْتَعَاثُ بي ، وإنما يُسْتَعَاثُ باللهِ " فمراده أن - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه لا يُسْتَعَاثُ به فيما لا يقدر عليه إلا اللهُ ، وأما ما يقدر عليه المخلوقُ فلا مانعَ من ذلك مثلَ أن يستغيثَ المخلوقُ بالمخلوقِ ليعينه على حَمْلِ الحجرِ ، أو يحولُ بينه وبينَ عدوه الكافرِ ، أو يدفعُ عنه سُبُعاً صائلاً ، أو لصاً ، أو نحو ذلك .

وقد ذكر أهلُ العلم أنه يجب على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أن لا غياثَ ولا مغيثَ على الإطلاقِ إلا اللهُ سبحانه ، وأن كلَّ غوثٍ من عنده ، وإذا حصل شيءٌ من ذلك على يد غيره فالحقيقةُ له سبحانه ، ولغيره مجازٌ . ومن أسمائه المغيثُ والغياثُ .

قال أبو عبد الله الحلبيُّ^(١) : الغياثُ^(٢) هو المغيثُ ، وأكثر ما يقالُ غياثُ المستغيثين ، ومعناه المدركُ عباده في الشدائدِ إذا دَعَوْهُ ، ومجيئهم ومخلصهم^(٣) .

وفي خير الاستسقاءِ في الصحيحين [٢] (٤) : " اللهم اغثنا ، اللهم اغثنا " يقالُ أغاثهُ

= وأورده الهيثمي في المجمع (٤٠/٨) وعزاه لأحمد وقال : " وفيه راوٍ لم يسم ، وابن لهيعة " .
والخلاصة أن حديث عبادة بن الصامت ضعيف والله أعلم .

(١) : هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، البخاري ، الشافعي ، فقيه ، محدث ، أديب ، ولد ببخارى سنة ٣٣٨هـ ونشأ بها ، وولي القضاء ، وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ .

من تصانيفه : المنهاج في شعب الإيمان ، آيات الساعة وأحوال الساعة .

انظر : تذكرة الحفاظ (٢١٩/٣) شذرات الذهب (١٦٧/٣-١٦٨) .

(٢) : المغيث : اسم من الأسماء الحسنى الزائدة عن الأسماء المعروفة .

انظر : موسوعة له الأسماء الحسنى (ص ١١٥) الدكتور أحمد الشرباصي .

وقال ابن تيمية في " الفتاوى " (١١١/١) : " قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث ، وجاء ذكر

المغيث في حديث أبي هريرة ، قالوا واجتمعت الأمة على ذلك .

قلت : وحديث أبي هريرة بسياق الأسماء ضعيف .

(٣) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (١١١/١) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٠١٤) ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧) من حديث =

إِغَاثَةٌ وَغِيَاثَةٌ وَعَوْنًا ، وهو في معنى المحيِّبِ والمستجيبِ . قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾^(١) . إلا أن الإغَاثَةَ أحقُّ بالأفعال ، والاستجابة بالأقوالِ . وقد تقعُ كلُّ منهما موقعَ الآخرِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه^(٢) ما لفظُهُ : والاستغَاثَةُ بمعنى أن تطلبَ من الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ما هو اللائقُ بمنصبه لا يَنازِعُ فيه مسلمٌ ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطئٌ ضالٌّ .

وأما بالمعنى الذي نفاها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله ما لا يكونُ إلا لله فهو أيضاً كافرٌ إذا قامت عليه الحجَّةُ التي يكفرُ تاركها .

ومن هذا الباب قولُ أبي يزيدَ البسطامي^(٣) : استغَاثَةُ المخلوقِ^(٤) بالمخلوقِ كاستغَاثَةِ الغريقِ بالغيرِ . وقولُ الشيخِ أبي

= أنس بن مالك رضي الله عنه .

(١) : [الأفعال : ٩] .

● فالاستغَاثَةُ في هذه الآية دعاء لكنه دعاء خاص ، فلو لم تكن دعاءً لكانت مقابلتها بالإجابة غير وجهه .

(٢) : مجموع فتاوى (١١٢/١) .

(٣) : هو طيفور بن عيسى البسطامي من الأعلام ، كان جده مجوسياً واسلم وهم ثلاثة أخوة ، آدم ، وطيفور وعلي . وكلهم زهاد عباد ، من الصوفية وأبو يزيد أجلهم حالاً ، مات سنة ٢٦١هـ وقيل سنة ٢٦٤هـ .

حلية الأولياء (٣٣-٤٢) طبقات الأولياء (ص ٣٩٨) .

قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٢٥٧/١٣) : وقد جمع أبو الفضل الفلكي - علي بن الحسين بن أحمد بن الحسن الهمداني - كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه " النور من كلام طيفور " فيه شيء كثير لا ريب أنه كذب على أبي يزيد البسطامي ، وفيه أشياء من غلط أبي يزيد - رحمة الله عليه - وفيه أشياء حسنة من كلام أبي يزيد ، وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) : ذكره ابن تيمية في الفتاوى (١١٢/١، ٣٣٠) .

عبد الله^(١) القرشي : استغاثة المخلوق^(٢) بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .
 وأما الاستغاثة بالنون . فهي طلبُ العونِ . ولا خلافَ أنه يجوزُ أن يُسْتَعَانَ بِالْمَخْلُوقِ
 فيما يقدرُ عليه من أمور الدنيا ، كأن يستعين به على أن يحملَ معه متاعه ، أو يعلفَ
 دابَّته ، أو يبلغَ رسالته ، وأما ما لا يقدرُ عليه إلا الله - جل جلاله - فلا يستعانُ فيه إلا
 به . ومنه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٣) .

(١) : هو عبد الله بن محمد القرشي التونسي ، صوفي كبير الشأن عند المتصوفة ، ولد بالإسكندرية سنة
 ٦٣٧هـ ومات بتونس سنة ٦٩٩هـ .

" الطبقات الكبرى " (١٥٩/١) " طبقات الأولياء " (ص٤٨٨) .

(٢) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (١١٢/١ و ٣٣٠) .

(٣) : [الفاتحة : ٤] .

فائدة : النسبة بين الاستغاثة والدعاء :

من المعلوم أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَعِثْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ
 عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] . والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب
 ومن غيره " تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب " التوحيد " للشيخ سليمان بن عبد الله " (ص٢١٤) .
 فالاستغاثة دعاء لكنه دعاء خاص فلو لم تكن دعاء لكانت مقابلتها بالإجابة غير وجيه ، وقد قال
 تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩] .

ولتوضيح النسبة بين الاستغاثة والدعاء لا بد من بيان أن الدعاء في القرآن والسنة نوعان :

الأول : دعاء عبادة ، وهذا النوع ورد كثيراً في القرآن كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

النوع الثاني : دعاء المسألة ، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ، ومن أدلته
 قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴾ [بل إياه تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ - ٤١] .

فائدة : أنواع الاستغاثة :

الأول : طلب إزالة الشدة من المخلوق في الأسباب الظاهرة والأمور الحسية العادية ، على أن =

[حكم التشفع بالمخلوق]

وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب [٣] الشفاعة من المخلوقين فيما يقدر عليهم من أمور الدنيا ، وثبت بالسنة المتواترة^(١) ، واتفق جميع الأمة

= يكون المستغاث به حياً حاضراً ، كالاتنصار بالحاضر القوي على قتال أو دفع عدو صائل أو سبع مفترس ونحو ذلك من كل ما يقدر المخلوق على الغوث فيه ، وهذا النوع لا خلاف في جوازه . والأصل في جوازه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَسْتَضْرَبْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْر ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] . مع ملاحظة أنه لا بد من توفر

شرطين وهما :

(١) شرط في المستغاث لأجله ، بأن يكون مما يقدر المخلوق على الإغاثة في مثله .

(٢) وشرط في المستغاث به ، بأن يكون حياً حاضراً فلو تخلف شرط منهما خرجت الاستغاثة عن حيز الجواز إلى حيز الشرك أو الابتداع .

الثاني : طلب الغوث فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كإنزال المطر ، هداية القلوب وغفران الذنوب .

أو كان فيما يقدر عليه المخلوق عادة لكن المستغاث به إما ميت راقد في قبره وإما حي لكنه غائب مع اعتقاده أن الاستغاثة تبلغه أينما كان . وهذا النوع لا شك في عدم جوازه فمن اعتقد أن مقدسه المخلوق يقدر عن محو ذنوبه أو هداية قلبه أو على إنزال المطر أو تيسير رزقه بمجرد المشيئة أو اعتقد أن ذلك المقدس يسمع استغاثاته وهو راقد في قبره أو غائب عنه فهو مشرك بعقيدته هذه قبل أن يتوجه إلى المقدس بالاستغاثة .

وعلى هذا نص جميع العلماء المحققين فقال ابن تيمية : " ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو -أيضاً- كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها " . الفتاوى (١١٢/١) ، (٣٣٢) .

وقال ابن تيمية في " اقتضاء الصراط " (٦٨٣/٢) : وهذه البدعة الكفرية إنما حدثت في العصور المتأخرة لما شاعت الخرافات وانتشر الجهل وعمت الأقاليم الإسلامية مغالطات المتصوفة وأباطيلهم ، وإلا فلم يكن من حال السلف أن يستغيثوا بغير الله أبداً " .

=

(١) : تقدم شرحها .

أن نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الشافعُ المشفعُ ، وأنه يشفعُ للخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفعَ لهم إلى ربه ، ولم يقع الخلافُ إلا في كونها نحو ذنوبِ المذنبين ، أو لزيادةِ ثوابِ المطيعين . ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط .

وفي سنن أبي داود^(١) أن رجلاً قال للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : إنا نستشفع بالله عليك ، ونستشفع بك على الله ، فقال : " شأنُ الله أعظمُ من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه " ، فأقره على قوله نستشفع بك على الله ، وأنكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك . وسيأتي تمامُ الكلام في الشفاعة .

= (منها) : ما أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٥) ومسلم رقم (٢٠٠/٣٤١) عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني خيأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة " .

(ومنها) : ما أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٤) ومسلم رقم (١٩٨/٣٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً " .
(ومنها) : حديث " الشفاعة " وهو حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٤٠) ومسلم رقم (١٩٤/٣٢٧) من حديث أبي هريرة وفيه : " يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع " .

(ومنها) : ما أخرجه البخاري رقم (٦١٤) من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة " .

(١) : في السنن رقم (٤٧٢٦) .

قلت : وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص١٠٣-١٠٤) وابن أبي عاصم رقم (٥٧٥) والطبراني في الكبير رقم (١٥٤٧) والبغوي في شرح السنة (١/١٧٥) واللالكائي (٣/٣٩٥-٣٩٦) من حديث جبير ابن مطعم . وهو حديث ضعيف .

[التوسل]

وأما التوسل^(١) إلى الله سبحانه بأحدٍ من خلقه في مطلب يطلبه العبدُ من ربّه فقد قال

(١) : معنى التوسل :

التوسل لغة : مأخوذ من الوسيلة ، والوسيلة والوصيلة والتوسل والتوصل معناهما متقارب ، لأن السين والصاد دائماً يتناوبان يعني أحدهما يستعير مكان الآخر ، ولهذا يقرأ قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] . ويقرأ : ﴿ اهْدِنَا السِّرَاطَ ﴾ بالسين كلاهما قراءة سبعية فيجوز أن تقرأ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿ [الفاتحة : ٦-٧] أو تقول : ﴿ اهْدِنَا السِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، سِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

فالتوسل والتوصل معناهما متقارب جداً . والوسيلة هي : السبب الموصل إلى المقصود .

مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٧٩/٥) .

والتوسل شرعاً : عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة ، ولهذا نقول : جميع العبادات وسيلة إلى النجاة من النار ودخول الجنة ، فكل الأعمال الصالحة كلها وسيلة ، والغرض من الأعمال الصالحة قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

● التوسل إلى الله تعالى هو اتخاذ وسيلة لإجابة الدعاء ، والتوسل في دعاء الله أن يقرب الداعي في دعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه ، ولا بد من دليل عن كون هذا الشيء سبباً للقبول . ولا يعلم ذلك إلا من طريق الشرع .

أقسام التوسل :

توسل مشروع وهو ما كان بوسيلة جاءت بها الشريعة وهو أنواع :

- ١) : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه .
- ٢) : التوسل إلى الله تعالى بصفاته .
- ٣) : التوسل إلى الله تعالى بأفعاله .
- ٤) : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به .
- ٥) : التوسل إلى الله تعالى بحال الداعي .
- ٦) : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه .
- ٧) : التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح .

=

وستجد أمثلة ذلك خلال الرسالة .

الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) : إنه لا يجوز^(٢) التوسل إلى الله تعالى إلا بالني - صلى الله عليه وآله وسلم - إن صحَّ الحديث فيه ، ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي^(٣) في سننه ، والترمذي^(٤) وصحَّحه ، وابن ماجه^(٥) وغيرهم^(٦) : أن أعمى أتى إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : يا رسول الله ، إني أصبْتُ في بصري فادعُ الله لي ، فقال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : " تَوْضاً وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَلَّ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَشْفَعُ بِكَ فِي رَدِّ بَصْرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْ نَبِيِّي فِيَّ " وقال : " فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَمِثْلُ ذَلِكَ " ^(٧) . فردَّ الله بصره .

= ثانياً : التوسل الممنوع : وهو ما كان بوسيلة لم تثبت في الشرع وهو نوعان :

(١) : توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم وتوسل الجاهلين بأوليائهم .

(٢) : توسل يكون بوسيلة سكت عنها الشرع .

انظر قاعدة جلييلة (ص ١٧-٨٢) .

(١) : ستأتي ترجمته في رسالة " الصوارم الحداد " رقم (٢٤) .

(٢) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (٣٤٧/١) .

(٣) : في عمل اليوم والليلة رقم (٦٥٨-٦٦٠) .

(٤) : في السنن رقم (٣٥٧٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٥) : في السنن رقم (١٣٨٥) .

(٦) : كأحمد في المسند (١٣٨/٤) والحاكم في المستدرک (٣١٣/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين

ووافقه الذهبي كلهم من حديث عثمان بن حنيف . وهو حديث صحيح .

(٧) : قال ابن تيمية في قاعدة جلييلة ص ١٥١ : فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء فمن الناس من

يقول : هذا يقتضي جواز التوسل به مطلقاً حياً وميتاً . وهذا يحتاج به من يتوسل بذاته بعد موته وفي

مغيبه . ويظن هؤلاء أن توسل الأعمى والصحابه في حياته كان بمعنى الإقسام به على الله أو بمعنى أنهم

سألوا الله بذاته أن يقضي حوائجهم . ويظنوا أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو لهم ولا أن يطيعوه ،

فسواء عند هؤلاء دعا الرسول لهم أو لم يدع ، الجميع عندهم توسل به ، وسواء أطاعوه أو لم يطيعوه ،

ويظنون أن الله يقضي حاجة هذا الذي توسل به ، بزعمهم ولم يدع له الرسول ﷺ كما يقضي حاجة

هذا الذي توسل بدعائه ودعا له الرسول ﷺ إذ كلاهما متوسل به عندهم ويظنون أن كل من سأل الله =

وللناس في معنى هذا قولان :

أحدهما : أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال : **كُنَّا إِذَا أُجِدِّبْنَا تَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّنَا إِلَيْكَ فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا .**

وهو في صحيح البخاري^(١) وغيره ، فقد ذكر عمر - رضي الله عنه - أنهم كانوا يتوسلون بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - [٤] في حياته في الاستسقاء ، ثم توسلوا بعمة العباس بعد موته ، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه ، فيكون هو وسيلتهم إلى الله . والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان مثل هذا شافعاً وداعياً لهم .

والقول الثاني : أن التوسل به - صلى الله عليه وآله وسلم - يكون في حياته وبعد موته^(٢) ، وفي حضرته ومغيبه . ولا يخفك أنه قد ثبت التوسل به - صلى الله عليه وآله وسلم - في حياته ، وثبت التوسل بغيره من الأحياء بعد موته بإجماع الصحابة سكوياً لعدم إنكار أحدٍ منهم على عمر - رضي الله عنه - في توسله بالعباس - رضي الله عنه .

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كما زعمه الشيخ عز^(٣) بن عبد السلام لأمرين :

= تعالى بالنبي ﷺ فقد توسل به كما توسل به ذلك الأعمى ، وأن ما أمر به الأعمى مشروع لهم ، وقول هؤلاء باطل شرعاً وقدرأً ، فلا هم موافقون لشرع الله ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله .

(١) : في صحيحه رقم (١٠١٠) وطرفه (٣٧١٠) .

(٢) : قال ابن تيمية في قاعدة التوسل والوسيلة (ص ١٥٢) : فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء ، والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له الرسول ، لم يعدلوا عن التوسل به - وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ، وأقربهم إليه وسيلة - إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله . وكذلك لو كان أعمى توسل به ولم يدعو له الرسول بمرتلة ذلك الأعمى ، لكان عميان الصحابة أو بعضهم مثل ما فعل الأعمى فعدوهم عن هذا إلى هذا - مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فإنهم أعلم منا بالله ورسوله ، وبحقوق الله ورسوله ، وما يشرع من الدعاء وينفع وما لم يشرع ولا ينفع وما يكون أنفع من غيره . وهم في وقت ضرورة ومحمصة وجذب يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن - دليل على أن المشروع ما سأله دون ما تركوه .

(٣) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (٣٤٧/١) .

الأول : ما عرفناك به من إجماع الصحابة .

والثاني : أن التوسل إلى الله بأهل الفضل^(١) والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ، ومزاياهم الفاضلة ؛ إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله . فإذا قال القائل : اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم . وقد ثبت في الصحيحين^(٢) وغيرهما أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله ، فارتفعت الصخرة فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز ، أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ، ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة من الله لهم ، ولا سكت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلى الله بالأنبياء [٥] والصلحاء من نحو قوله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٣) ، ونحو قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا

(١) : والتوسل بأهل الفضل ، والرجل الصالح مقيد بأمر منها :

أولاً : أن يكون المتوسل به حياً حاضراً وهو ما يوضحه توسل عمر بالعباس . قال ابن تيمية في قاعدة جلييلة (ص ٨٠-٨١) : وأما التوسل بدعائه وشفاعته - كما قال عمر - فإنه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمة العباس ولو كان التوسل بذاته لكان هذا أولى ممن التوسل بالعباس فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته ، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان والطاعة له فإنه مشروع دائماً .

ثانياً : أن المتوسل لا بد أن يقوم بعمل ما ، وهذا ما يؤكد أن التوسل ليس بذاته وإنما هو بدعائه وتضرعه إلى الله تعالى وهو ما يوضحه قول النبي ﷺ - عندما توسل الأعرابي بدعائه : " اللهم أغثنا اللهم أغثنا " تقدم تخريجه رافعاً يديه .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٧٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٤٣/١٠٠) . من حديث ابن عمر .

(٣) : [الزمر : ٣] .

مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾^(١) ، ونحو قوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾^(٢) ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه ؛ فإن قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٣) مصرحٌ بأنهم عبدوهم لذلك ، والمتوسِّلُ بالعالمِ مثلاً لم يعبدُه بل عَلِمَ أنَّ له مزيةً عند الله بحمله العلمَ فتوسَّلَ به لذلك ، وكذلك قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٤) فإنه هي عن أن يدعي مع الله غيره ، كأن يقول : بالله ويا فلان ، والمتوسِّلُ بالعالمِ مثلاً لم يدع إلا الله وإنما وقع منه التوسُّلُ إليه بعمل صالحٍ عملَه بعضُ عباده كما توسَّلَ الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرةُ بصالح أعمالهم ، وكذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾^(٥) الآية ، فإن هؤلاء دَعَوْا من لا يستجيبُ لهم ، ولم يدعوا ربَّهم الذي يستجيبُ لهم ، والمتوسَّلُ بالعالمِ مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيره معه .

وإذا عرفت هذا لم يخفَ عليك دفعُ ما يورده المانعون للتوسُّلِ من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه ، كاستدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٦) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿٨﴾ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ﴿٩﴾^(٤) [٦] فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المتفردُ بالأمر في يوم الدين ، وأنه ليس لغيره من الأمر شيءٌ ، ولا يملك لغيره من الأمر شيئاً ، والمتوسِّلُ بنبيٍّ من الأنبياء أو عالمٍ من العلماء هو لا يعتقدُ أن لمن توسَّلَ به مشاركةٌ لله - جل جلاله - في أمر يوم الدين ، ومن اعتقد هذا لعبدٍ سواء كان نبياً أو غير نبيٍّ فهو في ضلالٍ مبين .

(١) : [الجن : ١٨] .

(٢) : [الرعد : ١٤] .

(٣) : [الزمر : ٣] .

(٤) : [الانفطار : ١٧-١٩] . وانظر : " الفتاوى " لابن تيمية (١/١١٤-١٢٠) .

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١) ، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾^(٢) فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء ، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملكه لغيره ! وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء ، أو الأولياء ، أو العلماء .
وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى ، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه ، وقاله له : " سل تعطه ، واشفع تشفع"^(٣) وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه^(٤) ، ولا تكون إلا لمن ارتضى . ولعله يأتي تحقيق هذا المقام إن شاء الله .

وهذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى :
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٥) ، " يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئاً ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً ، يا بني فلان لا أملك لكم [٧] من الله شيئاً"^(٦) ؛ فإن هذا ليس فيه إلا أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ، ولا ضر من أراد الله نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم ، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو

(١) : [آل عمران : ١٢٨] .

(٢) : [الأعراف : ١٨٨] .

(٣) : تقدم تخريجه (ص ٣١١) .

(٤) : لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء :

٢٨] .

(٥) : [الشعراء : ٢١٤] .

(٦) : أخرجه البخاري رقم (٤٧٧١) ومسلم رقم (٢٠٦/٣٥١) والترمذي رقم (٣١٨٥) والنسائي

(٢٤٨/٦) من حديث أبي هريرة .

طلب الأمر ممن له الأمر والنهي ، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبته ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع ، وهو مالك يوم الدين .

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية أمرٌ غير ما ذكرناه ممن التوسل المجرد ، والتشفع ممن له الشفاعة ، وذلك ما صار يعتقدُه كثيرٌ من العوام ، وبعضُ الخواص في أهل القبور ، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدرُ عليه إلا الله - جل جلاله - ويفعلون بهم ما لا يفعله إلا الله - عز وجل - حتى نطقت أسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارةً مع الله تعالى ، وتارةً استقلالاً ، ويصرِّحون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء .

وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفرٌ [٨] .

[الأدلة من الكتاب والسنة في تحريم التمام]

وهانحن نقصُّ عليك أدلة في كتاب الله - سبحانه - ، وفي سنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل ، وفي بعضها التصريح بأنه شرك ، وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسيراً حقيراً ، وبعد ذلك نعود إلى الكلام على مسألة السؤال . فمن ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده^(١) بإسناد لا بأس به عن عمران بن حصين أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رأى رجلاً بيده حلقة من صُفْرٍ ، فقال (ما هذه ؟) قال : من الواهنة ، قال : " انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، ولو ميتٌ وهي عليك ما

(١) : (٤٤٥/٤) .

قلت : وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٣١) والحاكم (٢١٦/٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وهو حديث ضعيف لأن الحسن لم يسمع من عمران بن الحصين كما في المراسيل (ص ٤٠) .

أفلحت " .

وأخرج^(١) أيضاً عن عقبه بن عامر مرفوعاً : " من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " وفي رواية^(٢) : " من تعلق تميمة فقد أشرك " ، ولا بن أبي حاتم^(٣) عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ للحمى فقطعه ، وتلا : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾^(٤) . وفي الصحيح^(٥) عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في بعض أسفاره ، فأرسل رسـوـلاً : " ألا يُبَيِّنُ في رِقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ إِلَّا قُطِعَتْ " وأخرج أحمد^(٦) وأبو داود^(٧) عن ابن

(١) : أي أحمد في مسنده (١٥٤/٤) .

وأخرجه الحاكم (٢١٦/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . قلت : وليس كذلك لأن فيه خالد بن عبيد المعافري ليس من رجال الأمهات وهو مجهول روى عنه حيوة بن شريح فقط ولم يوثقه إلا ابن حبان .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠٣/٥) وقال : " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات " اهـ . وهو حديث ضعيف .

(٢) : عند أحمد في المسند (١٥٦/٤) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠٣/٥) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات " . وهو حديث حسن .

(٣) : في تفسيره (٢٢٠٨/٧) رقم (١٢٠٤٠) .

وذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٢) روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيراً فقطعه - أو انتزعه - ثم قال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾^(٥) [يوسف : ١٠٦] .

(٤) : [يوسف : ١٠٦] .

(٥) : أخرجه البخاري رقم (٣٠٠٥) ومسلم رقم (٢١١٥) .

(٦) : في المسند (٣٨١/١) .

(٧) : في السنن رقم (٣٨٨٣) .

مسعود : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " إن الرُّقى والتمائمَ والتولة^(١) شركٌ " . وأخرج أحمد^(٢) والترمذي^(٣) عن عبد الله بن حكيم مرفوعاً : " من تعلق شيئاً وُكِّلَ إليه " . وأخرج أحمد^(٤) عن رويغ قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " يا رويغُ لعل الحياةَ ستطولُ بك فأخبرِ الناسَ أن من عقدَ لحيتَه ، أو تقلدَ وترًا ، أو استنجىَ برجيعِ دابةٍ ، أو عظمٍ ، فإنَّ محمدًا بريءٌ منه " .

فانظر كيف جعل الرُّقى والتمائمَ والتولةَ شركاً ! وما ذلك إلا لكونها مظنةً لأن يصحبها اعتقادُ أن غيرَ الله تأثيراً في الشفاءِ من الداءِ ، وفي المحبةِ والبغضاءِ ، فكيف بمن [٩] نادى غيرَ الله ، وطلبَ منه ما لا يُطلبُ إلا من الله ، واعتقد استقلاله بالتأثيرِ أو اشتراكه مع الله عز وجل ! .

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي^(٥) وصححه عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى حنينٍ ، ونحنُ حُدُثَاءُ عهدٍ بكفْرِ ، وللمشركين سُدْرَةٌ يعكفونَ عليها ، وينوطونَ بها أسلحتهم ، يقال لها ذاتُ أنواطٍ فمررنا بسُدْرَةٍ

= وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٥٣٠) والحاكم (٣١٧/٤) والبيهقي في شرح السنة (١٥٦-١٥٧) والطبراني في الكبير (٢٦٢/١٠) . وللحديث شواهد . فهو بها حسن . انظر " الصحيحه " (١/٥٨٤-٥٨٥) .

(١) : في حاشية المخطوط : هي شيء يضعونه يزعمون أنه يجيب المرأة إلى زوجها والعكس . تمت منه .

(٢) : في المسند (٣١٠-٣١١) .

(٣) : في السنن رقم (٢٠٧٢) . وهو حديث حسن لغيره .

(٤) : في المسند (١٠٨-١٠٩) .

وأخرجه أبو داود رقم (٣٦) والنسائي (١٣٥/٨-١٣٦) وهو حديث صحيح .

(٥) : في السنن رقم (٢١٨٠) وقال حديث حسن صحيح .

وأخرجه أحمد (٢١٨/٥) وعبد الرزاق (٣٦٩/١١) والحميدي في مسنده (٣٧٥/٢) والطيالسي

(ص ١٩١ رقم ١٣٤٦) وابن أبي عاصم (٣٧/١) والطبراني في الكبير (٢٤٣/٣) رقم (٣٢٩٠-٣٢٩٤) .

وهو حديث حسن .

فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : " الله أكبر قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل : (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)^(١) لتركب سنن من كان قبلكم " . فهؤلاء إنما طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك ، ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور ، فأخبرهم - صلى الله عليه وآله وسلم - أن ذلك بمثلة الشرك الصريح ، وأنه بمثلة طلب آلهة غير الله .

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه^(٢) عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال : حدثني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بأربع كلمات : " لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غير منار الأرض " . وأخرج أحمد^(٣) عن طارق بن شهاب أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) : [الأعراف : ١٣٨] .

(٢) : رقم (١٩٧٨) .

وأخرجه أحمد (١١٨/١ ، ٢٥٢) وعبد الله في زوائد المسند (١٠٨/١) والنسائي (٢٣٢/٧) وأبو يعلى رقم (٦٠٢/٣٤٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٩٩/٦) والحاكم (١٥٣/٤) والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٧) والبعوي في شرح السنة رقم (٢٧٨٨) من طرق . وهو حديث صحيح .

(٣) : في كتاب الزهد : (ص ٣٢-٣٣ رقم ٨٤) وأبو نعيم في " الحلية " (٢٠٣/١) عن طارق ابن شهاب ، عن سلمان الفارسي موقوفاً بسند صحيح .

● في كتاب الزهد حدث (خطأ) وهو سليمان بدل سلمان .

● وطارق بن شهاب : هو البجلي الأحمسي ، أبو عبد الله ، رأى النبي ﷺ وهو رجل .

قال البغوي : نزل الكوفة . وقال أبو داود : رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً .

قال الحافظ إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي ، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه . فروايته عنه مرسل صحابي ، وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما حزم به ابن حبان سنة ٨٣هـ .

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " (ص ١٥٩) .

وسلم - قال : " دخل الجنة رجلٌ في ذبابٍ ودخل النارَ رجلٌ في ذبابٍ " قالوا : كيفَ ذلكَ يا رسولَ الله ؟ قال : " مرَّ رجلانِ على قومٍ لهم صنمٌ لا يجوزُهُ أحدٌ حتى يقربَ إليه شيئاً ، فقالوا لأحدهم : [١٠] قَرَّبْ ولو ذُبَاباً ، فقَرَّبَ ذُبَاباً فدخلوا سبيلَهُ فدخلَ النارَ . وقالوا للآخر : قَرَّبْ فقال : ما كنتُ أقربَ لأحدٍ دونَ الله - عز وجل - فضربوا عُنُقَهُ فدخلَ الجنةَ " .

فانظر لعنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن ذبح لغير الله ، وإخباره بدخول من قَرَّبَ لغير الله النارَ ، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنةً للتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ، فما ظنُّك بما كان شركاً بحتاً ! .

قال بعضُ أهل العلم : إن إراقة دماء الأنعام عبادةٌ لأنها إما هديٌّ ، أو أضحيةٌ ، أو نُسكٌ ، وكذلك ما يذبحُ للبيع لأنه مكسبٌ حلالٌ فهو عبادةٌ ويتحصلُ من ذلك شكلٌ قطعيٌّ هو إراقة دماء الأنعام عبادةٌ ، وكلُّ عبادةٍ لا تكون إلا لله ، وإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله . ودليلُ الكبرى قوله تعالى : ﴿ اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ^(١) ، ﴿ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ^(٥) .

[الحلف بغير الله شرك]

ومن ذلك أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - نهي عن الحلف بغير الله وقال : " ومن

(١) : [الأعراف : ٥٩] .

(٢) : [العنكبوت : ٥٦] .

(٣) : [الفاتحة : ٤] .

(٤) : [الإسراء : ٢٣] .

(٥) : [البينة : ٥] .

حَلَفَ فليَحْلِفُ باللهِ أو ليصمْتُ" (١)، وقال : " من حلفَ بملَّةٍ غيرِ الإسلامِ لم يرجعْ إلى الإسلامِ سالماً " (٢)، أو كما قال : وسمعَ رجلاً يحلفُ باللَّاتِ والعُزَّى فأمره أن يقول : لا إلهَ إلا اللهُ (٣) . وأخرج الترمذي (٤) وحسنه ، والحاكم (٥) وصحَّحه ، من حديثِ عمرَ أن رسولَ اللهِ - صلى اللهُ عليه وآله وسلم - قال : " من حلفَ بغيرِ اللهِ فقد أشرك " .

وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام ، وفيها أن الحلفَ بغيرِ اللهِ يخرجُ به الحالفُ عن الإسلامِ ، وذلك لكونِ الحلفِ بشيْءٍ مظنَّةٌ تعظيمِهِ ، فكيف بما كان شركاً محضاً يتضمَّنُ التسويةَ بين الخالقِ والمخلوقِ في طلبِ النفعِ ، واستدفاعِ الضُّرِّ ! وقد يتضمَّنُ تعظيمَ المخلوقِ زيادةً على تعظيمِ الخالقِ كما يفعلُهُ كثيرٌ من المخذولينَ ، فإنهم يعتقدون أن لأهلِ القبورِ من جلبِ النَّفَعِ ، ودفعِ الضُّرِّ ما ليس اللهُ ، - تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً - ، فإن أنكرتَ هذا فانظرِ أحوالَ [١١] كثيرٍ من هؤلاءِ المخذولينَ ، فإنك تجدُهُم كما

(١) : وهو جزء من حديث أخرجه البخاري رقم (٦٦٤٦) ومسلم رقم (١٦٤٦/٣) .

من حديث ابن عمر .

(٢) : أخرجه أبو داود رقم (٣٢٥٨) والنسائي (٦/٧ رقم ٣٧٧٢) وابن ماجه رقم (٢١٠٠) من حديث بريدة بن الحصيب . وهو حديث صحيح .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٦٠٧ ، ٦٣٠١) ومسلم رقم (١٦٤٧) والترمذي رقم (١٥٤٥) والنسائي (٧/٧) وابن ماجه رقم (٢٠٩٦) والبيهقي (١٤٨/١-١٤٩) من حديث أبي هريرة ؓ .

وهو حديث صحيح .

(٤) : في السنن رقم (١٥٣٥) .

(٥) : في المستدرک (٢٩٧/٤) و (١٨/١) وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في الموضوعين . مع أن البخاري لم يخرج للحسن بن عبيد الله شيئاً .

وأخرجه أحمد (١٢٥/٢) وأبو داود رقم (٣٢٥١) والبيهقي (٢٩/١٠) وأخرجه بنحوه الطيالسي رقم (١٨٩٦) وعبد الرزاق رقم (١٥٩٢٦) وأحمد (٣٤/٢) .

وهو حديث صحيح .

وصف الله - سبحانه - : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١) .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين^(٢) عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - عند موته أنه كان يقول : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا . وأخرج مسلم^(٣) عن جندب بن عبد الله أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك " . وأخرج أحمد^(٤) بسند جيد ، وأبو حاتم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً : " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد " .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد ، مع أنه لا يعبد إلا الله ، وذلك لقطع ذريعة التشريك ، ودفع وسيلة التعظيم .
وورد ما يدل على أن عبادة الله عند القبور بمثلة اتخاذها أو ثان تعبد . أخرج مالك في الموطأ^(٥) أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " اللهم لا تجعل قبري وثناً

(١) : [الزمر : ٤٥] .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥ ، ٤٣٦) ومسلم في صحيحه رقم (٥٣١/٢٢) .

(٣) : في صحيحه رقم (٥٣٢/٢٣) .

(٤) : في المسند (٤٣٥ ، ٤٠٥/١) .

وأخرجه ابن خزيمة رقم (٧٨٩) والطبراني في الكبير رقم (١٠٤١٣) والبيهقي رقم (٣٤٢٠ - كشف) وعلقه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٦٧) وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٢٧/٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن وأورده أيضا (١٣/٨) وقال رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بدة . وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح .

وهو حديث حسن .

=

(٥) : (١٧٢/١) رقم (٨٥) مرسلا .

يعبدُ ، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتَّخذوا قبوراً أنبيائهم مساجدَ " . وبالغ في ذلك حتى لعن زائرات القبور كما أخرجه أهل السنن^(١) من حديث ابن عباس قال : لعن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُجَ . ولعلَّ وجهَ تخصيصِ النساءِ بذلك ما في طبائعهنَّ من النقصِ المفضي إلى الاعتقادِ والتعظيمِ بأدنى شبهةٍ .

ولا شك أن علة التَّهْيي [١٢] عن جعل القبور مساجدَ ، وعن تسريحها ، وتخصيصها ، ورفعها ، وزخرفتها هي ما ينشأ عن ذلك من الاعتقاداتِ الفاسدةِ ، كما ثبت في

= وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٤٠/٢ - ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار مرسلًا بسند صحيح .
وأخرجه عبد الرزاق في " المصنف " (٤٠٦/١ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلًا .
وأخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف " (٣٤٥/٣) عن زيد بن أسلم مرسلًا بسند صحيح .
وأخرجه أحمد موصولاً (٢٤٦/٢) والحميدي (٤٤٥/٢ رقم ١٠٢٥) وأبو نعيم في " الحلية " (٢٨٣/٦) و (٣١٧/٧) عن أبي هريرة بسند حسن بلفظ - المصنف - .

● أخرجه عبد الرزاق في " المصنف " (٥٧٧/٣ رقم ٦٧٢٦) وابن أبي شيبة في " المصنف " (٣٤٥/٣) عن ابن عجلان ، عن سهل ، عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب أنه قال : ورأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر رسول الله ﷺ يدعو له ويصلي عليه فقال حسن للرجل : لا تفعل فإن رسول الله ﷺ قال : " لا تتخذوا بيتي عيداً " وهو مرسل ، وسهل ذكره ابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " (٢٤٩/٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

● وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) وأبو داود رقم (٢٠٤٢) مرفوعاً " لا تتخذوا قبوري عيداً " وهو حديث حسن .

● وله شاهد آخر أخرجه إسماعيل الجهمي في " فضل الصلاة على النبي ﷺ " رقم (٢٠) وأبو يعلى في " المسند " (٣٦١/١ رقم ٤٦٩/٢٠٩) والحديث بهذه الطرق صحيح والله أعلم .

(١) : أخرجه أبو داود رقم (٣٢٣٦) والترمذي رقم (٣٢٠) وقال : حديث حسن . والنسائي (٩٤/٤) رقم (٢٠٤٣) وابن ماجه رقم (١٥٧٥) .

وهو حديث حسن بشواهده ماعدا لفظ " السرج " .

انظر : الإرواء (٢١٣/٣) والضعيفة رقم (٢٢٥) .

الصحيح^(١) عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كنيسة رأها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: " أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبدُ الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرارُ الخلقِ عند الله ". ولابن خزيمة عن مجاهد^(٢): ﴿ أَفْرَاءَ يَتَمُّ اللَّكَّ وَالْعُرَى ﴾ ﴿١٣﴾^(٣) قال كان يَلْتُمُ لهم السويقَ فماتَ فعكفوا على قبره .

وكلُّ عاقلٍ يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور ، وإسبال الستورِ الرائعةِ عليها ، وتسريحها والتأثُّقِ في تحسينها تأثيراً في طبائعِ غالبِ العوامِّ ، ينشأ عنه التعظيم والاعتقاداتُ الباطلةُ ، وهكذا إذا استعظمتُ نفوسُهم شيئاً مما يتعلَّقُ بالأحياءِ وبهذا السببِ اعتقدتُ كثيراً من الطوائفِ الألوهيةَ في أشخاص كثيرة .

ورأيتُ في بعض كتب التاريخ أنه قدم رسولُ لبعض الملوكِ على بعض خلفاء بني العباس ، فبالغ الخليفةُ في التهويلِ على ذلك الرسولِ ، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبة إلى رتبة حتى وصل إلى المجلسِ الذي يقعدُ الخليفةُ في برجٍ من أبراجه ، وقد جُمِّلَ ذلك المترلُ بأهلي الآلات ، وقعد فيه أبناء الخلفاء ، وأعيان الكبراء ، وأشرف الخليفةُ من ذلك الـبرج وقد انخلع قلبُ ذلك الرسولِ مما رأى ، فلما وقعت عينه على الخليفةِ قال لمن هو [١٣] قابضٌ على يده من الأمراء : أهذا الله ؟ فقال : ذلك الأميرُ ، بل هذا خليفةُ الله . فانظر ما صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين !.

وروي لنا أن بعض أهل جهة القبلة وصلَ إلى القُبَّةِ الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحبِ ذيبين - رحمه الله - فرآها وهي مسرجةٌ بالشَّمعِ ، والبُخُورِ ينفُخُ في

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٧) ومسلم في صحيحه رقم (٥٢٨/١٦) وأخرجه النسائي

(٢/٤١ رقم ٧٠٤) وأبو عوانة (١/٤٠٠-٤٠١) وابن سعد في الطبقات (٢/٢٣٩-٢٤٠) .

(٢) : أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٨/٢٨) وسنده صحيح .

وأخرجه البخاري عن ابن عباس موقوفاً (٨/٦١١) .

(٣) : [النجم ١٩] .

جوانبها ، وعلى القبرِ الستورُ الفائقةُ فقال عند وصوله إلى باب : أمسيتَ بالخير يا أرحمَ
الراحمين .

وفي الصحيح^(١) عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آهْلَهُتَكُمُ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَٰعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾^(٢) ، قال : هذه أسماء رجالٍ من قوم نوح ، لما
هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها
أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يُعبدوا ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت .
وقال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم^(٣) .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٧/١) عن ابن عباس موقوفاً .

(٢) : [نوح : ٢٣] .

(٣) : لذلك يجب مراعاة جانب المقاصد والنوايا عند زيارة القبور :-

- (١) أن يكون مقصده الأساسي طاعة أمر رسول الله ﷺ الذي استحب للمسلمين زيارة القبور .
 - (٢) أن يقصد الدعاء للميت والاستغفار له والسلام عليه ، ولا يقصد دعاء والاستغاثة به وطلب
الحاجات منه فإنه في حاجة إلى من يدعو له لا إلى من يدعو .
 - (٣) أن يقصد تذكر الآخرة والألفاظ فيكون قيامه على مقابر الموتى حافظاً له على الطاعات والإفلاع عن
المعاصي .
 - (٤) إذا شد رحله إلى مكة أو إلى المدينة أو إلى المسجد الأقصى وجب أن يكون مقصده الصلاة في هذه
المساجد ثم إذا أراد أن يزور الموتى بمكة ، أو قبور المدينة وفي مقدمتها قبر النبي ﷺ وصاحبيه أو قبور
الأنبياء بالقدس فله ذلك كله شريطة أن يلتزم الاتباع لا الابتداع .
- وعليه مراعاة جانب الممارسات والتطبيقات العملية :-

(١) فلا يشد رحلاً لزيارة القبور بل تكفيه زيارة القبور القريبة من محله إقامته وكذلك القبور البعيدة التي
يجتازها من غير قصد .

انظر : " مجموع الفتاوى " (١٥٠/٢٦) .

(٢) لا يدعو الموتى ولا يدعو بهم ولا يستغث ولا يستعين بهم ولا يتحرى الصلاة عند قبورهم معتقداً أن
ذلك أدعى للقبول .

(٣) ولا يقول هجراً ولا ينطق بأي كلمة شركية أو موهمة للشرك مثل نداء الميت وطلب جواره وشفاعته
منه ونحو ذلك مما يسخط الرب سبحانه وتعالى .

[العيافة والطرق والطيرة من الجبت]

ومن ذلك ما أخرجه أحمد^(١) بإسناد جيّدٍ عن قبيصةَ عن أبيه أنه سمع رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " إن العيافةَ والطرقَ والطيرةَ من الجبّتِ " ، وأخرجه أبو داود^(٢) ، والنسائي^(٣) ، وابنُ حبانَ^(٤) أيضاً .

وأخرج أبو داود^(٥) بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " من اقتبسَ شعبةً من النجومِ فقد اقتبسَ شعبةً من السحرِ " .

(٤) = ولا يتمسح بتراب القبر ولا بمجران الضريح إذا كان حوله جدران ولا يترك بشيء مما له صلة بالميت معتقداً أن ذلك ينفعه في دنياه أو في أخراه وليعلم أنه لا بركة ترجى إلا باتباع سيد المرسلين . =
(٥) وليحرص على الدعوات الواردة التي كان النبي ﷺ يدعو بها عند زيارة القبور ولا يشغل نفسه بتسلاوة القرآن عند الزيارة لأن ذلك مما لا أصل له في السنة ، ولو كانت مشروعة لفعلها رسول الله ﷺ ولعلمها لأصحابه .

انظر " مجموع الفتاوى " (١٥٠/٢٦) و " أحكام الجنائز " (ص ١٩١) .

(١) : في المسند (٤٧٧/٣) و (٦٠/٥) .

قلت : وأخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٧) وعبد الرزاق (٤٠٣/١٠) رقم (١٩٥٠٢) والطحاوي في شرح المعاني (٣١٢/٤-٣١٣) والبيهقي (١٣٩/٨) والطبراني في الكبير (١٨/ رقم ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥) والدولابي في الكنى (٨٦/١) .

وهو حديث ضعيف .

(٢) : في السنن رقم (٣٩٠٧) .

(٣) : في السنن كما في تحفة الأشراف (٢٧٥/٨) .

(٤) : في صحيحه رقم (١٤٢٦ - موارد) .

وهو حديث ضعيف .

(٥) : في السنن رقم (٣٩٠٥) .

وأخرجه أحمد (٢٢٧/١ ، ٣١١) وابن ماجه رقم (٣٧٢٦) والطبراني في الكبير (١٣٥/١١) والبيهقي (١٣٨/٨) وقال الألباني في الصحيحة (٤٣٥/٢) : وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات .

وهو حديث حسن .

[تحريم إتيان الكاهن والعراف وتصديقه]

وأخرج النسائي^(١) من حديث أبي هريرة : " من عقدَ عُقْدَةً ثم نفثَ فيها فقد سَحَرَ ،
ومن سَحَرَ فقد أشركَ ، ومن تعلَّقَ شيئاً وُكِّلَ إليه " .

وهذه الأمور إنما كانت من الجبتِ والشركِ ، لأنها مظنةٌ للتعظيمِ الجالبِ للاعتقادِ
الفاسدِ .

ومن ذلك ما أخرجه أهل السنن^(٢) ،

(١) : في السنن (١١٢/٧) رقم (٤٠٧٩) وهو حديث ضعيف .

(٢) : أبو داود رقم (٣٩٠٤) والترمذي رقم (١٣٥) وابن ماجه رقم (٦٣٩) والنسائي في " عشرة النساء " رقم (١٣١) .

وأخرجه الدارمي (٢٥٩/١) والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٩٨/٧) وأحمد في المسند (٤٠٨/٢) ،
٤٧٦ (وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمه الهجيمي
عن أبي هريرة به .

قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمه .

وقال البخاري في " التاريخ " (١٧/١٣) عقب الحديث : " هذا حديث لا يتابع عليه ولا يعرف
لأبي تميمه سماع من أبي هريرة في البصريين " اهـ .

وقال ابن عدي في " الكامل " (٦٣٧/٢) : " وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلا
اليسير " اهـ .

قلت : عللوا الحديث بأمرين :

الأول : ضعف حكيم بن الأثرم .

الثاني : الانقطاع بين أبي تميمه وأبي هريرة .

فالجواب عن الأول : أن حكيم وثقه ابن المديني ، وأبو داود ، وابن حبان ، وقال النسائي : " لا
بأس به " وقال الذهبي : " صدوق " .

انظر : " تهذيب التهذيب " (٤٧٥-٤٧٦) ، و " الكاشف " (١٨٦/١) .

أما الجواب عن الثاني : فأبو تميمه اسمه طريف بن مجالد ، قد توفي سنة ٩٧هـ ، وأبو هريرة توفي
سنة ٥٨ أو ٥٩هـ والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور إن كان ثقة غير مدلس ، وأبو تميمه كذلك =

والحاكم^(١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، عن أبي هريرة قال : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : " من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " وأخرج أبو يعلى^(٢) [١٤] بسند جيد مرفوعاً : " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " . وأخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن .
والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقاد أنه مشاركٌ لله - عز وجل - في علم الغيب ، مع أنه في الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ، ولكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

ومن ذلك ما في الصحيحين^(٣) وغيرهما^(٤) عن زيد بن خالد قال : صلى بنا رسول الله

= وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد انظر : " الإرواء " (٦٩/٧ - ٧٠) .
وخلاصة القول أن الحديث صحيح .

(١) : في المستدرک (٨/١) .

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

(٢) : في مسنده (٢٨٠/٩ / ٤٤٢ رقم ٥٤٠٨) ورجاله ثقات ، غير أن إبراهيم بن طهمان لم يذكر فيمن سمع من أبي إسحاق قديماً ، وهو موقوف على عبد الله بن مسعود . قاله الشيخ حسين سليم أسد .

وأخرجه البزار (٤٤٣/٢ رقم ٢٠٦٧ - كشف) .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١١٨/٥) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . خلا هبيرة بن يريم وهو ثقة " وفاته أن ينسبه إلى أبي يعلى .

وعزاه إلى أبي يعلى . ونقل الشيخ حبيب الرحمن عن البوصيري قوله : رواه الطيالسي بإسناد حسن .

● وله شاهد من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج رسول الله ﷺ قال : " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " عند أحمد (٦٨/٤) و (٣٨٠/٥) ومسلم رقم (٢٢٣٠) .

● وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة عند أحمد (٤٢٩/٢) .

والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٨٤٦) و (١٠٣٨) و (٤١٤٧) و (٧٥٠٣) ومسلم رقم (٧١) .

(٤) : كأي داود رقم (٣٩٠٦) والنسائي (١٦٥/٣) ومالك في الموطأ (١٩٢/١) وأحمد (١١٧/٤) =

- صلى الله عليه وآله وسلم - صلاة الصبح على إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : " هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم " قالوا : الله ورسوله أعلمُ قال : " أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ فأما من قال : مُطِرنا بفضلِ اللهِ ورحمتهِ فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب ، وأما من قال : مُطِرنا بنوءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي ، مؤمنٌ بالكواكب " .

ولا يخفى على عارف أن العلةَ في الحكم بالكفر هي ما في ذلك من إيهام المشاركة ، وأين هذا ممن يصرِّح في دعائه عند أن يمسه الضربُ بقوله : يا الله ، ويا فلانُ ، وعلى الله ، وعلى فلان ! فإن هذا يَعْبُدُ رَبَّيْنِ ، ويدعو اثنين ، وأما من قال : مطرنا بنوءِ كذا فهو لم يقل أمطره ذلك التَّوَهُُّ بل قال : أمطر به ، وبين الأمرين فرقٌ ظاهر .

ومن ذلك ما أخرجه مسلم^(١) عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " يقول الله - عز وجل - : أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " وأخرج أحمد^(٢) عن أبي سعيد مرفوعاً : " ألا

= والبغوي في " شرح السنة " رقم (١١٦٩) وأبو عوانة (٢٦/١) و (٢٧/١) وابن مندة رقم (٥٠٣) و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦) وعبد الرزاق (٢١٠٠٣) والحميدي رقم (٨١٣) والطبراني في الكبير رقم (٥٢١٣) و ٥٢١٤ و ٥٢١٥ و ٥٢١٦) من طرق .

(١) : في صحيحه رقم (٢٩٨٥/٤٦) .

(٢) : في المسند (٣٠/٣) .

وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٠٤) والحاكم (٣٢٩/٤) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . قلت : وفي سنده " ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد " قال عنه البخاري : منكر الحديث - كما في العلل الكبير للترمذي رقم (١٨) .

وفيه درّاج . قال الحافظ في " التقريب " رقم (١٨٢٤) : " صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف " .

وفيه كثير بن زيد الأسلمي : قال الحافظ في " التقريب " رقم (٥٦١١) : " صدوق يخطئ " فالحديث حقه الضعف ، مع أن المحدث الألباني حسنه في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٠) .

أخبركم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح الدجال ؟ " قالوا : بلى ، قال : " الشركُ الخفيُّ ؛ يقومُ الرجلُ فيزيّنُ صلاته لما يرى من نظر رجلٍ . "

ومن ذلك [١٥] قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا ﴾ ^(١) . فإذا كان مجردُ الرياءِ الذي هو فعلُ الطاعة لله - عز وجل - مع محبة أن يطَّلَعَ عليها غيره ، أو يثني بها ، أو يتسحسبها فيه شركاً ، فكيف بما هو محضُ الشرك .

ومن ذلك ما أخرجه النَّسائي ^(٢) أنَّ يهودياً أتى النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : إنكم تقولون ما شاء الله وشئتَ ، وتقولون : والكعبةُ فأمرهم النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يقولوا : " وربُّ الكعبة " وأن يقولوا : " ما شاء الله ، ثمَّ شئتَ " وأخرج النَّسائي ^(٣) أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً أن رجلاً قال : " ما شاء الله وشئتَ ، قال :

(١) : [الكهف : ١١٠] .

(٢) : في السنن (٦/٧ رقم ٣٧٧٣) من حديث قُتَيْبَةَ .

وأخرجه أحمد (٦/٣٧١ - ٣٧٢) والحاكم (٤/٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (٣/٢١٦) .

وقال الحافظ في " الإصابة " (٨/٢٨٤ رقم ١١٦٤٣) عقبه : " أخرجه النسائي وسنده صحيح ، وأخرجه ابن منده من طريق المسعودي ، عن سعيد ، عن ابن يسار عن قُتَيْبَةَ بن صيفي الجهنية " اهـ .
والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

(٣) : في " عمل اليوم والليلة " رقم (٩٨٨) .

وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٢١٧) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٨٣) وأحمد (١/٢١٤) وابن السني في " اليوم والليلة " رقم (٦٧٢) والطبراني في الكبير (١٢/٢٤٤ رقم ١٣٠٠٥ و ١٣٠٠٦) وأبو نعيم في " الحلية " (٤/٩٩) والبيهقي (٣/٢١٧) و (٨/١٠٥) والخطيب في " التاريخ " (٨/١٠٥) عن ابن عباس .

قلت : مدار الحديث على أجلى بن عبد الله الكندي وثقه بعضهم وضعفه آخرون وقال الحافظ في " التقريب " رقم (٢٨٥) : صدوق شيعي .

أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدًّا؟! مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ ."

وأخرج ابن ماجة^(١) عن الطفيل قال : رأيت كأني أتيتُ على نفرٍ من اليهود فقلستُ : إنكم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولون عُزَيْرُ ابنُ اللَّهِ ، قالوا : وأنتم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمدٌ ، ثم مررتُ بنفرٍ من النَّصارى فقلتُ : إنكم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولون : المسيحُ بنُ اللَّهِ ، قالوا : وأنتم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمدٌ . فلما أصبحتُ أُخبرتُ بها من أُخبرتُ ، ثم أتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبرته ، قال : فهل أُخبرتُ بها أحداً ؟ قلتُ : نعم ، قال : فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عليه ، ثم قال : " أما بعدُ : فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم

= والخلاصة أن الحديث حسن والله أعلم .

(١) : في السنن رقم (٢١١٨) .

قلت : وأخرجه أحمد (٣٩٣/٥) كليهما من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير ، عن ربيعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان .

وقد اختلف فيه علي ابن عمير ، فرواه سفيان عنه هكذا .

وقال معمر عنه عن جابر بن سمرة ؛ قال : " رأى رجل من أصحاب النبي ﷺ في النوم ... " الحديث نحوه . أخرجه الطحاوي في " مشكل الآثار " رقم (٢٣٧) .

وقال شعبة عنه عن ربيعي عن الطفيل أخي عائشة ؛ قال : " قال رجل من المشركين لرجل من المسلمين : نعم القوم " الحديث . أخرجه الدارمي (٢/٢٩٥) .

● وتابعه أبو عوانة عن عبد الملك به . أخرجه ابن ماجه (٢/٢١١٨) .

● وتابعه حماد بن سلمة عنه به عن الطفيل بن سخيرة أخي عائشة لأمها : بلفظ " إن طفيلاً رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يعني الحياء منكم أن أمهاتكم عنها ؛ قال : لا تقولوا : ما شاء الله وما شاء محمد " . أخرجه أحمد (٧٢/٥) .

وهذا هو الصواب عن ربيعي عن الطفيل ؛ ليس عن حذيفة ، لاتفاق هؤلاء الثلاثة : - حماد بن سلمة ، وأبو عوانة ، وشعبة - عليه .

فهو شاهد صحيح لحديث حذيفة .

والخلاصة فحديث حذيفة صحيح لغيره - وحديث الطفيل صحيح لذاته والله أعلم .

كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أهاكم ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده " .

والوارد في هذا الباب كثيرٌ ، وفيه أن التشريك في المشيئة بين الله ورسوله ، أو غيره من عباده فيه نوعٌ من الشرك . ولهذا جعل ذلك في هذا المقام الصالح كشرك اليهود والنصارى بإثبات ابن لله - عز وجل - [١٦] ، وفي تلك الرواية السابقة أنه إثبات نداء لله - عز وجل - ، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن قال : ممن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، " بئسَ خطيبُ القومِ أنت " ، وهو في الصحيح^(١) .

وأخرج ابن أبي حاتم^(٢) عن ابن عباس في تفسيره قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) أنه قال : الأنداد أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان ، وحياتي . وتقول : لولا كلبه هذا لأتانا ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . هذا كله شرك . انتهى .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح^(٤) من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وأرض ربك ، ولا يقل أحدكم : عبي وأمتي ، وليقل : فتاتي وفتاتي وغلامي " . ووجه هذا النهي ما يفهم من مخاطبة السيد بمخاطبة العبد لربه ، والرب لعبيده ، وإن لم يكن ذلك مقصوداً مراداً

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٧٠ / ٤٨) من حديث عدي بن حاتم .

(٢) : في تفسيره (٦٢ / ١) رقم (٢٢٩) .

(٣) : [البقرة : ٢٢] .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٢٥٥٢) ومسلم رقم (٢٢٤٩) .

[النهي عن التصوير]

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليخْلُقوا ذرَّةً ، أو ليخْلُقوا حبةَ شعيرٍ " ... ولهما^(٢) عن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاھون خلقَ الله " . ولهما^(٣) عن ابن عباس : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " كلُّ مصوِّرٍ في النار ، يُجعلُ له بكل صورة صورها نفساً يعذبُ بها [١٧] في جهنم " . ولهما^(٤) عنه مرفوعاً : " من صوَّر صورة في الدنيا كُلف أن ينفخَ فيها الروحَ وليس بنافعٍ " ... وأخرج مسلم^(٥) عن أبي الهياج قال : قال لي عليٌّ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ؟ أن لا تدعَ صورةً إلا طمسَها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتَه .

فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصوِّرين ، لكونهم فعلوا فعلاً يشبهُ فعلَ الخالقِ ، وإن لم يكن ذلك مقصوداً لهم ، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له ومثلاً ونِدّاً ؛ فاستغاثوا به فيما لا يستغاثُ فيه إلا بالله ، وطلبوا منه ما لا يُطلبُ إلا من الله مع القصد والإرادة .

ومن ذلك ما أخرجه النسائي^(٦) بسند جيّد عن عبد الله بن الشَّخِيرِ قال : انطلقتُ في

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢١١١/١٠١) .

(٢) : أي للبخاري في صحيحه رقم (٥٩٥٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٠٧/٩٢) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢١١٠/٩٩) .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٥٩٦٣) ومسلم رقم (٢١١٠/١٠٠) .

(٥) : في صحيحه رقم (٩٦٩/٩٣) .

(٦) : في عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٥ و ٢٤٧) قلت : وأخرجه أحمد (٢٤/٤-٢٥) والبخاري في الأدب

المفرد رقم (٢١١) وأبو داود رقم (٤٨٠٦) وابن السني رقم (٣٨٩) والبيهقي في الأسماء =

وفد بني عامر إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقلنا : أنت سيدنا فقال : " السيد الله - تبارك وتعالى - " ، قلنا : وأفضلنا وأعظمنا طولاً قال : " قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرتكم الشيطان " . وفي رواية : " ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله - عز وجل - " .

وبالجملة فالوارد عن الشارع من الأدلة الدالة على قطع ذرائع الشرك ، وهدم كل شيء يوصل إليه في غاية الكثرة ، ولو رُمّت حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط ، فلنقتصر على هذا المقدار ، ونتكلم على حكم ما يفعله القبوريون من الاستغاثة بالأموات ، ومناداتهم لقضاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات ، وإفرادهم بذلك في بعضها .

[بعث الله الرسل لإخلاص توحيدِهِ]

فنعول : اعلم أن الله لم يبعث [١٨] رسلاً ، ويترل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم ، والرازق ، ونحو ذلك ؛ فإن هذا يقرب به كل مشرك قبل بعثة الرسل ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

= والصفات (ص ٢٢) . وهو حديث صحيح .

(١) : [الزخرف : ٨٧] .

(٢) : [الزخرف : ٩] .

(٣) : [يونس : ٣١] .

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ
السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ
مَنْ يَدِينُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيزُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾^(١).

ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار
مُعْتَوَاتًا باستفهام التقرير: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾^(٢)، ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، ﴿فَأَرُونِي
مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾^(٥).

بل بعث الله رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيدِهِ، وإفراجه بالعبادة ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٦)، ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٧)، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاتَّقُوهُ﴾^(٨)، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(٩)،
﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١٠)، ﴿فَأَيُّيَ فَاعْبُدُونَ...﴾^(١١).

(١): [المؤمنون: (٨٤-٨٩)].

(٢): [فاطر: ٣].

(٣): [إبراهيم: ١٠].

(٤): [الأنعام: ١٤].

(٥): [لقمان: ١١].

(٦): [الأعراف: ٥٩].

(٧): [فصلت: ١٤].

(٨): [نوح: ٣].

(٩): [الأعراف: ٧٠].

(١٠): [المؤمنون: ٣٢].

(١١): [العنكبوت: ٥٦].

وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء ، والاستغاثة ، والرجاء ، واستحلاب الخير ، واستدفاع الشر له ومنه لا غيره ولا من غيره ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١) ، ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ (٢) ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ [١٩] فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسوله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقرّبهم إلى الله ، وتشفع لهم عنده ، مع اعترافهم بأن الله - سبحانه وتعالى - هو خالقها وخالقهم ، ورازقها ورازقهم ، ومحييها ومحييهم ، ومميتها ومميتهم ، ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٥) ، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨) ، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (٩) ، ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١٠) . وكانوا يقولون (١١) في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً

(١) : [الجن : ١٨] .

(٢) : [الرعد : ١٤] .

(٣) : [التوبة : ٥١] .

(٤) : [المائدة : ٢٣] .

(٥) : [الزمر : ٣] .

(٦) : [البقرة : ٢٢] .

(٧) : [الشعراء : ٩٧-٩٨] .

(٨) : [يوسف : ١٠٦] .

(٩) : [يونس : ٨] .

(١٠) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك ، قال : فيقول رسول الله ﷺ (ويلكم قد ، قد) فيقولون : إلا شريكاً =

هو لك ، تملكه وما ملك .

[شرك القبوريين والوثنيين واحد]

وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات ، أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه ، إما استقلالاً أو مع الله تعالى ، وناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق ، فلم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرده بالعبادة ؛ إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ، ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة . ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله ، أو معه حَجَرًا ، أو شَجَرًا ، أو ملكًا ، أو شيطانًا كما كانت تفعل ذلك الجاهلية ، وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء ، أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين . وكل عالم يعلم هذا ويقر به فإن العلة واحدة ، وعبادة غير الله وتشريك غيره معه تكون للحيوان كما تكون للحمام وللحي كما تكون للميت ... فمن زعم أن تم فرقا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر وينفع ، [٢٠] وبين من اعتقد من ميت من بني آدم ، أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله فقد غلط غلطاً بيناً ، وأقر على نفسه بجهل كبير ؛ فإن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يُتقرب به إلا إليه .

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثن والإله ، ليس فيه زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد ، كما يفعله كثير من المسلمين ، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن ؛ إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات ، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به - سبحانه [وتعالى] ، - سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه

= هو لك ، تملكه وما ملك ، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت " .

وانظر " مجموع الفتاوى " لابن تيمية (١/١٥٦) .

الجاهلية ، أو أطلق عليه اسماً آخر فلا اعتبار بالاسم قط . ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم^(١) .

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار^(٢) للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها ، واعتقاد أنها تضرُّ وتنفع الاستغاثة بها عند الحاجة ، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم ، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور ؛ فإنهم قد عظموها إلى حدٍّ لا يكون إلا لله - سبحانه - ، بل ربما يترك العاصيُّ منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريباً منه ، مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله [٢١] ، أو في مسجدٍ من المساجد ، أو قريباً من ذلك . وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً ، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده ، وأما اعتقادهم أنها تضرُّ وتنفع فلولا اشتغال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحدٌ منهم ميتاً أو حياً عند استجلابه لنفع ، أو استدفاعه لضرٍّ قائلاً : يا فلانُ افعلْ لي كذا أو كذا ، وعلى الله وعليك ، وأنا بالله وبلك ، وأما التقريب للأموال^(٣) فانظر ما يجعلونه من النذور لهم ، وعلى قبورهم في كثير من

(١) : انظر " مجموع فتاوى " (١٢٥/١-١٣٠) لابن تيمية .

(٢) : انظر " مجموع فتاوى " (١٥٦/١-١٥٨) لابن تيمية .

(٣) : اعلم أن هذه النذور التي يقدمها المتصوفة والقبوريون لأوليائهم تتضمن من العقائد ما هو أخطر من مجرد الذبح لغير الله ، وهو اعتقادهم أن الحياة والموت بيد المنذور له وهو شرك في الربوبية .

● أن المسائل العقدية ليست مجالاً للمجاملات - فالأمر بالمعروف وفي مقدمته الأمر بإخلاص العبادة لله - والنهي عن المنكر ، وفي مقدمته النهي عن الشرك بالله - يقتضيان من المسلم الواعي أن يقدم النصح الخالص لكل متلبس بالشرك ، خصوصاً الأقارب وليعد ذلك أكبر مظهر من مظاهر صلة الرحم .

● أن عقيدتهم في تقديم النذور لأهل القبور - رغم ما فيها من مخاطر على دين المرء - تتضمن أيضاً المنع من الأخذ بالأسباب الشرعية في معالجة الأمراض البدنية - ليس عن طريق إساءة فهم التوكل كما قد يقع للبعض - ولكن عن طريق المعالجة بمن لم يجعل الله الشفاء في يده ، بل نهي عن قصدهم فستراهم يذبحون للضريح الفلاني وينذرون لغير الولي الفلاني ، كما يتقربون إلى شياطين الجن والأنس ، =

المحلات ، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله - عز وجل - لم يفعل ، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء .

[اعتقاد القبورين في الأموات]

فإن قلت : إن هؤلاء القبورين يعتقدون أن الله هو الضارُّ النافع ، والخيرُ والشرُّ بيده ، وإن استغاثوا بالأموات قصداً لإنجاز ما يطلبونه من الله - سبحانه [وتعالى] - . قلتُ : وهكذا كانت الجاهلية ؛ فإنهم يعلمون أن الله هو الضارُّ النافع ، وأن الخير والشرُّ بيده ، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زُلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز .

نعم إذا لم يحصل من المسلمين إلا مجردُ التوسُّلِ الذي قدَّمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً ، ولكن من زعم أنه لم يقع منه إلا مجردُ التوسُّلِ وهو يعتقدُ من تعظيم ذلك الميِّت مالا يجوز اعتقاده في أحدٍ من المخلوقين ، وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرَّب إلى الأموات بالذبائح والندور ، وناداهم مستغيثاً بهم عند الحاجة ، فهذا كاذبٌ في دعواه أنه متوسِّلٌ فقط ، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيءٌ من [٢٢] ذلك ؛ إذ المتوسِّلُ به

= وآخر ما يفكرون فيه هو الابتغال إلى الله واللجوء إلى الطب الشرعي وفي هذا خطر كبير على صحة الإنسان .

- أن القبورين الذين صرفوا أنواع الندور من القرابين والأموال والستور والشموع والسرج للأضرحة داخلون تحت لعن الله وأفعالهم مشابهة لأفعال عباد الكنائس وبيوت الأصنام .
 - أكل تلك الأموال حرام على سدة القبور .
 - النذر للأضرحة إضاعة للمال ووضع له في غير موضعه وهو وجه من أوجه التحريم .
 - أن قبول سدة القبور لندور الناظرين يتضمن تدليساً قبيحاً وقلباً لموازين الحق ، لأن فيه تقريراً للناذر على شركة ، ورضى بذلك الشرك وفيه إيهام له بأن المنذور له ينفعه أو يضره ، خاصة إذا كان السادن من المتظاهرين بالزهد والورع .
- انظر : عقيدة المسلم (ص ٧٧) و " مصرع الشرك والخرافة " (ص ٢١٩-٢٢١) .

لا يحتاج إلى رشوة بنذر ، أو ذبح ، ولا تعظيم ، ولا اعتقاد ، لأن المدعو هو الله - سبحانه - ، وهو أيضاً المحيَّب . ولا تأثير لمن وقع به التوسُّل قطُّ ، بل هو بمنزلة التوسُّل بالعمل الصالح ، فأبى جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك ! وهل هذا إلا فعلٌ من يعتقد التأثيرَ اشتراكاً أو استقلالاً ! ولا أعدلُ من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطقُ به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة ، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجردُ التوسُّل وهو يقول بلسانه : يا فلانُ منادياً لمن يعتقد أنه من الأموات فهو كاذبٌ على نفسه^(١) .

ومن أنكر حصولَ النداء^(٢) للأموات والاستغاثة بهم استقلالاً فليخبرنا ما معنى ما يسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم : يا ابن العجيل ، يا زَيْلَعِي ، يا ابن عُلوَان ، يا فلانُ يا فلانُ ، وهل ينكر هذا منكرٌ ، أو يشك فيه شك ، وما عدى ديار اليمن فالأمر فيها أطمٌ وأعمٌ ؛ ففي كل قرية ميّت يعتقد أهلها وينادونه ، وفي كل مدينة جماعة منهم ، حتى إنهم في حرم الله ينادونه يا ابن عباس ، يا محجوب ، فما ظنُّك بغير ذلك ! فلقد تلطَّف إبليس وجنوده - أخزاهم الله - لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفية تزلزلُ الأقدام عن الإسلام . فإننا لله وإنا إليه راجعون^(٣) .

(١) : يقول الغزالي : " أليس من المضحك أن نستنجد بقوم يطلبون لأنفسهم النجدة وأن نتوسل بمن يطلب هو كل وسيلة ليستفيد خيراً أو ليدفع شراً ؟ " ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

عقيدة المسلم (ص ٧٧) .

(٢) : انظر : " مصرع الشرك والخرافة " (ص ٢١٧-٢٢٥) .

رسالة " كنت قبوراً " (ص ١٥-٢٨) .

(٣) : وليس الأقطار اليمنية فقط وليس ضريح السيد البدوي هو وحده يستقبل الملايين سنوياً في مصر ، فهناك ضريح الشبلي يستقبل جمهوراً غفيراً من الحجاج ، وهذا ما سجله الكاتب السيد محمد فريد حيث كتب يقول : " قصة واقعية من قلب مملكة الدراويش ومن الواقع الأليم الذي تعيشه أمة المجانين =

أين من يعقل معنى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ [بِشَيْءٍ] ﴾ ^(٣) . وقد أخبرنا الله - سبحانه - أن الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى : ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٢٣] إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴿ ^(٤) .

وأخرج أبو داود ^(٥) ، والترمذي ^(٦) وقال : حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير

= حيث تقع قرية الشيخ شبل مركز المراغة محافظة سوهاج ، ماذا حدث في هذه القرية ؟ هناك من يعبد من دون الله وتقدم إليه القرابين كل عام وله سادن يقوم على خدمته وهو المدعو " أبو النعمان الشبلي " وذات يوم ترك السادن الشمعة على جسم الوثن الخشبي فتسللت النيران إلى الخشب وأصبح الإله كتلة فحم وراح الناس يشكون ويقولون : من فعل هذه بأهتنا ؟ ونقول لهم اسألوهم إن كانوا ينطقون .. وماذا يصنع القوم ؟ قاموا على الفور وأحضروا نجاراً مازقاً وصنعوا على الفور صنماً " بدل تالف " وانطبق على أهالي قرية الشيخ شبل قول المولى عز وجل : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ ^(٧) .

[الصفات : ٩٥] . " مجلة التوحيد " العدد (١٢) ذو الحجة (١٤١١هـ) (ص٤٧) .

(١) : [الأعراف : ١٩٤] .

(٢) : [الجن : ١٨] .

(٣) : [الرعد : ١٤] .

(٤) : [غافر : ٦٠] .

(٥) : في السنن رقم (١٤٧٩) .

(٦) : في السنن (٣٢٤٧) و (٣٣٧٢) .

وأخرجه أحمد (٢٦٧/٤) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) والطيالسي كما في منحة المعبود رقم (١٢٥٢) وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) والطبراني في الصغير (٩٧/٢) والحاكم (٤٩٠/١-٤٩١) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأبو نعيم في الحلية (١٢٠/٨) والبعوي في شرح السنة (١٨٤/٥) - ١٨٥ رقم (١٣٨٤) والنسائي في السنن الكبرى (٣٠/٩) كما في تحفة الأشراف وابن حبان رقم (٢٣٩٦) - موارد (من طرق .

وهو حديث صحيح .

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إن الدعاء هو العبادة " ، وفي رواية^(١) : " مُخُّ العبادة " . ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الآية المذكورة .

وأخرجه أيضاً النَّسَائِي^(٢) ، وابن ماجة^(٣) ، والحاكم^(٤) ، وأحمد^(٥) ، وابن أبي شيبه^(٦) باللفظ المذكور .

وكذلك النَّحْرُ للأموات عبادة لهم ، والنَّذْرُ لهم بجزء من المال عبادة لهم ، والتعظيم عبادة لهم .

كما أن النحر للتسكُّ ، وإخراج صدقة المال ، والخضوع ، والاستكانة عبادة لله - عز وجل - بلا خلاف . ومن زعم أن ثَمَّ فرقا بين الأمرين فليهدِه إلينا ، ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم ، والنذر عليهم عبادتهم فقل له : فلأي مقتضٍ صنعتَ هذا الصنع ؟ فإن دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبَّر عنه لسأئك ، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فأنت مصابٌ بعقلك ، وهكذا إن كنت تنحرُ لله وتنذرُ لله فلأي معنى جعلتَ ذلك

(١) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٣٧١) من حديث أنس وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا

الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة " اهـ .

وهو حديث ضعيف .

(٢) : لم أجده ؟

(٣) : في السنن رقم (٣٨٢٩) .

(٤) : في المستدرک (١/٤٩٠) .

(٥) : في المسند (٢/٣٦٢) .

(٦) : لم أعثر عليه في المصنف .

قلت : وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٢) وابن حبان في صحيحه رقم (٨٧٠)

والطيالسي رقم (٢٥٨٥) والترمذي رقم (٣٣٧٠) .

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وهو حديث حسن .

للميت ، وحملته إلى قبره ؟ فإن الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض ، وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته ، وأمر قد أردته ، وإلا فأنت مجنون قد رفَع عنك القلم ، ولا نوافقك على دعوى الجنون إلا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمطِ أفعال المجانين ، فإن كنت تُصَدِّرها مصدرَ أفعال العقلاء فأنت تكذبُ على نفسك في دعواك الجنونَ في هذا الفعلِ بخصوصه ، فراراً عن أن يلزمَكَ ما لزم عبَّاد الأوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ ^(١) ، ويقولُ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ ^(٢) [٢٤] .

[كلمة التوحيد لا تكفي مجردة عن العمل]

فإن قلت : إن المشركين كانوا لا يقرُّون بكلمة التوحيد ، وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرُّون بها .

قلتُ : هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم ، وخالفوها بأفعالهم ، فإن من استغاث بالأموات ، أو طلب منهم ما لا يقدرُ عليه إلا الله - سبحانه - ، أو عظَّمهم ، أو نذر عليهم جزء من ماله ، أو نحر لهم فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال ، فهو لم يعتقد معنى لا إله إلا الله ، ولا عمل بها ، بل خالفها اعتقاداً وعملاً ، فهو في قوله : لا إله إلا الله كاذبٌ على نفسه ، فإنه قد جعل لها إلهاً غيرَ الله يعتقدُ أنه يضرُّ وينفع ، وعبَّدهُ بدعائه عند الشدائد ، والاستغاثة به عند الحاجة ، وبخضوعه له وتعظيمه إياه ، ونحرَ له النحائر ، وقربَ إليه نفائس الأموال . وليس مجردُ قول لا إله إلا الله من دون عملٍ بمعناها مثبتاً للإسلام ؛ فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية ، وعكف على صنمه يعبده لم يكن

(١) : [الأنعام : ١٣٦] .

(٢) : [النحل : ٥٦] .

ذلك إسلاماً .

فإن قلت : قد أخرج أحمد بن حنبل^(١) ، والشافعي^(٢) في مسنديهما من حديث عبد الله بن عدي بن الخيار أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو في مجلسه فسارهُ يستأذنهُ في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : " أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ " قال الأنصاري : بلى يا رسول الله ، ولا شهادة له . قال : " أليس يشهد أن محمداً رسولُ الله ؟ " قال بلى ولكن لا شهادة له ، قل : " أليس يصلي ؟ " قال بلى ، ولا صلاة له قال : " أو لئلك الذين نهاني الله عن قتلهم " .

وفي الصحيحين^(٣) من حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي قال : يا رسول الله ، اتق الله . وفيه قال [٢٥] خالد بن الوليد : يا رسول الله ، ألا أضربُ عنقه ؟ فقال : " لا لعله أن يكون يصلي " ، فقال خالد : كم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ؟ فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق قلوبهم " . ومنه قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأسماءَ بن زيد لما قتل رجلاً من الكفار بعد أن قال لا إله إلا الله ، فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " فما تصنعُ بلا إله إلا الله ؟ " فقال يا رسول الله ، إنما قالها تُقيّةً ، فقال : " هل شققت عن قلبه ؟ " هذا معنى الحديث ، وهو في الصحيح^(٤) .

(١) : في المسند (٤٣٢/٥) .

(٢) : في المسند (٦٣/١-٦٤) .

قلت : عبيد الله بن عدي بن الخيار يعد من الصحابة ، ولكن لم يثبت له سماع . ولكن للحديث طريق موصولة أخرجها أحمد في المسند (٤٣٣/٥) عن عبد الله بن عدي الأنصاري بسند صحيح .

وانظر : الإصابة (١٥٢/٤) رقم (٤٨٤١) .

(٣) : أخرج البخاري رقم (٤٣٥١) ومسلم رقم (١٠٦٤/١٤٤) .

(٤) : أخرج مسلم في صحيحه رقم (٩٧/١٦٠) .

قلت لا شك أن من قال لا إله إلا الله ، ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقونُ الدم والمالِ إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة في حديث : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويحجوا البيت ، ويصوموا رمضان " (١) .

(١) : وهو حديث متواتر له طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بجهه وحسابه على الله " .

(١) : سعيد بن المسيب عنه :

أخرجه مسلم رقم (٢١/٣٣) والنسائي (٧،٦،٥-٤/٦) وابن حبان رقم (٢١٨) والطبراني في الأوسط (١٥٨/٢) رقم (١٢٩٤) والطحاوي في شرح المعاني (٢١٣/٣) ، وابن منده في الإيمان (١٦٢/١) رقم (٢٣) و(١٥٩/١) رقم (١٩٩) و(٣٦٠/١) رقم (٢٠٠) من طريق الزهري به .

(٢) : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : عنه .

أخرجه البخاري رقم (١٣٩٩) ورقم (٦٩٢٤) ورقم (٧٢٨٢ و ٧٢٨٥) ومسلم رقم (٢٠/٣٢) وأبو داود رقم (١٥٥٦) والنسائي (١٥-١٤/٥) و(٥/٦) والترمذي رقم (٢٦٠٧) وقال حديث حسن صحيح .

وأحمد (٤٢٣/٢) ، (٥٢٨) وأبو عبيد في الأموال (ص ٢٣ رقم ٤٦٤٤) والطبراني في الأوسط (٥١٢/١) رقم (٩٥٤) وابن منده في الإيمان (١٦٤/١) رقم (٢٤) و(٣٨٠/١) رقم (٢١٥) و(٣٨٢) رقم (٢١٦) . من طريق الزهري ، عنه قال ابن منده (١٦٥/١) : " هذا إسناد مجمع على صحته ، من حديث الزهري ، وعنه مشهور " .

(٣) : أبو صالح ، عنه :

أخرجه مسلم رقم (٢١/٣٥) وأبو داود رقم (٢٦٤٠) والترمذي رقم (٢٦٠٦) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه رقم (٣٩٢٧) وأحمد (٣٧٧/٢) والطحاوي في شرح المعاني (٢١٣/٣) وابن منده (١٦٦/١) رقم (٢٦) و(١٦٨/١) رقم (٢٨) .

(٤) : أبو صالح مولى التوأمة ، عنه :

أخرجه أحمد (٤٧٥/٢) من طريق سفيان عنه ، وسنده حسن في المتابعات .

(٥) : الأعرج ، عنه :

.....
= أخرجه الطحاوي (٢١٣/٣) عن أبي الزناد ، عنه .

(٦) : أبو سلمة ، عنه :

أخرجه أحمد (٥٠٢/٢) والشافعي في السنن المأثورة (ص٤٣٢ رقم ٦٤٣) وأبو عبيد في الأحوال (ص٢٣ رقم ٤٣) والطحاوي (٢١٣/٣) والبخاري (٦٦-٦٥/١) من طريق محمد بن عمرو ، عنه : وسنده حسن .

(٧) : عبد الرحمن بن يعقوب ، عنه :

أخرجه مسلم رقم (٢١/٣٤) وابن حبان رقم (١٧٤) ورقم (٢٢٠) وابن منبته (٣٥٨/١) رقم ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨) والدارقطني (٨٩/٢ رقم ٤) .

(٨) : أبو حازم ، عنه :

أخرجه أحمد (٥٢٧/٢) من طريق يزيد بن كيسان ، عنه ، وسنده صحيح .

(٩) : همام بن منبه ، عنه :

أخرجه أحمد (٣١٤/٢) وابن منبته في الإيمان (١٦٧/١ رقم ٢٧) والبخاري (٦٥/١) .

(١٠) : عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عنه :

أخرجه أحمد (٤٨٢/٢) من طريق هلال بن علي ، عنه :

(١١) : مجاهد بن جبر ، عنه :

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٦/٣) من طريق ليث بن أبي سليم عنه وقال : " هذا حديث صحيح غريب ثابت من طرق كثيرة . وحديث مجاهد عن أبي هريرة غريب من حديث ليث لم نكتبه إلا من هذا الوجه " اهـ .

قلت : وليث بن أبي سليم ضعيف ، الميزان (٤٢٠/٣) والمجروحين (٢٣١/٢-٢٣٤) والجرح والتعديل (١٧٧/٧-١٧٩) .

(١٢) : كثير بن عبيد ، عنه :

أخرجه أحمد (٣٤٥/٢) وابن خزيمة (٨/٤ رقم ٢٢٤٨) . والبخاري في التاريخ الكبير (٣٥/٧-٣٦) والدارقطني (٢٣١/١ رقم ١) و (٨٩/٢ رقم ٣) والحاكم (٣٨٧/١) من طريق سعيد بن كثير ، عن أبيه . وسنده حسن في المتابعات ، وسعيد بن كثير متكلم فيه ، ولكن تابعه عبد الله بن دكين ، عن كثير بن عبيد .

وهكذا من قال لا إله إلا الله متشهداً بما شهادة الإسلام ، ولم يكن قد مضى عليه من الوقت ما يجب فيه شيء من أركان الإسلام ، فالواجب حمله على الإسلام ، عملاً بما أقرَّ به بلسانه ، وأخبر به من أراد قتاله . ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم - لأسماءَ بنِ زيد ما قال .

وأما من تكلم بكلمة التوحيد ، وفعل أفعالاً تخالفُ التوحيدَ ، كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأموات ، فلا ريب أنه قد تبين من حالهم خلافُ ما حكته ألسنتهم من إقرارهم

= أخرجه ابن عدي في الكامل (١٥٤٢/٤) وعبد الله بن دكين ، وثقه أحمد وقال ابن معين : " لا بأس به " وضعفه في رواية ، وكذا أبو زرعة الرازي في الميزان (٤١٧/٢) رقم (٤٢٩٦) فالسند صحيح بمجموع الطريقين .

(١٣) : ابن الحنفية ، عنه :

أخرجه الخطيب في التاريخ (٢٠١/١٢) من طريق منذر الثوري ، عنه وسنده تالف . وفيه : عمرو ابن عبد الغفار الفقيمي ، قال أبو حاتم : متروك الحديث وقال ابن عدي ، أتم بوضع الحديث " الميزان " (٢٧٢/٣) رقم (٦٤٠٣) .

(١٤) : الحسن البصري ، عنه :

أخرجه الدارقطني (٨٩/٢) رقم (٢٠) وأبو نعيم في الحلية (١٥٩/٢) و (٢٥/٣) وسنده ضعيف .

(١٥) : زياد بن الحارث ، عنه :

أخرجه البخاري في التاريخ (٣٦٧/٣) من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف - عنه . وقد اختلف في زياد هذا .

(١٦) : عجلان المدني ، عنه :

أخرجه الطحاوي (٢١٣/٣) من طريق محمد بن عجلان ، عنه ، وسنده صحيح .

قلت : وللحديث شواهد كثيرة - فهو متواتر - عن جماعة من الصحابة كأبْنِ عمر ، وجابر ، وأوس بن أبي أوس ، وجريز بن عبد الله ، وأبي بكر ، والنعمان بن بشير ، وابن عباس ، وأبي مسالك الأشجعي ، وسهل بن سعد .

وانظر : " كطف الأزهار المتناثرة " للسيوطي ص ٣٤-٣٥ . و " نظم المتناثر من الحديث المتواتر "

للكتاني ص ٢٩ رقم ٩ .

بالتوحيد ، ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد موجباً للدخول في الإسلام ، والخروج من الكفر ، سواء فعل المتكلم بها ما يطابق التوحيد أو يخالفه لكانت نافعة لليهود ، مع أنهم [٢٦] يقولون : عزيرُ ابنُ الله ، وللنصارى مع أنهم يقولون : المسيحُ ابنُ الله ، وللمنافقين مع أنهم يكذبون بالدين ، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وجميع هذه الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد ، بل لم تنفع الخوارج^(١) فإنهم من أكمل الناس توحيداً ، وأكثرهم عبادةً ، وهم كلابُ النار .

وقد أمرنا^(٢) رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بقتلهم مع أنهم لم يشركوا بالله ، ولا خالفوا معنى لا إله إلا الله ، بل وحدوا الله حقَّ توحيده ، وكذلك المانعون للزكاة هم موحدون لم يشركوا ، ولكنهم تركوا ركناً من أركان الإسلام ، ولهذا أجمعت الصحابة على قتالهم ، بل دلَّ الدليل الصحيح المتواتر^(٣) على ذلك ، وهو الأحاديث الواردة بألفاظ منها : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويحجوا البيت ، ويصوموا رمضان ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " فمن ترك أحد هذه الخمس فلم يكن معصومَ الدم ولا المال ، وأعظم من ذلك تارك معنى التوحيد ، أو المخالف له بما يأتي به من الأفعال .

فإن قلت : هؤلاء المعتقدون في الأموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شركٌ ، بل لو عرِّضَ أحدهم على السيف لم يقرَّ بأنه مشرك بالله ، ولا فاعل لما هو شركٌ ، ولو علم أدنى علم أن ذلك شركٌ لم يفعله .

قلت : الأمر كما قلت ، ولكن لا يخفى على عليك ما تقرَّر في أسباب الردة أنه لا

(١) : تقدم التعريف بهم .

(٢) : أخرج البخاري رقم (٤٣٥١) ومسلم رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه " .. إته يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً ، لا يجاوز حناجرهم ، يعرفون من الدين كما يعرف السهم من الرمية - وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل قوم شوث . "

(٣) : تقدم تخريجه مع بيان طريقه (ص ٣٤٧-٣٤٩) .

يعتبر في ثبوتها العلمُ بمعنى ما قاله من جاء بلفظٍ كفريٍّ ، أو فعلَ فعلاً كُفرياً .
وعلى كل حال [٢٧] فالواجبُ على كل من اطلع على شيء من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقدون في الأموات أن يبلغهم الحجة الشرعية ، ويبين لهم ما أمره الله ببيانه ، وأخذ عليهم الميثاق أن لا يكتمه كما حكى ذلك لنا في كتابه العزيز ، فيقول لمن صار يدعو الأموات عند الحاجات ، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات ، وينذر لهم النذور ، وينحر لهم النحائر ، ويعظمهم تعظيم الربِّ - سبحانه - أن هذا الذي تفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية ، وهو الذي بعث الله رسلاً بهديه ، وأنزل كتبه في ذمِّه ، وأخذ على النبيين أن يبلغوه عباده أنهم لا يؤمنون حتى يخلصوا له التوحيد ، ويعبدوه وحده ؛ فإذا علموا بهذا علماً لا يبقى معه شكٌ ولا شبهةٌ ، ثم أصرُّوا على ما هم فيه من الطغيان والكفر بالرحمن وجب عليه أن يخبرهم بأنهم إذا لم يُقِلُّوا عن هذه الغواية ، ويعودوا إلى ما جاءهم به رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من الهداية فقد حلَّت دماؤهم وأموالهم ؛ فإن رجعوا وإلا فالسيفُ هو الحكمُ العدلُ كما نطق به الكتاب المبين ، وسنة سيِّد المرسلين في إخوانهم من المشركين .

[طلب دعاء الأحياء والاستشفاع بهم ليس شركاً]

فإن قلت : قد ورد الحديث الصحيح^(١) بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدمَ فيدعونه ويستغيثون به ، ثم نوحاً ، ثم إبراهيمَ ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمداً - صلى الله عليه وعليهم - .

قلت : أهل المحشر إنما يأتون [٢٨] هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله - سبحانه - ، ويدعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف ، وهذا جائز ؛ فإنه من طلب الشفاعة والدعاء المأذونَ فيهما ، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله

(١) : تقدم تخريجه (ص ٣١١) .

صلى الله عليه وآله وسلم - في حياته أن يدعو لهم كما في حديث : " يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم " لما أخرجهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفاً ، وحديث^(١) : " سبقك بها عكاشة " ، وقول أم سليم^(٢) : يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له . وقول المرأة^(٣) التي كانت تُصرعُ : يا رسول الله ، ادع الله لي ، وآخر الأمر سأنته الدعاء بأن لا تنكشف عند الصرع ، فدعا لها .

ومنه إرشاده - صلى الله عليه وآله وسلم - لجماعة من الصحابة بأن يطلبوا من أويس القرني^(٤) الدعاء إذا أدركوه ، ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤١) من حديث ابن عباس . وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه رقم (٦٥٤٢) ورقم (٥٨١١) .

ومسلم في صحيحه رقم (٣٦٧) و (٢١٦/٣٦٩) من حديث أبي هريرة . وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه رقم (٢١٨/٣٧١) من حديث عمران بن حصين .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٣٤ و ٦٣٤٤ و ٦٣٧٨ و ٦٣٧٩) من حديث أنس .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٥٦٥٢) ومسلم رقم (٢٥٧٦/٥٤) من حديث ابن عباس .

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٢) : عن أسير بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب ، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم : أفياكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس . فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر . لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل " فاستغفر لي ، فاستغفر له .

فائدة : أن الرجل الصالح الذي يطلب منه الدعاء لا يشترط أن يكون أفضل عند الله ممن يطلب منه الدعاء بل يكفي أن يكون من أهل الصلاح والتقوى حسب ما يظهر للناس .

ولذا أمر النبي ﷺ من عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له ، وعمر أفضل منه ، لكنه كان صالحاً باراً بأمه بل وطلب عليه الصلاة والسلام من أمته أن يسألوا له الوسيلة بقوله ﷺ : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل =

الغيب^(١) وغير ذلك مما لا يُحَصَّرُ ، حتى إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعمر لما خرج معتمراً لا تنسنا يا أخي من دعائك^(٢) .

فمن جاء إلى رجلٍ صالحٍ ، واستمدَّ منه أن يدعو له ، فهذا ليس من ذلك الذي يفعلُه المعتقدون في الأموات ، بل هو سنة حسنة ، وشريعة ثابتة ، وهكذا طلبُ الشفاعة ممن جاءت الشريعةُ المطهرةُ بأنه من أهلها كالأنبياء ، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة : "سَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ"^(٣) وذلك هو المقام الحمودُ الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز .

والحاصل [٢٩] أن طلبَ الحوائج من الأحياء جائزٌ إذا كانوا يقدرُون عليها . ومن ذلك الدعاء فإنه يجوز استمداؤه من كلِّ مسلم ، بل يحسن ذلك . وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرعُ بأهم يشفعونَ ولكن ينبغي أن يعلم أنَّ دعاء من يدعو له لا ينفَعُ إلا بإذن الله وإرادته ومشئته ، وكذلك شفاعةُ من يشفعُ لا تكون إلا بإذن الله ، كما ورد بذلك القرآن^(٤) الكريم ، فهذا تقييدٌ للمطلق لا ينبغي

= الله لي الوسيلة حلت له شفاعة " .

أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨) ورقم (٣٨٤) .

(١) : (منها) : ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٣٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهور الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به . آمين ولك بمثل " .

(٢) : أخرجه أحمد (٢٩/١ ، ٥٩/٢) وأبو داود رقم (١٤٩٨) والترمذي رقم (٣٥٦٢) وقال : حديث حسن صحيح . وابن حبان في المجروحين (١٢٨/٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٣٨٧) ممن حديث عمر . وهو حديث ضعيف .

(٣) : تقدم تخريجه (ص ٣١١) .

(٤) : منها قوله تعالى : ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مریم : ٨٧] . =

العدولُ عنه بحال .

واعلم أن من الشُّبُهَة الباطلة التي يوردها المعتقدون في الأموات أنهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية ، لأنهم إنما اعتقدوا في الأولياء والصالحين ، وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين .

وهذه الشبهة داحضة تنادي على صاحبها بالجهل ، فإن الله - سبحانه - لم يعذر من اعتقد في عيسى - عليه السلام - وهو نبيٌّ من الأنبياء ، بل خاطب النصارى بتلك الخطابات القرآنية ، ومنها : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..... ﴾^(١) وقال لمن كان يعبد الملائكة : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾^(٢) .

ولا شك أن عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم ، ويُعلِّونَ في شأنهم ، مع أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو أكرم الخلق على الله [٣٠] ، وسيد ولد آدم قد هي أمته أن^(٣) تغلُّ فيه كما غلت النصارى في عيسى - عليه السلام - ، ولم يمثِّلوا أمره ، ولا امتثلوا ما ذكره الله

= وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ﴿٤١﴾ .
[طه : ١٠٩] .

(١) : [النساء : ١٧١] .

(٢) : [سبأ : ٤٠-٤١] .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥) عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تُظروني كما أظرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله " .

- سبحانه - في كتابه العزيز من قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾^(١) ، ومن قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٢) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ١٠ ﴾ يَوْمَ لَا تَمَلُّوا نَفْسًا لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾^(٣) ، وما حكاه عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، وما قاله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لقرابته الذين أمره الله بإنذارهم بقوله : ﴿ وَعَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فقام داعياً لهم ، ومخاطباً لكل واحدٍ منهم قائلاً . " ١٠ فلانُ بنُ فلانٍ لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فلانةُ بنتُ فلانٍ لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا بني فلانٍ لا أغني عنكم من الله شيئاً " (٣) .

فانظر - رحمك الله - ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلو المنهني عنه ، المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - كما يقوله صاحب البردة^(٤) :

(١) : [آل عمران : ١٢٨] .

(٢) : [الانفطار : ١٧-١٩] .

(٣) : تقدم تخرجه (ص ٣١٧) .

(٤) : هو محمد بن سعيد البوصيري ، صوفي ناظم ، توفي بالإسكندرية سنة ٦٩٤هـ له " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " المعروفة بالبردة .

انظر " معجم المؤلفين " (٢٨/١) .

وفي هذه القصيدة مخالفات شرعية ضللت الكثير من أدعياء العلم الذين ينشدونها في مجالسهم . والعجيب أن يزعم الزاعمون ويكذب الكاذبون أن البوصيري كان أصيب بفالج - ليته لم يشف منه وقضى نحبه وأنقد المسلمين مما في البردة من شركيات وأكاذيب - فأنشد قصيدة البردة في المنام للرسول ﷺ فأعجب بها ، فألبسه جبته وشفى للحال : وهذا مما زاد تعلق الحمقى والمغفلين بها وغدت تقرأ كالقرآن أو أكثر حتى في مجالس بعض الشيوخ المخرفين الذين يتمايلون على أنغامها وهي تفروح منها راحة الكفر والإلحاد :

=

(١) : القسم بمخلوقات الله كالقمر .

يا أكرم الخلق مالي من ألوذُّ به سواك عند حلولِ الحادثِ العمَمِ
فانظر كيف نفى كلَّ ملاذٍ ما عدا عبدَ اللهِ ورسولَه - صلى الله عليه وآله وسلم - ،
وغفل عن ربِّه ، وربُّ رسولِ الله ! - إنا لله وإنا إليه راجعون - وهذا باب واسع قد
تلاعب الشيطانُ بجماعة من أهل الإسلام حتى ترقَّوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا
الخطاب ، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب [٣١] . ومن ذلك قولُ من
يقولُ مخاطباً لابن العجيل :

هات لي منك يا بن موسى إغاثة عاجلاً في مسيرها حثاثة
فهذا محضُ الاستغاثةِ التي لا تصلحُ لغير الله بميت من الأموات ، قد صار تحت أطباق الثرى
منذ مئتين من السنين ، ويغلب على الظن أن مثلَ هذا البيتِ والبيتِ الذي قبلَه إنما وقعا من
قائلَيْهِما لغفلةٍ ، وعدمِ تيقُّظٍ ، ولا مقصدٍ لهما إلا تعظيمُ جانبِ النبوةِ والولايةِ ، ولو بُبِّها
لتنبَّها ورجعا ، وأقرأ بالخطأ . وكثيراً ما يُعرضُ ذلك لأهل العلم والأدب والفطنة . وقد
سمعنا ورأينا .

فمن وقفَ على شيء من هذا الجنسِ لحيٍّ من الأحياء فعليه إيقاظُه بالحجج الشرعية ،
فإن رجع وإلا كان الأمر فيه كما أسلفنا . وأما إذا كان القائلُ قد صار تحت أطباق الثرى
فينبغي إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل . وقد وقع في البرودةِ والهمزيةِ شيءٌ
كثيرٌ من هذا الجنسِ، ووقع أيضاً لمن تصدى لمدح نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - ولمدح
الصالحين والأئمة الهادين مالا يأتي عليه الحصرُ ، ولا يتعلَّق بالاستكثار منه فائدةٌ ، فليس
المرادُ إلا التنبيهَ والتحذيرَ : ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (١) ،

(١) : إرهاصات وخوارق عجيبة حصلت يوم مولد النبي ﷺ وهي باطلة .

(٢) : الإخلال بتوحيد الربوبية .

لمزيد من المعرفة للوقاية والحذر انظر " كتب ليست من الإسلام " محمود مهدي الاستانبولي

ص ٢٦-١١ .

(١) : [ق : ٣٧] .

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾^(١) ، ﴿ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾^(٢) [٣٢] .

واعلم أن ما حررناه وقررناه من أن كثيراً مما يفعله المعنقون في الأموات يكون شركاً قد يخفى على كثير من أهل العلم ، وذلك لا لكونه خفياً في نفسه ، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر ، وكونه قد شاب عليه الكبير ، وشب عليه الصغير ، وهو يرى ذلك ويسمعه ، ولا يرى ولا يسمع من ينكره ، بل ربما يسمع من يرغب فيه ، ويندبُ الناس إليه ، وينضمُّ إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة ، وللعامة فيهم اعتقاد . وربما يقف جماعة من المحتالين على قبره ، ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ، ليستجلبوا منهم النذور ، ويستدروا الأرزاق ، ويقتنصوا النحائر ، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم ، وعلى من يعولونهم ويجعلوا ذلك مكسباً ومعاشاً .

وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات ، ويمثلون قبره بما يعظم في عين الواصل إليه ، ويوقدون في مشهده الشموع ، ويوقدون فيه الأطياب ، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يجتمع فيها الجمعُ الجمُّ ، فينهرُ الزائر ، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق ، وازحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسُّح بأحجار قبره وأعواده ، والاستغاثة به ، والاتجاء إليه ، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات ، مع خضوعهم واستكانتهم ، وتقريبهم له نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحائر^(٣) .

فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة ، وانقراض القرن بعد القرن يظن الإنسان في بادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك [٣٣] من أعظم القربات ، وأفضل الطاعات ، ثم لا

(١) : [الذاريات : ٥٥] .

(٢) : [آل عمران : ٨] .

(٣) : انظر : "الإبداع في مضار الابتداع" للشيخ علي محفوظ ص ١٤١ . "الفتاوى المصرية" لابن تيمية (٣١٢/١) . "اقتضاء الصراط المستقيم" ابن تيمية (٦١٥/٢) .

ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل عن كل حجة شرعية تدلُّ على أن هذا هو الشرك بعينه ، وإذا سمع من يقول أنكروه ونبا عنه سمعه ، وضاق به ذرعه ، لأنه يبعد كل البعد أن ينتقل ذهنه دفعةً واحدةً في وقت واحدٍ عن شيء يعتقدُه من أعظم الطاعاتِ إلى كونه من أقبح المقبَّحاتِ ، وأكبر المحرِّماتِ ، مع كونه قد درجَ عليه الأسلاف ، ودبَّ فيه الأخلاف ، وتعاورته العصورُ ، وتناوبته الدهورُ . وهكذا كلُّ شيءٍ يقلدُ الناسُ فيه أسلافهم ، ويحكمون العاداتِ المستمرة .

وبهذه الذريعة الشيطانية ، والوسيلة الطاغوتية بقي الشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودي على يهوديته ، والنصراني على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، وصار المعروف منكراً ، والمنكرُ معروفاً ، وتبدلت الأمة بكثير من المسائل الشرعية غيرَها ، وألفوا ذلك ، ومَرَّتْ عليه نفوسهم وقبلته قلوبهم ، وأنسوا إليه ، حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلك ، ولم تقبله طبائعهم ، ونالوا ذلك المرشد بكلِّ مكروه ، ومزَّقوا عرضه بكلِّ لسان ، وهذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو متهم في عقله .

وانظر إن كنت ممن يعتبر ما ابتليت به هذه الأمة من التقليد للأموات في دين الله ، حتى صارت كلُّ طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالم من علماء المسلمين ، ولا تقبل قول غيره ، ولا ترضى به ، وليتها وقفت عند عدم القبول والرضا ، لكنها تجاوزت ذلك إلى الخطُّ على سائر علماء المسلمين ، والوضع من شأنهم ، وتضليلهم ، وتبديعهم [٣٤] ، والتنفير عنهم ، ثم تجاوزا ذلك إلى التفسيق والتكفير ، ثم زاد الشرُّ حتى صار أهل كلِّ مذهب كأهل ملةٍ مستقلة ، لهم نبيٌّ مستقلٌّ ، وهو ذلك العالم الذي قلَّده ، فليس الشرع إلا ما قال به دون غيره ، وبالغوا وغلوا فجعلوا قوله مقدماً على قول الله ورسوله . وهل بعد هذه الفتنة والحنة شيء من الفتن والحن ! .

فإن أنكرت هذا فهؤلاء المقلدون على ظهر البسيطة قد ملؤوا الأقطار الإسلامية فاعمد إلى أهل كل مذهب ، وانظر إلى مسألة من مسائل مذهبهم هل هي مخالفةٌ لكتاب الله ، أو

لسنة رسول الله ، ثم أرشدهم إلى الرجوع عنها إلى ما قاله الله أو رسوله^(١) ، وانظر بماذا

(١) : واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضيلة من فضائل هذه الأمة . قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران :

١١٠]

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وهذه المسؤولية تتأكد على كل من العلماء والحكام بشكل خاص وعلى الآحاد من المسلمين بشكل

عام .

(١) : العلماء فلأنهم يعرفون من شرع الله ما لا يعرفه غيرهم من الأمة ولما لهم من هيبة في النفوس

واحترام في القلوب مما يجعل أمرهم ونهيهم أقرب إلى الامتثال وأدعى إلى القبول .

(٢) : الأمراء والحكام فإن مسؤوليتهم أعظم وأخطر لأن لهم الولاية والسلطان ولديهم القدرة على

تنفيذ ما يأمرون به وينهون عنه وحمل الناس على الامتثال ولا يخشى من إنكارهم مفسدة لأن

القوة والسلاح في أيديهم .

● مخاطر تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ

مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة : ٧٨-٧٩] .

قال ﷺ : " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق

الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده

فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض " .

ثم قال : " لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم " .

ثم قال : " والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على الظالم ولتأطرنه على الحق

أطراً " من حديث ابن مسعود .

أخرجه أبو داود رقم (٤٣٣٦) والترمذي رقم (٣٠٤٧) وابن ماجه رقم (٤٠٠٦) وهو حديث

حسن بشواهده .

● وقال ﷺ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، =

يجيئونك ! فما أظنك تنجو من شرهم ، ولا تأمن من معرفهم ، وقد يستحلون بذلك دمك ومالك ، وأورعهم يستحل عرضك وعقوبتك ، وهذا يكفيك إن كان لك فطرة سليمة ، وفكرة مستقيمة .

ثم انظر كيف خصوا بعض علماء المسلمين ، واقتدوا بهم في مسائل الدين ، ورفضوا الباقين ، بل جاوزوا هذا إلى أن الإجماع ينعقد بأربعة من علماء هذه الأمة ، وأن الحجّة قائمة بهم ، مع أن في عصر كل واحد منهم من هو أكثر علماً منه ، فضلاً عن العصر المتقدم على عصره ، والعصر المتأخر عن عصره . وهذا يعرفه كل من يعرف أحوال الناس ، ثم تجاوزوا ذلك إلى أنه لا اجتهاد لغيرهم ، بل هو مقصورٌ عليهم ، فكأن هذه الشريعة كانت لهم لاحظ لغيرهم فيها ، ولم يتفضّل الله على عباده بما تفضّل عليهم .

وكلُّ عاقل يعلم أن هذه المزاي التي جعلوها لهؤلاء الأئمة - رحمهم الله - إن كانت باعتبار كثرة علمهم ، وزيادته على علم غيرهم ، فهذا مدفوع عند كل من له اطلاع على أحوالهم ، وأحوال غيرهم ؛ فإن في اتباع كل واحد منهم من هو أعلم منه لا ينكر هذا إلا مكابراً أو جاهل ، فكيف بمن لم يكن من أتباعهم [٣٥] من المعاصرين لهم ، والمتقدمين عليهم ، والمتأخرين عنهم ! وإن كانت تلك المزاي بكثرة السور والعبادة فالأمر كما تقدم ، فإن في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم من هو أكثر عبادة وورعاً منهم ، لا ينكر هذا إلا من لا يعرف تراجم الناس ، وكُتُب التواريخ ، وإن كلنت تلك المزاي بتقدم عصورهم ، فالصحابه والتابعون أقدم منهم عصرًا بلا خلاف ، وهم أحقُّ بهذه المزاي من بعدهم لحديث : " خيرُ القرونِ قري ، ثم يلوئهم ، ثم الذين الذين

= وذلك أضعف الإيمان " . من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤٩) والترمذي رقم (٢١٧٢) .

● وقال ﷺ : " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولنهنون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم " . من حديث حذيفة .

أخرجه الترمذي رقم (٢١٦٩) وهو حديث حسن بشواهده .

يلونهم" (١) . وإن كانت تلك المزايا لأمرٍ عقليٍّ فما هو ؟ أو لأمرٍ شرعيٍّ فأين هو ؟ ولا ننكر أن الله قد جعلهم بمحل من العلم والورع ، وصلاية الدين ، وأنهم من أهل السَّبْق في كل الفضائل والفواضل ، ولكن الشأن في المتعصّب لهم من أتباعهم ، القائل أنه لا يجوزُ تقليدُ غيرهم ، ولا يعتدُّ بخلافه إن خالف ، ولا يجوز لأحد من علماء المسلمين أن يخرجَ عن تقليدهم وإن كان عارفاً بكتاب الله ، وسنة رسوله ، قادراً على العمل بما فيهما ، متمكناً من استخراج المسائل الشرعية منهما ، فلم يكن مقصودنا إلا التعجيب لمن كان له عقل صحيح ، وفكر رجيح ، وتهوينُ الأمرِ عليه فيما نحن بصدده من الكلام على ما يفعله المعتقدون للأموات ، وأنه لا يغتر العاقلُ بالكثرة وطول المهلة مع الغفلة ؛ فإن ذلك لو كان دليلاً على الحق لكان ما زعمه المقلدون المذكورون حقاً ، ولكان ما يفعله المعتقدون للأموات حقاً .

وهذا عارضٌ من القول أوردناه للتمثيل ، ولم يكن من مقصودنا ، والذي نحن بصدده هو أنه إذا خفي على بعض أهل العلم ما ذكرناه وقررناه في حكم المعتقدين [٣٦] للأموات لسبب من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها ، ولم يتعقل ما سقناه من الحجج البرهانية القرآنية والعقلية فينبغي أن تسأله : ما هو الشرك ؟ فإن قال : هو أن تتخذ مع الله إلهاً آخرَ كما كانت الجاهلية تتخذ الأصنام آلهة مع الله - سبحانه - فقل له : وماذا كانت الجاهلية تصنعه لهذه الأصنام التي اتخذوها حتى صاروا مشركين ؟ فإن قال : كانوا يعظمونها ويقربون لها ، ويستغيثون بها ، وينادونها عند الحاجات ، وينحرون لها النحلث، ونحو ذلك من الأفعال الداخلة في مسمى العبادة فقل له : لأي شيء كانوا يفعلون لها ذلك ؟ فإن قال : لكونها الخالقة ، أو الرازقة ، أو المحيية ، أو المميتة فافراً عليه ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المبرحة بأنهم مقرؤون بأن الله الخالق الرازق المحيي المميت ، وأنهم إنما عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى ، وقالوا : هم شفعاؤهم عند الله ، ولم يعبدوها

(١) : تقدم تخريجه في رسالة " التحف في مذاهب السلف " (ص ٢٥٥) .

لغير ذلك ؛ فإنه سيوافقك ولا محالة إن كان يعتقد أن كلامَ الله حقٌّ ، وبعد أن يوافقك أوضح له أن المعتقدين في القبور قد فعلوا هذه الأفعال أو بعضها على الصفة التي قررناها وكررتها في هذه الرسالة ، فإنه إن بقي فيه بقيةٌ من إنصاف ، وبارقةٌ من علم ، وحصّة من عقلٍ فهو لا محالة يوافقك وتنجلي عنه الغمرة ، وتنشع عن قلبه سحاب الغفلة ، ويعترف بأنه كان في حجاب عن معنى التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب ، فإن زاغ عن الحق ، وكابر وجادل ، فإن جاءك في مكابرتة ومجادلته بشيء من الشبهة فادفعه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق ، فإننا لم ندعُ شبهةً يمكن أن يدّعيها مدّعٍ إلا وقد أوضحنا أمرها ، وإن لم يأتِ بشيء في جدالة ، بل اقتصر على مجرد الخصام والدفع الجرد لما أوردته عليه من الكلام [٣٧] فاعدلْ معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن إلى محجة السيف والسنان ؛ فأخرِ الدواء الكي . هذا إذا لم يكن دفعه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير ، فإن أمكن وجب تقديم الأحنف على الأغلظ عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ^(١) ، وبقوله : ﴿ ادْفَعِ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٢) .

ومن جملة الشُّبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما حزم به السيّد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير ^(٣) - رحمه الله - في شرحه لأبياته ^(٤) التي يقول في أولها :

(١) : [طه : ٤٤] .

(٢) : [فصلت : ٣٤] .

(٣) : محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعائي المنشأ ، الكحلاني المولد سنة ١٠٩٩ هـ ، محدث فقيه ، أصولي ، من أئمة اليمن المشاهير .

من تصانيفه : " سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام " . " توضيح الأفكار في شرح تنقيح

الأنظار " ، " منحة الغفار على ضوء النهار " . وغيرها .

انظر البدر الطالع (٢/١٣٣-١٣٩) .

(٤) : انظر " ديوان الصنعائي " (ص ١٧٣) .

رجعتُ عن النظم الذي قلت في النجدي^(١).....
 فإنه قال: إنَّ كُفْرَ هؤلاءِ المعتقدينَ للأمواتِ هو من الكفرِ العمليِّ ، لا الكفرِ
 الجحوديِّ ، ونقل ما ورد في كفر تاركِ الصلاةِ كما ورد في الأحاديث^(٢) الصحيحة ،
 وكُفْرِ تاركِ الحجِّ في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ،
 وكفرٍ من لم يحكم بما أنزل الله كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) ، ونحو ذلك من الأدلة الواردة فيمن زنى ، ومن
 سرق ، ومن أتى امرأةً حائضاً ، أو امرأةً في دبرها ، أو أتى كاهناً ، أو عرافاً ، أو قال
 لأخيه : يا كافر .

قال : فهذه الأنواع من الكفر وإن أطلقها الشارعُ على فاعلِ هذه الكبائرِ فإنه لا
 يخرج به العبدُ عن الإيمان ، ويفارقُ به المِلَّةَ ، ويباح به دمهُ وماله وأهله كما ظنَّه من لم

(١) : وتمامه :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

● اعلم أن هذه القصيدة لم تكن من نظم الأمير محمد بن إساعيل لأنها تخالف ما ذكره في كتبه الدالة
 على حسن اعتقاده مثل " تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد " وقد رد الشيخ سليمان بن سمحان هذه
 المنظومة بكتابة المعروف تبرئة الشيخين وهو مطبوع .

(٢) : منها : ما أخرجه أحمد (٣٤٦/٥) والترمذي رقم (٢٦٢١) والنسائي (٢٣١/١) وابن ماجه رقم
 (١٠٧٩) والحاكم (٧-٦/١) وصححه ووافقه الذهبي .

● من حديث بريدة قال : أن رسول الله ﷺ قال : " العها " نبي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها
 فقد كفر " . وهو حديث صحيح .

(ومنها) : ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٢/١٣٤) وأبو داود رقم (٤٦٧٨) والترمذي رقم
 (٢٦٢٠) وابن ماجه رقم (١٠٧٨) وأحمد (٣٧٠/٣ ، ٣٨٩) من حديث جابر عن النبي ﷺ : " ليس
 بين العبد وبين الكفر _ أو قال الشرك - إلا ترك الصلاة " . وهو حديث صحيح .

(٣) : [آل عمران : ٩٧] .

(٤) : [المائدة : ٤٤] .

يفرّق بين الكافرين ، ولم يميز بين الأمرين ، وذكر ما عقده البخاريُّ في صحيحه من كتاب الإيمان في كفر دون كفر ، وما قاله العلامةُ ابن القيم : إن الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة من الكفر العمليِّ ، وتحقيقه أن الكفر كفرٌ عملٌ وكفرٌ جحودٌ وعنادٌ ، فكفرٌ الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً ، فهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه ، وأما كفر العمل فهو نوعان : نوع يضادُّ الإيمان ، ونوع لا يضادهُ .

ثم نقل عن ابن القيم كلاماً في هذا المعنى . ثم قال السيد المذكور : قلتُ : ومن هذا - يعني الكفر العمليِّ - من يدعو الأولياء [٣٨] ويهتفُ بهم عند الشدائدِ ، ويطوف بقبورهم ، ويقبلُ جدرانها ، وينذرُ لها بشيء من ماله ؛ فإنه كفرٌ عمليٌّ لا اعتقاديٌّ ، فإنه مؤمن بالله وبرسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وباليوم الآخر ، لكن زينَ له الشيطانُ أن هؤلاء عبادُ الله الصالحون ينفعون ، ويشفعون ، ويضرون ، فاعتقدوا ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام ، لكنَّ هؤلاء مثبتون التوحيدَ لله لا يجعلون الأولياء آلهةً كما قاله الكفار إنكاراً على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لما دعاهم إلى كلمة التوحيد : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۗ ﴾^(١) ، فهؤلاء جعلوا لله شركاءَ حقيقةً ، وقالوا في التلبية : " لبيك لا شريك لك إلا شريكٌ هو لك تملكه وما ملك " ^(٢) فأنبتوا للأصنام شركةً مع ربِّ الأنام وإن كانت عباراتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له ، لأنه إذا كان يملكه وما ملكَ فليس بشريكٍ له تعالى ، بل مملوكٌ ، فعبادُ الأصنام جعلوا لله أنداداً ، واتخذوا من دونه شركاءَ ، وتارةً يقولون : شفعاؤُا يقرّبونهم إلى الله زلفى ، بخلاف جهالة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضرُّ ؛ فإنهم مقرّون لله بالوحدانية ، وإفراده بالإلهية ، وصدّقوا رسلُهُ ، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفرٌ عمليٌّ لا اعتقادٌ .

(١) : [ص : ٥] .

(٢) : تقدم تحريجه (ص ٣٣٨) .

فالواجبُ هو وعظُّهم وتعريفُهم جهلهم ، وزجرُهم ولو بالتعزيرِ كما أمرنا بجدِّ الزاني ، والشاربِ ، والسارقِ من أهل الكفرِ العمليِّ إلى أن قال : فهذه كلها قبائحُ محرَّمةٌ من أعمالِ الجاهليَّةِ ، فهو من الكفرِ العمليِّ .

وقد ثبت أن هذه الأمةَ تفعلُ أموراً من أمورِ الجاهليةِ هي من الكفرِ العمليِّ كحديث : " أربعٌ في أمِّي من أمرِ الجاهليةِ لا يتركوهُنَّ : الفخرُ في الأحسابِ ، والطعنُ في الأنسابِ ، والاستسقاءُ بالنجومِ ، والنياحةُ " .

أخرجه مسلم في صحيحه^(١) من حديث أبي مالك الأشعري . فهذه من الكفرِ العمليِّ ، لا تخرجُ بها الأمةُ عن المِلَّةِ ، بل هم مع إتيانهم [٣٩] بهذه الخصلةِ الجاهليةِ أضافهم إلى نفسه فقال : من أمِّي . فإن قلتَ : الجاهليةُ تقولُ في أصنامها أنهم يقربوهم إلى الله زلفى كما يقوله القبوريونَ ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما يقوله القبوريونَ أيضاً ، قلتَ : لا سوى فإن القبوريونَ مثبتونَ لتوحيدِ الله ، قائلون أنه لا إله إلا هو ، ولو ضربتُ عنقه على أن يقول : إنَّ الوليَ إلهٌ مع الله لما قالها ، بل عنده اعتقادُ جهلٍ أن الوليَّ لما أطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاهٌ ، به تُقبَلُ شفاعتُه ، ويرجى نفعُه ، لا أنه إله مع الله ، بخلاف الوثنيِّ فإنه امتنع عن قول لا إله إلا الله حتى ضربت عنقه زاعماً أن وثنه إلهٌ مع الله ، ويسمِّيهِ رباً وإلهاً .

قال يوسف - عليه السلام - : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

﴿ ٢٠ ﴾ ﴿ سَمَّاهُمْ أَرْبَاباً لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّوهُمْ بِذَلِكَ ، كما قال الخليل : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾^(٣)

في الثلاثِ الآياتِ مُسْتَفْهِماً لَهُمْ مَبَكِّتاً مُتَكَلِّماً عَلَى خَطَابِهِمْ ، حيثُ يَسْمُونُ الْكُوكُوبَ أَرْبَاباً . وقالوا : ﴿ أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾^(٤) ، وقال قومُ إبراهيمَ : ﴿ مَنْ فَعَلَ

(١) : رقم (٢٩/٩٣٤) .

(٢) : [يوسف : ٣٩] .

(٣) : [الأنعام ، ٧٧ ، ٧٨] .

(٤) : [ص : ٥] .

هَذَا بِغَالِبِنَا ﴿^(١)﴾ ، «أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَالِبِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿^(٢)﴾ . وقال إبراهيم :
﴿ أَنْفِكَ آءِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ ﴿^(٣)﴾ .

ومن هنا تعلم أن الكفار غير مقرّين بتوحيد الألهية والربوبية كما توهمه من توهم من
قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ﴿^(٤)﴾ ، ﴿ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿^(٥)﴾ ، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ -
إلى قوله - فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ ﴿^(٦)﴾ .

فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما [٤٠] ، لا أنه إقرار بتوحيد الإلهية ، لأنهم
يجعلون أوثانهم أرباباً كما عرفت ، فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد ، ومن لازمه كفر
العمل بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضّر مع توحيد الله ، والإيمان به ، وبرسله ،
وباليوم الآخر ، فإنه كفر عمل ، فهذا تحقيق بالغ ، وإيضاح لما هو الحق من غير إفراط
ولا تفريط . . . انتهى كلام السيد المذكور - رحمه الله - .

وأقول : هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ ، بل كلام متناقض ، متدافع ،
وبيانه أنه لا شك أن الكفر ينقسم إلى كفر اعتقاد ، وكفر عمل ، لكن دعوى أن ما
يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل في غاية الفساد فإنه قد ذكر في هذا البحث أن
كفر من اعتقد في الأولياء كفر عملي ، وهذا عجيب ، كيف يقول كفر من يعتقد في
الأولياء ، وسمى ذلك اعتقاداً ، ثم يقول : إنه من الكفر العملي . وهل هذا إلا التناقض

(١) : [الأنبياء : ٥٩] .

(٢) : [الأنبياء : ٦٢] .

(٣) : [الصافات : ٨٦] .

(٤) : [الزحرف : ٨٧] .

(٥) : [الزحرف : ٩] .

(٦) : [يونس : ٣١] .

البحثُ ، والتدافعُ الخالصُ ! .

انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفرَ من يدعو الأولياء ، ويهتفُ بهم عند الشدائد ،
ويطوف بقبورهم ، ويقبِّلُ جذرَاتِها ، وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي ! .

فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة ، وتقبيْلِ الجذُرَاتِ ، ونَذْرِ
النذوراتِ ! هل هو مجرد اللعبِ والعبثِ من دون اعتقادٍ ، فهذا لا يفعله إلا مجنون ، أم
الباعثُ عليه الاعتقادُ في الميت ، فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقادِ الذي لولاه لم
يصدر فعلٌ من تلك الأفعال ! .

ثم انظر كيف اعترف بعد أن حكم على هذا الكفر بأنه كفر عملي ، لا كفر اعتقادٍ
بقوله : لكن زين له الشيطان [٤١] أن هؤلاء عبادُ الله الصالحين ، ينفعون ، ويشفعون ،
ويضرون ! فاعتقد ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام .

فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية ، وأثبت الاعتقاد واعتذر
عنهم بأنه اعتقاد جهلي . وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهلي ! فإن طوائف الكفر
بأسرها ، وأهل الشرك قاطبة إنما حملهم على الكفر ودفع الحق ، والبقاء على الباطل
الاعتقاد جهلاً . وهل يقول قائل : إن اعتقادهم اعتقاد علم حتى يكون اعتقاد الجهل
عذراً لإخوانهم المعتقدين في الأموات ! .

ثم تم الاعتذار بقوله : لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد إلى آخر ما ذكره .

ولا يخفك أن هذا عذر باطل ، فإن إثباتهم للتوحيد إن كان بألسنتهم فقط فهم
مشركون في ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون ، وإن كان بأفعالهم فقد
اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم .

ثم كرر هذه المعنى في كلامه ، وجعله السبب في رفع السيف عنهم ، وهو باطل فما
ترتب عليه مثله باطل ، فلا نطول برده ، بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في
اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم ، وهو أن الجاهلية
كانوا إذا مسَّهم الضرُّ دَعَوْا الله وحده ، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من

الأمور كما حكى الله عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّيْنَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (١) ، وبقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) ، وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣) ، وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٤) ، بخلاف المعتقدين في الأموات ؛ فإنها إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ، ونذروا لهم النذور ، وقل من يستغيث بالله - سبحانه - في تلك الحال ، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم .

ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطراباً شديداً ، فسمع من في السفينة من الملاحين ، وغالب الركابين معهم ينادون الأموات ، ويستغيثون بهم ، ولم يسمعهم يذكرون الله قط . قال : ولقد خشيتُ في تلك الحالة الغرق لما شاهدته من الشرك بالله .

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية أن كثيراً منهم إذا حدث له ولدٌ جعل قسطاً من ماله لبعض الأموات المعتقدين ، ويقول : إنه قد اشترى ولده ذلك من الميت الفلاني بكذا ، فإذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال (٥) .

(١) : [الإسراء : ٦٧] .

(٢) : [الأنعام : ٤٠] .

(٣) : [الزمر : ٨] .

(٤) : [لقمان : ٣٢] .

(٥) : في هامش المخطوط ما نصه : " أما من بلغ به الحال إلى أنه يعتقد في الميت أنه يحيى ويميت ، وما أشبه ذلك من الاعتقادات ففعل السيد محمد وغيره لا ينازعون في كفره وأما جعل الحكم بالشرك كلياً على كل من اعتقد في الأموات وأنه يستباح دمه وماله فهو من الجحارات (تمت كتابته) .

وبالجملة فالسيد المذكور - رحمه الله - قد جرد النظر في بحثه السابق إلى الإقرار بالتوحيد الظاهري ، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر إلى ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد ويخالفه في اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات [٤٣] ، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه ، ولا الاشتغال به ، فإله - سبحانه - إنما ينظر إلى القلوب ، وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا إلى مجرد الألفاظ ، وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق . وأما ما نقله السيد^(١) المذكور - رحمه الله - عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلى عملي واعتقادي ، فهو كلام صحيح ، وعليه جمهور المحققين ، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره أن الاعتقاد في الأموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي . وسننقل هاهنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من الشرك الأكبر كما نقل عنه السيد - رحمه الله - في كلامه السابق ، ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم ، فإن السائل - كثر الله فوائده - قد طلب ذلك في سؤاله .

[أنواع الشرك]

فنقول : قال ابن القيم في شرح المنازل^(٢) في باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر ، وأصغر :

فالأكثر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله . أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا - نحن وغيرنا - منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده . وهكذا كان عباد الأصنام ،

(١) : محمد بن إسماعيل الأمير .

(٢) : أي " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " (٣٧٩/١-٣٨٠) .

سواءً وهذا القدرُ هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلافِ آهنتهم ، فأولئك كانت آهنتهم من الحجزِ ، وغيرُهم اتَّخذها من البشرِ . قال الله حاكياً عن أسلاف هؤلاء [٤٤] : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (١) . وهكذا حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى . وما أعزَّ من تخلص من هذا ! بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره ! والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين أن آهنتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عينُ الشرك . وقد أنكر الله ذلك في كتابه ، وأبطله . وأخبر أن الشفاعة كلها له . ثم ذكر الآية التي بسورة سبأ (٢) ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ . وتكلم (٣) عليها ثم قال (٤) : والقرآن مملوء من أمثالها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، ويظنُّه في قوم قد نخلوا ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ، ودعا إليه وصوبه وحسنه ، وهو لا

(١) : [الزمر : ٣] .

(٢) : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ﴿ [سبأ : ٢٢-٢٣] .

(٣) : في كتابه " مدارج السالكين " (٣٨٣/١) .

فقال : فنفي - سبحانه - المراتب الأربع نفياً مرتباً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفي الملك ، والشركة ، والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه . فكفى بهذه الآية نوراً ، وبرهاناً ونجاةً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها .

(٤) : ابن القيم في مدارج السالكين (٣٨٣/١) .

يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية ، أو نظيره ، أو شرُّ منه ، أو دونه ، فَتَقَضُّ بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنةً ، والسنة بدعةً ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان ، وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرةٌ وقلبٌ حيٌّ سليمٌ يرى ذلك عياناً . والله المستعان .

ثم قال في ذلك الكتاب^(١) : (وأما الشرك الأصغر فكَيْسِيرِ الرِّياءِ ، والتَّصْنَعِ لِلخَلْقِ ، والحَلْفِ بغيرِ الله ، كما ثبت عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : " من حلف بغيرِ الله فقد أشركَ بالله " ^(٢) ، وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئتَ ، هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده .

ثم قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في ذلك الكتاب^(٣) بعد فراغه من ذكر الشرك الأكبر والأصغر ، والتعريف لهما : ومن أنواع الشرك سجودُ المرید للشيخ^(٤) ، ومن

(١) : أي مدارج السالكين (٣٨٤/١) .

(٢) : تقدم تخريجه (ص٣٢٣) .

(٣) : مدارج السالكين (٣٨٥/١) .

(٤) : انظر : " رماح حزب الرحيم " لعلي حرازم (١٣٣/١) .

" قلادة الجواهر " للصيادي ص ٣٧٨ .

ومن هذه الضلالات آداب يجب أن يتحلى بها المرید مع شيخه : -

١/ يستحضر شخص شيخه في قلبه أثناء الذكر ويجعله بين عينيه قبل الذكر فإن شيخه هو باب الدخول

على الله ومنه يستمد الهمة ويكون الشيخ عنده كالقبة فبذلك يمد له نور من قبر الشيخ الرفاعي .

٢/ مراقبة الشيخ دائماً في كل الشئون وهذا شرك بالله لأنه فيه رفع الشيخ إلى مرتبة الربوبية والألوهية .

٣/ عدم الاعتراض على الشيخ وعدم الإنكار عليه حتى ولو رأى المرید شيخه يفعل شيئاً محرماً وهذه دعوى لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤/ لا يلتجئ لغيره من الصالحين .

أنواعه التوبة للشيخ ؛ فإنها شركٌ عظيم ، ومن أنواعه النذرُ لغير الله ، والتوكلُ على غير الله ، والعملُ لغير الله ، والإنابة والخضوعُ والذلُّ لغير الله ، وابتغاءُ الرزق من عند غير الله ، وإضافة نَعْمِهِ إلى غيره . ومن أنواعه طلبُ الحوائج من الموتى ، والاستغاثةُ بهم ، والتوجهُ إليهم ، وهذا أصلُ شركِ العالم ؛ فإنَّ الميِّتَ قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فضلاً لمن استغاثَ به ، أو سأله قضاءَ حاجته ، أو سأله أن يشفعَ له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافِعِ والمشفوعِ عنده ؛ فإنَّ الله تعالى لا يشفعُ عنده أحداً إلا بإذنه ، والله لم يجعلِ استعانتَهُ وسؤالَهُ سبباً لإذنه ، وإنما السببُ لأذنه كمالُ التوحيدِ ، فجاء هذا المشركُ بسببِ يمنع الإذنَ ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذا حال كلِّ مشرك . والميِّتُ محتاجٌ إلى من يدعو له ، ويترحمُ عليه ، ويستغفر له كما أوصانا^(١) النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا زرنا قبورَ المسلمين أن نترحمَ عليهم ، ونسألَ الله لهم العافيةَ والمغفرةَ ، فعكس المشركون هذا ، وزارهم زيارةَ العبادة في قضاءِ الحوائجِ والاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبدُ ، وسمَّوا قصدها حجاً ، واتخذوا عندها الوقفة ، وحلَّقَ الرؤوس ، فجعلوا بين الشرك بالمعبود وتغييرِ دينه ومعاداةِ أهل التوحيدِ ونسبتهم إلى التنقصِ بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالقَ بالشرك ، وأولياءِ الموحدين المخلصينَ له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمِّهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غايةَ التنقصِ ؛ إذ ظنُّوا [٤٦] أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمرؤهم به ، وهؤلاء أعداءُ الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ! . والله درُ خليله إبراهيمَ حيث يقول : ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ

(١) : (منها) ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٩٧٥/١٠٤) والنسائي رقم (٢٠٤٠) وابن ماجه رقم (١٥٤٧) والبعوي في " شرح السنة " رقم (١٥٥٥) وأحمد (٣٥٣/٥ ، ٣٦٠) من حديث بريدة ، ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ - يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية " وهو حديث صحيح .

إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿١﴾ وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيدَه لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ... انتهى كلام ابن القيم ^(٢) .

فانظر كيف صرح بأن ما يفعله هؤلاء المعتقدون في الأموات هو شرك أكبر ، بل أصل شرك العالم ، وما ذكره من المعادة لهم ، فهو صحيح : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ [وَرَسُولَهُ] ﴾ ^(٣) . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله [تعالى] : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ ^(٤) .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين في الإقناع : إن من دعا ميتاً ، وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، وإن من شك في كفره فهو كافر .

وقال أبو الوفاء ابن عقيل ^(٥) في الفنون : لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى

(١) : [إبراهيم : ٣٥-٣٦] .

(٢) : " مدارج السالكين " (٣٨٧/١) .

(٣) : [المجادلة : ٢٢] .

(٤) : [الممتحنة : ١-٤] .

(٥) : علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري الحنبلي ، فقيه ، أصولي ولد ببغداد سنة ٤٣١هـ وتوفي سنة

٥١٣هـ .

من تصانيفه : " تفضيل العبادات على نعيم الجنات " .

" الانتصار لأهل الحديث " .

" الواضح في أصول الفقه " .

انظر : شذرات الذهب (٤/٣٥-٤٠) ولسان الميزان (٤/٢٤٣-٢٤٤) .

بالحوائج ، وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل لي كذا وكذا ، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى .

وقال ابن القيم في " إغاثة اللهفان ^(١) في إنكار تعظيم القبور : وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه : مناسك المشاهد ^(٢) . ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ، ودخول في دين عبادة الأصنام . . . انتهى وهذا [٤٧] الذي أشار إليه هو ابن المفيد . وقال في النهر الفائق : اعلم أن الشيخ قاسم قال في شرح درر البحار : إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصالحين قائلًا : يا سيدي فلان إن ردّ غائبي ، أو عوفي مريضني فلك من الذهب ، أو الفضة ، أو الشمع ، أو الزيت كذا . باطل إجماعاً لوجوه . . . إلى أن قال : ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر . . . انتهى .

وهذا القائل هو من أئمة الحنفية .

وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع على بطلان النذر المذكور ، وأنه كفر عنده مع ذلك الاعتقاد .

وقال صاحب الروض : إن المسلم إذا ذبح للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كفر انتهى . وهذا القائل من الشافعية .

وإذا كان الذبح لسيد الرسل - صلى الله عليه وآله وسلم - كفرًا عنده ، فكيف بالذبح لسائر الأموات ^(٣) .

(١) : (٢٨٨/١) .

(٢) : ألفه ابن المفيد الشيعي الغالي ، من أعيان الشيعة في القرن الخامس الهجري .

(٣) : فليعلم أن النذر لغير الله مع ما فيه من الشرك بالله هو مسخ للدماغ وإهانة للعقل البشري ، وذلك بسبب الاعتقاد بأن الميت الذي لا يستطيع أن ينفع نفسه بلجأ إلى المخدوعون وضعاف العقول ، من الدراويش . ومن حذا حذوهم من المبتدعة المحسوين على أمة الإسلام . فيطلبون من ذلك المقبور الشفاء وقضاء الحاجات ورد الغائب وما شاكل ذلك من أنواع العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها =

وقال ابن حجر في شرح الأربعين له : من دعا غيرَ الله فهو كافرٌ انتهى .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين - رحمه الله - في الرسالة السنية : إن كل من غلا في نبيٍّ ، أو رجل صالح ، وجعل فيه نوع من الإلهية مثلَ أن يقول : يا سيدي فلان أغثنني ، أو انصُرني ، أو ارزقني ، أو أجبرني ، أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الأقوال فكلُّ هذا شركٌ وضلالٌ يستتابُ صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسلَ ، وأنزل الكتب ليعبده وحده لا يجعلَ معه إلهاً آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثلَ المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلقُ الخلائقَ ، أو تنزلُ المطرَ ، أو تنبتُ النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم [٤٨] ويقولون : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله رسله تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه لا دعاءَ عبادةٍ ، ولا دعاءَ استغاثةٍ . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (١) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (١) الآية .

قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة ، ثم قال في ذلك الكتاب : وعبادةُ الله وحده لا شريكَ له هي أصلُ الدين ، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسلَ ، وأنزل الله به الكتبَ . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ

= لغير الله ، ومن صرفها لأحد من البشر أو الملائكة أو الأنبياء كائناً من كان فقد أشرك بالله فضلاً عن كون هؤلاء مجتمعين لا يقدرّون على قضائها أو تحقيقها لطالبيها ، لأنها من خصائص الألوهية المحضة .

" مصرع الشرك والخرافة " (ص ٢٢٠) .

(١) : [الإسراء : ٥٦-٥٧] .

(٢) : [النحل : ٣٦] .

إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾^(١) وكان - صلى الله عليه وآله وسلم - يحقق التوحيد ، ويعلمه أمته حتى قال رجلٌ : ما شاء الله وشئت . قال : " أ جعلتني لله نداً ؟ قل : ما شاء الله وحده " ^(٢) . ونهى عن الحلف بغير الله وقال : " من حلف بغير الله فقد أشرك " ^(٣) . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - في مرض موته : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ^(٤) يحذر ما فعلوا . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد " ^(٥) ، وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ حيث ما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني " ^(٦) . ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه من سلم على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عند قبره أنه لا يتمرغ بحجرته ، ولا يقبلها ، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله ، فلا يشبهه بيت المخلوق بيت الخالق . كلُّ هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ، ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ^(٧) . ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام ، وأعظمه آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(٨) . وقال

(١) : [الأنبياء : ٢٥] .

(٢) : تقدم تخريجه (ص ٣٣٢-٣٣٣) .

(٣) : تقدم تخريجه (ص ٣٢٣) .

(٤) : تقدم تخريجه (ص ٣٢٤) .

(٥) : تقدم تخريجه (ص ٣٢٥) .

(٦) : أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) وأبو داود رقم (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث حسن .

(٧) : [النساء : ٤٨] .

(٨) : [البقرة : ٢٥٥] .

— صلى الله عليه وآله وسلم — : " من كان آخرَ كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " (١) ،
والإله هو الذي يأله القلب عباده له ، واستغاثة به ، ورجاء له خشيةً وإجلالاً اهـ .
وقال أيضاً شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتابه : اقتضاء (٢)
الصراطِ المستقيمِ في الكلامِ على قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِعَبْرِ اللَّهِ ﴾ (٣) أن الظاهر
أنه ما ذُبحَ لغيرِ اللهِ سواءً لفظَ به أو لم يلفظْ ، وتحريمُ هذا أظهرُ من تحريم ما ذبحه ، وقال
فيه : باسمِ المسيحِ ونحوه كما أن ما ذبحناه متقرِّين به إلى الله كان أركى مما ذبحناه للحم ،
وقلنا عليه بسمِ الله ؛ فإن عبادةَ الله بالصلاةِ والتسكُّ له أعظمُ من الاستغاثة باسمه في فواتحِ
الأمور ، والعبادة لغيرِ الله أعظمُ من الاستعانة بغيرِ الله ، فلو ذبح لغيرِ الله متقرِّباً إليه
لَحَرَمَ ، وإن قال فيه : بسمِ الله كما قد تفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان
هؤلاء مرتدين لا تُباحُ ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعات ، ومن هذا ما
يُفَعَلُ بمكَّةَ وغيرها من الذبح .

ثم قال في موضع آخر من هذا الكتاب (٤) : إنَّ العلةَ في النَّهي عن الصلاة عند القبور ما
يفضي إليه ذلك من الشرك . ذكر ذلك الإمامُ الشافعيُّ - رحمه الله تعالى - وغيره ،
وكذلك الأئمة من أصحاب أحمدَ ومالكٍ ، وكأبي بكر الأثرم علَّله بهذه العلة أهـ ،
وكلامه في هذا الباب واسعٌ جداً ، وكذلك كلامُ غيره من أهل العلم .

وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت - رضوان الله عليهم - ومن أتباعهم - رحمهم
الله - في هذه المسألة بما يشفي ويكفي ، ولا يتسع المقام لبسطه ، وآخرُ من كان منهم
نكالاً عن القبورينَ وعلى القبورِ الموضوعه على غيرِ الصفة الشرعية مولانا الإمام المهدي

(١) : أخرجه أبو داود رقم (٣١١٦) والحاكم (٣٥١/١) وقال : صحيح الإسناد . وأحمد (٢٣٣/٥) .

وهو حديث حسن .

(٢) : (٥٦٥/٢) .

(٣) : [البقرة : ١٧٣] .

(٤) : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٧٧٦/٢) .

العباس^(١) بن الحسين بن القاسم - رحمه الله - ، فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس ، وسبباً لضلالهم ، وأتى على غالبها ، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها ، وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء أرسلوا إليه برسائل ، وكان ذلك هو الحامل له على نصره الدين بهدم طواغيت القبورين .
وبالجملية فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سيق مالا يحتاج معه الاعتضاد بقول أحد من أهل العلم ، ولكن ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم ، مطابقة لما طلبه السائل - كثر الله فوائده - .

[إخلاص التوحيد في كتاب الله]

وبالجملية فإن إخلاص التوحيد ، والأمر الذي بعث الله لأجله رُسُلَهُ ، ونَزَلَ به كُتُبُهُ . وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيل ، ولو أراد رجل أن يجمع ما ورد في هذا المعنى من الكتاب والسنة لكان مجلداً ضخماً ، فانظر فاتحة الكتاب التي تكرر في كل صلاة مرّات من كل فرد من الأفراد ، ويفتح بها التالي لكتاب الله ، والمتعلم له ، فإن فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في مواضع ، فمن ذلك ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(١) ؛ فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدر المتعلق متأخراً ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالى ، لا باسم غيره . وفي هذا مالا يخفى من إخلاص التوحيد ، ومنها في قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ؛ فإن التعريف يفيد أن الحمد مقصور على الله ، واللام في { الله } تفيد اختصاص الحمد به ، ومقتضى هذا أنه لا حمد لغيره أصلاً وما وقع منه لغيره فهو في

(١) : هو الإمام المهدي لدين الله العباس ابن الإمام المنصور بالله الحسين ابن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ولد سنة ١١٣١هـ .

له اطلاع كلي على علم التاريخ والأدب ومعرفة بفنون من العلم .

انظر " البدر الطالع " (١ / ٣١٠) .

(٢) : [الفاتحة : ٢] .

حكم العدم . وقد تقرر أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم ، فلا ثناء إلا عليه ، ولا جميل إلا منه ، ولا تعظيم إلا له ، وفي هذا من إخلاص التوحيد ما ليس عليه مزيد . ومن ذلك قوله : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(١) أو ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٢) على القراءتين السبعيتين^(٣) ؛ فإن كونه المالك ليوم الدين يفيد أنه لا مُلْكَ لغيره فلا ينفذ إلا تصرفه لا تصرف أحدٍ من خلقه من غير فرق بين نبي مرسل ، ومَلِكٍ مقرَّب ، وعبدٍ صالح [٥٢] ، وهكذا معنى كونه ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، فإنه يفيد أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ليس لغيره معه أمرٌ ولا حكمٌ ، كما أنه ليس لغير ملوك الأرض معهم أمرٌ ولا حكمٌ ، والله المثل الأعلى . وقد فسر الله هذا المعنى الإضافي المذكور في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٤) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٦﴾^(٦) ومن كان يفهم كلام العرب ونكتته وأسراره كفته هذه الآية عن غيرها من الأدلة ، واندفعت لديه كلُّ شبهة ، ومن ذلك قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾^(٧) فإن تقدّم الضمير قد صرح به أئمة المعاني والبيان، وأئمة التفسير أنه يفيد الاختصاص ، فالعبادة لله - سبحانه - لا يشاركه فيها غيره ، ولا يستحقها سواه ، وقد عرفت أن الاستغاثة ، والدعاء ،

(١) : [الفاتحة : ٤] .

(٢) : قرأ عاصم والكسائي بالألف أي ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(١) وقرأ الباقر وغير الألف ، ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وذكر الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي وهو من جلة - أصحاب الكسائي - عن الكسائي أنه خير في ذلك .

الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٥/١) مكّي بن أبي طالب القيسي وانظر زاد المسير (١٠/١) -

(١٥) .

(٣) : [الانفطار : ١٧-١٩] .

(٤) : [الفاتحة : ٥] .

والتعظيم ، والذبح ، والتقرب من أنواع العبادة . ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) فَإِنَّ تَقَدُّمَ الضَّمِيرِ هَاهُنَا يَفِيدُ الْإِخْتِصَاصَ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَشَارِكُهُ غَيْرُهُ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ .

فهذه خمسة مواضع في فاتحة الكتاب يفيد كل واحد منها إخلاص التوحيد ، مع أن فاتحة [٥٣] الكتاب ليست إلا سبع آيات ، فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز ! ، فَذِكْرُنَا لِهَذِهِ الْخَمْسَةِ الْمَوَاضِعِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ كَالْبِرْهَانِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَطُولُ تَعَدُّدُهُ ، وَتَعَسَّرَ الْإِحَاطَةُ بِهِ . وَمِمَّا يَصِلِحُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعاً سَادساً لِتِلْكَ الْمَوَاضِعِ الْخَمْسَةِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وقد تقرر لغةً وشرعاً أن العالم لمن سوى الله - سبحانه - .

وصيغ الحصر إذا تَبَعَتْهَا مِنْ كِتَابٍ (٢) الْمَعْنَى وَالْبَيَانِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْأَصُولِ بَلَّغَتْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ (٣) صِيغَةً فَصَاعِداً ، وَمِنْ شَكِّ فِي هَذَا فَلْيَتَّبِعْ كَشَافَ الزَّمْخَشَرِيِّ ؛ فَإِنَّهُ سَيَجِدُ فِيهِ

(١) : [الفاتحة : ٥] .

(٢) : انظر الكوكب النير (٣/٥١٥) ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (١/١٣٦) .

(٣) : الحصر : وجه من وجوه إعجاز القرآن .

وهو تخصيص أمر بأخر بطريق مخصوص ، ويقال أيضاً إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه .

● ينقسم إلى قصد الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف ، وكل منهما إما حقيقي وإما مجازي ، مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو ما زيدٌ إلا كاتب ، أي لا صفة له غيرها ، وهو عزيز لا يكاد يوجد . لتعذر الإحاطة بصفات الشيء ، حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية وعلى عدم تعذرها يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ، ولذا لم يقع في التنزيل .

ومثاله مجازياً : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، أي مقصور على الرسالة لا

يتعدها إلى التبري من الموت الذي استعظموا ، إنه شأن الإله .

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً : لا إله إلا الله .

=

= ومثاله مجازياً : ﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ [الأنعام : ١٤٥].

● وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام : -

١/ قصر أفراد : يخاطب به من يعتقد الشركة ، نحو : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ ﴾ [النساء : ١٧١] .

٢/ قصر قلب : يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبتته المتكلم له . نحو : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، حوطب به عمرو الذي اعتقد أنه المحيي والمميت دون الله .

٣/ قصر تعيين : يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها .

وطرق الحصر كثيرة :

١/ النفي والاستثناء سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرها . والاستثناء بإلا أو غير نحو لا إله إلا الله ، وما من إله إلا الله .

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

٢/ (إنما) عند الجمهور إنما للحصر ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ [النحل : ١١٥] .
وقال لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٣] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

٣/ (أنا) بالفتح : عدها من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِدٌ ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] وقد اجتمع

الأمران في هذه الآية (إنما ، أنا) وفيه الدلالة على أن الوحي إلى الرسول ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية .

٤/ العطف بلا أو بل ، ذكره أهل البيان - زيد شاعر لا كاتب .

٥/ تقدم المعمول نحو : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

٦/ ضمير الفصل نحو : ﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ [الشورى : ٩] .

ما ليس له ذكرٌ في كتب المعاني والبيان ، كالقلب ، فإنه جعله من مقتضيات الحصر ، ولعله ذكر ذلك عند تفسيره^(١) للطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه ومع

= ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان : ٥] .

٧/ تقدم المسند إليه - يكون معرفة ومثبتاً - .

قال تعالى : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠١] أي لا يعلمهم إلا نحن .

- المسند منفياً : ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [القصص : ٦٦] .

- المسند نكرة : لا امرأة ، للجنس ، وللوحدة لا رجلا .

- أن يلي المسند إليه حرف النفي فيفيده نحو : ما أنا قلت هذا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ أَرْهَطِيْ أَعْرَضَ عَلَيَّكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ [هود : ٩٢] .

٨/ تقدم المسند ، ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقدم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص .

٩/ ذكر المسند إليه ، صرح بذلك الزمخشري .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ [الرعد : ٢٦] .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

١٠/ تعريف الجزأين : ذكره فخر الدين الرازي في " نهاية الإيجاز " .

مثال الحمد لله يفيد الحصر كما في إياك نعبد . أي أن الحمد لله لا لغيره .

١١/ نحو : جاء زيد نفسه . نقله شراح التلخيص أنه يفيد الحصر .

١٢/ نحو : إن زيد القائم .

١٣/ نحو : قائم - في جواب زيد إما قائم أو قاعد . ذكره الطيبي في شرح البيان .

انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/١٣٦-١٤٢) .

(١) : أي الكشاف : (٥/٢٩٦-٢٩٧) .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ [الزمر : ١٧] .

قال - أي الزمخشري - القلب للاختصاص بالنسبة إلى الطاغوت ، لأن وزنه على فعلوت ، من

الطغيان ، كملكوت ورحموت ، قلب بتقدم اللام على العين ، فوزنه فلعتوت ، ففيه مبالغات : =

الإحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الأدلة الدالة على إخلاص التوحيد ، وإبطال الشرك بجميع أقسامه .

واعلم أن السائل - كثر الله فوائده - ذكر في جملة ما سأل عنه أنه لو قصد الإنسان قبر رجل من المسلمين ، مشهوراً بالصلاح ، ووقف لديه وأدى الزيارة ، وسأل الله بأسمائه الحسنى ، وبما لهذا الميت لديه من المترلة ، هل تكون هذه البدعة عبادةً لهذا الميت ، ويصدق [٥٤] عليه أنه قد دعا غير الله ، وأنه قد عبدَ غير الرحمن ، ويُسَلَّب عنه اسمُ الإيمان ، ويصدق على هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان ، ويحكم برَدِّ ذلك الداعي ، والتفريق بينه وبين نسائه ، واستباحة أمواله ، ويعاملُ معاملة المرتدين ، أو يكون فاعلاً معصية كبيرة أو مكروه ؟

وأقول : قد قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسُّلِ بِنبيٍّ من الأنبياء ، أو وليٍّ من الأولياء ، أو عالمٍ من العلماء . وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه ، فهذا الذي جاء إلى القبر زائراً ، ودعا الله وحده ، وتوسَّلَ بذلك الميت ، كأن يقول : اللهم إني أسألك أن تشفيني من كذا ، وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك ، أو المجاهدة فيك ، أو التعلُّم والتعليم ، خالصاً لك ، فهذا لا أتردد في جوازه .

لكن لأي معنى قام بمشي إلى القبر ؟ ، فإن كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسُّل إلا بعد تجريد القصد إلى الزيارة ، فهذا ليس بممنوع ؛ فإنه إنما جاء ليزور . وقد أذن لنا رسول الله -- صلى الله عليه وآله وسلم - بزيارة القبور بحديث : " كنت هيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها " وهو في الصحيح^(١) . وخرجَ لزيارة الموتى ، ودعا لهم ،

= التسمية بالمصدر والبناء بناء مبالغة ، والقلب ، وهو للاختصاص ، إذ لا يطلق على غير الشيطان .

وفي موطن آخر من تفسير الكشاف (١٣٠/٦) : حيث قال : قدم الظرفان - في قوله تعالى - ﴿ لَهُ أَلْمَلِكُ وَلَهُ أَلْحَمْدُ ﴾ [التغابن : ١] ليدل بتقدميهما على معنى اختصاص لأنه مبتدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه ، وكذلك ، لأن أصول النعم وفروعها منه .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٩٧٧) وأبو داود رقم (٣٢٣٥) والنسائي (٨٩/٤) والترمذي =

وعَلَّمنا كيف نقولُ إذا نحنُ زُرناهم . وكان يقولُ : " السلام عليكم أهل دار قومٍ مؤمنينَ ، [٥٥] وإنا بكم - إن شاء الله - لاحقون ، وأناكم ما توعدون ، نسأل الله لنا ولكم العافية " (١) ، وهو أيضاً في الصحيح بألفاظ ، وطرق ، فلم يفعلْ هذا الزائرُ إلا ما هو مأذون له به ، ومشروعٌ ، لكن بشرط أن لا يشدَّ راحلَهُ ، ولا يعزمَ على سفرٍ ، ولا يرحلَ كما ورد تقييدُ الإذنِ بالزيارة للقبور بحديث : " لا تُشدُّ الرَّحالُ إلا لثلاثٍ " (٢) وهو مقيدٌ لمطلقِ الزيارة . وقد خُصِّصَ بمخصَّصاتٍ منها زيارةُ القبر الشريفِ النبويِّ المحمديِّ على صاحبه أفضلِ الصلاةِ والتسليمِ وفي ذلك خلافٌ بين العلماء ، وهي مسألةٌ من المسائلِ التي طالت ذيولُها ، واشتهرتُ أصولُها ، وامتحنَ بسببها من امتحنَ ، وليس ذكراً ذلك هاهنا من مقصودنا .

[حكم المشي إلى القبر ليشير إليه عند التوسل]

وأما إذا لم يقصد مجرد الزيارة ، بل قصد المشي إلى القبر ليفعل الدعاء عنده فقط ، وجعل الزيارة تابعةً لذلك ، أو مشى لمجموع الزيارة والدعاء فقد كان يغنيه أن يتوسل إلى الله بما لذلك الميت من الأعمال الصالحة من دون أن يمشي إلى قبره .

فإن قال : إنما مشيتُ إلى قبره لأشير إليه عند التوسل به ، فيقال له إن الذي يعلم السرَّ وأخفى ، ويجول بين المرء وقلبه [٥٦] ، ويطلع على خفيات الضمائر ، وتنكشف لديه مكنونات السرائر لا يحتاج منك إلى هذه الإشارة التي زعمت أنها الحاملة لك على قصد القبر ، والمشى إليه . وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميت باسمه العَلَم ، أو بما يتميز به عن غيره ، فما أراك مشيت لهذه الإشارة ، فإن الذي تدعوه في كل مكان ، ومع كل إنسان ، بل مشيت لتسمع الميت توصلك به ، وتعطف قلبه عليك ، وتتخذ عنده نداءً

= رقم (١٠٥٤) وزاد : " فإنها تذكر الآخرة " كلهم من حديث بريدة بن الحُصيب الأسلمي .

(١) : تقدم تخريجه آنفاً (ص ٣٧٢) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٨٩) ومسلم رقم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة - ﷺ - .

بقصده وزيارته ، والدعاء عنده ، والتوسل به ، وأنت إن رجعت إلى نفسك وسألتها عن هذا المعنى فربما تقرُّ لك به وتصدِّقك الخبرَ ، فإن وجدت عندها هذا المعنى الدقيق الذي هو بالقبول منك حقيقاً فاعلم أنه قد علقَ بقلبك ما علقَ بقلوبِ عبَادِ القبورِ ، ولكنك قهرتَ هذه النفسَ الخبيثةَ عن أن تترجمَ بلسانك عنها ، وتُنشُرَ ما انطوتَ عليه من محبَّةِ ذلك القبرِ ، والاعتقادِ فيه ، والتعظيمِ له ، والاستغاثَةِ به ، فأنت مالكٌ لها من هذه الحثيَّةِ ، مملوكٌ لها من الحثيَّةِ التي أقامتكَ من مقامك ، ومشتُ بك إلى فوقَ القبرِ ، فإن تداركتَ نفسك بعد هذه وإلا كانت المسؤولة عليك المتصرفة فيك المتلاعبة بك [٥٧] في جميع ما تهوى مما قد وسوس به لها الخناس الذي يوسوسُ في صدور الناس من الجنَّةِ والناس .

فإن قلت : رجعت إلى نفسي فلم أجد عندها شيئاً من هذا ، وفَتَّشْتُها فوجدتُها صافيةً من ذلك الكدِّ . فما أظنُّ الحاملَ لك على المشي إلى القبرِ إلا أنك سمعتَ الناسَ يفعلون شيئاً ففعلته ، ويقولون شيئاً فقلته . فاعلم أن هذه أولُ عقدةٍ من عُقدِ توحيدك ، وأولُ محنةٍ من محنِ تقليدك ، فارجعْ تُوجِرْ ، ولا تتقدَّمْ تُنَحِرْ ، فإن هذا التقليدَ الذي حملك على هذه المشيَّةِ الفارغةِ العاطلةِ الباطلةِ سيحملُك على أخواتها فتقفُ على بابِ الشركِ أولاً ، ثم تدخلُ منه ثانياً ، ثم تسكُنُ فيه وإليه ثالثاً . وأنت في ذلك كله تقولُ : سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلته ، ورأيتهم يفعلون أمراً ففعلته .

[أحوال الذي يقصد القبر ليدعو عنده]

وإن قلت : إنك على بصيرة في عملك وعلمك ، ولست ممن ينقادُ لهوى نفسه كالأول ، ولا ممن يقهرُها ، ولكنه يقلدُ الناسَ كالثاني ، بل أنت صافي السرِّ ، نقي الضميرِ ، خالصُ الاعتقادِ ، قويُّ اليقينِ ، صحيحُ التوحيدِ ، جيّدُ التمييزِ ، كاملُ العرفانِ ، عالمٌ بالسنةِ والقرآنِ ، فلا لِمُرَادِ نفسك أتبعْتَ ، ولا في هُوَّةِ التقليدِ وقعتَ ،

فقل لي بالله ما الحاملُ لك على التشبُّه بعبادِ القبور ، والتعزيرِ على من كان في عدادِ سَلِيمِي الصدور ؛ فإنه يراك الجاهلُ [٥٨] والحاملُ ، ومن هو عن علمِكَ وتمييزِكَ عاطلٌ ، فيفعل كفعلك ، ويقتدي بك ، وليس له بصيرةٌ مثلَ بصيرتِكَ ، ولا قوَّةٌ في الدين مثلَ قسوتِكَ ، فيحكى فعلك صورهُ ، ويخالفُه حقيقةً ، ويعتقدُ أنك لم تقصدُ هذا القسيرَ إلا لأمر ، ويغتنم إبليسُ اللعينُ غرْبَةَ هذا المسكينِ الذي اقتدى بك ، واستنَّ بسُنَّتِكَ ، فيستدرجُه حتى يبلغَ به إلى حيث يريدُ ، فرحم الله امرءاً هرب بنفسه عن غوائلِ التقليدِ ، وأخلصَ عبادتَه للحميدِ المجيدِ .

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن من يقصدُ القبرَ ليدعو عنده هو أحدُ ثلاثة : إن مشى لقصدِ الزيارة فقط ، وعرضَ له الدعاءُ ، ولم يحصلْ بدعائه تغريراً على الغيرِ فذلك جائزٌ ، وإن مشى لقصدِ الدعاءِ فقط ، أو له مع الزيارة ، وكان له من الاعتقاد ما قدَّمنا فهو على خطرِ الوقوعِ في الشركِ ، فضلاً عن كونه عاصياً ، وإذا لم يكن له اعتقادٌ في الميتِ على الصفة التي ذكرنا فهو عاصٍ آثمٌ ، وهذا أقلُّ أحواله ، وأحقرُ ما يربحُه في رأسِ ماله .

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هدايةٌ . والله ولي التوفيق انتهى .

تحريره بقلم مؤلفه في ليلة الأحد لسبعِ مضت من شهر رجب سنة ١٢١٣هـ .
حامداً لله ، ومصلياً مسلماً على رسوله وآله .

* * *

بَحْثٌ
فِي
أَنَّ إِجَابَةَ الدَّعَاءِ
لَا يَنَافِي سَبْقَ الْقَضَاءِ

تَأْلِيفُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الشُّوْكَانِيِّ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ

مُحَمَّدُ صَبْحِيُّ بْنُ حَسَنِ حَلَّاقٍ

أَبُو مَصْعَبٍ

وصف المخطوط

- ١- عنوان الرسالة : " بحث في أن الدعاء لا ينافي سبق القضاء " .
- ٢- موضوع الرسالة : في العقيدة .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين . اعلم وفقك الله وإياي أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم ، وطالت ذبوله
- ٤- آخر الرسالة : .. فلنقتصر على هذا المقدار ، والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على رسوله وآله .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي معتاد .
- ٦- الناسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .
- ٧- عدد صفحات الرسالة : (٣) صفحات .
- الأولى : ١٨ سطرًا . مع هامش على يمين الصفحة .
- الثانية : ٤١ سطرًا .
- الثالثة : ١٦ سطرًا . مع الهامش في أعلى الصفحة .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١١-١٢ كلمة .
- ٩- الرسالة من المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .
- ١٠- وجدت العبارة التالية في نهاية المجلد الرابع من " الفتح الرباني " :
" الحمد لله كمل للحقير أحمد بن محمد الشوكاني غفر الله لهما النظر فيه جرى الله مؤلفه أفضل الجزاء ، ونفعه بعلمه النافع في دار البقاء وتغشاه برحمته ورضوانه .
آمين " .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله وصحبه الأكرمين . اعلم - وفقك الله وإياي - أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم ، وطالت ذيولهُ ، وتشعبتْ أبحاثه في التعارض بين ما ورد من أن القضاء الأزلي من الله - عز وجل - لا يتغير ولا يتبدل ، وهو المعبر عنه بأمر الكتاب . [بقوله]^(١) تعالى : ﴿ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾^(٢) وقوله : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾^(٣) وبين ما ورد من الإرشاد إلى الأدعية ، وطلب الخير من الله عز وجل ، وسؤاله أن يدفع الشر ، ويرفع الضر ، وسائر المطالب التي [يطالبها]^(٤) العباد من رهم - سبحانه -^(٥) كقوله ﷺ : " لا يردُّ القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيدُ في العمر إلا البرُّ " أخرجه الترمذي^(٦) من حديث سلمان وحسنه، وابن حبان^(٧) ، وصححه ، والحاكم^(٧) وصححه ، والطبراني في الكبير^(٨) ، والضياء في المختارة^(٩) ومثله حديث ثوبان مرفوعاً بلفظ : " لا يردُّ القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في

(١) : في المخطوطة [لقوله] والصواب ما أثبتناه .

(٢) : [الرعد : ٤١] .

(٣) : [ق : ٢٩] .

(٤) : كذا في المخطوط ولعلها [يطلبها] .

(٥) : انظر قطر الولي على حديث الولي (ص ٤٢٤-٤٢٥ و ص ٤٧٩-٤٩١) .

(٦) : في السنن رقم (٢١٣٩) وقال هذا حديث حسن غريب .

(٧) : لم يخرج ابن حبان والحاكم من حديث سلمان .

(٨) : (٦/٢٥١ رقم ٦١٢٨) . وفي " الدعاء " (٢/٧٩٩ رقم ٣٠) .

(٩) : لم أجد في الأجزاء المطبوعة .

قلت : وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/١٦٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٣٦ رقم

٨٣٢ - ٨٣٣) .

وفي سننه أبو مولود اسمه فضة وهو بصري مشهور بكنيته ضعفه أبو حاتم في الجرح والتعديل

=

(٧/٩٣) وقال عنه ابن حجر في التقریب (٢/١١٢) : فيه لين .

العمر ، إلا البر ، وإن الرجل لِيُحْرَمَ الرزقَ بالذنبِ يصيبه " (١) وكقوله ﷺ : " لا يغني حذرٌ من قدر ، والدعاءُ ينفعُ مما نزل ، ومما لم ينزل . وإن البلاءَ لِيَتْرُلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدعاءُ فيعتلجان إلى يومِ القيامةِ " أخرجه الحاكم في المستدرک (٢) ، والبيهقي (٣) ، والطبراني في الأوسط (٤) ، والخطيب (٥) . قال الحاكم : صحيح الإسناد من حديث عائشة مرفوعاً .

= وقد أورده المنذري في الترغيب رقم (٢٤٣٧) والدمياطي في المتجر الرابع رقم (١٣٧٤) .

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشاهد حديث ثوبان الآتي .

- قال الشوكاني في تحفة اللذاكرين ص ٣٤ : فيه دليل - أي حديث سلمان - على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٩] .

(١) : أخرجه أحمد في المسند (٢٧٧/٥ ، ٢٨٢) وابن ماجه رقم (٩٠) والنسائي في السنن الكبرى (١٣٣/٢) - كما في تحفة الأشراف . والحاكم في المستدرک (٤٩٣/١) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٤١/١٠-٤٤٢) والبيهقي في شرح السنة (٦/١٣) وابن حبان في صحيحه رقم (٨٧٢) .

وهو حديث صحيح .

- قال ابن القيم في " الجواب الكافي " ص ٢٧ : إن هذا المقدور قدرٌ بأسباب ومن أسبابه الدعاء ، فلم يقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قدر بسببه ، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهكذا ، كما قدر الشيع والري بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر ، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه ، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ، ودخول النار بالأعمال ... وحينئذ ، فالدعاء من أقوى الأسباب ، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب ، وجميع الحركات والأعمال ، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ من حصول المطلوب " .

(٢) : في المستدرک (٤٩٢/١) وقال الحاكم : هذا حديث " صحيح الإسناد " وتعقبه الذهبي بقوله : زكريا جمع على ضعفه .

(٣) : في مسنده (٢٩/٣-٣٠ رقم ٢١٦٥ - كشف) .

(٤) : (٦٦/٣ رقم ٢٤٩٨) وفي الدعاء (٨٠٠/٢ رقم ٣٣) .

(٥) : في تاريخه (٤٥٢/٨-٤٥٣) .

وقال في مجمع الزوائد^(١) " (٢) .

وقد ضَعَّفَ هذا الحديث بزكريا بن منظور^(٣) ، وكما ذكرته في شرحي للعدة^(٤) " .
ومن ذلك ما أخرجه أبو داود^(٥) ، والترمذي^(٦) ، وابن ماجة^(٧) وابن حبان^(٨)
وصححه عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : " إن ربكم حيّ كريم يستحي

(١) : (١٠/١٤٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح

المصري ، وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات .

قلت : وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٣٥٩ - ٣٦٠) وقال : هذا حديث لا يصح وأعله
بزكريا ونقل بعض أقوال النقاد فيه .

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/١٠٦٨) في ترجمة زكريا بن يحيى من طريق زكريا بن منظور عن
عطاف بن خالد به .

(٢) : أنزلت النص الآتي من صلب الرسالة إلى الهامش ، لأنه زيادة مقحمة فيه كما يتضح من تحقيق
الرسالة .

[رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبخاري في الأوسط ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد اسنادي

البخاري رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي ، وهو ثقة] .

(٣) : قال البخاري في " التاريخ الكبير " (٣/٤٢٤) : " ليس بذلك " .

وقال النسائي في " الضعفاء " (ص ١٠٩ رقم ٢٢١) ضعيف .

وقال ابن حبان في المحروحين (١/٣١٤) منكر الحديث جداً ، يروى عن أبي حازم مالا أصل له من
حديثه .

(٤) : أي تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ص ٣٥ .

● يعتلجان : أي يتصارعان . " النهاية " (٣/٢٨٦) .

قال الشوكاني : فيه دليل على أن الحذر لا يعني عن صاحبه شيئاً من القدر المكتوب عليه ، ولكنّه

ينفع من ذلك الدعاء ، ولذلك عقبه ﷺ بقوله : والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل .

(٥) : في السنن رقم (١٤٨٨) .

(٦) : في السنن رقم (٣٥٥٦) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٧) : في السنن رقم (٣٨٦٥) .

(٨) : في صحيحه رقم (٨٧٦) .

من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً" . وأخرجه أيضاً ، الحاكم^(١) ، وقال :
 حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وله شاهد صحيح . ثم رواه^(٢) من
 حديث أنس مرفوعاً : " إن الله رحيمٌ حيٌّ كريمٌ يستحي من عبده أن يرفعَ إليه يديه ، ثم
 لا يضعُ فيهما خيراً " وأخرجه الطبراني^(٣) ، وأبو يعلى^(٤) . ومن ذلك قوله ﷺ : " لا
 تعجزوا في الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحدٌ " . أخرجه ابن حبان^(٥) من حديث
 أنس ، والحاكم في المستدرک^(٦) ، وقال : صحيح الإسناد ، والضياء في المختارة^(٧) وقد
 رددتُ في شرحي للعدة^(٨) على من ضعفه .

-
- (١) : في المستدرک (٤٩٧/١) . وهو حديث صحيح .
 (٢) : أي الحاكم في المستدرک (٤٩٨/١) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله : عامر بن يساف ذو منكير .
 (٣) : في الأوسط (٢٧٠/٥) رقم ٥٢٨٦ .
 (٤) : في مسنده (٣٢٣٢/٦) بنحوه وأورده الهينمي في مجمع الزوائد (١٤٨/١٠) .
 وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .
 (٥) : في صحيحه رقم (٨٧١) بإسناد ضعيف لضعف عمر بن محمد بن صهبان .
 (٦) : في المستدرک (٤٩٤/١) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
 وقال الذهبي : لا أعرف عمراً ، تعبت عليه .
 (٧) : في المختارة (١٣٦/٥) رقم ١٧٦٠ .
 (٨) : قال الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ٣٧ : " وعدم معرفته - أي الذهبي - له لا تستلزم عدم معرفة
 غيره له ، نعم قال الذهبي في الميزان (٢٠٧/٣) حاكياً عن أبي حاتم أنه مجهول ، وهذا قوادح صحيح .
 ولهذا قال ابن حجر في لسان الميزان (٣٢٥/٤) وقد تساهل الحاكم في تصحيحه ، ولكن لا يخفـاك أن
 تصحيح ابن حبان والضياء يكفي ولا يحتاج معه إلى غيره ، وعلى تقدير أن في إسنادهما هذا الرجل الذي
 قيل أنه مجهول ، فمعلوم أنهما لا يصححان الحديث المروي من طريقه إلا وقد عرفاه وعرفا صحة مدرّواه
 ومن علم حجة على من لم يعلم .

قلت : عمر بن محمد هو بن صهبان الضعيف لا ابن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كما ظن
 الحاكم وابن حبان والضياء . فقد جاء مصرحاً به عند أبي نعيم في أخبار أصفهان (٢٣٢/٢) والعقيلي في
 الضعفاء (١٨٨/٣) وقال العقيلي عمر بن محمد لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به .
 =

ومن ذلك : ما أخرجه الترمذي^(١) من حديث أبي هريرة ، والحاكم في المستدرک^(٢) ، وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي . وأخرجه أيضاً^(٣) من حديث سلمان وقال صحيح الإسناد .

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرک^(٤) من حديث أبي هريرة ، وقال صحيح الإسناد . قال : قال رسول الله ﷺ : " الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض " . وأخرجه أبو يعلى^(٥) من حديث علي [بهذا اللفظ ، وأخرج أبو يعلى^(٦) من حديث جابر رضي الله عنه]^(٧) قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ، ويدرككم أرزاقكم ؟ . تدعون الله في ليلكم وهما ركم ، فإن الدعاء سلاح

= وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٦٧٤/٥) وقال : عمر بن صهبان عامة أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه . والغلبة على حديثه المناكير .

ومما تقدم يظهر لنا ضعف كلام الإمام الشوكاني - رحمه الله - .

والخلاصة أن الحديث إسناده ضعيف .

(١) : في السنن رقم (٣٣٧٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٢) : في المستدرک (٤٩٠/١) : وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

قلت : وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٢) والطيالسي في المسند رقم (٢٥٨٥) وأحمد

(٣٦٢/٢) وابن ماجه رقم (٣٨٢٩) . وهو حديث حسن .

(٣) : لم يخرج من حديث سلمان والله أعلم .

(٤) : في المستدرک (٤٩٢/١) من حديث علي وقال : هذا حديث صحيح .

قلت : بل ضعيف لجهالة محمد بن الحسن بن أبي يزيد .

(٥) : في المسند (٣٤٤/١) رقم (٤٣٩) .

(٦) : في المسند رقم (١٨١٢) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف .

وهو حديث ضعيف .

(٧) : ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق من " تحفة الذاكرين (ص٣٨) " .

المؤمن" (١) . وأخرج أحمد في المسند (٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
 " ما من مسلمٍ ينصب وجهه لله في مسألة ، إلا أعطاه إياها ، إما أن يعجلها له وإما أن
 يدخرها له " . قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣) ، لا بأس بإسناده ، وأخرجه
 البخاري في الأدب المفرد (٤) ، والحاكم (٥) .
 ويشهد لمعناه ما أخرجه أحمد (٦) ، والبخاري (٧) ، وأبو يعلى (٨) . قال المنذري (٩) ،
 بأسانيد جيدة من حديث أبي سعيد الخدري : أن النبي ﷺ قال : " ما من مسلم يدعو
 بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ، ولا قطيعةٌ رحمٍ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثٍ : إما أن تعجلَ له
 دعوتَهُ ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرفَ عنه من السوءِ مثلاً " .
 وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠) ،

(١) : في المخطوطة مكررة .

(٢) : (٤٤٨/٢) .

وأورده الهيثمي في الجمع (١٤٨/١٠) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف .

(٣) : (٤٧٤/٢) رقم (٢٤٢٦) .

(٤) : رقم (٧١١) .

(٥) : في المستدرک (٤٩٧/١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وهو حديث صحيح لغيره .

(٦) : في المسند (١٨/٣) .

(٧) : في مسنده رقم (٣١٣٤ ، ٣١٤٤ - كشف) .

(٨) : في مسنده رقم (١٠١٩/٤٦) .

(٩) : في الترغيب والترهيب (٤٧٥/٢) رقم (٢٤٢٧) .

قلت : وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٩٣/١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

وأورده الهيثمي في الجمع (١٤٨/١٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبخاري والطبراني في

الأوسط ، ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البخاري رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي

وهو ثقة . والخلاصة أن الحديث حسن والله أعلم .

(١٠) : (٢٠٠/١٠) .

وأبو داود^(١)، والترمذي^(٢)، والنسائي^(٣)، وابن حبان^(٤) قال : قال رسول الله ﷺ :
 " الدعاء هو العبادة ، ثم تلا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ الآية " ^(٥) . وصححه الترمذي^(٦)، وابن حبان^(٧)، والحاكم^(٨) .
 وأخرج الترمذي^(٩) من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " الدعاء مع العبادة".
 وأخرج الترمذي^(١٠) والحاكم في المستدرک^(١١) وصححه من حديث أبي هريرة قال : قال
 رسول الله ﷺ : " من لم يسأل الله يغضب عليه " . وفي لفظ : " من لم يدع الله يغضب "

(١) : في السنن رقم (١٤٧٩) .

(٢) : في السنن رقم (٣٢٤٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) : في السنن الكبرى رقم (١١٤٦٤) .

(٤) : في صحيحه رقم (٨٩٠) .

(٥) : [غافر : ٦٠] .

(٦) : في السنن (٤٥٦/٥) .

(٧) : في صحيحه (١٧٢/٣) .

(٨) : في المستدرک (٤٩١/١) وصححه ووافقه الذهبي .

قلت : وأخرجه أحمد (٢٦٧/٤) والبعقوي في شرح السنة رقم (١٣٨٤) ، والطيالسي رقم (٨٠١)
 والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٤) وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) وأبو نعيم في الحلية (١٢٠/٨) كلهم
 من حديث النعمان بن بشير .
 وهو حديث حسن .

(٩) : في السنن رقم (٣٣٧١) وقال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه . لا نعرفه إلا من حديث ابن
 لهيعة .

وقال الألباني : - رحمه الله - ضعيف بهذا اللفظ .

(١٠) : في السنن رقم (٣٣٧٣) .

(١١) : في المستدرک (٤٩١/١) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . واللفظ : " من لا يدعو الله
 يغضب عليه " .

قلت : وأخرجه أحمد (٤٤٢/٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧) ، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦٥٨)
 والبعقوي في شرح السنة (١٨٨/٥) وابن ماجه رقم (٣٨٢٧) .

عليه " أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف (١) ، والحاكم في المستدرک (٢) وصححه .
ومن ذلك استعاذته ﷺ من سوء القضاء كما في صحيح مسلم (٣) وغيره (٤) .
ومن (٥) ذلك ما ثبت في قنوت الوتر عنه ﷺ أنه قال فيه . " وقفي شرّ ما قضيت " وهو حديث صحيح ، وإن لم يخرج الشيخان (٦) وفيهما الاستعاذة من القضاء المشتمل على الشرّ والسوء .
ومن ذلك الأحاديث الواردة في صلة الرّحم ، وأنها (٧) تزيد في العمر وهي أحاديث

(١) : (٢٠٠/١٠) .

(٢) : في المستدرک (٤٩١/١) .

والخلاصة : إن الحديث حسن والله أعلم .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٧٠٧/٥٣) .

(٤) : كالبخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٧) كلاهما من حديث أبي هريرة ؓ كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ، ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء .

(٥) : أخرجه أبو داود رقم (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) والترمذي رقم (٤٦٤) وابن ماجه رقم (١١٧٨) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وهو حديث صحيح .

(٦) : وهو كما قال الشوكاني رحمه الله انظر التعليقة السابقة .

(٧) * رأي الشوكاني في المسألة : ذهب الشوكاني إلى أن أجل الإنسان يزيد وينقص ، وأن الله سبحانه يحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ ويثبت ما يشاء منه واستدل على ذلك بأدلة كثيرة :-

١/ قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

﴿٣٩﴾ [الرعد : ٣٨-٣٩] .

وقال الشوكاني عند تفسيره الآية: "أي لكل أمر مما قضاه الله، أو لكل وقت من الأوقات التي قضى الله بوقوع أمر فيها ، كتاب الله يكتبه على عباده ويحكم به فيهم ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ أي يحو من ذلك الكتاب ، ويثبت ما يشاء منه ثم قال " وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب ، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر ، أو خير أو شر " .

● وأورد اثني عشر قولاً في معنى الآية ورجح أن الآية عامة وأن العمر فرد من أفرادها ... فالمراد =

= من الآية أنه يمحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ ...".

انظر تفصيل ذلك " فتح القدير " للشوكاني (٨٨/٣) قطر الولي (٥٠٤ - ٥٠٦) .

- ولكن الرأي الراجح أن المحو والإثبات في المكتوب عند الملائكة وأن ما في سابق علمه سبحانه وفي اللوح المحفوظ لا يقع فيه المحو والإثبات وقد ذكر ذلك ابن تيمية في مجموع فتاوى (١٤/٤٩٠ - ٤٩٢) و (٥١٧/٨ ، ٥٤٠) وابن أبي العز الحنفي في " شرح العقيدة الطحاوية " ص ١٥٢ ، وابن حجر في الفتح (٣٥٣/٤ - ٣٥٤) (٤٩٧/١١) .
- وعلى هذا القول فإن الكتاب كتابان : أحدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق - عن أنس ابن مالك قال : " وكل الله بالرحم ملكاً فيقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب أذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه " .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٩٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٦) - وذلك الكتاب محل المحو والإثبات والكتاب الثاني أم الكتاب أو اللوح المحفوظ ، وهو الكتاب المشتمل على تعيين جميع الأحوال العلوية والسفلية ، وهو الباقي لا يغير فيه شيء .

انظر : تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢) زاد المسير (٣٣٩/٤) وجامع البيان (١٦٧/١٣) لابن جرير .

قال الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي في تيسير الكريم المئان (١١٧/٤) : -

قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ الآية " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ الْأَقْدَارِ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا ، وَهَذَا الْمَحْوُ وَالتَّغْيِيرُ فِي غَيْرِ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَكُتِبَ قَلَمَهُ . فَإِنَّ هَذَا لَا يَقَعُ فِيهِ تَبْدِيلٌ وَلَا تَغْيِيرٌ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَحَالٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَقَعُ فِي عِلْمِهِ نَقْصٌ أَوْ خَلَلٌ وَهَذَا قَالَ ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أَيِ اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ سَائِرُ الْأَشْيَاءِ ، فَهُوَ أَصْلُهَا ، وَهِيَ فُرُوعٌ وَشَعْبٌ فَالتَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ يَقَعُ فِي الْفُرُوعِ وَالتَّشَعُّبِ كَأَعْمَالِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ الَّتِي تَكْتُبُهَا الْمَلَائِكَةُ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِنَبِيِّهَا أَسْبَاباً ، وَلِحُوْهَا أَسْبَاباً لَا تَعْتَدِي تِلْكَ الْأَسْبَابَ مَا رَسَمَ فِي اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْبِرَّ وَالصَّلَاةَ وَالْإِحْسَانَ مِنْ أَسْبَابِ طَوْلِ الْعَمْرِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ وَكَمَا جَعَلَ الْمَعَاصِيَ سَبَباً لِحَقِّ بَرَكَةِ الرِّزْقِ وَالْعَمْرِ ، وَكَمَا جَعَلَ أَسْبَابَ النِّجَاةِ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْمَعَاطَبِ سَبَباً لِلسَّلَامَةِ وَجَعَلَ التَّعَرُّضَ لِذَلِكَ سَبَباً لِلْعَطَبِ ، فَهُوَ الَّذِي يَدْبُرُ الْأُمُورَ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَمَا يَدْبُرُهُ مِنْهَا لَا يَخَالِفُ مَا قَدَّ عِلْمُهُ وَكُتِبَ فِي اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

- وعلى هذا فإن زيادة الآجال ونقصها بالنسبة إلى علم الملك الموكَّل بالعمر ، لا بالنسبة إلى ما في =

ومن ذلك الأحاديث الواردة في إجابة دعاء المظلوم على ظالمه^(٢) . والأحاديث الواردة في دعاء الوالدين لولدهما^(٣) . والأحاديث الواردة في دعوة الإمام العادل^(٤) ، والأحاديث

= سابق علم الله وقضائه ، فلا زيادة فيه ولا نقص وهو معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤ ، النحل : ٦١] .

ومن الأدلة على أن الآجال لا تتغير ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : " اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية قال : فقال : النبي ﷺ : قد سألت الله لأجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله " .

(١) : (منها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٩٨٦) ومسلم رقم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من أحب أن ييسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه " . (ومنها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٩٨٥) .

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من سره أن ييسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه " .

(٢) : (منها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٩٥) ومسلم رقم (١٩) والترمذي رقم (٦٢٥) وأبو داود رقم (١٥٨٤) والنسائي (٥٢/٥ ، ٥٥) وابن ماجه رقم (١٧٨٣) .

من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب " .

(٣) : أخرج أبو داود رقم (١٥٣٦) والترمذي رقم (٣٤٤٨) وابن ماجه رقم (٣٨٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن النبي ﷺ قال : " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد لولده ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم " . وهو حديث حسن .

(٤) : أخرج الترمذي رقم (١٩٠٥) وابن ماجه رقم (١٧٥٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء . يقول الرب : وعزّي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين " .

وهو حديث صحيح .

الواردة في إجابة دعوة من دعا الله باسمه الأعظم^(١) ، وغير ذلك كثير ، وجميع ذلك على اختلاف دلالاته متواتر .

فليت شعري؟! كيف ذهب جماعة من أهل العلم إلى مخالفة ذلك كله وقالوا : إن أحكام الله وقضائه في سابق علمه ، لا تتغير أصلاً^(٢)؟! . فإن استدلووا بمثل قوله تعالى : ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾^(٣) ، وما ورد في اللوح المحفوظ ، وما كتب فيه ، وأنه قد حق القضاء ونحو ذلك ، فأبي فائدة في مثل قوله عز وجل : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٤) ،

(١) : أخرج الترمذي في السنن رقم (٣٤٧٥) وابن ماجه رقم (٣٨٥٧) .

من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ويدي في يده ، فإذا رجل يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد دعا الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطي وإذا دعي به أجاب ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب النار ، أو عذاب القبر كان خيراً وأفضل " .

هذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدره لا تتغير . ولهذا جمع العلماء بين هذا الحديث وما في معناه من الآيات .

- قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

- قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ [المنافقون : ١١] .

وبين ما ورد في زيادة العمر لمن وصل رحمه وأجابوا بأجوبة منها : أن الزيادة كناية عن البركة في العمر ، والتوفيق إلى الطاعات ، وما يبقى بعده من الثناء الجميل فكأنه لم يمض .
انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (١١٤/١٦) .

● وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أن تلك البركة وهي زيادة في العمل والنفع هي أيضاً مقدره مكتوبة ...
مجموع فتاوى (٤٩١/١٤-٤٩٢) .

(٢) : سبق ذكر التعليقة ص ٤٠٠ .

(٣) : [ق : ٢٩] .

(٤) : [غافر : ٦٠] .

فإن هذا أمر منه لعباده بدعائه ، وأي فائدة في أمر رسوله ﷺ بأن يخبر عباده بأنه قريبٌ
يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ؟ . وأي فائدة في قوله - عز وجل - [اب] مخبراً لعباده .
﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (١) ، كيف وقد علمنا سبحانه
كيف ندعو في نحو قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ إلى آخر الآية
وحكى لنا رسول الله - ﷺ - كما ثبت في الصحيح أن الله عز وجل قال عن هذه
الدعوات قد فعلت ؟؟ . وكذلك سائر ما قصه الله علينا في كتابه من إجابته لدعوة أنبيائه
كما في قوله [عز وجل] (٢) . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا ﴾ (٣) . وفي مثل : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٤) ، ومل
يشابه ذلك من الآيات (٥) ، وما شوهد من نبينا - عليه الصلاة والسلام - من إجابة
دعواته في مواطن يتعسر إحصاؤها (٦) ، وما شوهد من صالحى هذه الأمة في كل قرن من

(١) : [الرعد : ٣٩] .

(٢) : زيادة يقتضيها السياق .

(٣) : [يوسف : ١١٠] .

(٤) : [محمد : ٧] .

(٥) : قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنبَىٰ مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [يونس : ١٢] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [الزمر : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

(٦) : * أخرج البخاري في صحيحه رقم (٩٣٣) ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧) عن أنس قال : أصابت

الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب ، أتاه أعرابي فقال :
يا رسول الله . هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه - =

القرون ، من إجابة دعواتهم في الحال . ومن جهل هذا ، أو بعضه ، نظر في مثل حليسة الأولياء^(١) ، ومثل رسالة القشيري^(٢) ، ومثل صفوة الصفوة لابن الجوزي^(٣) ، وغير ذلك مما يكثر تعداده . بل ينظر الدعواتِ المحابة من الصحابة - رضي الله عنهم - كما دونله في البحث الذي قبل هذا^(٤) .

كما وقع مع جماعة كثيرة من السلف - رحمهم الله - أنهم كانوا يقولون في أدعيتهم . " اللهم إن كنت قد كتبتني في ديوان الأشقياء فانقلني إلى ديوان السعداء " بعبارة مختلفة هذه أحدها^(٥) .

وبالجمل فالكاتب العزيز ، والسنة المتواترة ، ترد عليهم رداً أوضح من شمس النهار . وطائفة قالت : إن الأفضية على نوعين^(٦) : مطلقة ومقيدة . فالمطلقة ما لم تكن

= وما نرى في السماء قرعة ، فوا الذي نفسي بيده ما وضعها حتى تار سحاب كأمثال الجبال ، ثم لم يتزل عن المنبر حتى رأيت الماء يتحارد على لحيته فمطرنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى " .

● وما أخرجه الترمذي رقم (٣٥١٤) بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قلل : " اللهم استجب لسعد إذا دعاك " . فكان لا يدعو إلا استجيب له . سيأتي (ص ١٠٧٣) .
انظر : " تهذيب الخصائص النبوية الكبرى " (ص ٣٣٥ - ٣٤٥) .

(١) (٢) (٣) : انظر الرسالة رقم (٢٦) من هذا القسم - العقيدة - . فقد تم التعريف بهذه الكتب .
(٥) : الرسالة رقم (٢٦) من هذا القسم بعنوان " بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء " .
(٥) : أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ص ١٦٧-١٦٨) عن عمر بن الخطاب ، وابن مسعود .
(٦) : ومثاله كأن يقال للملك : أن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر . والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ فالحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة - ويقال له القضاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق .

=

فتح الباري (١٠/٤١٦) .

مشروطةً بشرط ، واقعةً . وإلا فلا .

وهذا القول وإن كان مردوداً مثل الأول ، إلا أنه أقلُّ مفسدةً منه ، وإن كان رأياً يحتسبُ ليس عليه دليل . وبالجملة فالبحث يطول . فلنقتصر على هذا المقدار ، والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على رسوله وآله الحمد لله كمل للحقير أحمد بن محمد الشوكاني - غفر الله لهما - النظر فيه - جزى الله مؤلفه أفضل الجزاء ، ونفعه بعلمه النافع في دار البقاء ، وتغشاه برحمته ورضوانه - آمين [٢٢] .

* * *

= وأشار إلى ذلك ابن تيمية في مجموع فتاوى (٥١٧/٨) : حيث قال : والأجل أجلان ، أجل مطلق يعلمه الله ، وأجل مقيد ، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ " من سره أن يبسط في رزقه ، وينسأ في أثره فليصل رحمه " - تقدم تخريجه (ص ٤٠٢) - فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أيزداد أم لا ، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر " .

بَحْث
فِي
وجوب محبة الرب سبحانه

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقيقته وعلقت عليه وخرّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف المخطوط

- ١- عنوان الرسالة : " بحث في وجوب محبة الله " .
- ٢- موضوع الرسالة : في العقيدة .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الأكرمين . اعلم أن محبة الله عز وجل هي من أعظم الفرائض المفترضة على العباد ...
- ٤- آخر الرسالة : ... إني لأعرف ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمرتلتهم عند الله يوم القيامة الذين يحبون الله ويحبونه إلى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي جيد .
- ٦- الناسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .
- ٧- عدد الصفحات : (٣) ثلاثة .
 - الأولى : ٢٨ سطراً .
 - الثانية : ٣٢ سطراً .
 - الثالثة : ٢٨ سطراً .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١٢-١٣ كلمة .
- ٩- الرسالة من المجلد الرابع من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلامُ على سيد المرسلين وآله الأكرمين . اعلم أن محبة الله - عز وجل - من أعظم الفرائض المفترضة على العباد كما يدلُّ على ذلك آياتُ الكتاب المبين ، وأحاديثُ سيِّد المرسلين ، وإجماعُ المسلمين أجمعين ، فمن ذلك قول الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

وقد علم أن اتباعَ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فرض واجبٌ لا خلاف فيه ، وكانت هذه المحبةُ لله - سبحانه - أدخلَ في الفرضية لتعليق الاتباع بها ، وجعلهُ متسبباً عنها ، مع ما في ذلك من التهييج للعباد على الاتباع بما هو مطلوب لكل فرد مسن أفرادهم ، ومقصودٌ من مقاصد عامِّهم وخاصِّهم ، فإن دخول العبد في زمرة المحبين لله - عز وجل - هو الذي يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليه المتسابقون ، فإذا سمع السامع أن هذا الاتباع (٢) لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هو صنعٌ من يحبُّ الله ، وعملٌ من يتصفُ بذلك سعى إليه وبادر به ، وبالغ في تحصيله بكل ممكن .

والحاصل أن في هذا النظم القرآني دلالةً بيّنة على أن اتباع (٣) رسول الله - صلى الله

(١) : [آل عمران : ٣١] .

(٢) : قال ابن كثير في تفسيره (٢٢/٢) : هذه الآية الكريمة حاکمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله .

قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله هذه الآية : ﴿ قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

(٣) : ويعتبر اتباع الرسول ﷺ فرض واجبٌ لا خلاف فيه :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَتَمِمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ =

عليه وآله وسلم - متسبب عن محبة العبد لله ، وفرغ من فروعها ، وأنه سبب لمحبة الله عز وجل - للعبد ، ومن أحب الله وأحبه الله فقد ظفر بالغاية القصوى ، ووصل المقصد الأستى الذي هو أعلى مطالب الطالبين ، ونهاية رغبات الراغبين ، وكل العبادات والأعمال الصالحات إنما هي للتوصل بها إلى هذه المحبة التي يكون بها حصول الفلاح والنجاح والفوز لكل محبوب ، والنجا من كل مكروه .

ومن الآيات القرآنية الدالة على فرضية محبة العبد لربه ، قوله - عز وجل - : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .
 فهذا الوعيد المذكور في آخر هذه الآية بقوله : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (١)
 مع قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) قد دلّ أبلغ دلالة على أن محبة

= وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .
 وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

● قال ﷺ : " ما هيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم " . من حديث أبي هريرة - ﷺ - أخرجه مسلم رقم (١٣٣٧) .

● قال ﷺ : " كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي " قالوا : يا رسول الله ، ومن أبي ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي " . أخرجه البخاري رقم (٧٢٨٠) .

(١) : [التوبة : ٢٥] .

العبد لله - عز وجل - فرض من أعظم الفرائض الدينية ، ولا سيما بعد ذكره لما هو غاية ما يحب في الدنيا من الأشخاص الذين هم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر ، فإن هؤلاء هم الذين تحصلُ المحبة لهم ، وضمَّ إلى ذلك الأموال والمساكن ، وما هو أعظم أسباب الكسب وهو التجارة بصدقه على غالب المكاسب التي يتكسبُ العباد بها ، ويحصلون الأرزاق منها .

ومعلوم أن الله لا يتوعدُّ بالعذاب ويشيرُ إلى أن من لم يَقم بما توعدُّ عليه فهو من القوم الفاسقين المحرومين للهداية الربانية والعناية الإلهية ، إلا على فرض لازم ، وواجب مُتَحْتَم . ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يستكثر من سؤال الله - سبحانه - حصولَ هذه المحبة له كما أخرجه أحمد^(١) ، والترمذي^(٢) ، والحاكم^(٣) وصححه من حديث معاذ بن جبل ، وفيه : " أسألكَ حُبَّك وحبَّ من يُحِبُّك ، وحبَّ عملٍ يقربُ إلى حُبِّك " فوقع منه السؤال - صلى الله عليه وآله وسلم - لِحُبِّ الله ، وحبِّ ما هو وسيلةٌ إليه ، وحب من حصل له هذا الحبُّ .

وأخرج نحوه البزار^(٤) ، والطبراني^(٥) ، والحاكم^(٦) من حديث ثوبان ، وأخرجه أيضاً البزار^(٧) من حديث ابن عمر ، وأخرجه أيضاً الترمذي^(٨)

(١) : في " المسند " (٢٤٣/٥) .

(٢) : في " السنن " رقم (٣٢٣٥) وقال : " حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح " اهـ .

(٣) : في " المستدرک " (٥٢١/١) . وهو حديث صحيح .

(٤) : في مسنده (٦٠/٤) رقم ٣١٩٧ - كشف .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٨١/١٠) وقال : رواه البزار وإسناده حسن .

(٥) : في " الكبير " (١٠٩/٢٠ - ١١٠ رقم ٢١٦) من حديث معاذ بن جبل .

(٦) : في " المستدرک " (٥٢٧/١) وقال : حديث صحيح على شرط البخاري .

(٧) : لم أعثر عليه ؟!

(٨) : في " السنن " رقم (٣٤٩٠) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

والحاكم^(١) من حديث أبي الدرداء ، وفي آخره بعد ذكر ما في حديث^(٢) معاذ ما لفظه :
" اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي ومن الماء البارد " وحسنه
الترمذي^(٣) .

وأخرج الترمذي^(٤) أيضاً وحسنه من حديث عبد الله بن بريدة الخُطمي عن النبي
- صلى الله عليه وآله وسلم - أنه كان يقول - في دعائه - : " اللهم ارزقني حبك وحباً
من ينفعني حبه عندك " . وفي الباب أحاديثُ وآثارُ بهذا المعنى عن جماعة من الصحابة .
ومن الأدلة المرشدة إلى افتراض محبة الله - عز وجل - ما ورد في الأحاديث الصحيحة
من التحابُّ في الله ، فإن التحابُّ في الله - عز وجل - هو من محبة الله - سبحانه - .
ومنها الحديث الصحيح^(٥) : " إن المتحابين في الله على منابر من نور يوم القيامة " .

= ولكن في سنده عبد الله بن ربيعة ابن يزيد الدمشقي . وقيل : ابن يزيد بن ربيعة ، وهو مجهول من
السادسة . انظر " التقريب " رقم (٣٣٠٩) .

(١) : في " في المستدرك " (٤٣٣/٢) وقال : صحيح الإسناد ورده الذهبي بقوله : قلت : بل عبد الله هذا
قال أحمد : أحاديثه موضوعة .

والخلاصة أن الحديث ضعيف والله أعلم .

(٢) : تقدم ترجمته آنفاً .

(٣) : في السنن (٥٢٢/٥) .

(٤) : في " السنن " (٥٢٣/٥) رقم ٣٤٩١ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . قلت : وأخرجه

الطبراني في " الدعاء " (١٤٥٤/٣) رقم (١٤٠٣) .

وهو حديث حسن .

(٥) : أخرج الترمذي في " السنن " رقم (٢٣٩٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ومالك في

"الموطأ" (٩٥٣/٢) رقم ١٦ ، وأحمد في " المسند " (٢٣٣/٥) ، والطبراني في " الكبير " (٨٠/٢٠) رقم

١٥٠ والحاكم في " المستدرك " (١٦٨-١٦٩/٤) والقضاعي في " مسند الشهاب " (٣٢٢٢-٣٢٣)

رقم ١٤٤٩-١٤٥٠) وابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٤) وهو حديث صحيح .

عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم

منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء " .

● = وأخرج الحاكم (١٦٩/٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأحمد (٢٢٩/٥ ، ٢٤٧) ، والطبراني في " الكبير " (٨١/٢٠) رقم ١٥٢ ، ١٥٣ ، (١٥٤) عن أبي إدريس الخولاني أنه قال : دخلت مسجد دمشق ، فإذا فتى شابٌ براق الثيابا ، وإذا الناس معه ، إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه ، وصدروا عن قوله ، فسألت عنه ، فقيل : هذا معاذ بن جبل ، فلما كان الغدُ هجرتُ ، فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي .

قال : فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إنني أحبك لله ، فقال : الله ؟ فقلت : الله ؟ فقال : الله ؟ فقلت : الله ؟ فقال : الله ؟ فقلت : الله ، قال : فأخذ بحبوة رداي ، فجدبني إليه وقال : أبشر فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتبازلين في " وهو حديث صحيح .

● وأخرج ابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٦) وأحمد (٢٣٩/٥) والطبراني في " الكبير " (٨٧/٢٠) - ٨٨ رقم ١٦٧ و ١٦٨ ، وأبو نعيم في " الحلية " (٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣١) . من طرق عن أبي مسلم الخولاني ، قال : قلت لمعاذ بن جبل : والله إنني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك ، ولا قرابة بيني وبينك فقال : فلأني شيء ؟ قلت : لله ، قال : فجدب حبوني ، ثم قال أبشرك إن كنت صادقاً ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : " المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغطهم بمكانهم النبيون والشهداء " ثم قال : فخرجت فأتيت عبادة بن الصامت ، فحدثته بحديث معاذ ، فقال عبادة بن الصامت : سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى : " حُقَّتْ محبتي على المتحابين في ، وحُقَّتْ محبتي على المتناصحين في ، وحُقَّتْ محبتي على المتزاورين في ، وحُقَّتْ محبتي على المتبازلين في ، وهم على منابر من نور يغطهم النبيون والصديقون بمكانهم " . وهو حديث صحيح .

● وأخرج أبو داود في " السنن " رقم (٣٥٢٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى " .

قالوا : يا رسول الله ، نخبرنا من هم ؟ قال : " هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحامهم بينهم ، ولا أموال يعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على نور ، لا يخافون إذ حزن الناس " وقرأ =

ومنها : حديث^(١) : " إن العبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبهُ إلا الله " وهو حديث صحيح .

وأخرج أحمد^(٢) والترمذي^(٣) من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " من أعطى الله ، ومنع الله ، وأبغض الله ، وأحب الله فقد استكمل إيمانه " وواجب على العبد أن يطلب ما يكمل به إيمانه . وأخرجه أيضاً أبو داود^(٤) من حديث أبي أمامة .

وأخرج أحمد^(٥) من حديث البراء بن عازب عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

= هذه الآية ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] . وإسناده منقطع ، أبو زرعة لم يدرك عمر ، وروايته عنه مرسله . وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٩٠/١ رقم ٥٧٢) من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة ، وأبو زرعة يروي عن أبي هريرة . فالحديث حسن . وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود والله أعلم .

(١) : أخرجه أحمد (٢٩٨/٢ ، ٥٢٠) والحاكم (٣/١) والبيهقي (١٠٠/١) في مسنده (٥٠/١ رقم ٦٣ - كشف) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " من أحب لله " وقال هاشم : " من سره أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا الله عز وجل " .

قال الحاكم : صحيح لا يحفظ له علة ، وأورده الهيثمي في " المجمع " (٩٠/١) وقال : رواه أحمد والبيهقي ورجاله ثقات . وهو حديث حسن .

● وأخرج البخاري (٦٠/١ رقم ١٦) ومسلم في صحيحه (٦٦/١ رقم ٤٣/٦٧) والترمذي (١٥/٥ رقم ٢٦٢٤) والنسائي (٩٦/٨ رقم ٤٩٨٨) وابن ماجه (٤٠٣٣) عن أنس عن النبي ﷺ قال : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار " .

(٢) : في " المسند " (٤٣٨/٣ ، ٤٤٠) .

(٣) : في " السنن " رقم (٢٥٢١) وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٤) : في " السنن " رقم (٤٦٨١) وهو حديث حسن ، انظر " الصحيحة " رقم (٣٨٠) .

(٥) : في " المسند " (٢٨٦/٤) وفيه " أوسط " بدل " أوثق " .

قال : " إن أوثق عُرى الإيمان أن تحبَّ في الله ، وتبغضَ في الله " . وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ ، وآثارٌ عن الصحابة واسعةٌ .

وفي صحيح البخاري^(١) وغيره أن رجلاً كان يُؤتى به إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قد شرب الخمر ، فقال رجل : اللهم العنه ما أكثر ما يُؤتى به ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " لا تلعنه فإنه يحبُّ الله ورسوله " ، فجعل العلة المقتضية للمنع من سبِّه كونه يحبُّ الله ورسوله ، مع ارتكابه لذلك المحرَّم المجمع عليه ، والمعصية الشديدة .

وأخرج الترمذي^(٢) من حديث ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : " أحبُّوا الله لما يغدوكم من نعمه ، وأحبُّوا حبَّ الله ، وأحبُّوا أهل بيتي لحبي " ومن أعظم ما ينبه على افتراض هذه [أب] المحبة قوله - عز وجل - : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

= وأورده الهيثمي في " المجمع " (٨٩/١-٩٠) وقال : رواه أحمد وفيه ليث بن أبي سليم وصعفه الأكثر .

(١) : رقم (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب .

(٢) : في " السنن " رقم (٣٧٨٩) وقال : هذا حديث حسن غريب .

قلت : وأخرجه الحاكم في " المستدرک " (١٥٠/٣) ، وأبو نعيم في " الحلية " (٢١١/٣) ، والخطيب في " تاريخ بغداد " (١٦٠/٤) .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وقال الألباني في " تخريج فقه السيرة للغزالي " ص ٢٠ : " وهذا من تساهلهم جميعاً لا سيما الذهبي ، فقد أورد النوفلي هذا في " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " وقال فيه : " فيه جهالة ، ما حدث عنه سوى هشام بن يوسف " ، ثم ساق له هذا الحديث فأنى له الصحة !؟ وقد تفرَّد به هذا المجهول ، ولم يوثقه أحد ، ولذا قال فيه الحافظ ابن حجر في " التقريب " رقم (٣٣٧٢) إنه مقبول يعني عند المتابعة ، فأنى المتابع له !؟ ولذلك فقد أصاب ابن الجوزي حين قال : " هو غير صحيح " كما نقله المناوي في " فيض القدير " وتعقبه بما لا طائل تحته " اهـ .

والخلاصة أن الحديث ضعيف والله أعلم .

ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... الآية ﴿^(١)﴾
فتوَعَّد المرتدين عن الدين بأنه سيأتي بقوم هذه صفتهم ، فأفاد ذلك أن هذا الوصفَ
أشرف الأوصافِ ، وأعلى ما تسبب عنه الخيراتُ ، ومن أعظم البواعثِ على محبة الله
- عز وجل - أنه يحصلُ بها المحبةُ من الله - عز وجل - للعبد والمغفرة لذنوبه كما تقدم
في قوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿^(٢)﴾ ، ومن أحبه الله - عز وجل - أعطاه ما لم يكن له في
حساب ، كما ورد في الحديث الثابت في صحيح البخاري ^(٣) وغيره عن أبي هريرة عن

(١) : [المائدة : ٥٤] .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفات أولئك القوم الذي سيأتي بهم قال تعالى : ﴿... أَذِلَّةٍ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة :
٥٤] .

قال ابن القيم في " مدارج السالكين " (٢٥/٣) . فقد ذكر لهم أربع علامات :

(٢،١) : أذلة على المؤمنين قبل : أرقاءُ رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم . قال عطاء : للمؤمنين
كالولد لوالده ، والعبد لسيدته ، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

(٣) : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد ، واللسان والمال وذلك تحقيق دعوى المحبة .

(٤) : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم . وهذا علامة صحة المحبة .

(٢) : [آل عمران : ٣١] .

(٣) : رقم (٦٥٠٢) .

قال ابن تيمية في " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " ص ٥١ : وهذا لأن أولياء الله هم
الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ،
وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يجب أن يمنع .

وقال الحافظ في " الفتح " (١١/٣٤٢-٣٤٣) : قال : الفاكهاني : في هذا تمديد شديد ، لأن مسن

حاربه الله أهلكه ، وهو من الجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله ومن خالف الله عانده ومن =

النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : يقول الله - عز وجل - : " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته " .

وقد روى هذا المعنى من حديث جماعة من الصحابة^(١) ، وأخرج ابن ماجه^(٢) من رواية موسى بن عبيد عن سعيد المقبري ، عن الأدرع السلمي قال : كان رجل يقرأ قراءة عالية ، فمات بالمدينة فحملوا نعشه فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : " ارفقوا به رفق الله به ، إنه كان يحب الله ورسوله " قال : وحضر حفرة فقال : " أوسعوا له وسع الله عليه " فقال بعض أصحابه : يا رسول الله لقد حزنت عليه ، قال : " أجل ، إنه كان يحب الله ورسوله " .

وفي الصحيحين^(٣) وغيرهما من حديث أنس أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : " ما أعددت لها ؟ " قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ، فقال : رسول الله

= عانده أهلكه . وقال الطوفي : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى ، تولى الله الله بالحفظ والنصرة .

(١) : انظرها في " مجمع الزوائد " للهيتمي (٢/٢٤٧-٢٤٨) .

(٢) : في " السنن " رقم (١٥٥٩) .

قال البوصيري في " مصباح الزجاجة " (١/٢٧٦ رقم ٥٦٤) : " ليس لأدرع السلمي هذا عند ابن ماجه سوى هذا الحديث ، وليس له شيء في الخمسة الأصول ، وإسناده حديثه ضعيف ، لضعف موسى بن عبيدة الربذي ... " . وهو حديث ضعيف .

(٣) : البخاري في صحيحه رقم (٦١٧١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٣٩/١٦٤) .

- صلى الله عليه وآله وسلم - : " فأنت مع من أحببت " .

وفي رواية للبخاري^(١) قلنا : ونحن كذلك ، قال : نعم ، ففرحنا. يومئذٍ بذلك فرحاً شديداً ، وفي رواية لمسلم^(٢) ، قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قوله : "أنت مع من أحببت" .

وأخرج البزار^(٣) في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه

(١) : في صحيحه رقم (٦١٦٧) .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٦٣٩/١٦٣) .

(٣) : في مسنده (١/٨٥ رقم ١٤٠ - كشف) .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٢٠/١) وقال : رواه الطبراني في " الأوسط " والبزار ، وفيه عبد الله ابن عبد القدوس ، وثقه البخاري وابن حبان وضعفه ابن معين .

وقد ذكر ابن القيم في " مدارج السالكين " (٣/٢٠-٢١) الأسباب الجالبة للمحبة وهي عشرة : أحدها : قراءة القرآن ، بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به ، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرعه ليتفهم مراد صاحبه منه .

الثاني : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة .

الثالث : دوام ذكره على كل حال . باللسان والقلب ، والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة ، على قدر نصيبه من هذا الذكر .

الرابع : إثارة محابه على محابك عند غلبان الهوى ، والتسليم إلى محابه وإن صعب المرتقى .

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ، ومشاهدتها ومعرفتها ، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديه ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

السادس : مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ، ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته .

السابع : انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى .

الثامن : الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

التاسع : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطياب الثمر ، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام . وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك . =

وآله وسلم - قال : " إني لأعرفُ ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطُهم الأنبياءُ والشهداء بمتزلتِهم عند الله يوم القيامة ، الذين يحبُّون الله ويحبُّونه إلى خلقه يأمرُونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبَّهم الله " .

= العاشر : مبادئ كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عز وجل .
فمن هذه الأسباب العشرة : وصل المحبُّون إلى منازل المحبة . ودخلوا على الحبيب وملاك ذلك كله
أمران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة .

بَحْث

فِي

حَدِيث

(إِنْ أَلَّهِ خَلَقَ آدَمَ عَلَي صُورَتِهِ)

تَأَلِيف

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الشُّوْكَانِيِّ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ

مُحَمَّدُ صَبْحِيِّ بْنُ حَسَنِ حَلَّاقٍ

أَبُو مَصْعَبٍ

وصف المخطوط (أ)

- ١- عنوان الرسالة : " بحث في حديث أن الله خلق آدم على صورته " .
- ٢- موضوع الرسالة : في العقيدة .
- ٣- أول الرسالة : الحمد لله وحده ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله ، وبعد .. فإنه سألني الأخ القاضي العلامة الحسين بن يحيى السحولي ، وكثر الله فوائده عن معنى قوله ﷺ : إن الله خلق آدم على صورته " ...
- ٤- آخر الرسالة : ... والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على نبيه وآله خير نبي آل حرره المجيب محمد بن علي الشوكاني في شهر القعدة سنة ١٢٠٧ .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي جيد .
- ٦- الناسخ : محمد بن علي الشوكاني .
- ٧- عدد الصفحات : ٤ صفحات الأولى : ٣٣ سطراً .
الثانية : ٣١ سطراً .
الثالثة : ٢٧ سطراً .
الرابعة : ٢٥ سطراً .
- ٨- عدد الكلمات في السطر : ١٧ كلمة تقريباً .
- ٩- الرسالة من المجلد الثالث من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

[9]

بأنه لم يخلق آدم على صورته بل خلقه على صورته

المخلوق وحده وصلاته وسلامه على سائر ما هو منه والله وليه فانه ما خلق الا على صورته
 ولا يخلق الا على صورته ان الله خلق آدم على صورته وعن المروي انه سال ابا عبد الله عليه السلام
 الاضراس في بعض السموات يوم القيمة فقال ليس السمانه والا بهام ويحيى صلواتم وعن قول
 قد اصلق الناس في هذه الاحاديث وامتثالها من احاديث الصفات وكذلك
 الالوات الواردة هذه المورده ذهب قوم الى انه لا صلواتها فالتحريك الايمان
 بها والاعتقاد بها لما يلقى بحلال الله مع اعتقادنا الحازم بان السطر خلال
 السورى عن كملته وانه معززه عن التخصيص وكجوه وهذا مذهب السلف في حكاية
 بوجوه الاوران المتناول اما ان يقطع على ان الكثرة بما ولا واحد او لا
 الاو لا ممنوع لانه لا طريق الى العلم الا بالان الاولى والاخرى من العلم الراجح
 لو اصبحت ما وجد واسملا الى ثا وثلثان غير ما وقع لهذا المتناول وهو
 ناظر لان غايه الامر ان يطلب العلم على عدم الوجود
 في الواقع والى الثاني يلزم منه ان المتناول لا يمكن ان يكون العاقل الذي هو
 مطبقا معاظرا لما وقع له حقا والذي وقع له لا يخلو ان خبر عن الله او عن
 رسوله ما بينهما اراد اهدى العاقل بل يعنى ذلك لان ذلك مما لا يؤمن به
 وهو يوجب عملا وتسرعا الوصف العاقل انه قد ظهر للمتا ول معان كثره محتمل
 والانه والى ذلك مع كونها مع ذلك منع من القطع بجميعها لان العلم
 من منع من كون الجمع مراد والاقول بحوث ذلك العاقل كقولهم لان العلم
 لا يعلم فان هذه الاله بوصف بحول العمل بالظن والتوهم ولا يجوز الا بتدليل
 دليل الا في العمل بالظن والحقائق دون القطعيات والحقائق والحقائق
 حوله من الرابع ان السطر عليه فعلا كحضر ولم يعرف وجهه وقف ولم
 ياول وما سعه وسعدا لان شرع من قبلنا محج اذا حكاها الله لنا الى مس
 ان الله لم يوصف ذلك علينا ولا رسوله صلواتم والمتناول اما من الراى او من الحاضر
 خلاف السالكه فانه امن بالاجماع واما قول المتكلم انه لا يجوز على الله والا على
 رسوله ان يخاطب الاله بما لا يقبله والحوار عنه ان الخطاب نوعان احدهما ما يطلب
 علم او فهم عن علم وهذا الانزاع وانه لا بد ان ينصب الخطاب اماره تدل
 على موازاة النوع العاقل ما ليس يتم طلب من المكلفين ولا ينهى فلا تدل على انه
 يجب ان يظهر منه المواد لجميع المكلفين فانه قد يكون لله حكمه وطوره وللعض دون

وهو مذهب
 الصدر
 الاو لا
 من ايم
 الاو لا
 على ذلك
 عنهم
 واحد
 ع

[صورة الصفة الأولى من المخطوط [9]]

هذا تمام ما في الورقة التي
بعد هذه

قال العلامة حارث بن كشافه معنى يوم يكشف عن ساق يوم شديد الامر وثقافتهم
والاكشف ثم والاساق كما يقول للاطبع الشيء يوم معلوله ولا بد من ولا بد
وانما هو مثل في الخلق واما من شئت فليصف عطنه وقلم ظهره في علم البيان
والدعوة منه حسب ابن مسعود فكشف الرحمن عن ساقه لم قال ومعاذ
سنة امر الرحمن وسفاحه هولاء وهو النوع الاكبر يوم القيمة لم كان مرصق
الساق ان يحرف في علم ما ذهب اليه المشتبه لانها تساق كخصو صم
معهوده عندك وهي ساق الرحمن تعالى عن ذلك لم زوى الفوارق التنبيه
عن معانيك والاطال الكلام واجاب ولكن الحديث الذي عمراه الى ابن مسعود
هو في كتب الحديث المعتمدة من حديث ابن مسعود الحديث واما حديث
ان النبي يضح قديمه في صومع فقد اختلف فيه المولان فمنهم من قال المراد اذا لا يضح
و انما اذا بلغت والطغيان اذ لها الله ومعه عن موضع قديمه كما قال وضعه
لحت قديمه اي اذله والعرب يعمل الفاظ الاعضاء في ضرب الامثال والبريد
اغنيا بها كقولهم زعم الفضة وسوط في يوم وفيل المراد بالقدم الفطر الساق
اي ما قدمه لها من اهل العذاب ~~وهو~~ وفيل هو كانه عن اهل النار
الذين يدمهم الله لها وهم شر خلق كما ان المؤمن من قدمه الله من دمهم
الى الجنة ولكنه شرط على ذلك ما وقع في روايه فهو يضح رجله والحوات انه
يخرف ~~وهو~~ كما قال بعض الحفاظ وذلك ان الراوى ظن ان المراد بالقدم
الرجل فحبر عنه بذلك وفيل المراد بالرجل الجماعه كما يقال رجل من حراج
وهو هذا المقدار التقايم وان كان المقام تصحيح الميسر بطولها لاسيما اذا
اردنا استيفاء التأويل ولكن ما كنت وان قل حيزر مما ظالم وامل
والحمد لله على كل حال والصلاه والسلام على نبيه واله خير من
حراه المحض محمد بن علي الشوكاني وسمي العبد ~~صلى~~

صورة الصفحة الاخرى من المخطوط [9]

وصف المخطوط (ب)

- ١- عنوان الرسالة : " سؤال عن حديث أن الله خلق آدم على صورته ، ... "
- ٢- موضوع الرسالة : في العقيدة .
- ٣- أول الرسالة : سؤال عن حديث إن الله خلق آدم على صورته ، وعن ما روي عن قبض السماوات والأرض يوم القيامة بين السبابة والإهمام ، فضحك ﷺ وعن تفسير النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق "
- ٤- آخر الرسالة : ... والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على نبيه وآله خير نبي آل .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي جيد .
- ٦- عدد الصفحات : ٨ صفحات :
- الأولى : ٦ سطراً .
- الثانية - السابعة : ٢٤ سطراً .
- الثامنة : ٣ أسطر .
- ٧- عدد الكلمات في السطر : ١٢-١٤ كلمة .
- ٨- حصلت على المخطوطة " ب " من الأخ الفاضل / عادل حسين أمين / الذي أحضرها من الهند أثناء دراسته هناك جزاه الله خيراً .

سؤال عن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن ماروي عن
قبض السموات والارض يوم القيامة بين السبابه والابهام فضعف
صلى الله عليه وسلم وعن تغير النبي صلى الله عليه وسلم يوم يكشف عن
ساقه انه عن سابقه وعن قول صلى الله عليه وسلم ان جهنم تقول يوم
القيامة هل من مزيد فيضع الله قدمه فنقول قسطا هذا هدى
حجاز وحققت فقال رضي الله عنه أقول

إلى الصفحة الأولى من صورة المخطوط (١٥)

ورمثل تلك الجهال
 ما من اليهودي لغير
 بك صير لان المراد
 بالحقيقة الا صيغ
 التغير والبيان
 فالوا هو من باب
 في الهمزة وذلك مستوفى
 مورد او واحد اذ الكلام
 بث يكشف سنا
 من قول تعالى يوم
 اعلى الكشف وقد
 من شدة الامر ولعل
 شدة الامر وصعوبة
 وتشمير الخدرا
 روى الخاتم

مثل في البخل والامان شبيهه فلصيق عطشه وقلة نظره
 في علم البيان والذي عثره منه حديث ان مسعود يكشف
 الرجل عن ساقه ثم قال ومعناه يشهد الامم الرحمن
 يرتفع اقم اهلوه وهو النزع الاكبر يوم القيامة ثم كان
 من حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها
 ساق مخصوصه بمروده عنده وهي ساق الرحمن تعالى عن
 ذلك ثم روى القول بالتشبيه عن قتادة واصل الكلام وان كان
 ولكن الحديث الذي عن الالبان فسعود هو في كتب الحديث
 المعتمد من حديث ابي سعيد الخدري واما حديث ان الله
 يضع قدمه في جهنم فقد اختلف فيه المرويون منهم من قال
 ان المراد اذلال جهنم وانما اذبالغت في الطغيان اذ لها اسم
 فعبر عنه بوجه قد ~~منه~~ كما يقال وضع تحت قدمي اذله
 والعرب تتعمل الفاها الاغصا في الضرب الامثال والتركيب
 اعميانا كقولهم رغم انفة وسقط في يده وقيل المراد بالقدم
 الفوه السابق اليه ما قدم لها من اهل العذاب وقيل هو
 كناية عن اهل النار الذين قدمهم الله تعالى لها وهم شرار
 خلقه كما ان المؤمنين قدمه الذين قدمهم الى الجنة ولكنه
 يشكك على ذلك ما وقع في رواية انه يضع رجله والجواب
 انه تحريف كما قال بعض الخفاة وذلك ان الراوي ظن ان المراد
 بالقدم الرجل فعبر عنه بذلك وقيل المراد بالرجل الجماعة
 كما يقال رجل من جراد وفي هذي المقدر كقاييم وان كان المقام

المتناس

مثل

في الصفة ما قبل الاقربة من صورة المحفوظ

يحتاج إلى بسط طويل لاسيما إذا اردنا استيعاب التأويل
ولكن ما كنا وان قل خير مما طالع وأجل والمحمدية على كل حال
والصلاة والسلام على نبيه وآله خير ال

{ الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط (ب) }

* بين يدي الرسالة رقم (٧) *

• أهمية العلم بصفات الله وإثباتها له تعالى :

- (١) : أن الله سبحانه عرف نفسه إلى عباده بهذه الصفات ، فالعلم بها ، وإثباتها له على الوجه اللائق به مع تنزيهه عن كل نقيصة ، هو الطريق إلى معرفة الله تعالى ، لأن معرفته جلّ وعلا بحقيقة كنهه غير ممكنة ، وإنما يعرف بما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ، وما نفاه عن نفسه من العيوب والنقائص .
- (٢) : أن العلم بالصفات وإثباتها لله تعالى هو من توحيد الله عزّ وجلّ الذي يعتبر من أشرف العلوم ، ويعادل ثلث القرآن .

وهو ما أشار إليه الحافظ في الفتح (٦١/٩) في شرح حديث أبي سعيد الخدري في أنّ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن - أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠١٣) و (٥٠١٤) ورقم (٥٠١٥) . نقلاً عن بعض العلماء : " تضمنت هذه السورة توجيه الاعتقاد ، وصدق المعرفة ، وما يجب إثباته لله من الأحديّة المنافية لمطلق الشركة ، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى ، ونفي الكفاء المتضمن لنفي الشبيه والنظير ، وهذه مجامع التوحيد الاعتقادي . ولذلك عبادت ثلث القرآن ، لأن القرآن خير وإنشاء ، والإنشاء أمر ونهي وإباحة ، والخير خبر عن الخالق ، وخير عن خلقه ، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله ، وخلصت قارئها من الشرك الاعتقادي .

وانظر بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٨٤) .

• قواعد إثبات صفات الله تعالى :

(القاعدة الأولى) : إثبات صفات الله تعالى توقيفي - فلا يجوز وصفه إلا بما دلّ عليه الكتاب ، والسنة الصحيحة الثابتة أو أجمع عليه .

وقال الإمام أحمد بن حنبل " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصف به رسول ، لا يتجاوز القرآن والحديث " .

الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ص ٦١) . وفتح الباري (٣٥٧/١٣) .

• ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه :

(الأولى) : التصريح بالصفة ، كالعزة والقوة ، والرحمة .

(الثاني) : تضمّن الاسم لها ، مثل الغفور متضمن للمغفرة والسميع متضمن للسمع .

(الثالث) : التصريح بفعل أو وصف دال عليها ، كالاستواء على العرش والمجى

للفصل بين العباد والتزول إلى السماء . قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى

الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ

وَأَمْلَأَ صَفَاتًا صَفَاتًا ﴾ [الفجر : ٢٢] .

انظر : " الفتوى الحموية " لابن تيمية (ص ٦١) .

" بدائع الفوائد " (١٨٣/١) ، فتح الباري (٣٥٧/١٣) .

(القاعدة الثانية) : ليس كل ما أضيف إلى الله يكون صفة له ، بل الألفاظ المضافة

إلى الله على مراتب - .

فالإضافة على مراتب ثلاثة : " إضافة إيجاد وإضافة تشريف وإضافة صفة " فهذه

قاعدة مهمة في التمييز بين ما أضيف إلى الله إضافة صفة ، وما أضافه إليه إضافة خلق

وإيجاد ، أو تخصيص وتشريف ، فكل ما أضيف إلى الله مما هو غير بائن عنه فهو صفة له

غير مخلوقة . وكل شيء أضيف إلى الله مما هو بائن عنه فهو مخلوق ، فليس كل ما أضيف

إلى الله يستلزم أن يكون صفة له ، وقد أشار إلى هذه القاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية

في " مجموع فتاوى " (٢٩٠/٩-٢٩١) .

(القاعدة الثالثة) : ذات الباري لا تشبه الذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات وهذه منترعة دلالتها من النصوص قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

انظر : تفصيل ذلك في التدمرية (ص ٤٤-٤٥) ، والحجة في بيان المحجة ، لأبي القاسم الأصهباني (١٧٥/١) .

(القاعدة الرابعة) : تنزيه الله تعالى عما لا يليق به .

قال الحافظ في الفتح (٢٠٦/١١-٢٠٧) - تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله من كل نقص وتقديس صفاته من النقائص . قال : " فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد ، وجميع الرذائل ... لذلك جاء في القرآن بعبارات مختلفة نحو سبحان ، سبح بلفظ الماضي ويسبح بلفظ المضارع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله وحده ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله ، وبعدُ :

فإنه سألتني الأخ القاضي العلامة الحسين بن يحيى السحولي - وكثر الله فوائده - عن معنى قوله - ﷺ - : " إن الله خلق آدم على صورته " ^(١) وعن المروى أنه سأل النبي - ﷺ - بعض الأخبار عن قبض ^(٢) السماوات يوم القيامة فقلل : " بين السبابة والإبام فضحك - ﷺ - ، وعن قوله ^(٣) - ﷺ - في تفسير قول الله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ^(٤) أنه يكشف الله عن ساقه ، وعن قوله - ﷺ - : " إن جهنم تقول يوم القيامة : ﴿ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾ ^(٥) فيضع الله قدمه فتقول : " قَطُّ قَطُّ " ^(٦) . قال - حفظه الله - : فهل تكون هذه الأخبار مجازاً ، أو إن ذلك حقيقة ؟ [^(٧)] .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٢٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨١١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٨٦) عن ابن مسعود قال : جاء خبرٌ من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد : أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواحيه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٤٣٩) ورقم (٤٩١٩) مختصراً ومطولاً . ومسلم في صحيحه (٣/٢٥ - ٣٤ - شرح النووي) كتاب الإيمان .

(٤) : [القلم : ٤٢] .

(٥) : [ق : ٣٠] .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٤٨) من حديث أنس ﷺ .

(٧) : زيادة من [أ] .

[سؤال عن حديث إن الله خلق آدم^(١) على صورته ، وعن ما روي عن^(٢) قبض السماوات والأرض يوم القيامة بين السبابة والإبھام ، فضحك - ﷺ - ، وعن تفسير النبي - ﷺ^(٣) - ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾^(٤) أنه عن ساقه ، وعن قوله - ﷺ^(٥) - : إن جهنم تقول يوم القيامة : ﴿ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾^(٦) فيضع^(٧) الله قدمه فتقول : قط قط . هل هذا مجازاً أو حقيقة ؟ فقال ﷺ]^(٨) .

أقول : قد اختلف الناس في هذه الأحاديث وأمثالها من أحاديث الصفات ، وكذلك الآيات الواردة هذا المورد . فذهب قوم إلى أنه لا يتكلم في معناها بل يجب الإيمان بها ، والاعتقاد بما يليق بجلال الله مع اعتقادنا الجازم بأن الله - جل جلاله - ليس كمثل شئ ، وأنه منزّه عن التجسيم ونحوه ، وهذا مذهب السلف . حكاه النووي^(٩) عن معظمهم ، و [واختاره]^(١٠) جماعة من محققي المتكلمين ، وهو مذهب الصدر الأول من أئمة الآل ، كما حكى ذلك عنهم غير واحد .

قال النووي^(١١) : وغيره وهو أسلم ، واحتجوا بوجوه :

الأول : [على]^(١٢) أن المتأول إمّا أن يقطع على أن للمتشابه تأويلاً واحداً أولاً .

(١) : سبق ذكره (ص ٤٣٩) .

(٢) : سبق ذكره (ص ٤٣٩) .

(٣) : سبق ذكره (٤٣٩) .

(٤) : [القلم : ٤٢] .

(٥) : [ق : ٣٠] .

(٦) : سبق ذكره (٤٣٩) .

(٧) : زيادة من [ب] .

(٨) : انظر " فتح الباري " (٤٥٨/١٣) و (٣٨٣/١٣) .

(٩) : في [أ] : إخباره .

(١٠) : انظر " الفتوى الحموية " (ص ٧٠) . ودرء تعارض العقل والنقل (١/٢٠١-٢٠٥) .

(١١) : زيادة من [ب] .

الأول : ممنوعٌ لأنه لا طريق إلى العلم إلاَّ بأنَّ الأولينَ والآخريْنَ من العلماءِ الراسخينَ لو اجتمعوا ما وجدوا سبيلاً إلى تأويلِ ثانٍ غيرِ ما وقع لهذا المتأولِ وهو باطل ، لأن غاية الأمر أنه طلب [فلم]^(١) يجد ، وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود في الواقع .

والثاني : يلزم منه أن المتأولَ لا يأمن أن يكون التأويلُ الذي جوَّزه مغايراً لما وقع له حقاً والذي وقع له باطلاً ، فلا يحلُّ له أن يُخبرَ عن الله ، أو عن رسوله بأنَّهما أرادا هذا التأويلَ بعينه دون غيره ، لأن ذلك مما لا يُؤمنُ كذِبُهُ ، وهو قبيحٌ عقلاً وشرعاً .

الوجه الثاني : أنه قد يظهر للمتأولِ معانٍ كثيرٌ محتملةٌ في الآية والحديث مع تجويزِ غيرها ، وذلك يمنع من القطع بجميعةِها لأن من العلماء من يمنع من كون الجميع مراداً ، والأقلُّ يجوزُ ذلك .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ فإن هذه الآية توجب تحريمَ العملِ بالظنِّ والقولِ به ، فلا يجوزُ إلاَّ بدليلٍ ، ولم يأت دليلٌ إلاَّ في العملِ بالظنياتِ العملياتِ دون القطعياتِ العلمياتِ .

الرابع : إن موسى لما أشكل عليه فعلُ الخضيرِ لم يعرف وجهه وقف ولم يؤوِّله ، ومل سعه وسعنا ، لأن شرعَ من قبلنا حجةٌ إذا حكاها الله لنا .

الخامس : إن الله لم يوجب ذلك علينا ولا رسوله - ﷺ - . فالتأولُ إما من الراسخين أو من الخاسرين [أ] بخلاف الساكتِ فإنه آمنٌ بالإجماع . وأما قولُ المتكلمين أنه لا يجوز على الله ، ولا على رسوله أن يخاطبَ الأمةَ بما [لا يفهم]^(٢) . فالجواب عنه أن الخطاب نوعان :

أحدهما : ما فيه طلبُ عملٍ ، أو نهيٌ عن عملٍ ، وهذا لا نزاعَ في أنه لا بد أن ينصبَ المخاطبُ إمارةً تدلُّ على مراده .

(١) : في [ب] (ولم) .

(٢) : في [ب] لا تفهمه .

النوع الثاني : ما ليس فيه طلبٌ من المكلفين ، ولا نهيٌ فلا دليلٌ على أنه يجبُ أن يظهر فيه المراد لجميع المكلفين ، فإنه قد تكون لله حكمةٌ في ظهوره للبعض دون [١] البعض ، وهذا جائز عقلاً ونقلاً [و] ^(١) وفاقاً ، فإنه معلومٌ بالضرورة أن جميع المكلفين لا يعلمون التأويلَ . وإنما اختلفَ في الراسخين ، ومتى جاز ذلك جاز أن يكون العارفُ بذلك هو رسول الله - ﷺ - ومن شاء الله أن يُطلعهُ عليه من الملائكة ، ومن أحبَّ أن يُطلعهُ رسوله عليه من المسلمين ، لأنه إنما يجب عليه إشاعةُ الأحكام الشرعيةِ دون الأسرارِ الربانية . وقد صح أن الله خصَّ الخضرَ بما لا يعلمه موسى ، فكيف لا يصحُّ أن يخصَّ رسوله - ﷺ - بما لا نعرفه ! . وهذه الأدلة باعتبار مجموع المتشابه من الكتاب والسنة ويختصُّ المنع من الكلام في متشابه الكتاب بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ^(٢) ﴾ [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴿ ^(٣)] وقد أجمع القراء على الوقف هنا . وكاد أن يجمع على أن المتشابه لا يعلمه إلا الله السلف الصالح ، والقول بعطف الراسخين على الله محتملٌ ، فلا يجوز التمسك به . وقد قطع جماعةٌ ممن المحققين بأن العطف فاسدٌ لفظاً ومعنىً . بل المراد أن الراسخين ليس لهم إلا أن يقولوا آمنا به وقد أخرج جماعةٌ من أئمة الحديث عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال : " من قال [ب] في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " ^(٤) وحسنه [الترمذي ^(٥)] ^(١) . وأخرجوا أيضاً عن جنذب أن رسول الله - ﷺ - قال : " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " ^(٦) .

(١) : زيادة من [أ] .

(٢) : [آل عمران : ٧] .

(٣) : زيادة من [ب] .

(٤) : أخرجه الترمذي في " السنن " رقم (٢٩٥٠) من حديث ابن عباس .

(٥) : في " السنن " (١٩٩/٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح . بل هو حديث ضعيف .

(٦) : أخرجه الترمذي في " السنن " رقم (٢٩٥١) وقال : حسن صحيح . بل هو حديث ضعيف ..

هذه بعض حجج القائلين بالوقف عند متشابهات القرآن والسنة . ولهم حجج كثيرة لا تفي بسطها إلا كراريس ، وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية .

القول الثاني : قول من قرر الظواهر واعتقدَها ، ولم يتأول ولا يتوقف ، وهم

طائفتان :

إحداهما : لم تعرف علم الكلام ، والخوض في العقليات على ما ينبغي كجماعة من المحدثين فقالوا : التحوُّز لا يحسنُ إلا مع معرفة المخاطبين للقرائن الدالة على التحوُّز .

والأخرى خرج إلى جنس التعمية والإضلال . قالوا: والعرب كانوا لا يعرفون الأدلة الموجبة لتأويل هذه الأحاديث والآيات . وقد ردَّ ذلك [عليهم] ^(١) المتكلمون بأنها معارف عقلية لا تحتاج إلى تعليم من النبي - ﷺ - ، ومن ترك النظر فيها فتقصيره هو الجاني عليه ، [وأنتم] ^(٢) الجانون على أنفسكم بهجر علم المعقول ، ولو عرفتموه لم تذهبوا إلى هذا المذهب المستلزم لما لا يجوز على الله . والشارع إنما يجب عليه تعليم الشرعيات فقط .

والطائفة الثانية منهم خاضوا في العقليات ، ولكنهم يذهبون إلى القدح في كثير منها كدليل الأكوان ، وقد جوَّد الرازي ^(٣) الردَّ عليهم في كتبه ^(٤) .

القول الثالث : قول الشيعة كافةً ، والمعتزلة ، ومعظم الأشعرية الجبرية والاختيارية إن ما ورد من المتشابهات في الصفات يُؤوَّل على ما يلائم الأدلة القاطعة [أ٢] والآيات المحكمة ، ولهم على ذلك أدلة طويلة مبسوطة في مواطنها ^(٥) لا يليق سردُها

(١) : زيادة من [أ] .

(٢) : في [ب] (فأنتم) .

(٣) : تقدمت ترجمته (ص ٢٦٨) .

(٤) : انظر " شرح أسماء الله الحسنى " للرازي (ص ٣٧-٥٠) .

(٥) : انظر " المعتزلة " (ص ٨٤-٨٦) ، " المنقذ من الضلال " للغزالي (ص ١٠٧) . و " الأسماء والصفات " لابن تيمية (٢/٤٩٣-٥٠٢) .

في هذا الجواب . وقد أولوا ما سأل عنه السائل - كثر الله فوائده - وأكثرُوا من وجوه التأويل في كتبهم .

أما حديث : " إن الله خلق آدمَ على صورته " (١) فله تأويلاتٌ عدَّةٌ مبسوطةٌ في شروح (٢) الحديث وغيرها . منها أن الضميرَ في قوله صورته [٢] راجعٌ إلى آدم (٣) ، وهذا

(١) : تقدم تحريجه في السؤال (ص ٤٣٩) .

(٢) : انظر : " فتح الباري " (٣/١١) .

(٣) : وقيل : المراد الردُّ على الدهرية أنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك . فبيّن أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة .

● وقيل : المراد الرد على الطبايعين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره .

● وقيل : للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق نفسه .

● وقيل إن لهذا الحديث سببا حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذي ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ

عن ذلك وقال له - الحديث رقم (٢٥٥٩) - عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : " إذا قاتل

أحدكم فليجتنب الوجه " .

وقد ذكر الحافظ أن مسلم ذكره في صحيحه - رقم (٢٦١٢/١١٥) - وزاد : فإن الله خلق آدم

على صورته " وقال الحافظ في " الفتح " (١٨٣/٥) : واختلف في الضمير على من يعود ؟ .

● فالأكثر على أنه يعود على المضروب ، لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم

يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها . وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيارة ، ثم قال : وعلى

تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى .

● قلت - الحافظ في " الفتح " (١٨٣/٥) : الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في " السنة " - رقم

(٥١٧) . - والطبراني - في " الكبير " (٤٣٠/١٣) - من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقاته

وأخرجها ابن أبي عاصم - في " السنة " رقم (٥٢١) من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد

التأويل الأول - أن الضمير في قوله : " على صورته " يعود على المضروب - قال : من قاتل

فليجتنب الوجه ، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن " .

● قال القرطبي : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكاً بما ورد في بعض طرقه : " إن الله خلق آدم

على صورة الرحمن " .

هو الظاهرُ ، لأنَّ أقربَ اللفظين هو المرجعُ في الغالبِ ، ويتعين المصيرُ إليه عن الاشتباه ، ولا سيما إذا استلزمَ الإرجاعُ [الضمير] ^(١) إلى البعيدِ لازماً فاسداً . وهذا لا ينبغي أن يُعدَّ تأويلاً بل هو الظاهرُ . والمراد أن الله - جل جلاله - أخبرَ عباده على لسان نبيه أنه خلق آدمَ على الصورة التي رأوه عليها بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ ، كما هو الغالب في الخلقِ ، فإنهم يزيدون في أوائل العمرِ ، وينقصون في أواخره .

وأما ما روي من أنه خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمن ^(٢) ، فالمراد ^(٣) أنه خلقَ آدمَ على

(١) : زيادة من [ب] .

(٢) : أخرجه ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٥١٧) بإسناد ضعيف ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيء الحفظ .

ولكن الحافظ ابن حجر والإمام أحمد وإسحاق ابن راهويه صححوا هذه الرواية وضعفها ابن خزيمة والمازري والقرطبي والمحدث الألباني .

- أخرج ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٥١٨) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تقبِّحوا الوجوه فإن الله عز وجل خلق آدمَ على صورته " . وهو حديث صحيح .
- وأخرج ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٥١٩) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ولا وجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدمَ على صورته " . وإسناده حسن .

(٣) : على ما تقدم نقول : بيان أن إعادة الضمير في حديث " خلق الله آدمَ على صورته " على غير الله هو قول الجهمية كما قال الإمام أحمد وفي ذلك ردُّ على جميع التأويلات التي ذكرها الحافظ من أقوال الذين جعلوا الضمير عائداً على آدم ، أو على المضروب أو على المقول له فإن هذه الأقوال مخالفة لما ذهب إليه جمهور السلف من أن الضمير فيه عائذ على الله عز وجل .

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله في " نقض التأسيس " (٢٠٢/٣) - وما بعدها " لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في هذا الحديث عائذ إلى الله تعالى ، فإنه مستفيض من طرق متعددة ، عن عدده من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ... إلى أن قال : " ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة ، جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم ، كأبي ثور ، وابن خزيمة ، =

صورة صورها الرحمن فيكون معناه صحيحاً .

وأما ضحكُهُ^(١) - ﷺ - من قول اليهودي فقد تكلم منه شُرَّاحُ الحديث كلاماً طويلاً، من جملة ذلك أن النبيَّ - ﷺ - إنما ضحك^(٢) لمقاتله السخيفة ، لأنه ما قَدَرَ اللهُ حقَّ قَدْرِهِ كما ثبتَ في حديث آخر : أن النبيَّ^(٣) - ﷺ - سمع يهودياً يقول : إن الله خلقَ كذا في يوم كذا ، وكذا في يوم كذا ، ثم استراحَ في يوم كذا ! فقال النبي - ﷺ - :

= وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم ، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة " .

(١) : تقدم تخريجه في السؤال (ص ٤٣٩) .

(٢) : دلالة الحديث أن النبي ﷺ قد أقرَّ اليهودي على ذكر الأصابع وصدقه فانتفى أن يكون تشبيهاً ، كما جاء ذكر الأصابع على لسان رسول الله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو - " أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحدٍ يصرفه حيث يشاء " ثم قال رسول الله ﷺ : " اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " .

- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٥٤/١٧) - فيكون وصف الله تعالى بالأصابع قد ثبتت بالسنة التقريرية والقولية .

● أما " ضحك النبي ﷺ " : قال الحافظ في "الفتح" (٣٩٩/١٣) : زعم الخطابي والقرطبي أن ضحكهُ ﷺ كان إنكاراً أو تعجباً من جهل اليهودي وأن روائي الحديث زاد فيه " تصديقاً له " ظناً منه أن الأمر كذلك وليس كذلك .

وهذا الزعم قد رد عليه الحافظ : أن ذلك الزعم فيه طعناً على ثقات الرواة ، ورداً للأخبار الثابتة وقال : ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الرواي بالظن ، للزم منه تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته عن الإنكار وحاشا لله من ذلك .

ثم ذكر الحافظ كلام ابن خزيمة - في التوحيد (١٧٨/١) : قال : وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور كان سبيل الإنكار ، فقال : " قد أجلَّ اللهُ تعالى نبيه ﷺ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف ضحكاً ، بل لا يوصف النبي ﷺ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته " .

(٣) : فلينظر من أخرجه !؟ .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(١) .

فالظاهر أن ضحكَه - ﷺ - ليس ضحكاً تقريرياً ورضاً ، بل ضحكاً [ب] تعجباً لفظيخ تلك المقالة ، وإنكاراً لصدور مثل تلك الجهالة . ولو سُلمَ [أنه - ﷺ - ضحكاً]^(٢) من كلام اليهوديِّ لغير ذلك ، وكان فيه ما يُشعرُ بالتقرير ، فما في ذلك ضميرٌ ، لأن المُسواد به الكناية عن كمال اقتداره - جل جلاله - لا حقيقة الأصعب^(٣) .

وقد صرَّح بمثل هذا جماعة من أئمة التفسير والبيان في قول الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾^(٤) فقالوا : هو من باب الكناية . وقال آخرون منهم : هو من باب التورية ، وذلك مستوفى في علم البيان . والحديث^(٥) والآية واردانٍ مورداً واحداً . فالكلام في أحدهما كالكلام في الآخر .

(١) : [الزمر : ٦٧] .

(٢) : في [ب] أن ضحكَه ﷺ .

(٣) : تقدم التعليق على ذلك (ص ٤٤٦) .

ونقول لا شك أن الحديث يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى ولكنه إلى جانب إظهار القدرة ،

بيثب صفة الأصعب لله عز وجل إثباتاً حقيقاً لا مجال للتأويل - مع إيماننا أن الله ليس كمثلته شيء - .

(٤) : [المائدة : ٦٤] .

(٥) : قد تواترت في السنة بحجى " اليد " في حديث النبي ﷺ كحديث : " إن الله تعالى يبسط يده بالليل

ليتب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل " . أخرجه مسلم في صحيحه رقم

(٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

وحديث : " إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولان لبيك وسعديك والخير في

يديك " .

● أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

● والمفهوم من هذه النصوص وغيرها من النصوص : " أن الله تعالى يدين ، مختصان ذاتيتان له ، كما يليق بجلاله " . " مجموع فتاوى " لابن تيمية (٣٦٢/٦-٣٦٣) . =

وأما حديث : " يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ " ^(١) فمعناه مثل ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ^(٢) إنما فيه التصريحُ بفاعل الكشف .

وقد صرح جماعةٌ من ^(٣) الأئمة أن الساقَ هنا عبارةٌ عن شدة الأمرِ وبلوغه إلى الغايةِ

• = " وأجمع أهل السنة والجماعة على إثبات اليمين لله تعالى ، فيجب إثباتهما بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وهما يدان حقيقتان لله تعالى تليقان به " .

انظر " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائي (٣/١٢٤ وما بعدها) ، " شرح لمعة الاعتقاد " لابن عثيمين (ص٤٨) .

(١) : تقدم تحريجه في السؤال (ص٤٣٩) .

(٢) : [القلم : ٤٢] .

(٣) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٦/٣٩٤-٣٩٥) : إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تفسيرها .

وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت عن ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد عن أحدٍ من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف بل عنهم من تقرير ذلك وتبينه وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله ، وكذلك فيما يذكرونه أكثرين وذاكرين عنهم شيء كثير .

وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا في مثل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ فروى عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة وإن الله يكشف عن الشدة في الآخرة ، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوه في الصفات ، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين .

واعلم أن ما روى عن ابن عباس وعن غيره من السلف من تفسيره قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ بالشدة والكرب ، ليس من جنس تأويلات المتكلمين الحديثة ، لأن ابن عباس وغيره من السلف يثبتون صفة الساق لله تعالى بالحديث الصحيح الذي دلَّ عليها ، ففسروها بعيدة عن كونها دالة على صفة من صفات الله تعالى .

وقال ابن القيم في " الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة " (١/٢٥٢-٢٥٣) : " والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين ، والإصبع لم يأخذوا من ظاهر القرآن ، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته ، وهو حديث الشفاعة الطويل ، وفيه : " فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدا " =

التي ليس فوقها ، فهو مثلٌ في شدة الأمرِ وصعوبة الخطبِ ، وأصله في الرَّوْعِ والهزيمَةِ ،
وتشميرِ المخدراتِ عن سوقهنَّ كما قال بعضُ العربِ . ويروى لحاتم^(١) :
أخو الحربِ إن عضَّتْ به الحربُ عضَّها وإن شمَّرتْ عن ساقِها الحربُ شمَّرا
وقال ابنُ الرُّقيّاتِ^(٢) :

= ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ مطابق لقوله ﷺ كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة ، جلت عظمتها ، وتعالى شأنها ، أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبه ، قالوا : وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ، فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال : كشفت الشدة عن القوم ، لا كشف عنها كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٠] . وقال : ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا يَهُمُّ مِنْ صُرِّ ﴾ [المؤمنون : ٧٥] . فالعذاب والشدة تشدد ، ولا تزال إلا بدخول الجنة ، وهناك لا يدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة .
ويظهر لك من خلال كلام - ابن تيمية وابن القيم قوة موقف الذين عدوا الآية من آيات الصفات لأمرين :

(١) : ظهور التطابق بين الآية والحديث .

(٢) : ضعف تفسير الآية بالشدة .

● ويقوي هذا القول ما أخرجه الدارمي في " سننه " (٢/٤٢٠-٤٢١ رقم ٢٨٠٣) وابن منده في " كتاب الإيمان " (٢/٧٧٣ رقم ٨١١) بإسناد حسن عن أبي هريرة مرفوعاً نحو حديث أبي سعيد وفيه : " فيكشف لهم عن ساقه ، فيقعون سجوداً ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ﴿١﴾ ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد ثم يقودهم إلى الجنة " .

(١) : انظر ديوان حاتم الطائي (ص ٤٩) .

(٢) : لعبيد بن قيس الرقيات .

ويتضح لك المعنى في البيت الذي قبله حيث يقول :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء ؟

انظر ديوانه (ص ٩٦) .

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ حَذَامِ الْعَقِيلَةِ الْعِذْرَاءُ [٣]

قال العلامة جار الله في كشافه^(١) : [فمعنى]^(٢) يوم يكشفُ عن ساق : يوم يشتدُّ الأمرُ ويتفاقمُ ولا كشفَ [ثمَّ]^(٣) ولا ساقَ كما يقولُ للأقطعِ الشَّحِيحِ : يدهُ مغلولَةٌ ، ولا يدَ [ثمَّ]^(٣) ولا غلَّ ، وإنما هو [أ٣] مَثَلٌ في البخلِ . وأمَّا من شبَّهَ فلفضيقِ عَطْنِهِ ، وقلةِ نظره في علم البيان .

والذي غرَّه منه حديثُ ابن مسعود : " يكشفُ الرحمنُ عن ساقه " ^(٤) ثم قال ومعناه : يشتدُّ أمرُ الرحمن ، وتتفاقمُ أهواله ، وهو الفزعُ الأكبرُ يوم القيامةِ . ثم كان من حقِّ الساقِ أن يُعرِّفَ على ما ذهبَ إليه المشبِّهُ لأنها ساقٌ مخصوصةٌ معهودةٌ عنده ، وهي ساقُ الرحمن - تعالى عن ذلك - . ثم روى القولُ بالتشبيهِ عن مقاتلٍ وأطالَ الكلامَ وأطاب^(٥) . ولكن الحديثُ الذي عزاه إلى ابن مسعودٍ هو في كتب الحديثِ المعتمدةِ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري .

وأما حديثُ : " إن الله يضعُ قدمه في جهنم " ^(٦) . فقد اختلفَ فيه ^(٧) المؤوَّلونَ فمنهم

(١) : (١٩٠/٦-١٩١) .

(٢) : زيادة من [أ] .

(٣) : في [ب] ثمة .

(٤) : تقدم تحريجه (ص ٤٣٩) من حديث أبي سعيد لا من حديث ابن مسعود .

(٥) : انظر كلام ابن القيم السابق .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه : " يقال لجهنم : هل

امتألت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها ، فتقول : قط قط " .

وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٤٨٥٠) من حيث أبي هريرة : " حتى يضع رجله فتقول : قط

قط قط " .

ففي هذين الحديثين وغيرهما بأن القدم والرجل كلاهما عبارة عن شيء واحد صفة ذاتية لله تعالى

حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته .

(٧) : ذكر الحافظ في "الفتح" (٥٩٦/٨) سبعة تأويلات : وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال : =

من قال : [إن]^(١) المراد إذلال جهنم ، وأنها إذا بالغت في الطغيان أذلها الله - تعالى -
فعبّر عنه بوضع قدمه كما يقال : وضعه تحت قدمه أي أذله .

والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ، ولا تريد أعيانها كقولهم : رُغم
أنفه وسقط في يده . وقيل المراد بالقدم الفرط السابق أي ما قدمه لها من أهل العذاب .
وقيل : هو كناية عن أهل النار الذين قدمهم الله تعالى لها ، وهم شرار خلقه . كما إن
المؤمنين قدمه الذين قدمهم إلى الجنة ، ولكنه يشكل على ذلك ما وقع في رواية أنه يضع
رجله . والجواب أنه تحريف كما قال بعض الحفاظ ، وذلك أن الراوي ظن أن المراد
بالقدم الرجل فعبّر عنه بذلك . وقيل : المراد بالرجل الجماعة كما يقال : رجل من
جراد .

(١) : أن المراد بالقدم إذلال النار .

(٢) : أن المراد بما الفرط السابق ، أي يصنع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب .

(٣) : أن المراد قدم المخلوقين ، أو يكون هناك مخلوق اسمه قدم .

(٤) : أن المراد بالقدم الأخير ، لأن القدم آخر الأعضاء ، فيكون المعنى . حتى يضع الله في النار آخر
أهلها فيها ، ويكون الضمير للمزيد .

(٥) : أن المعنى : حتى يضع الرب فيها موضعاً من الأمكنة التي عصي الله فيها فتمتلي ، لأن العرب
تطلق القدم على الموضع .

(٦) : أن المراد بالقدم قدم صدق زهو محمد ، والإشارة بذلك إلى شفاعته .

(٧) : أن المراد قدم إبليس ، وهذا الذي قال فيه الحافظ : إنه من التأويل البعيد .

وكما يظهر لك من هذه التأويلات التي ذكرها الحافظ دون تعليق إنما حشو وليته لم يذكرها فمثل
هذه لا تذكر إلا لتبطل وترتف لا لتقرر ويعتمد عليها .

وانظر " التعليق على فتح الباري " للدرويش (ص ١٨) .

● قال الحافظ في "الفتح" (٥٩٦/٨) : فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جلست ولا
يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله سبحانه وتعالى .

(١) : زيادة من [ب] .

وفي هذا المقدار كفايةً ، وإن كان المقامُ [ب٣] يحتاجُ إلى بسطٍ طويلٍ ، لا سيما إذا أردنا استيفاءَ التأويلِ ، ولكن ما كفى وإن قلَّ خيرٌ مما طال وأقلُّ . والحمدُ لله على كل حال ، والصلاة والسلام على نبيه وآله خير نبي آلٍ . [حرره المحيب محمد بن علي الشوكاني في شهر القعدة سنة ١٢٠٧]^(١) .

(١) : زيادة من [أ] .

بَحْث
فِي
وَجُودِ الْجَنِّ

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقيقه وعلق عليه وخرج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

- ١- عنوان الرسالة : " بحث في وجود الجن " .
- ٢- موضوع الرسالة : في العقيدة .
- ٣- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم أحمدك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلي وأسلم على رسولك وآله ورضي الله عن صحبه .
وبعد : فإنه كثيراً ما يفتح البحث بين أهل العلم في وجود الجن والباعث
- ٤- آخر الرسالة : بل راقم هذه الأحرف غفر الله له قد سمع كلامهم غير مرة ، وطال بينه وبينهم الخطاب ، وبعضهم أخذ يدي وقبّلها ، وكانت كفه كأكبر مل يكون من أيدي الإنس مع قصرٍ في أصابعها . والحمد لله أولاً وآخراً . كتبه محمد ابن علي الشوكاني غفر الله لهما .
- ٥- نوع الخط : خط نسخي معتاد .
- ٦- الناسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .
- ٧- عدد الصفحات : (٥) صفحات .
- ٨- عدد الأسطر في الصفحة : ١١-١٢ كلمة .
- ٩- الرسالة من المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .



انت كما ثبتت على نفسك واصلي واسلم على رسوك والحمد لله
 ورضي الله عن جميع رعيه فانك تقرأ ما يقع البحث بين الظاهر والباطن
 في وجود الجن والباعث على ذلك من بعض العقول والنفوس وتحت
 من العجوه وعلما هذه البراير الموجودين بعد مصفى السنه
 لان من علم الكتاب والسنة ومن اهل الدين المنين وكذلك
 بعض الفاضل في هذه المسئلة في حرم في مقام
 المباحثه بعدم وجودها كما تقدمت في بين المتناظرين
 من النقص والمعارضه واعلم انه لم يتقدم الى انكار ذلك
 حتى مقال مروره عن طاعه من الفلاسفة وجمهوره وانما
 رهولا لا يفتخرون في هذا المعام فانهم لا يتكلمون بشئ
 من الحجج القرآنيه والاحاديث النبويه ولا يفتخرون
 الاسلام ولكننا نكلمها هنا مع بعض العالمين بذلك
 من المختل فقلنا نقل ذلك جامع عن جمهوره وتقدم اخرون
 عن البعض منهم وهذه الظانف من اهل الاسلام ومن
 الفلكي شرابهم وان خالفوا في بعض المسائل الاصوليه
 فليكن ذلك منكم كليات الدين والادب فاعلم وجمهوره
 عن العلم بغيرها ما يدعيها وينبغي ليهما والنوابه وقصدا
 في انكار من انكر منهم وجود الجن فانه لا يكون الا احد
 رجلين اما ما قاله جهلا منكم الا يعرف محله كتاب الله
 سبحانه بل لا يعرف مع سورة الرحمن وسوره الجن
 بل لا يعرف درود القرآن بالاستعاذه من الشيطان
 وشك

الحمد لله الذي هدانا لهذا
 وهو خير الهدى

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدُكَ لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلِّي وأسلم على رسولك وآله ، ورضي الله عن صحبه ، وبعدُ :

فإنه كثيراً ما يقع البحثُ بين أهل العلم في وجود الجن ، والباعثُ على ذلك هفوة وقعت من بعض علماء هذه الديارِ الموجودينَ بعد مضيِّ ألف سنةٍ من الهجرة . ولم يكن ذلك منه عن اعتقادٍ مطابقٍ لما تكلم به ، لأنه من علماء الكتاب والسنة ، ومن أهل الدين المتين ، ولكنه باحثُهُ بعضُ المقصرين في هذه المسألة فجزم في مقامِ المباحثة بعدم وجودهم كما يقع كثيراً بين المتناظرين من النقص والمعارضة .

واعلم أنه لم يتقدم إلى إنكار ذلك من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وعلماء الإسلام أحدٌ قطُّ ، وإنما هي مقالة مروية عن جماعة من الفلاسفة ، وجمهور الزنادقة ، وهؤلاء لا نتكلم معهم في هذا المقام ، فإنهم لا يتمسكون بشيء من الحجج القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ولا يلتفتون إلى شيء من ذلك . وقد فرغ منهم الشيطان وأخرجهم من زمرة الإسلام ، ولكننا نتكلم هاهنا مع بعض القائلين بذلك من المعتزلة^(١) ، فقد نقل جماعة عن جمهورهم ، ونقله آخرون عن البعض منهم ، وهذه الطائفة من أهل الإسلام ، ومن المتمسكين بشرائعه ، وإن خالفوا في بعض المسائل الأصولية خلافاً تدفعه النصوص القرآنية ، ومتواترُ السنَّة ، فلم يكن ذلك منهم كيداً للدين ، ولا دفعاً في وجه شريعة المسلمين ، بل تمسكوا بشبهةٍ أشبهت عليهم قالوا بها وقصروا عن العلم بغيرها مما يدفعها ويرفعُ لُبْسَها . ولكن الشأن في إنكار من أنكر^(٢) منهم وجودَ الجن^(٣) ، فإنه لا يكون إلا أحدَ رجلين :

(١) : سيأتي التعريف بها (ص ٦٥٦) .

(٢) : انظر الإرشاد (ص ٢٧١-٢٧٢) للحويني .

(٣) : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاوى (٤٦٥/١٧) : " الجن سُموا جنًّا لاجتماعهم ، يجتنون عن

الأبصار ، أي : يستترون ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ [الأنعام : ٧٦] . =

إما معانداً لا يتقيد بالكتاب والسنة ، وهذا لا ينبغي الكلام معه ، وإما جاهلاً جهلاً منكراً لا يعرف معه كتاب الله - سبحانه - بل لا يعرف معه سورة الرحمن ، وسورة الجن ، بل لا يعرف ورود القرآن بالاستعاذة^(١) من الشيطان [أ] ، ومثل هذا وإن كان معذوراً بما هو فيه من الجهل لكنه غير معذور في التكلم بما ليس من شأنه ، وأجهل منه من حكى عنه هذه المقالة المردودة ودونها في كتب العلم ، ونصب له خلافاً في هذه المسألة التي هي معلومة للنساء والصبيان ، فضلاً عن الرجال ، فضلاً عن أهل العلم . وليس بأيدي هؤلاء إلا مجرد الاستبعاد والرجوع إلى تخيلات مختلة ، وعِللٍ معتلة ، مع

= أي استولى عليه فغطاه وستره .

وقال : " والإِنْسُ سُمُوا إِنْسًا لِأَنَّهُمْ يَأْنَسُونَ " كما قال تعالى : ﴿ إِنِّي ءَأَنْسْتُ نَارًا ﴾ [طه : ١٠]

أي رأيتها .

وقال الحافظ في الفتح (٣٩٤/٦) " والمراد بالشيطان : المتمردة من الجن " .

● وقال : والرسول مبعوث إلى الجنسين ، لكن لفظ الناس لم يتناول الجن ولكن يقول : ﴿ يَمَعَشَرُ

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

لذلك تعلم أن لفظ الجن ليس قسماً من لفظ الإنس ولكنه قسيم له .

● قال إمام الحرمين في " الإرشاد " (ص ٢٧٢) : الجن والشياطين أجسام لطيفة نارية غائبة عن إدراك

العيون قال : وعن بعض التابعين أن من الجن صنفاً روحانياً ، لا يأكل ولا يشرب ومنهم من يأكل ويشرب .

والله أعلم بكيفية ذلك ومن مستفيض الأخبار أنهم سألوا رسول الله ﷺ الزاد فأباح لهم كل عظم لم يذكر اسم الله تعالى عليه يجذونه أوفر ما كان لحمًا . وقيل : إنهم يعيشون بالشم لا بالأكل ، وورد أن أرواح دوابنا علف دوابهم .

● قال الونشريسي في " المعيار المعرب " (٣٠٩/١٢) : قيل : والصواب أن حكم من أنكر وجود الجن

من المعتزلة أنه كافر ، لأنه جحد نص القرآن والسنن المأثورة والإجماع الضروري ، وآية الأحقاف

وسورة : ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ ﴾ أي سورة الجن . وخطاب الجن والإنس معلوم بالضرورة ، وكذا ذكر

توعدهم بالنار ، فهو بنص القرآن " اهـ .

(١) : قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] .

قطع النظر عن هذه الشريعة الحمدية ، بل مع قطع النظر عن الشرائع المتقدمة على هذه الشريعة ، فإنها متفقة على وجودهم ، وكذلك أهلها متفقون على ذلك مقرون به كإقرار المسلمين ، وهؤلاء اليهود والنصارى موجودون في كثير من البلاد الإسلامية قد لا يخلو عنهم قطرٌ من الأقطار من أراد أن يعرف صدق ما ذكرناه فليسأل من له [نباهة]^(١) منهم ، بل جميع مشركي^(٢) العرب مقرّون بذلك لا خلاف فيه بينهم ، وينقلون ما يسمعون من الجن من الأشعار التي يصرخون بها بين أظهرهم ، ومن الكلمات التي يسمعونها من الأوثان التي ينصبونها في ديرهم ، ويروي ذلك الآخر عن الأول ، حتى وصلت إلى أهل الإسلام ، ونقلوها في الكتب الإخبارية ، والآيات القرآنية في إثبات وجودهم معلومة لا تطيل بذكرها ، ولكننا هاهنا نذكر بعض ما ورد في السنة المطهرة^(٣) حتى يعلم من وقف على هذا البحث أن المنكر لذلك منكرٌ لقطعي بل ضروري ديني يحصل العلم بفرد من أفراد الأدلة الواردة فيه ، فالمفكر إن كان يعلم بما في المصحف الشريف ، وصمم على هذا الجهل المتبالغ فهو مستحق لما يستحقه من أنكر الشريعة المطهرة ، ودفع ما فيها ورد ما جاءت به ، وشهد على أنه بالإلحاد والمروق من دين الإسلام . وقد تضمن القرآن الكريم بيان ما خلقوا منه فضلاً عن بيان وجودهم ، قال الله

(١) : في المخطوطة بنهاة ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) : قال صاحب " آكام المرجان في أحكام الجنان " ص ٥ : قال الشيخ أبو العباس ابن تيمية لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوماً بالاضطرار ومعلوم بالاضطرار إنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون ليسوا صفات وإعراضاً قائماً بالإنسان أو غيره ..

وانظر : " لفظ المرجان " للسيوطي (ص ١٧) .

(٣) : في المخطوط المطهر ولعل الصواب ما أثبتناه .

- عز وجل - : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ وَالْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴾ (٢) وقال تعالى حاكياً عن إبليسَ ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٣) .

وأما الثابت في السنة في وجودهم وتفصيل أحوالهم فالبعضُ منه يحكم عليه بالتوثر ، فكيف بالكل !.

فمن ذلك أمره - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن دخل بيته أن يذكر الله عند دخوله ، وعند طعامه ، فإذا فعل ذلك قال الشيطان : لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ ... الحديث ، وهو في صحيح (٤) مسلم وغيره (٥) من حديث جابر .

وفي الصحيحين (٦) وغيرهما (٧) [اب] من حديث أنس أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان إذا دخل الخلاء قال : " اللهم إني أعوذُ بك من الخبثِ والخبائثِ " . وفي الترمذي (٨) من حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) : [الرحمن : ١٥] .

(٢) : [الحجر : ٢٧] .

(٣) : [الأعراف : ١٢] .

(٤) : رقم (٢٠١٨) .

(٥) : كأبي داود رقم (٣٧٦٥) والنسائي رقم (١٠٦٨٩) في الكبرى وفي عمل اليوم والليلة رقم (١٧٨)

وابن ماجة رقم (٣٨٨٧) من حديث جابر كان النبي ﷺ يقول : " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ ، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء " .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤٢) . ومسلم رقم (٣٧٥) .

(٧) : كأبي داود رقم (٥) والترمذي رقم (٥) وابن ماجة رقم (٢٩٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم

(٧٤) . وهو حديث صحيح .

(٨) : في السنن رقم (٦٠٦) وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بذلك =

وسلم - قال : " سترُ ما بين أعين الجن وعوراتِ أمّتي إذا دخلَ أحدُهم الخلاءَ أن يقولَ : بسم الله " .

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي^(١) والنسائي^(٢) " إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا ، فإذا رأيتم من هذه الهوامّ شيئاً فأذّبوه ثلاثاً ، فإن بدع لكم فاقتلوه " .
وفي صحيح مسلم^(٣) وغيره من حديث عائشة أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعائشة : " أخذك شيطانك " . قالت : يا رسول الله أو معي شيطانٌ ؟ قال : " نعم ، ومع كل إنسان " قالت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : " نعم ، ولكن ربي - عز وجل - أعانني عليه حتى أسلمَ " .

وفي لفظ^(٤) : " أعانني عليه فأسلمَ " .

وفي صحيح البخاري^(٥) وغيره من حديث أبي هريرة أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال في الرّوث والعظم : " أنّهما من طعام الجنّ " ، وأخرجه أيضاً مسلم^(٦) وغيره^(٧) .
وأخرج مسلم^(٨)

= القوي وقد روي عن أنس عن النبي ﷺ أشياء في هذا .

قلت : وأخرجه ابن ماجة في السنن رقم (٢٩٧) .

وهو حديث صحيح .

(١) : لم أجده في السنن .

(٢) : لم أجده في السنن . بل أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٣٦) .

(٣) : رقم (٢٨١٥/٧٠) .

(٤) : عند مسلم في صحيحه رقم (٢٨١٤/٦٩) .

(٥) : رقم (٣٨٦٠) .

(٦) : في صحيحه رقم (٤٥٠/١٥٠) .

(٧) : كأبي داود رقم (٣٩) والترمذي في السنن رقم (١٨) كلهم من حديث عبد الله بن مسعود .

وهو حديث صحيح .

(٨) : في صحيحه رقم (٢٠٢٠/١٠٦) .

وغيره^(١) من حديث ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بها ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها " .

وفي صحيح مسلم^(٢) وغيره^(٣) من حديث حذيفة في الجارية التي ذهبت لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بيدها ، ثم جاء أعرابي فذهب ليضع يده فأخذ بيده ، وقال : " إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه ، فإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدهما " .

في الصحيحين^(٤) وغيرهما من حديث ابن عباس حديث الجن الذين استمعوا القرآن من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في سوق عكاظ .

وفي الصحيحين^(٥) من حديث ابن مسعود أنها آذنت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهم شجرة .

وفي صحيح مسلم^(٦) وغيره أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - اجتمع بالجن بمكة والمدينة ... الحديث بطوله ، واختلاف ألفاظه .

(١) : كأبي داود رقم (٣٧٧٦) والترمذي رقم (١٨٠٠) ومالك في الموطأ (٩٢٣/٢) .

وهو حديث صحيح .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٠١٧) .

(٣) : كأبي داود في السنن رقم (٣٧٦٦) وابن السني رقم (٤٦٠) والحاكم (١٠٨/٤) وصححه ووافقه

الذهبي ، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٧٣) .

وهو حديث صحيح .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٢١) ومسلم في صحيحه رقم (٤٤٩/١٤٩) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٤٥٠) عن معن بن عبد الرحمن

قال سمعت أبي قال : سألت مسروقاً : من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك

- يعني عبد الله : أنه آذنت بهم شجرة " .

(٦) : انظر الحديث وطرقه في الخلافيات للبيهقي (١٥٨/١ - ١٨٢) .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح^(١) من حديث أبي هريرة أنه أخذ الجبيّ الذي جاء يسرق زكاة رمضان ، وأنه علّمه آية الكرسي . وله ألفاظ ، وفيه طول .

وفي الصحيحين^(٢) من حديث أبي هريرة عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال :
" لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان " .

وفي الصحيحين^(٣) حديث الرجلين الذين استبأ عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى احمرّ وجه أحدهما فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " .

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير " ، ثم قال في آخره : " وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي " .

وفي السنن^(٥) عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إن الغضب من الشيطان " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣١١) .

(٢) : لم يخرج به البخاري . وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٧٨٠) .

قلت : وأخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٨٧٧) وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٦٥) .

وهو حديث صحيح .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٤٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦١٠) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٢٩٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٩١) .

(٥) : أخرجه أحمد في المسند (٢٢٦/٤) وأبو داود رقم (٤٧٨٤) من حديث أبي وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدي ، فكلمه رجل فأغضبه ، فقام فتوضأ فقال : حدثني أبي عن جدي عطية رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " . وهو حديث ضعيف .

وفي الصحيح^(١) أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " إذا جاء رمضانُ [١٢] سُلسِلَتِ الشَّيَاطِينُ " ، وفي لفظ^(٢) : " صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ " .

وفي صحيح^(٣) البخاري عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " أنه لا يسمعُ مَدَى صوتِ المؤذِنِ جنٌّ ولا إنسٌ إلاَّ شهدَ له يومَ القيامةِ " .

وفي صحيح مسلم^(٤) عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال لمن قال له : إن الشيطانَ قد حال بيني وبين قراءتي فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " ذلك شيطانٌ يقال له خنزبٌ " .

وفي صحيح مسلم^(٥) عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إن الأسواقَ معركةُ الشيطانِ ، وبها ركزَ رأيتَهُ " .

وفي صحيح مسلم^(٦) أيضاً عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إن الشيطانَ يحضُرُ الإنسانَ عندَ طعامِهِ " .

وفي الصحيحين^(٧) من حديث أنس عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسمِ الله ، اللهم جنبنا الشيطانَ ، وجنبِ الشيطانَ ما رزقنا ، فإذا قدر بينهما ولدٌ لم يضره الشيطانُ " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٨٩٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٧٩/٢) من حديث أبي هريرة .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٠٧٩/١) من حديث أبي هريرة .

(٣) : رقم (٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٤) : رقم (٢٢٠٣/٦٨) .

(٥) : رقم (٢٤٥١/١٠٠) من حديث سلمان بلفظ : " لا تكوننَّ إن استطعت أولَ من يدخلُ السوقَ ولا آخرَ من يخرج منها فإنها معركةُ الشيطانِ وبها ينصبُ رأيتَهُ " .

(٦) : في صحيحه رقم (٢٠١٨/٠٠٠) من حديث جابر .

(٧) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥١٦٥) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٣٤/١١٦) .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " ما من بني آدم مولود ألا نخسه الشيطان حين يُولدُ " الحديث .

وفي الصحيحين^(٢) وغيرهما من حديث صفية بنت حيٍّ أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " .

وفي الصحيحين^(٣) وغيرهما من حديث جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إذا كان جنح الليل فكفُّوا صبيانكم ؛ فإن الشياطينَ تنتشرُ حينئذٍ " .

وفي الصحيحين^(٤) وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " يعقُدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدكم " الحديث .

وفي الصحيحين^(٥) وغيرهما من حديث أبي قتادة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " الرؤيا من الله ، والحلمُ من الشيطان " .

وفي الصحيحين^(٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " من رأى في النوم فسيرا في اليقظة ، لا يتمثلُ بي الشيطانُ " وفي لفظ^(٧) : " فإن الشيطانَ لا يتمثلُ بي " .

-
- (١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٣١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٦٦/١٤٦) .
- (٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٠٣٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٧٥/٢٤) .
- (٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٠٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٩٧/٩٧) .
- وتمام الحديث " ... فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم ، وأغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأوكوا قريبكم ، واذكروا اسم الله ، وحمروا آئيتكم ، واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً ، وأطفئوا مصابيحكم " .
- (٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٤٢) ومسلم في صحيحه رقم (٧٧٦/٢٠٧) .
- (٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٤٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٦١/١) .
- (٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٩٣) ومسلم رقم (٢٢٦٦/١١) .
- (٧) : عند مسلم في صحيحه رقم (٢٢٦٦/١٠) .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " ألا إن الفتنَةَ ههنا يشيرُ إلى المشرقِ من حيث يطلعُ قرنُ الشيطانِ " .

وأخرج أبو داود^(٢) ، والنسائي^(٣) من حديث عمرو بن عَبَسَةَ في حديث " إن الشمسَ تطلعُ بين قرني شيطانٍ ، وتغربُ بين قرني شيطانٍ " .

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " إذا تُودي بالصلاة أدبرَ الشيطانُ له ضراطٌ " .

وفي الصحيحين^(٥) وغيرهما أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " إذا سمعتم صرَاحَ الديكَةِ فسَلُوا اللهَ من فضله ، فإنها رأتُ ملكاً ، وإذا سمعتم نهيقَ الحمارِ فتعوذوا بالله من الشيطانِ ، فإنها رأتُ شيطاناً " .

وفي صحيح مسلم^(٦) من حديث أبي الدرداء قال : قام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلي فسمعناه يقول : " أعوذُ بالله منك " .

وفي الحديث : إنه يعرض له الشيطانُ ، وقال : " لولا دعوةُ أخي سليمانَ لأصبحَ موتقاً يلعبُ به ولدانُ أهلِ المدينة " وهو في الصحيحين^(٧) من حديث أبي هريرة . [٢ب]

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٩٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٠٥/٤٥) .

(٢) : في السنن رقم (١٢٧٧) .

(٣) : في السنن (٢٨٣/١-٢٨٤) .

وهو حديث صحيح .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٨) ومسلم في صحيحه رقم (٣٨٩/١٩) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٠٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٠٣/٨٢) .

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) : رقم (٥٤٢/٤٠) .

(٧) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٦١) ومسلم رقم (٥٤١/٣٩) .

وفي الصحيحين^(١) من حديث سعد بن أبي وقاص أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعمر بن الخطاب : " والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلاَّ سلك فجاً غير فجعك " .

وفي كتب السير وغيرها أن الشيطان حضر مجمع قريش بدار الندوة^(٢) ، وفيها أيضاً أنه حضر وقعة بدر^(٣) ، وفيها أيضاً حضوره وقعة بيعة العقبة^(٤) ، وصراخه وحضوره ووقعة أحد^(٥) ، وصراخه بأن رسول الله قُتِلَ .

وبالجملة فالاستكثار من الأحاديث الواردة في هذا المعنى لا يأتي بمزيد فائدة بعد القرآن الكريم في غير موضع ، بحيث لو جمع ما ورد في ذلك من الآيات البينات لكان في رسالة مستقلة ومعرفة ذلك متيسراً لمن يتمكن من قراءة المصحف الشريف وإن كان مقصراً ،

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٢٩٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٦/٢٢) .

(٢) : ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١٣٦/٢ - ١٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) : ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٣٠١/٢) عن عروة بن الزبير .

(٤) : ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١٠١/٢) عن عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك .

وانظر صحيح السيرة (٢٨٨/٢) .

(٥) : قال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن غزوة أحد : " وكان الشيطان قد نعى في الناس أن محمداً قد

قتل ، فمنهم من تزلزل لذلك فهرب ومنهم من ثبت فقاتل ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ

فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

انظر " سيرة ابن هشام " (١٠٥/٣ - ١٠٦) .

وانظر : ثلاث " رسائل في الجهاد " ص ٦٦ .

● والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعددون بالأحكام الشرعية

على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم وأن نبينا صلى الله عليه وآله مبعوث إلى الإنس والجن ، فمن دخل في دينه فهو

من المؤمنين ، ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ، ومن كذبه ، فهو الشيطان المبعوث من المؤمنين في الدنيا

والآخرة ، والنار مستقره .

انظر " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (١/١٩) .

وناهيك باجتماع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهم في غير موطن حتى صرَّح بعض الحفاظ أنه اجتمع بهم في أربعة مواضع ، وصرح آخر أنه اجتمع بهم في خمسة مواضع ، وروى ذلك عن الحاضرين معه الجُمُوعُ الجُمُوعُ من أهل العلم ، وبعد هذا كله فكثيرٌ من عباد الله قد اجتمع بالجنِّ وسمع كلامهم ، وسألوه وسألهم ، وهذا موجود في كل عصر من العصور قد تبعنا من وقع له ذلك من الثقات فثبت لنا بذلك التواتر المعنوي .

بل راقمُ هذه الأحرف - غفر الله له - قد سمع كلامهم غير مرة ، وطال بينه وبينهم الخطاب ، وبعضهم أخذ يدي وقبَّلها ، وكانت كفُّه كأكبر ما يكون من أيدي الإنس مع قصر في أصابعها^(١) .
والحمد لله أولاً وأخيراً .

كتبه محمد بن علي الشوكاني - غفر الله لهما - [أ٣] .

(١) : قال الحفاظ في الفتح (٦٦٩/٨) : واختلف في أصلهم - أي الجن - فقيل : إن أصلهم من ولد إبليس فمن كان منهم كافراً سُمِّيَ شيطاناً . وقيل : إن الشياطين خاصة أولاد إبليس . ومن عداهم ليسوا من ولده ، وحديث ابن عباس - رقم (٤٩٢١) - يقوي أنهم واحد من أصل واحد ، واختلف صنفه فمن كان كافراً سُمِّيَ شيطاناً ، وإلا قيل له : جنٌّ . ولذلك قالوا : الجنُّ والشياطين لمُسَمَّى واحد ، وإنما صلرا صنفين باعتبار الكفر والإيمان فلا يقال لمن آمن منهم : أنه شيطان .

- أوصاف الجن من الأدلة الواردة في شأنهم إما نصاً وإما استنباطاً فمن أوصافهم :

- ١/ أنهم قادرون على التصور بصور مختلفة .
- ٢/ أنهم يأكلون ويشربون ، وهناك من نفى ذلك ولكن الراجح الإثبات لثبوت ذلك نصاً - من الأحاديث المتقدمة .
- ٣/ أنهم يتناكحون ، ويتوالدون ، وفيهم الذكور والإناث .
- ٤/ أنهم يتكلمون بكلام الإنس ، ويسرقون ويخدعون .
- ٥/ أن لهم قوة على التوصل إلى باطن الإنسان ، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم وذلك إما على ظاهره - تقدم من حديث صفية . وإما على سبيل الاستعارة من كثرة الأعوان ، وكأنه لا يفارق كالدم ، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة .

= ٦/ هل تمكن رؤيتهم أو لا ؟ فيه خلاف على ثلاثة أقوال :

أحدها : النفسي مطلقاً ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وهذا قول أكثر العلماء ، حتى قال الشافعي من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته واستدل بهذه الآية .

وثانيها : أن نفي رؤية الإنس للجنّ على هيئتهم ليس بقاطع من الآية . بل ظاهرها أنه ممكن ، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ، ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة .
وثالثهما : أنه تمكن رؤية الجنّي في حال تصوّره بغير صورته ، أما رؤيته على صورته التي خلق عليها فلا وأن ذلك هو مقصود الآية .

والقول الرابع الثالث وكذلك رجحه الحافظ ابن حجر .

● وذهب الجمهور إلى أنهم يتابون على الطاعة لأن الجماعة اتفقوا على أن الجنّ مكلفون . وهو قول الأئمة وغيرهم فقال الحافظ : " لم يختلف من أثبت تكليفهم أنهم يعاقبون على المعاصي واختلف هل يتابون ؟ .

وذهب الجمهور إلى أنهم يتابون على الطاعة ثم اختلفوا : هل يدخلون مدخل الإنس ؟ على أربعة أقوال :

١/ نعم - يدخلون مدخل الإنس ، وهو قول الأكثر .

٢/ يكونون في ربض الجنة ، وهو منقول عن مالك وطائفة .

٣/ أنهم أصحاب الأعراف .

٤/ التوقف عن الجواب في هذا .

ولا شك أن الجن من الغيب الذي يجب الإيمان بما ثبت بالدليل الصحيح من أمورهم ، والكف عما لم يدل عليه الدليل ، لأنه من الرجم بالغيب ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وانظر : فتح الباري " باب صفة إبليس وجنوده " من كتاب بدء الخلق - شرح سورة ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ ﴾ من كتاب التفسير .

إرشاد الثقات
إلى
اتفاق الشرائع
على
التوحيد والمعاد والنبوات

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

- ١- عنوان الرسالة في المخطوط : " إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات .
- ٢- موضوع الرسالة : في العقائد .
- ٣- الرسالة من المجلد الرابع (الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني) .
- ٤- أول الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ...
- ٥- آخر الرسالة : ... كان الفراغ من تحرير هذا المختصر يوم الأربعاء لعله السابع والعشرون من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثين بعد المائتين والألف ، بقلم مؤلفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما .
- ٦- نوع الخط : خط نسخي معتاد .
- ٧- عدد الأوراق : (٤٠) .
- ٨- المسطرة : الورقة (١) : عنوان الرسالة .
الورقة (٢) : ٢٤ سطراً .
الورقة (٣) : ٢٨ سطراً .
الورقة (٤-٧) : ٢٩ سطراً .
الورقة (٨) : ٣٢ سطراً .
الورقة (٩-١٣) : ٣١ سطراً .
الورقة (١٤-١٥) : ٣٠ سطراً .
الورقة (١٦) : ٢٨ سطراً .
الورقة (١٧-١٨) : ٣٢ سطراً .

- الورقة (١٩) : ٣١ سطرًا .
- الورقة (٢٠) : ٣٢ سطرًا .
- الورقة (٢١-٢٣) : ٣١ سطرًا .
- الورقة (٢٤) : ٦ سطرًا .
- الورقة (٢٥) : ٣١ سطرًا .
- الورقة (٢٦) : ٣٢ سطرًا .
- الورقة (٢٧) : ٣١ سطرًا .
- الورقة (٢٨) : ٣٣ سطرًا .
- الورقة (٢٩-٣٠) : ٣٥ سطرًا .
- الورقة (٣١-٣٢) : ٣٤ سطرًا .
- الورقة (٣٣) : ٣٦ سطرًا .
- الورقة (٣٤) : ٣٥ سطرًا .
- الورقة (٣٥) : ٣٤ سطرًا .
- الورقة (٣٦) : ٣٧ سطرًا .
- الورقة (٣٧) : ٣٨ سطرًا .
- الورقة (٣٨) : ٣٤ سطرًا .
- الورقة (٣٩) : ٣٥ سطرًا .
- الورقة (٤٠) : ٢٨ سطرًا .
- ٩- عدد الكلمات في السطر : (١١-١٣) كلمة .
- ١٠- الناسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم برك اللهم بارك أسرار وبارك
 وبارك ما سبها وبارك ما شئت من من عند ربك سكرته وكرسي
 وزنه سكرته وبارك كرسى وعد دنا قد سكرت أسرار من
 وما سكرته أسرارهم وصل وسلم على رسوله صلى الله عليه وسلم
 محمد صلاه وسلاما بعد وما نأبه وأم الخلوقات وسبحه وان نحمد
 الاوقات وعلى آله الطاهرين وأضيح الأبرار وبعد فان القرآن العظيم
 قد استخرج من أشراط من معاني الحاشي والمعاد واحاط بمناج
 الدنيا والدنيا تارة واحالا وبارك تفصيلا وبارك عموما وبارك خصوصا
 وهذه الأصول ثمانية ما فرطنا في الكتاب من من يدور عز وجل ذكر من
 احصاه في كتاب من وعول ما ذكر وعان نبيا ما ذكر من وعو
 سا الايات النبوية على هذه المعنى وأما معاصد العز
 الكرم التي يكررها ويدور في الكتاب الكريم ذات المعصية منها
 في جميع سورته وفي جانب وتخصه واسأله فهي ثلاثة معاصد يعرف
 ذلك من له الحرف فهم وحسن تدبير وجوده بصوره وفضل تعق
 المعصية الاولى اثبات التوحيد المعصية الثانية اثبات المعاد
 المعصية الثالثة اثبات النبوات وما كانت هذه الثلاثة المعصيات
 المعاصد مما اتفقت عليه السرايع جميعا كما حكى ذلك الكتاب العزيز
 وعبر من يظن احببت ان اكلعها على كل معصية منها بايراد ما يبرح
 ذلك من الكتاب الشافعة وعن الرسول المنقذ من ما يدل على العاق
 انبياء الله وكنتم على اثباتها لما في ذلك من عظم الفائدة وحيلها ليعاد
 فان من اتى بها لم ينجح وانها نالها كالمعصية فان تحريم البرزخ
 واحد ما حكى المؤلف من السجادة الاحلج والحاكم ودخل الامان
 الخالص من اليقين الذي ارشده اليه نبينا صلى الله عليه وسلم من سأل عن الامان
 والامان والاحسان فقال في الامان ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
 والدار

[الصفوة الاولى من صبورة المخطوط]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

اللهم لك الحمدُ ، ملءَ السماوات ، وملءَ الأرضِ ، وملءَ ما بينهما ، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ ، ولكَ الشكرُ عددَ كلِّ شيءٍ ، وزنة كلِّ شيءٍ ، وملءَ كلِّ شيءٍ ، وعددَ ما قد شكركَ الشاكرون ، وما سيشكركَ الشاكرون .

اللهم وصلِّ وسلِّم على رسولك المصطفى من خلقك (محمد) صلاةً وسلاماً يدومان بدوامِ المخلوقاتِ ، ويتجددان بتجددِ الأوقاتِ ، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الأكرمين . وبعدُ ، فإن القرآنَ العظيمَ ، قد اشتملَ على الكثيرِ الطيبِ من مصالحِ المعاشِ والمعادِ ، وأحاطَ بمنافعِ الدنيا والدينِ ، تارةً إجمالاً ، وتارةً وتفصيلاً ، وتارةً عمومياً ، وتارةً خصوصاً ، ولهذا يقول - سبحانه - : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) . ويقول - عز وجل - : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾^(٢) . ويقول - تبارك وتعالى - : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ أَلْكِتَابَ [تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) ، ونحو ذلك من الآياتِ الدالة على هذا المعنى .

وأما مقاصدُ القرآنِ الكريمِ التي يكررها ، ويوردُ الأدلةَ الحسيةَ والعقليةَ عليها ، ويشير إليها في جميعِ سورِهِ ، وفي غالبِ قصصِهِ وأمثاله ، فهي ثلاثة مقاصدَ ، يعرف ذلك مَنْ له كمال فهم ، وحسن تدبُّر ، وجودةُ تصوُّر ، وفضلُ تفكُّر .

المقصدُ الأولُ : إثباتُ التوحيد .

المقصدُ الثاني : إثباتُ المعاد .

(١) : [الأنعام : ٣٨] .

(٢) : [يس : ١٢] .

(٣) : غير موجود في المخطوط .

(٤) : [النحل : ٨٩] .

المقصد الثالث : إثباتُ النبوات .

ولما كانت هذه الثلاثة المقاصد ، مما اتفقت عليه الشرائع جميعاً ، كما حكى ذلك الكتابُ العزيز في غير موضع أحببتُ أن أتكلّم هاهنا على كل مقصدٍ منها ، بإيراد ما يوضّحُ ذلك من الكتب السابقة ، وعن الرسل المتقدّمين ، مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها ، لما في ذلك من عظيم الفائدة ، وجيليل العائدة ؛ فإن من آمن بها كما ينبغي ، واطمأن إليها كما يجبُ ، فقد فاز بخيري الدارين ، وأخذ بالحظّ الوافر من السعادة الآجلة والعاجلة ، ودخل إلى الإيمان الخالص من الباب الذي أرشده إلينا نبينا - ﷺ - في جواب من سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فقال في الإيمان : " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله [١] ، والقدر خيره وشره " . هكذا ثبت في الصحيحين^(١) وغيرهما^(١) من طرق كثيرة .

ولا ريب أن من آمن بالله ، وبما جاءت به رسّله ، ونظقت به كتبه ، فإن إيمانه بهذه المقاصد الثلاثة ، هو أهمُّ ما يجب الإيمان به ، وأقدم ما يتحتّم عليه اعتقاده ، لأن الكتب قد نظقت بها ، والرّسل قد اتفقت عليها اتفاقاً يقطع كلّ ريب ، وينفي كلّ شبهة ، ويُذهب كلّ شك .

وسمّيتُ هذا المختصر : (إرشادُ الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) . وبالله أستعين ، وعليه أتوكل .

(١) : يشير إلى حديث جبريل الطويل ، أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠ و ٤٧٧٧) ومسلم في صحيحه رقم (٩ و ١٠) من حديث أبي هريرة .

● وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢، ٨/٣) من حديث عمر بن الخطاب .

● وأخرجه أبو داود في "السنن" رقم (٤٦٩٥) من حديث بريدة وهو حديث صحيح .

وهو حديث مشهور في كتب السنة وقد سمّى النبي ﷺ عليه "الدين" فقال : " هذا جبريل أتاكم

يعلمكم دينكم " .

وانظر الحديث تحريماً وتعليقاً في " معارج القبول " (٧٢٣/٢ - وما بعدها) بتحقيقي .

واعلم أن إيراد الآيات القرآنية ، على إثبات كل مقصد من هذه المقاصد ، وإثبات اتفاق الشرائع عليها ، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم .
فإنه إذا أخذ المصحفَ الكريم ، وقف على ذلك في أي موضع شاء ، ومن أي مكان أحب ، وفي أي محل منه أراد ، ووجدَه مشحوناً به من فاتحته إلى خاتمته .

الفصل الأول

في بيان اتفاق الشرائع على التوحيد

اعلم أن قد روى جماعة من أكابر علماء الإسلام أن الشرائع كلها ، اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل المرسلين ، وكثرة كتب الله - عز وجل - ، المتزلة على أنبيائه .

فإنه أخرج ابن حبان^(١) والبيهقي^(٢) بسندين حسنين من حديث أبي ذر : " أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، وأن الكتب المتزلة مائة وأربعة كتب " .

فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره ، وسابقه ولاحقه . ومن خالف في ذلك فجعل لله - عز وجل - شريكاً ، وعبد الأصنام ، فإنه كما أرشد إليه القرآن حكاية عنهم بقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٣) مقرر بأنه إيمان ، وإنما جعل الشريك وصلة إلى الرب - سبحانه - ، ووسيلة إلى التقريب إليه . وما ثبت في الصحيح^(٤) أنهم

(١) : في صحيحه (٧٦/٢ رقم ٣٦١) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال حدثنا عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر به .

وإبراهيم بن هشام هذا قال عنه أبو حاتم في " الجرح والتعديل " (٤٢/٢-٤٣) : كذاب .

(٢) : في " السنن الكبرى " (٤/٩) .

قلت : وأخرجه ابن عدي في " الكامل " (٢٦٩٩/٧) وأبو نعيم في " الحلية " (١٦٨/١) كلهم من طريق يحيى بن سعيد القرشي السعدي عن ابن جريج ، عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله .

وفيه يحيى بن سعيد قال ابن حبان عنه في " المجروحين " (١٢٩/٣) : شيخ يروى عن ابن جريج المقلوبات ، وعن غيره من الثقات الملققات لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً والله أعلم .

(٣) : [الزمر : ٣] .

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١١٨٥/٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان

المشركون يقولون : لبيك لا شريك . قال : فيقول رسول الله ﷺ " ويلكم قَدْ . قَدْ " فيقولون : =

كانوا يقولون : " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكٌ هو لك تملكه وما ملكٌ " .
وها نحن نذكر لك ما كتب الله - عز وجل - من أدلة التوحيد ، وهي وإن كان عددها ما تقدم لكنه لم يبقَ بأيدي أهل الملل منها فيما وجدناه عندهم بعد البحث عن ذلك ، ومزيد الطلب له ، إلا التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، وكتب نبوات أنبياء بني إسرائيل .

أما التوراة^(١) فالنصوص فيها على ذلك كثيرة جداً ، وقد اشتملت على ذكر ما كان

= إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت .

(١) : التوراة : كلمة عبرية معناها الشريعة وتسمى الناموس أي القانون كما تسمى أيضاً (البانتاتيك) وهي كلمة يونانية تعني الأسفار الخمسة وهي :

(١) : سفر التكوين : يقع في (٥٠) إصحاحاً ، وسمي بذلك لاشتماله على قصة خلق العالم ، ثم قصص آدم وذريته ونوح وإبراهيم وذريته وينتهي هذا السفر باستقرار بني إسرائيل وموت يوسف عليه السلام .

(٢) : سفر الخروج : ويقع في (٤٠) إصحاحاً . وسمي بذلك نسبة إلى حادثة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء بقيادة موسى عليه السلام ، وفيه يذكر الحوادث التي جرت لبني إسرائيل في أرض التيه ، والوصايا العشر والكثير من الأحكام والتشريعات .

(٣) : سفر اللاويين : ويقع في (٢٧) إصحاحاً ، ويحتوي على شئون العبادات وخاصة القرابين والطقوس الكهنوتية وكانت الكهانة موكولة إلى سبط لاوي بن يعقوب فلذلك سمي السفر نسبة إليهم .

(٤) : سفر العدد : ويقع في (٣٦) إصحاحاً ، وسمي بذلك لأنه حافل بالعدد والإحصاء لأسباط بني إسرائيل ومما يمكن إحصاؤه من شؤونهم ويتخلل ذلك بعض الأحكام والتشريعات .

(٥) : سفر التثنية : ويقع في (٣٤) وسمي بذلك لإعادة ذكر الوصايا العشر وتكرار الشريعة والتعاليم مرة ثانية على بني إسرائيل عند خروجهم من أرض سيناء .

وهذا السفر ينهي التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ورد في آخرها النص الآتي : " فمات هناك موسى ، عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب وتم دفنه في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فاعور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين حين مات ... " .

يقع من الخصومات لأهل الأصنام ، وإيراد الحجاج عليهم ، ولا سيما بعد موت موسى ، وقيام أنبياء بني إسرائيل ، فإنها وقعت بينهم قصصٌ يطول شرحها ، وكانوا يقاتلون من عبد الأصنام ، ويستحلون دماهم ويحشدتهم على ذلك أتباع موسى ، وأخبار الملة اليهودية [٢] ، وكل نبي يبعثه الله من أنبياء بني إسرائيل ، يوجب على بني إسرائيل قتال من يعبد الأصنام ، وغزؤهم إلى ديارهم ، وقد اشتملت التوراة أيضاً على حكاية ما كان من أخبار الأنبياء قبل موسى ، وما كان بينهم من الدعاء إلى التوحيد ، والفرار من الشرك، والتنفير عنه .

ومن نصوص التوراة ما ذكر في (الفصل العشرين) منها من السفر الثاني (١) .

ولفظه : " أنا الله ربك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك معبوداً آخر من دوني ، لا تصنع لك منحوتاً ، ولا شيئاً لما في السماء من العلو ، وما في الأرض مثلاً ، وما تحت الأرض ، لا تسجد لهم ، ولا تعبدوها ، لأني الله ربك القادر الغيور " انتهى .

• وتذكر دائرة المعارف الفرنسية (معجم لاروس) تحت عنوان تورا : أن العلم العصري ولا سيما النقد الألماني قد أثبت بعد دراسات مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ألفوها على التعاقب معتمدين على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل اهـ .

وصرح بذلك أيضاً الفيلسوف اليهودي باروخ سينوز (ت ١٦٧٧م) ذكر فيه كلام عالم يهودي شك في نسبة الأسفار الخمسة ونسبتها إلى موسى - في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة (ص ٢٦٦- ٢٧١) حيث ذكر ملاحظات ابن عزرا - وأضاف إليها ملاحظات شخصية فقال يبدو واضحاً وضح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة .

وقد ذكر هذه النتيجة المؤرخ ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة (٢/٣٦٧) .

• علماً بأن التوراة تعتبر جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند اليهود - والذي يسميه النصراني بالعهد القديم وينقسم إلى التوراة ، الأسفار التاريخية ، أسفار الأناشيد ، أسفار الأنبياء .

(١) : أي سفر الخروج .

وكرر هذا في مواضع منها غيرُ هذا الموضع ، وفي الفصل السادس والعشرين من السفر^(١) الثالث من التوراة ، ما لفظه : " ولا تصنعوا لكم أوثاناً ، ومنحوتاً ونُصباً ، ولا تصنعوا لكم حجراً من خَزَفٍ ، لا تصنعوا في بلدكم لتسجدوا له ، أنا الله ربكم " انتهى . وفي التوراة من النصوص المفيدة لهذا المعنى ، ما يصعب الإحاطة به ، ويتعسر الذّكر لجميعة .

وفي الفصل (الثالث والعشرين) من كتاب يوشع بن نون ما لفظه : " وباسمِ معبوداتهم ، لا تذكروا ، ولا تحلفوا ، ولا تعبدوهم ، ولا تسجدوا لهم ، بل الله ربكم ، وبه تتمسكون كما فعلتم إلى هذا اليوم " ، وفي كتابة نصوص كثيرة قاضية بإثبات التوحيد .

وكذلك في كتب من بعده من أنبياء بني إسرائيل الذين لهم كتبٌ مدونةٌ وقفنا عليها ، وهم : صمويلُ الصبيُّ ، ثم اليسعُ ، ثم داودُ ، ثم سليمانُ ، ثم عزراُ الكاتبُ ، وهو المسمّى في القرآن : (عزيرٌ) ، ثم إيليا ، ثم عوبدُ ، ثم أيوبُ ، ثم أشعيا بن أموص ، [وهو المسمّى في القرآن : (إلياس) . وفي (السفر الثاني) من أسفار الملوك من التوراة ، أن الله رفعه إلى السماء] ، ثم أرميا ، ثم حزقيالُ ، ثم دانيالُ . ثم هوشعُ ، وهو المسمّى في الكتاب يوشعُ ، ثم يونانُ ، وهو المسمّى في القرآن يونسُ ، والمسمّى أيضاً بذي النون . ثم ميخا ، ثم ناحوم ، ثم حبقوقُ ، ثم صفونيا ، ثم حجي ، ثم يوحنا ، ويقال : (ملاحيا) وهو المسمّى في القرآن (يحيى) . ثم بعد هؤلاء بعث الله - عز وجل - المسيحَ بنَ مريمَ عليهم وعلى نبينا صلاةُ الله وسلامُهُ .

وفي الزبور بما فيه التصريحُ بإثبات التوحيد مواضعٌ كثيرةٌ ، فمنها في المزمور^(٢) السلابعُ

(١) : أي سفر اللاويين .

(٢) : سفر المزامير : وهي مجموعة من الأشعار الملحنة وغرضها تمجيد الله وشكره وكانت ترنم على صورة

=

المزمور وغيره من الآلات الموسيقية .

عشرًا ما لفظه : " كلامُ الربِّ مختبرٌ ، وهو ناصر جميع المتوكلينَ عليه ، لأنَّ مَنْ الإلهُ غيرُ الربِّ ، أو مَنْ الإلهُ سوى إلهنا " ؟ انتهى .

وفي المزمور الموفي ثمانينَ . ما لفظه [٣] : " ولا يكن فيك إلهٌ جديدٌ ، ولا تسجدُ لإله غريبٍ ، لأنني أنا هو الربُّ إلهُك " انتهى .

وفي المزمور الخامسِ والثمانينَ ما لفظه : " الذي هو وحدَه إلهٌ ، وله وحدَه أيضاً يجبُ أن يسجدَ الجميعُ ويخدموا " انتهى . وفيه أيضاً ما لفظه : " أنت وحدك الإلهُ العظيمُ " انتهى .

وفي المزمور الرابعِ والتسعين^(١) ما لفظه : " بالمزمور يهتَلُّ له ، لأنَّ الربَّ إلهٌ عظيمٌ ، ومَلِكٌ كبيرٌ على جميع الآلهة " انتهى . وفي المزمور الخامسِ والتسعين^(٢) ما لفظه : " فإنَّ الربَّ عظيمٌ ومسبَّحٌ جداً ، مرهوبٌ هو على كل الآلهة ، لأنَّ كلَّ آلهة الأممِ شياطينٌ ، فأما الربُّ فصنَعَ السماواتِ " انتهى .

وفي المزمور السادسِ والتسعينَ ما لفظه : " يخزي جميعُ الذين يسجدونَ للمنحوتاتِ المفتخرونَ بأصنامهم . اسجدُوا له يا جميعَ ملائكته " انتهى . وفي المزمور الخامس^(٣) بعد المائة : " وعبدوا منحوتاتهم^(٤) فصار ذلك عثرةً لهم " انتهى .

● وفي العبرانية يسمى (كتاب الحمد) وقد عُرفت باسم (مزامير داود) بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت إليه وبلغت (٧٣) من (١٥٠) زموراً وتنقسم هذه المزامير إلى خمسة أقسام ، وتقرأ هذه المزامير في الكنيسة والعبادات الفردية والجماعية .

انظر : ترجمته في سفر صموئيل الأول وسفر الملوك الأول ، " السنن القويم " (ج ١٦) ، " قاموس الكتاب " (٤٣٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٦) .

(١) : بل هي في المزمور الخامس والتسعون مع اختلاف بسيط .

(٢) : بل هي في المزمور السادس والتسعين مع تغير بسيط .

(٣) : بل هي في المزمور السادس بعد المائة : (فصار لهم شركاء) .

(٤) : وفي المزمور أصنامهم بدل (منحوتاتهم) .

وفي المزمور الثالث عشرَ بعد المائة : " إلهنا في السماء وفي الأرض ، وكلما شاء صنع .
أوثان الأمم فضةٌ وذَهَبٌ ، أعمالُ أيدي الناس لها أفواهٌ ، ولا تتكلَّمُ ، لها أعينٌ ولا تُبصِرُ ،
لها آذانٌ ولا تسمعُ ، لها مناخِرٌ ولا تشمُّ ، لها أيادي ولا تلمَسُ ، لها أرجُلٌ ولا تمشي ،
ولا تصوَّتُ بِحَنَجَرَتِهَا " انتهى .

وفي المزمور الثالث والثلاثينَ بعد المائة ، ما لفظه : " أوثانُ الأممِ فضةٌ وذَهَبٌ ، أعمالُ
أيدي الناسِ ، لهم أفواه ولا يتكلَّمون ، ولهم أعينٌ ولا يُبصرون ، ولهم آذانٌ ولا يسمعون ،
وليس في أفواههم روحٌ . مثلهم يصيرُ الذين يصنعونهم ، وجميع المتوكِّلين عليهم " .
انتهى .

وأما إنجيل المسيح - عليه السلام - فهو مشحونٌ بالتوحيد ، وبذمِّ المشركين والمنافقين
والمرائين ، ومن أراد استيفاءً ذلك ، فليراجع الأناجيل^(١) الأربعة التي جمعها الأربعة من

(١) : إن الأناجيل تمثل جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند النصارى ، الذي ينقسم عندهم إلى قسمين
رئيسين هما :

(١) : العهد القديم : الذي يحتوي على أسفار الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح ومنها التوراة .

(٢) : العهد الجديد : ويحتوي على الأسفار التي تبدأ بظهور المسيح عليه السلام ، وتنقسم بحسب
محتوياتها إلى ثلاثة أقسام هي :

- قسم الأسفار التاريخية وتشمل الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل .

- قسم الأسفار التعليمية وتشمل رسائل الحواريين وتلاميذ المسيح .

- قسم رؤيا يوحنا اللاهوتي .

● أما الإنجيل لغة : فهو كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني (إيفانجيليون EVANGELION) ومعناه (الخير
الطيب) أو البشارة .

واصطلاحاً : يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد استعمل كلمة الإنجيل بمعنى (بشرى الخلاص
من خطيئة آدم الأزلية) التي حملها إلى البشر ، واستعملها تلاميذه من بعده بالمعنى نفسه ، ثم استعملت
هذه الكلمة على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وهي سيرة المسيح عليه السلام وقد غلب استعمالها
بهذا المعنى على أنجيل متى ، إنجيل مرقس وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا .

الحواريين ، ومن ذلك ما في الإنجيل الذي جمعه (القديس متى) في الفصل الخامس والخمسين منه ما لفظه : " إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه فيما بينك وبينه وحده ، فإن سمع منك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع منك ، فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي [تقوم كل كلمة]^(١) على فم شاهدين أو ثلاثة ، تُثبت كل كلمة ، وإن لم يسمع منهم ، فقل للبيعة ، وإن لم يسمع أيضاً من البيعة فيكون عندك كوثن وعشار " انتهى .
وهكذا الرسائل^(٢) التي صنّفها جماعة من الحواريين ، فإنها مشحونة بالتوحيد ، ونفي

= انظر : كتاب " يسوع المسيح " (ص ١٤) ، للأب بولس إلياس ، " قاموس الكتاب " (ص ١٢٠) - (١٢١) ، " قصة الحضارة " (٢٠٦/١١) لويورانت ، ومحتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات .

(١) : القصص : ويشغل الحيز الأكبر منها تتحدث عن قصة المسيح عليه السلام بدءاً بولادته ثم دعوته ثم موته على الصليب ودفنه ثم قيامه من القبر ثم صعوده إلى السماء - حسب زعمهم - .

(٢) : العقائد : وترتكز بشكل رئيسي حول ألوهية المسيح وبنوته لله وتقرير أسس العقيدة النصرانية المنحرفة وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ذلك إنجيل يوحنا .

(٣) : الشريعة : يفهم من الأناجيل أنها أقرت شريعة موسى عليه السلام إلا ما ورد عن المسيح بتعديله أو نسخه في أمور محدودة وهي : الطلاق وقصاص الجروح ورجم الزانية .

(٤) : الأخلاق : يفهم منها الغلو والإمعان في المثالية والتسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة (متى الإصحاح ٥) .

(٥) : الزواج وتكوين الأسرة : لم تحتم الأناجيل كثيراً بمسألة الزواج ، ولكن يفهم منها عموماً أن المتبتل الأعزب أقرب إلى الله من المتزوج الذي يعاشر النساء .

وقد اعتمدت هذه الأناجيل الأربعة عند النصارى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : وهي رسائل الحواريين والتلاميذ - وتعتبر من الرسائل التعليمية لأنها توضح تعاليم النصرانية ومبادئها

تشتمل على (٢١) رسالة موزعة كالآتي :

- (١٤) رسالة لبولس عدد إصحاحاتها (٩٩) إصحاحاً .

- رسالة واحدة ليعقوب عدد إصحاحاتها (٥) .

=

الشرك ، والذم لأهله ، ومثل ذلك الكتابُ المشتملُ على سيرة أصحاب المسيح المسمي عندهم (إبراهيم أكسيس)^(١) .

وبالجملة فكتب الله - عز وجل - بأسرها ، ورسله جميعاً متفقون على التوحيد والدعاء إليه ، ونفي الشرك بجميع أقسامه .

وأما دعاء الأنبياء المتقدمين على موسى إلى التوحيد فقد تضمنت التوراة حكاية ما كانوا عليه من التوحيد والدعاء إليه ونفي الشرك [٤] فإنها قد حكّت ما وقع منهم من عند أبينا آدم ومن بعده من الأنبياء ، كنوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسحاق ، وإسماعيل ، ويعقوب ويوسف إلى عند قيام موسى - سلام الله عليهم أجمعين - .

= رسالة واحدة لليهودا مكونة من إصحاح واحد .

- رسالتان لبطرس عدد إصحاحاتها (٨) .

- رسائل يوحنا عدد إصحاحاتها (٧) .

- ومنها رسائل - رؤيا يوحنا - صاحب الإنجيل الرابع - وهو عبارة عن تنبؤات مستقبلية عدد إصحاحاتها ٢٢ إصحاحاً .

انظر : " تاريخ الكنيسة " (ص ١٥٢ ، ١٥٣) يوسابيوس القيصري ترجمة القمص مرقس داود ، "كتاب الغفران بين الإسلام والمسيحية" (ص ٣٣-٣٥) للأستاذ إبراهيم خليل - الذي كان قسيساً وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسبوط ثم هداه الله إلى الإسلام - .

(١) : سفر أعمال الرسل ويسمى براكسيس : وهي كلمة يونانية تعني الأعمال - وينسب هذا السفر إلى لوقا - صاحب الإنجيل الثالث - وعدد إصحاحاته (٢٨) إصحاحاً يحتوي على سير الحوارين وتلاميذ المسيح وجهودهم في سبيل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه عليه السلام - حسب زعمهم - .

وهذه الأنواع الثلاثة [براكسيس ورسائل الحوارين والتلاميذ ، رؤيا يوحنا] رسائل يزعم النصارى أن تلاميذ المسيح قد كتبوها إلى كنائس معينة أو أشخاص أو النصارى عامة ، ثم اعترتها الكنيسة أسفاراً قانونية وأما كتبت بإلهام من الروح القدس لمؤلفيها . وكان اعتمادها على مراحل منها [انعقد مجمع بيقية سنة ٣٢٥م ومجمع لوريسيا سنة ٣٦٤م ومجمع قرطاج سنة ٣٩٧م ومجمع ترلو سنة ٦٩٢م ، مجمع فلورنس سنة ١٤٣٩م ، مجمع ترنت سنة ١٥٤٢-١٥٦٣م .. " .

الفصل الثاني

في بيان اتفاق الشرائع على إثبات المعاد

اعلم أنه سبق لي تأليف رسالة في هذا سميتها : (المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة)^(١) ولما كان هذا هو أحد المقاصد الثلاثة التي جمعت لها هذا المختصر ، فإن ذكر بعض ما في كتب الله - عز وجل - مما يتعلق به لازماً .

ففي التوراة في أولها عند الكلام على ابتداء الخليقة التصريح باسم الجنة ، ولفظُهُ : " فغرسَ اللهُ جناتاً في عَدْنٍ شَرْقِيّاً"^(٢) ، وابقاً ، ثم آدمَ الذي خلق وأنبتَ اللهُ " ، ثم كلُّ شجرةٍ حَسَنٍ منظرُها ، وطَيِّبٍ مأكُلُها ، وشجرةٍ الحياة في وسط الجنان ، وشجرة معرفة الخير والشرِّ ، وكان نهرٌ يخرج من عَدْنٍ ، ليسقي الجنانَ . ومن ثمَّ يتفرق ، ويصير أربعة رؤوسٍ . اسم أحدهما النيلُ ، وهو المحيط بجميع بلد زويلة الذي ثم الذهب ، وذهب ذلك البلد جيدٌ ، ثم اللؤلؤُ ، وحجارة البثور . واسم النهر الثاني جيحونٌ ، وهو المحيط بجميع بلد الحبشة . واسم النهر الثالث الدجلة وهو السائر شرقي الموصل . والنهر الرابع ، هو الفرات " . انتهى .

وكما وقع التصريح في التوراة بالجنة كما ذكرنا ، فقد وقع التصريح فيها باسم النار . ولفظُها في التوراة (شول واش) قال علماء اليهود : ومعنى اللفظين (جهنم) . وفي موضع آخر في التوراة ما لفظُهُ : " وإن الله خلق خلقاً وفتتح الأرض فإها فيقرلون إلى الثرى ، هؤلاء القوم الذين عصوا الله . وقال : أحجبُ رحمتي عنهم ، وأريهم عاقبتهم ، وكما أنهم كادوني بغير إله ، وأغضبوني بغيرواتهم ، كذلك إني أكيدهم ، لأن النار تتقدح من غضبي ، وتتوقد إلى أسفال الثرى ، فتأكل الأرض ونباتها ، حتى تستطلع

(١) : سيأتي تحقيقها في القسم الأول هذا " الفتح الرباني " عقب هذه الرسالة . برقم (١٠) .

(٢) : في التوراة سفر التكوين الإصحاح الثاني .

أساسات الجبال ، كذلك أزيد عليهم شروراً ، وسهامي أفرقها فيهم " انتهى .
وفي الفصل الثاني عشر من السفر الثالث من التوراة ما لفظه : " واحفظوا رسومي
وأحكامي ؛ فإن جزاء من عمل بها ، أن يحيا الحياة الدائمة " انتهى . ولا حياة دائمة في
الدنيا ، بل في الآخرة . وفي التوراة من النصوص على هذا المعنى كثير .

وفي الفصل السادس والعشرين من كتاب النبي أشعيا ما لفظه : " يقوم الموات ،
ويستيقظ [٥] الذين في القبور " انتهى . وفي كتابه أيضاً ما لفظه : " مُزَكِّي الظالم لأجل
الرِّثا ، وزكاة الزكي يزيلونها عنه لذلك ، كما تأكلُ القشُّ لسانُ النار ، والهشيمُ ما
يخليه اللهبُ عناصيرهم تكون كالبرق ، وفروعهم تصعدُ كالغبار ، إن زهدوا في تـوراة
ربِّ الجيوش ، وقولِ قُدوسِ العالمِ رفضوا ، آية أن الهاوية موعودةٌ من أمس ، وهي أيضاً
أصلحتُ للملوكِ عمقها ، فأوسعها ناراً وحبطاً كثيراً ، وأمرَ الله كوادٍ من كبريتٍ مشتعلٍ
فيها ، وقال : ويجرقون ينظرون إلى أجسام القوم الذين كفروا بي ، إن دودهم لا تموت ،
ونارهم لا تُطفأ ، فيصرون عبرةً لباقي البشرين " . انتهى .

وقال أيضاً في كتابه المذكور في حقيقة تلذذ أهل الجنة : " لا عينٌ تقدرُ [أن] ^(١) تراه
إلا علمُ الله تعالى " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشر من كتاب دانيال ما لفظه : " وكثيرٌ من الهاجعين في تراب
الأرضِ يستقيظون : هؤلاء حياةٌ أبدية ، وهؤلاء لتعيرٍ وخزبيٍ أبدي " انتهى .
وفي زبور النبي داود - عليه السلام - في المزمور السادس منه ما لفظه : " وأنتَ يا ربُّ
(فإلى متى تُوعَدُ) يا ربُّ ، ونجّ نفسي وخلصني من أجل رحمتك ، لأنه ليس في الموتى من
ينكرُك ، ولا في الجحيم من يعترفُ لك " . انتهى .

وفي المزمور التاسع منه ما لفظه : " انتشبت الأمم في الفساد الذي عملوه ، وفي الفخِّ
الذي أخفوه ، تعلقت أرجلهم ، يعرف الربُّ أنه صانعُ الأحكام ، والخاطئُ يعملُ يديه

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

يُؤخَذُ ، يُرْفَعُ الخِطَاةُ إِلَى الجَحِيمِ " . انتهى .

وفي المزمورِ الخامسَ عشرَ^(١) منه : " فرحَ قلبي وتَهَلَّلَ لساني ، وجسدي أيضاً يسكنُ على الرجاءِ ، لأنك لا تتركُ نفسي في الجحيمِ ، ولا تدعُ ضيفك أن يرى فسَاداً " . انتهى . وفي المزمورِ الرابعِ والخمسين^(٢) ما لفظه : " ليأتِ الموتُ عليهم ، وليُنْحَدِرُوا إِلَى الجحيمِ أحياءً ، لأنَّ الشرورَ في مساكنهم وفي وسطهم " انتهى .

وفي المزمورِ السابعِ والثمانين^(٣) ما لفظه : " يا ربُّ ، لأنَّ نفسي قد امتلأتُ شروراً ، وحياتي إلى الجحيمِ دَنَتْ ، حُسِبْتُ مع المنحدرينَ في الجُبِّ ، صرتُ كإنسانٍ فاقدِ المعونَةِ بين الأمواتِ ، جرى كالجرمينِ الراقدين في القبورِ ، الذين يذكُرهم أيضاً ، وهم أقصوا من يدِكَ ، وضعوني في جُبِّ أسفلِ السافلينَ في ظلماتٍ وظلالِ الموتِ " انتهى .

وفي وصايا النبيِّ سليمانَ - عليه السلام - في الفصلِ الخامسِ منها ما لفظه : " لأنَّ أَرْجُلَ العبادَةِ ، تحذّرُ الذين سيعلمونها ، وتحطُّهم بعد الموتِ إلى الجحيمِ " انتهى .

وفي الإنجيلِ المسيحي في الفصلِ الخامسِ منه ، من الإنجيلِ الذي جمعه متى ما لفظه [٦]: " ومن قال لأخيه يا أحمقُ فقد وجبتُ عليه نارُ جهنمِ " انتهى . وفي هذا الفصلِ ما لفظه : " إن شككتكَ عينك اليمنى ، فأقلعها ، وألقها عنك ، فإنه لخيرٌ لك أن تُهْلِكَ أحدَ أعضائك من أن تهلكَ جسَدَكَ كُلَّهُ في جهنمِ ، وإن شككتكَ يدك اليمنى فأقطعها وألقها عنك ، فإنه لخيرٌ لك أن يهلكَ أحدُ أعصابك من أن يذهبَ جسَدَكَ كُلَّهُ في جهنمِ " انتهى .

وفي الفصلِ العاشرِ منه ما لفظه : " لا تخافوا ممن يقتلُ الجسدَ ولا يستطيعُ أن يقتلَ النفسَ . خافوا ممن يقدرُ أن يهلكَ النفسَ والجسمَ جميعاً في جهنمِ " انتهى .

(١) : بل هو في المزمور السادس عشر .

(٢) : بل هو في المزمور الخامس والخمسين .

(٣) : بل هو في المزمور الثامن والثمانين .

وفي الفصل الثالث عشرَ منه : " إن الملائكةَ يجمعونَ كلَّ أهلِ الشكوكِ ، وفاعلي الإثمِ ، فيلقونَهُم في أتونِ النارِ حيثُ البكاءُ وصريرُ الأسنانِ " . انتهى .

ومنه أيضاً ما لفظه : " هكذا يكون في انقضاء هذا الزمان يخرجُ الملائكةُ ، ويغرزونَ الأشرارَ من وسطِ الأخيارِ ، ويلقونَهُم في أتونِ النارِ ، هناك يكون البكاءُ وصريرُ الأسنانِ " انتهى . وفي الفصل الخامس والعشرينَ منه ما لفظه : " حينئذ يقول الذين عن يساره : اذهبوا عني يا ملاعينُ إلى النارِ المؤبَّدةِ المعدَّةِ لإبليسَ وجنوده " انتهى . وفيه أيضاً ما لفظه : " فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الدائمِ ، والصدّيقون إلى الحياةِ المؤبَّدةِ " انتهى .

وفي الفصل التاسع من الإنجيل الذي جمعه مرقسُ ما لفظه : " فإن شككتك يدُك فاقطعها ، فخير لك أن تدخلَ الحياةَ وأنت أعسمُ من أن يكون لك يدانِ وتذهب إلى جهنمَ في النارِ ، حيث دودهم لا يموتُ ، ونارهم لا تُطفأُ ، وإن شككتك رجلُك فاقطعها ، فخير لك أن تدخلَ الحياةَ أعرجَ من أن يكون لك رجلانِ وتلقَى في جهنمَ في النارِ ، حيث دودهم لا يموتُ ، ونارهم لا تُطفأُ " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ منه ، التصريح " بأن الزنادقةَ هم الذين يقولون : ليست تكون قيامةٌ " . انتهى . وفي الإنجيل الذي جمعه لوقا في الفصل السادس عشرَ منه ما لفظه : " ثم مات أيضاً ذلك الغبيُّ وقبرَ فرقعَ عينه ، وهو يعدَّب في الجحيمِ " انتهى .

وفيه أيضاً ذكرُ الزنادقةِ ، وهم الذين يقولون : ليست قيامةٌ ، هكذا في الفصل العشرينَ منه . وفيه أيضاً ما لفظه : " فأما أن الموتى يقومونَ فقد أنبأ بذلك موسى " انتهى . وفي الفصل الثالث والعشرينَ منه : إن المسيحَ قال للمصلوبِ الذي آمن به : " إنك تكون معي في الفردوس " انتهى .

وفي الإنجيل الذي جمعه يوحنا في الفصل الخامس منه ما لفظه : " فإنه ستأتي ساعةٌ يسمع فيها جميعُ من في القبورِ صوته ، فيخرجُ الذين عملوا الحسناتِ إلى قيامةِ الحياةِ ، والذين عملوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونةِ " انتهى . وفي الفصل السادس عشرَ منه ما لفظه : " يكون له الحياةُ المؤبَّدةُ ، وأنا أقيمه في اليومِ الآخرِ " .

وفي الفصل السابع عشر منه ما لفظه : " الحقُّ والحقُّ أقول لكم : إنه من يؤمنُ بحياةٍ دائمةٍ " انتهى .

إذا عرفت هذا المصرَّح به في الأناجيل ، فهكذا صرَّح الحواريون من أصحاب المسيح في رسائلهم المعروفة^(١) .

والحاصل أن هذا أمرٌ اتفقت عليه الشرائعُ ، ونطقتُ به كتبُ الله - عز وجل - ، سابقها ، ولاحقها ، وتطابقت عليه الرسلُ : أولهم وآخرهم ، ولم يخالف فيه أحدٌ منهم [٧] ، وهكذا اتفق على ذلك أتباعُ جميع الأنبياء من أهل الملل ، ولم يُسمع عن أحدٍ منهم ، أنه أنكر ذلك قطُّ . ولكنه ظهر رجلٌ من اليهود زنديقٌ ، يقال له موسى بن ميمون اليهودي^(٢) الأندلسي ، فوقع منه كلامٌ ، في إنكار المعاد . واختلف كلامه في ذلك ، فتارة يثبته ، وتارة ينفيه ، ثم هذا الزنديقُ ، لم ينكر مطلقاً المعاد ، إنما أنكر بعد تسليمه للمعاد أن يكون فيه لذاتٌ حسيةٌ جسمانيةٌ ، بل لذاتٌ عقليةٌ روحانيةٌ ، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيهٌ به من أهل الإسلام كابن سينا ، فقلده ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة

(١) : انظر : "رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس" الإصحاح الخامس عشر العهد الجديد .

(٢) : موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق ، أبو عمران القرطبي : طبيب فيلسوف يهودي . ولد وتعلم في قرطبة - ٥٢٩هـ - ٦٠١هـ = ١١٣٥-١٢٠٤م ، وتنقل مع أبيه في مدن الأندلس وتظاهر بالإسلام وقيل أكره عليه فحفظ القرآن وتفقه المالكية فدخل مصر فعاد إلى يهوديته وأقام في القاهرة عاماً كان فيها رئيساً روحياً لليهود كما كان طبيباً في تلك المدة في البلاط الأيوبي . ومات بها ودفن في طريا (بفلسطين) .

له تصانيف كثيرة بالعربية والعبرية منها : دلالة الحائرين ثلاثة أجزاء بالعربية والحروف العبرية وهو كتاب فلسفته قال ابن العربي : سماه الدلالة وبعضهم يستحجده وبعضهم يذمه ويسميه الضلالة . وله الفصول - فصول القرطبي .

انظر : "الأعلام" للزركلي (٧/٣٢٩-٣٣٠) .

الحمدية^(١) إثبات المعاد ، وتقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديق ، مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة ، ولعنوه ، وسمّوه كافراً .

قال في تاريخ النصراني في ترجمة موسى بن ميمون المذكور (أنه صنّف رسالة في إبطال المعاد الجسمي ، وأنكر عليه مقدّموا اليهود ، فأخفاها إلا عمّن يرى رأيه قال : ورأيت جماعة من يهود بلاد الإفرنج بأنطاكية وطرابلس يلعنونه ، ويسمّونه كافراً " . انتهى .

فهذه رواية نصراني عن طائفة من اليهود ، وأهم كفّروا ابن ميمون ولعنوه بسبب هذه المقالة . على أن هذا الملعون الزنديق قد اعترف في كثير من كلامه بالمعاد فقال في تأليفه المسمّى بالمشنا^(٢) في فقه اليهود : " إن هذا الموضوع الذي هو جنّ عيذاً^(٣) هو موضوع خصيبة من كرة الأرض ، كثير المياه والأثمار ، وسيكشفه الله للناس في المستقبل ، فيتعمون به ، ولعله يوجد فيه نبات غريب جداً ، عظيم النفع ، كثير اللذة غسيرة هذه المشهورة عندنا ، وهذا كله غير ممتنع ولا بعيد ، بل قريب الإمكان بمشيئة الله تعلى " ، ثم اعترف بذلك اعترافاً آخر فقال في كتاب (اللغات) في حرف العين : " إن معنى هذا الاسم الذي هو " عيزا " التلذذ والتنعم ، ومنه سمّيت لذات الآخرة ، ونعيم أنفس الصالحين الكاملين (جنّ عيزا) .

ثم قال في هذا الكتاب في تفسير (جن عيزا) : أي أن تلك هي جنات النعيم ، وفردوس السعادة ، وقد شرحوا معنى (جن عيزا) وماهية التلذذ فيها رجال من وصل

(١) : سيأتي التعليق عليها .

(٢) : قد سماه موسى بن ميمون في " دلالة الحائرین " (مشنة التوراة) (١٥/١) ويسميه البعض " تنبية التوراة" . انظر موسى بن ميمون (حياته ومصنفاته) للدكتور إسرائيل ولفنسون . مطبعة لجنة التأليف . ١٩٣٦ م .

(٣) : وقد صرح أيضاً باسم (جنة عدن) في كتابة دلالة الحائرین قال مخاطباً أحد تلاميذه (... كنت أيتها التلميذ العزيز الربى يوسف بن الربى يهودا سكنت نفسه جنة عدن) (٧/١) .

إليها ، واستقرَّ في ظلِّ غروبها ، وشربَ عذوبةَ أثمارها ، وأكل من لذيذ أثمارها ، قتلوا :
والصالحون باقونَ فيها ليستلذُّوا من نور الله " ، قال : " وقال النبي أشعيا في حقيقة
التلذُّذ: لا عينٌ [تقدرُ تراهُ]^(١) إلا علمُ الله تعالى " . انتهى كلام موسى ابن ميمون
المذكور .

ثم قال هذا اللعين في كتابه المسمى بالمشنا بعد اعترافه فيه كما حكيناه عنه هاهنا ما
لفظه : " اعلم أنه كما لا يدري الأعمى الألوان ، ولا يدري الأصمُّ الأصوات ، ولا
العَيْنُ شهوةَ الجماعِ ؟ كذلك لا تدري الأجسامُ اللذاتِ النفسانية . وكما لا يعلم الحوتُ
اصطقصَّ النار لكونه في حده ، كذلك لا يعلم في هذا العالم الجسماني بلذاتِ العالمِ
الروحاني ، بل ليس عندنا توجد لذةٌ غيرُ لذاتِ الأجسامِ ، وإدراكِ الحواسِّ من الطعام
والشرابِ والنكاح ، وما سُمِّيَ غيرُ ذلك فهو عندنا غير موجود ، ولا نميزه ، ولا ندركُهُ
على بادئ الرأي إلا بعد تحذُّقٍ كثير .

وإنما وجب ذلك لكوننا في العالم الجسماني في لذاتٍ ، فلا ندرك إلا لذتَهُ ، فأما
اللذاتُ النفسانيةُ فهي دائمةٌ غيرُ منقطعةٍ ، وليس بينها وبين هذه اللذةِ نسبةٌ بوجهٍ من
الوجوه ، ولا يصحُّ لنا في الشرع ، ولا عند الإلهيين من الفلاسفة أن نقول : إن الملائكة
والكواكبَ والأفلاكَ ليس لها لذةٌ ، بل هي لذةٌ عظيمةٌ جداً لما عقلوه من الباري - عز
وجل - ، وهم بذلك في لذةٍ غير منقطعةٍ ، ولا لذةٌ جسمانيةٌ عندهم ، ولا يدركونها ؛
لأنه ليس لهم حواسُّ مثلنا يدركون بها ما ندرك نحن ، وكذلك نحن إذا تزكَّينا من
تزكَّينا ، وصار بتلك الدرجة بعد الموتِ ، لا يدركُ اللذاتِ الجسمانيةُ ، ولا يريدُها ، كما
لا يريدُ الملكُ العظيمُ الملك ، أن ينخلعَ من مُلكِهِ ليرجعَ يلعبُ بالكرةِ في الأسواقِ ، وقد
كان في زمان ما بلا محالة يفضلُّ اللعب بتلك الكرةِ على الملكِ ، وذلك من حين صغرِ
سنِّه عند جهله بالأمرين جميعاً . كما نفضل نحن اليوم اللذةَ الجسمانيةَ على النفسانيةِ .

(١) : صوابه اللغوي [تقدرُ أن تراه] .

وإذا ما بلغت أمرَ هاتين اللذتين نجد حساسة اللذة الواحدة ، ورفعة الثانية ، ولو في هذا العالم ، وذلك أن نجد أكثر الناس يُحمَلُونَ أنفسهم وأجسامهم من الشقاء والتعب ، ما لا مزيدَ عليه ، كي ينالَ رفعةً أو يعظمه الناس ، وهذه اللذة ليست لذة طعامٍ أو شرابٍ ، وكذلك كثيرٌ من الناس ، يؤثر الانتقامَ من عدوه على كثير من لذات الجسم ، وكثير من الناس يتجنبُ أعظمَ ما يكون من اللذات الجسمانية ، خشيةً أن يناله في ذلك جزاءٌ أو حشمةٌ من الناس .

فإذا كانت حالتنا في هذا العالم الجسماني هكذا ، فناهيكَ بالعالم النفساني ، وهو العالم المستقل الذي تعقل أنفسنا من الباري فيه مثل ما تعقل الأجرام العُلوية ، أو أكثر ، فإن تلك اللذة ، لا تتجزأ ، ولا تتصف ، ولا يوجد مثلٌ تمثل تلك اللذة ، بل كما قال النبي داود متعجباً من عظمته ، ما أكثرَ وما أجزَلَ خيرك الذي خبأته للصالحين الطائعين لأمرك ، وهكذا قال العلماء : العالم المستقبل ، ليس فيه لا أكل ، ولا شرب ، ولا غُسْلٌ ولا دُهْنٌ ولا نِكَاحٌ ، بل الصالحون باقون فيه ، ويستلذون من نور الله تعالى ، يريدون بذلك أن تلك الأُنفس تستلذ بما تعقل من الباري بما تستلذ سائر طبقات الملائكة بما عقلوا من وجوده - سبحانه - .

فالسعادة والغاية القُصوى هي الوصولُ إلى هذا الملاء الأعلى . والوصولُ في هذا الحدِّ هو بقاء النفس كما وصفنا إلى ما لا نهاية له ، بقاء الباري - جل اسمه - ، وهذا هو الخير العظيم الذي لا خيرَ يقاسُ به ، ولا لذةٌ يُمثَلُ بها ، وكيف [يُمثَلُ] (١) الدائم بما لا نهاية له بالشيء المنقطع ؛ وهو قوله تعالى في نصِّ التوراة : " لكي يطيب لك في العالم الذي كلُّه طيبٌ ، ويطيل أيامك في العلم الذي كلُّه طائلٌ ، والشقاوة الكاملة هو انقطاع النفس وأن لا تحصلَ باقيةً ، وهو القطع المذكور [٩] في التوراة كما بين . " وقال : " انقطاعاً ينقطع من هذا العالم ، وينقطع من العالم المستقبل .

(١) : كذا في المخطوط والفصح (يُمثَلُ) بالياء التحتية .

فكلُّ من أخذَ إلى اللذاتِ الجسمانيةِ ، ونبذ الحقَّ ، وآثر الباطلَ انقطع من ذلك البقاء والعلوِّ ، وبقي مادةً منقطعةً فقطً ، وقد قال النبيُّ أشعيا : " إن العالمَ المستقبلَ ليس يُدركُ بالحواسِّ . وهو قوله : لا عينٌ تقدرُ أن تراه " .

وأما الوعدُ والوعيدُ المذكور في التوراة في لذاتِ هذا العالم فتأويله ما أصفُ لك ، وذلك أنه يقول لك : " إن امتثلتَ هذه الشرائعَ ، نعينُك على امتثالها ، والكمالِ فيها ، ونقطعُ عنك العلائقَ كُلَّها ، لأن الإنسان لا يمكنه العبادةُ لا مريضٌ ، ولا جائعٌ ، ولا عطشٌ ، ولا في فتنَةٍ فوعدَ بزوال هذه كُلَّها ، وإنهم يصحُّون ، ويتذهنون حتى يكملُ لهم المعرفةُ ، ويلتحقون بالعالمِ المستقبلِ . فليس غايةُ التوراة إلا أن تخصبَ الأرضَ ، وتطولَ الأعمارُ ، وتصحَّ الأجسامُ ، وإنما يُعانُ على امتثالها بهذه الأشياءِ كُلَّها ، وكذلك إن تعلَّوا كان عقابُهم أن تحدثَ عليهم تلك العوائقُ كُلَّها ، حتى لا يمكن أن يعملوا صالحاً . فإذا تأملتَ هذا التأملَ العجيبَ ، تجذَّه كأنه يقول : إن فعلتَ بعضَ هذه الشرائعِ بمحبةٍ وفرضٍ نعينُك عليها كُلَّها ، بأن نزيلَ عنك العوائقَ والموانعَ ، وإن ضيَّعتَ منها بعضاً استخففاً ، نجلبُ عليك موانعَ تمنعُك من جميعها حتى لا يحصلُ لك كلامٌ ولا بقاءٌ " انتهى .

فهذا خلاصةُ كلامِ ابن ميمون اليهوديِّ زنديقِ اليهودِ في كتابه المذكورِ سابقاً ، وقد أوردنا لك كلامه هاهنا ، لتعلم أنه لم يربطه شيءٌ من كلامِ الله - سبحانه - يصلحُ دليلاً عليه ، بل هو مجرد زندقةٍ ، والتوراةُ والزبورُ والإنجيلُ ، وكتبُ سائرِ الأنبياءِ مناديةٌ بخلاف ذلك ، حسبما قدمنا لك . وهانحن نوضح لك فسادَ كلامه هذا فنقول :

أولاً : إن حصر هذه اللذاتِ النفسانيةِ التي ذكرها ، لا ينافي حصولَ اللذاتِ الجسمانيةِ التي وردت في كتبِ الله - عز وجل - .

وقوله : " وليست بلذةً طعامٍ أو شرابٍ " ، هذا مسلمٌ ، فإن اللذاتِ النفسانيةِ ليست بلذةً طعامٍ ولا شرابٍ ، ولكن من أين يلزمُ أنه لا لذةً طعامٍ وشرابٍ ونحوهما في تلك الدار الآخرةِ ؟ .

فإن كان بالشرع ، فكتبُ الله - سبحانه - جميعها ناطقةً بخلاف ذلك كما قدمنا ذلك

في كتب الله - عز وجل - المتقدمة ، وكما في القرآن العظيم مما يكثر تعداده ، ويطول إيراده ، وهو لا يخفى مثله على أحد من المسلمين الذين يقرؤون القرآن لبلوغه في الكثرة إلى غاية يشترك في معرفتها المقصّر والكامل .

وإن كان بالعقل فليس في العقل ما يقتضي إثبات اللذة النفسانية ، ونفي اللذة الجسمانية ، بل لا مدخل للعقل هاهنا ، ولا يُتَعَوَّلُ عليه أصلاً . وإن كان لا يعتبر عقل ، ولا شرع ، بل لمجرد الزندقة ، والمروق من الأديان كلها ، والمخالفة لما ورد في كتب الله - سبحانه - [١٠] فبطلان ذلك مستغن عن البيان .

وأما قوله : " كما قال النبي داود متعجباً من عظمتها : ما أكثرَ وما أجزَلَ خَيْرِكَ الذي خبأته للصالحين الطائعين لأمرِك ! " ، فهذا عجب منه - عليه السلام - من كثرة خير الله - سبحانه - ، وجزالة ما خبأه للصالحين^(١) من عباده الطائعين لأمره في الدار الآخرة ، وهو دليل على الملعون لا له ؛ فإن كلامه هذا هو كلام سائر أنبياء الله في استعظام ما أعدّه الله للصالحين من عباده ، كما قال نبينا ﷺ : " في الجنة مالا عين رأت ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر " ^(٢) . ومثله في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ^(٣) .

وأما قوله : " وهكذا العلماء : العالمُ المستقبلُ ، ليس فيه لا أكلٌ ، ولا شربٌ إلى آخره " فيقال له : إن أردت علماء الملة اليهودية ، فهم الذين لعنوك وكفروك بسبب هذه

(١) : قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

وانظر الآيات : [البقرة : ٢٥] ، [الرعد : ٣٥] ، [إبراهيم : ٢٣] .

(٢) : أخرجه البخاري رقم (٨٤٩٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٢٤/٢) من حديث أبي هريرة .

(٣) : [السجدة : ١٧] .

المقالة كما قدّمنا ، وهم جميعاً يخالفونك ، ويثبتون المعاد الجسماني ، واللذات الجسمانية ، ويكفرون من لم يثبتها كما كفروك ويلعنونه كما يلعنوك . وإن أردت علماء الملة النصرانية ، فهم متفقون بأسرهم على إثبات المعاد الجسماني ، وإثبات اللذات الجسمانية والنفسانية فيه ، وكيف يخالف منهم مخالف في ذلك ، والإنجيل مصرّح بهذا الإثبات تصريحاً ، لا يبقى عنده ريبٌ لمرتاب ! . وإن أردت علماء الملة الإسلامية فذلك كذبٌ بحتٌ ، وزورٌ محضٌ ، فإنهم مجمعون على ذلك ، لا يخالف منهم فيه مخالفٌ . ونصوص القرآن من فاتحته إلى خاتمته مصرّحة بإثبات المعاد الجسماني ، وإثبات تنعيم الأجسام فيه بالمطعم والمشرب والمنكح وغير ذلك ، أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من تلك الأنواع المذكورة فيه ، وهكذا النصوص النبوية المحمدية مصرّحة بذلك تصريحاً يفهمه كلُّ عاقل ، بحيث لو جُمع ما ورد في ذلك منها لجاء مؤلفاً بسيطاً .

وأما استدلاله بقوله في التوراة : " لكي يطيب لك في العالم الذي كله طيب ، ويطيل أيامك في العالم الذي كله طائل " فهذا دليل على الملعون ، فإن الخطاب في الدنيا لمجموع الشخص الذي هو الجسم والروح . وظاهره أنه يكون له هذا على الصفة التي خوطب وهو عليها ، وأنه يحصل له جميع ما يتلذذ به من اللذات الجسمانية والنفسانية ، ومن ادعى التخصيص ببعض الشخص ، أو ببعض اللذات ، فهو يدعي خلاف الظاهر . ولكن الحرف المتزندق لا مقصد له إلا التلبس على أهل الأديان . وكذلك قوله : " وقد قال النبي أشعيا أن العالم المستقبل ليس يُدرك بالحواس ، وهو قوله : لا عينٌ تقدر أن تراه " . فإن هذا هو مثل ما قدمنا من كلام الأنبياء في استعظام ما عند الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة . وبهذا تعرف أنه لم يكن في كلام هذا الملعون الزنديق ما يتمسك به متمسكاً ، أو يغترُّ به مغترّاً [١١] ، بل هو خلاف ما في كتب الله جميعاً كما قدمنا ، وخلاف ما عند علماء الملل ، بل خلاف ما أقرّه به في كلامه السابق إقراراً مكرراً .

فيا عجباً لمن يتمسك بمثل هذا الكلام الذي لم يجر على نمط ملة من الملل ، ولا وافق نصاً من نصوص كتب الله - سبحانه - ، ولا نصاً من نصوص رسل الله جميعاً ! ،

ويجعلُه نفسَ ما وردت به التوراة والإنجيلُ ، ويجزُمُ به ويجرُّه في كتبه مظهرًا أن الشريعةَ المحمديةَ جاءت بما لم يكن في الشرائع السابقة ، زاعماً أن ذلك دليلٌ على كمالها ، مبطناً ما أبطنه هذا الزنديقُ ابنُ ميمون اليهوديُّ ، كما فعل ذلك ابنُ سينا^(١) ، وتبعه ابنُ أبي الحديد^(٢) في شرح (النهج)^(٣) . بل جاوز ما قاله هذا إلى ما هو شرُّ منه ، فقال : إن التوراةَ لم يأت فيها وعدٌ ووعدٌ يتعلَّق بما بعد الموتِ . وهذه فريئةٌ على التوراة ، وحقٌّ لما فيها ، وتحريفٌ لما صرَّحت به في غيرِ موضعٍ كما قدمنا بعضَ ذلك . وكذلك زعم أن المسيح وإن صرَّح بالقيامة فقد جعل العذابَ روحانياً ، وكذلك الثوابُ . وهذا أيضاً كذبٌ مخضٌ . وقد قدمنا ما يفيدُك ذلك ، ويطلعك على كذبهما . والعجبُ أن ابنَ ميمون اليهوديَّ لم يتجاسرَ على ما زعمناه من أن التوراةَ لم يأت فيها وعدٌ ووعدٌ يتعلَّق بما بعد الموت ، بل أثبت ذلك ، واستدلَّ عليه بالتوراة كما عرفت من كلامه السابق المتضمَّن لاعتراضه ، ولمخالفته في إثبات اللذاتِ الجسمانية . فإن قلت : قد جاء عن الصابئة ، وعن جماعة من المتعلقين بمذاهب الحكماء ما يوافقُ كلامَ ابنِ ميمون المذكور . قلتُ : لسنا بصددِ الردِّ على كلِّ كافرٍ ومتزندقٍ ، بل بصددِ الكلامِ على ما جاءت به رسلُ الله ،

(١) : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا ، البلخي ، ثم البخاري يلقب بالشيخ الرئيس ، فيلسوف ، طبيب ، شاعر ولد سنة ٣٧٠هـ كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي من القرامطة الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا بمعاد ولا رب ولا رسول . من تصانيفه الإشارات ، القانون في الطب وتقاسيم الحكمة .

انظر : شذرات الذهب (٢٣٤/٣) ، معجم المؤلفين (٢٠/٤) .

(٢) : هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني كان فقيهاً أصولياً وله في ذلك مصنفات معروفة مشهورة وكان متكلماً جليلاً ، اصطنع مذهب الاعتزال ولد بالمدائن في غرة ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ونشأ بها ، نظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم ، وفيها غالي وتشيع . من مصنفاته ، الاعتبار ، شرح نهج البلاغة .

انظر : البداية والنهاية (٢١٣/١٣) وفوات الوفيات (٢٥٩/٢) والوفائي في الوفيات (٧٧، ٧٦/١٨) .

(٣) : لم أجد هذه العبارات في شرح النهج .

ونظقت به كتبه ، واتفقت عليه الملل المنتسبة إلى الأنبياء المقتديّة بكتب الله ورسله دفعا لما وقع من الكذب البحت ، والزور المحض ، ممن زعم المخالفة بينها وبين ما جاءت به الشريعة المحمدية ، فأوضحنا أن ذلك مخالف للملة اليهودية ، ولما جاءت به التوراة ، وما قاله علماء اليهود . ومخالف لما جاءت به الملة النصرانية ، ولما جاء به الإنجيل ، وما قاله علماء النصارى . ومخالف أيضا لما جاء به أنبياء بني إسرائيل ، وما نظقت به كتبهم حسبما قدمنا . ومخالف لما كان من الأنبياء المتقدمين على بعثة موسى كما يحكي ذلك ما تضمنته التوراة من حكاية أحوالهم ، وما كانوا عليه ، وما كانوا يدينون به ، وكما يحكي ذلك عنهم القرآن الكريم ، فإن فيه ما يفيد ما كانوا عليه ، وما كانوا يدينون به ، وما قالوا لقومهم ، وما وعدوهم به من خير وشر ، [١٢] بل فيه ما يفيد ما كان عليه أهل الكتب المتأخرة من البعثة لموسى ، ومن بعده ، وما كانوا يدينون به كقوله سبحانه - حاكيا عن اليهود : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ يٰبَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ ^(٢) ، وقوله حاكيا عن موسى ^(٣) إلى فرعون : ﴿ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ خُذِيكِ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ^(٧) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) : [البقرة : ١١١] .

(٢) : [المائدة : ٧٢] .

(٣) : ليست عن موسى وإنما هي عن رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم لإيمانه كما في سورة غافر (٢٨-٣٢) .

(٤) : [غافر : ٣٩-٤٠] .

عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴿٥٨﴾ وقال : ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٥٩﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٦٠﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٦١﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٦٢﴾ . ونصوصُ القرآنِ الحَاكِيَةُ عن اليهود والنصارى ، وسائرِ المللِ مثلُ هذا كثيرةٌ جداً ، ولا يَتَّسِعُ المقَامُ لبسطِها ، وقد بُعِثَ النبي - ﷺ - وأهلُ المِلَّةِ اليهوديةِ والنصرانيةِ في أَكثَرِ بقاعِ الأرضِ ، وبلَّغَهُم ما حكاها القرآنُ عن أنبيائِهِم من إثباتِ المعادِ ، وإثباتِ النعيمِ الجسَمانيِّ والروحانيِّ ولم يُسَمَّعْ عن أحدٍ منهم أنه أنكر ذلك ، أو قال هو خلافُ ما في التوراةِ والإنجيلِ . وقد نزلَ أَكثَرُ القرآنِ على النبيِّ - ﷺ - في المدينةِ ، وكان اليهودُ متوافرينَ فيها وفيما حولَها من القرى المُتَّصِلَةِ بها ، وكانوا يسمعون ما يترلُّ من القرآنِ ، ولم يُسَمَّعْ أن قائلًا منهم قال للنبيِّ - ﷺ - : إنك تحكي عن التوراةِ ما لم يكن فيها من البعثةِ ، وما أعدهُ الله في الدارِ الآخرةِ من النعيمِ للمطيعينَ ، والعذابِ للعاصينَ ، وقد كانوا يودُّون أن يقدِّحُوا في النبوةِ المحمَّديةِ بكلِّ ممكنٍ . بل كانوا في بعضِ الحالاتِ ينكرون وجودَ ما هو موجودٌ في التوراةِ كالرَّجْمِ (٣) ، فكيف سكتُوا عن هذا الأمرِ العظيمِ ! وهل كانوا يعجزون أن يقولوا عند سماعِهِم لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا

(١) : [آل عمران : ٥٥-٥٧] .

(٢) : [الأعلى : ١٦-١٩] .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦٨٤١) ومسلم رقم (١٦٩٩/٢٦) من حديث ابن عمر أنه قال : إن اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ " فقالوا : نفضحهمُ ويجلدون . قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم قالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم . فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، فرأيت الرجل يحيي على المرأة يقبها الحجارة .

أَيَّامًا مَّعْدُودَةً^(١) ، ما قلنا هذا ولا نعتقدُه ، ولا جاءت به شريعة موسى !؟ .

وهكذا عند سماعهم لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى^(٢) 》 . وقد كان أمرُ المعادِ مشتهراً في أهل الكتاب ، وكانوا يتحدثون به ، واستمر ذلك فيهم استمراراً ظاهراً ، وعَلِمَ به غيرُهم من أهل الأوثانِ لما كانوا يسمعون منهم . ومن ذلك ما أخرجه ابن إسحاق^(٣) قال : حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد^(٤) ، عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : كان بين أبياتنا يهودي^(٥) ، فخرج على نادي قومه^(٥) بني عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار [١٣] ، والحساب والميزان ، فقال ذلك لأصحاب وثن لا يرون أن بَعَثًا كائنٌ بعد الموت . وذلك قبل مبعث رسول الله - ﷺ - ، فقالوا : ويحك يا فلان ، أو ويحك ، وهذا كائن أن الناس يُبْعَثُونَ بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون من أعمالهم !؟ . قال : نعم ، والذي يُحْلَفُ ، به لوددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظمَ ثُورٍ في داركم ، فتحمونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطيئون عليّ ، وأني أنجو من تلك النار غداً . فقيل : يا فلان ، فما علامة ذلك ؟ فقال : نبيّ يبعثُ من ناحية هذه البلاد ، وأشار إلى مكة واليمن بيده ، قالوا : فمتى نراه ؟ فرمى بَطْرَفِهِ فرآني وأنا مضطجعٌ بفناء باب أهلي ، وأنا أحدث القومَ ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلامُ عمره يُدْرِكُهُ ... إلى آخر الحديث^(٦) .

(١) : [البقرة : ٨٠] .

(٢) : [البقرة : ١١١] .

(٣) : في السيرة النبوية (١/٢٧٠-٢٧٢) .

(٤) : في السيرة زيادة [أخي بني عبد الأشهل] .

(٥) : عبارة الشوكاني تشعر بأن هذا اليهودي من بني عبد الأشهل نسباً وصوابه كما في السيرة (١/٢٧١) :

" فخرج علينا من بيته ، حتى وقف على بني عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ من أحدث من فيه سناً ... " .

(٦) : أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٦٧) والبحاري في التاريخ الكبير (٢/٦٨) وأبو نعيم دلائل =

وأهل الكتاب إلى عصرنا هذا يقرون بالمعاد ، والجنة والنار ، والحساب والعقاب ،
والنعيم والثواب ، ولا ينكر ذلك منهم منكر ، ولا يخالف فيه مخالف .
وإذا قيل لهم : قد قال قائل : إنكم لا تثبتون ذلك ، أنكروا أشد الإنكار . فمن روى
عنهم ما يخالف ذلك ، فقد افترى ، وجاء بما ترده الأحياء منهم والأموات ، وبما تبطله
الرسالة المرسله إليهم ، والكتب النازلة عليهم ، حسبما قد حكينا لك في هذا المختصر .

= النبوة (١/ ٧٤ - ٧٥) والبيهقي في الدلائل أيضا (٢/ ٧٨-٧٩) والطبراني في الكبير (٧/ ٤١-٤٢)
رقم ٦٣٢٧) والحاكم (٣/ ٤١٧-٤١٨) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت
عنه الذهبي .
وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٣٠) وقال : رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح
بالسماع .
والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

الفصل الثالث في إثبات النبوات

[١ - تمهيد] :

اعلم أن الأنبياء - عليهم السلام - على كثرة عددهم ، واختلاف أعمارهم ، وتباين أنسابهم ، وتباعد مساكنهم ، قد اتفقوا جميعاً على الدعاء إلى الله - عز وجل - ، وصار الآخر منهم يقرُّ بنبوة مَنْ تقدمه ، وبصحة ما جاء به . وإذا خالفه في تحليل بعض ما حرّمه الله على لسان الأول ، أو تحريم ما أحله الله له ولأمته فهو مقررٌ بأن الحكم الأول تحليلاً أو تحريماً هو حقٌّ ، وهو حكم الله - عز وجل - ، وأنه الذي تعبد الله به أهل تلك الملة السابقة ، واختاره لهم ، كما اختار للملة اللاحقة ما يخالفه . والكلُّ من عند الله - عز وجل - ، وذلك جائز عقلاً وشرعاً في ملة واحدة ، فضلاً عن الملل المختلفة .

وما روي في بعض كتب أصول الفقه من أن اليهود ينكرون النسخ ، فتلك رواية غير صحيحة ، وقد نسبها مَنْ نسبها إلى طائفة^(١) قليلة منهم ، وما أظنه يصحُّ عنهم ذلك ؛ فإن التوراة مصرّحةً بنسخ كثير من الأحكام التي نعبدهم الله بها ، تارة تخفيفاً ، وتارة تغليظاً ، وتارة إيجاباً ، وتارة تحريماً .

وبالجملة فلا شك ولا ريب أن الأنبياء متفقون على تصديق بعضهم بعضاً ، وأن ما جاء به كل واحد منهم فهو من عند الله - عز وجل - [١٤] وقد عرفناك فيما سبق أن

(١) : قال صاحب الكواكب (٣/٥٣٣) .

يجوز النسخ عقلاً باتفاق أهل الشرائع سوى الشمعونية - ينتسبون إلى شمعون بن يعقوب . وكذلك يجوز النسخ سماعاً باتفاق أهل الشرائع سوى العناية من اليهود فإنهم يجوزونه عقلاً لا سماعاً .
العناية : فرقة من اليهود ينتسبون إلى عنان بن داود وهم يخالفون اليهود في سائر السبت والأعياد وينهون عن أكل الطير والظباء والسّمك والجراد ... " .

الإرشاد (ص ١٨٥) . نهاية السؤل (٢/١٦٧) . الملل والنحل (١/٣١٥) .

عددهم بلغ إلى مائة^(١) ألفٍ وأربعةٍ وعشرين ألفاً . ولا خلاف بين أهل النظر أن اتفاق مثل هذا العدد يفيد العلم الضروري بصدق ما اتفقوا عليه ، بل اتفاق عشر هذا العدد بل اتفاق عشر عشره يفيد ذلك . ومن ينكر في هذا الاتفاق فعليه بمطالعة التوراة ؛ فإنها قد اشتملت على حكاية حال الأنبياء من لدن آدم إلى بعثة موسى ، وفيها التصريح بتصديق بعضهم بعضاً ، ولم يقع من واحد منهم الإنكار لنبوة أحدٍ من تقدمه . ثم جاء من بعد موسى وهارون أنبياء بني إسرائيل ، وكل واحد منهم يقرُّ بمن تقدمه ، ويثبت نبوته ، كما اشتمل على ذلك كتبُ نبواتهم ، وكثيرٌ منهم كان يجاهد من يعبد الأصنام من بني إسرائيل وغيرهم . وقد وقعت لهم قصص وحروب مع من كان يعبد الصنم المعروف (ببعل) الذي ذكره الله - سبحانه - في القرآن^(٢) . وكذلك كان لهم قصصٌ وحروب مع من كان يعبد غيره من الأصنام . وهكذا داودٌ وسليمانُ ، وهما من أنبياء بني إسرائيل ، ومن يدين بالتوراة ، مازالا في حرب مع عبَاد الأصنام كما يحكي ذلك الزبورُ ، وكتاب داود ، وكما تحكيه وصايا سليمان ، وهي كتاب مستقلٌ .

وهكذا الإنجيلُ ؛ فإن المسيح - عليه السلام - كان يحتجُّ على المخالفين له من اليهود بنصِّ التوراة في غالب فصوله المشتملة على حكاية المسائل التي أنكرها عليه اليهود . ومع هذا فلم يقع اختلافٌ بينهم قطُّ في الدعاء إلى توحيد الله ، وإثبات المعاد ، وصحة نبوة كلِّ واحد منهم وصدقهِ ، فيما جاء به من الشرع ، وفيما حكاه عن الله - سبحانه - . وهذه هي الثلاثة المقاصد التي جمعنا هذا المختصرَ لتقرير اتفاقهم عليها ، وإثباتهم لها ، وكثيراً ما كان يقع التبشيرُ من السابق منهم باللاحق ، كما هو مصرَّح به في التوراة من تبشير موسى بيوشع بن نون ، وكما هو مصرَّح به في الزبور من تبشير داود ببعيسى ، وهو الرابع عشر من أولاده ، فإن بين داود والمسيح أربعة عشرَ أباً . وقيل أكثرُ من

(١) : تقدم تخريجه (ص ٤٨٤) وهو حديث ضعيف .

(٢) : قال تعالى : ﴿ أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَاَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٥] .

ذلك ، حسبما يحكيه ما وقع في بعض نُسخ الإنجيل ، وكما وقع من يحيى بن زكريا المسمّى عندهم يوحنا ، فإنه بشرَ بالمسيح مع اتصال عصره بعصره ، فإنَّ يحيى بن زكريا إنما قُتِلَ بعد أن بعث الله المسيح كما يحكى ذلك الإنجيل .

【 ٢ - تبشيرُ التوراة بمحمد - ﷺ - : 】

والكلام في تبشير بعض الأنبياء ببعض يطول ، وها نحن نذكر لك هاهنا ما وقع من التبشير بنبينا محمد - ﷺ - من تقدّمه من الأنبياء ، حتى يتّضح لك أن هذه سنّة الله - عز وجل - في أنبيائه - عليهم السلام - .

فمن ذلك ما ثبت في التوراة في الفصل السابع عشر من السّفر الأول منها : " قال الله سبحانه لإبراهيم ، وقد سمعتُ قولك في إسماعيل ، وها أنا مباركٌ فيه ، وأثمره ، وأكثره بِمَاذَ مَاذٌ " (١) انتهى قوله : " بِمَاذَ مَاذٌ " (١) هو اسم محمد بالعبرانية ، وهذا صريحٌ في البشارة بنبينا محمد - ﷺ - . [١٥]

وفي الفصل الثالث (٢) والثلاثين من السّفر (٣) الخامس من التوراة ، ما لفظه : " يا الله الذي تجلّى نوره من طور سينا ، وأشرق نوره من جبل سيعير ، ولوّح به من جبل فاران ، وأتى ربوة القدس بشريعة نور من يمينه لهم " انتهى . هذا نصُّ التوراة المعرّبة تعريباً صحيحاً ، وقد حكى هذا اللفظ من نقل عن التوراة بمخالفة لما هنا بسيرة : " هكذا جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من (ساعير) واستعلن من جبال فاران ، وفي لفظ : " تجلّى الله من طور سيناء إلخ " .

قال جماعة من العلماء : إن معنى تجلّى نور الله - سبحانه - من طور سيناء ، أو مجيئه

(١) : لا توجد هذه الكلمة في العهد القديم ويوجد بدلها " كثيراً جداً " .

(٢) : انظر العهد القديم (ص ٢٣٤) . ط : القاهرة .

(٣) : أي سفر التثنية وقد تقدم .

من طور سيناء ، هو إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء ، ومعنى إشراقه من جبل (سيعير) ، إنزاله الإنجيل على المسيح ، وكان المسيح من (سيعير) ، أو (ساعير)^(١) ، وهي أرض الخليل من قرية منها تدعى (ناصره) وباسمها سُمي أتباعه نصارى ، ومعنى لَوْح به من جبل فاران^(٢) ، أو استعلن من جبل فاران ، إنزاله القرآن على محمد - ﷺ - .

وجبالُ فاران هي جبال مكة بلا خلاف بين المسلمين ، وأهل الكتاب . ومما يؤيد هذا ما في التوراة في السفر^(٣) الأول منها ما لفظه : " وُعِدَا إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ الْغُلَامَ يَعْنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَأَخَذَ خُبْرًا وَسِقَاءً مِنْ مَاءٍ ، وَدَفَعَهُ إِلَى هَاجِرَ ، وَحَمَلَهُ عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا : اذْهَبِي ، فَانْطَلَقَتْ هَاجِرٌ ، فَظَلَّتْ سَبْعًا ، وَنَفَذَ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ مَعَهَا ، فَطَرَحَتْ الْغُلَامَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، وَجَلَسَتْ مُقَابِلَتَهُ عَلَى مِقْدَارِ رَمِيَةِ سَهْمٍ ، لِثَلَا تَبْصُرَ الْغُلَامَ حِينَ يَمُوتُ ، وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا بِالْبَكَاءِ ، وَسَمِعَ اللَّهُ صَوْتَ الْغُلَامِ ، فَدَعَا مَلِكُ اللَّهِ هَاجِرَ وَقَالَ لَهَا : مَالِكُ يَا هَاجِرُ لَا تَخْشِي ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ الْغُلَامِ حَيْثُ هُوَ ، فَقَوْمِي فَاحْمِلِي الْغُلَامَ ، وَشَدِّي يَدَيْكَ بِهِ ، فَإِنِّي جَاعِلُهُ لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَيْنَهَا فَبَصُرَتْ بِثَرِّ مَاءٍ ، فَسَقَتِ الْغُلَامَ ، وَمَلَأَتْ سِقَاهَا ، وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الْغُلَامِ فَرَبِي وَسَكَنَ فِي بَرِيَّةِ فَارَانَ " انتهى .

ولا خلاف أن إسماعيل سكن أرض مكة فعلم أنها فاران ، وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن الكريم ما يفيد هذا ، فقال حاكياً عن إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

(١) : في التوراة اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طرية وعكا .

معجم البلدان (١٧١/٣) .

(٢) : كلمة عبرانية معربة : وهو اسم لجبال مكة . انظر معجم البلدان (٢٢٥/٤) .

(٣) : أي سفر التكوين . الإصحاح الحادي والعشرون . انظر العهد القديم (٢٩) .

(٤) : [إبراهيم : ٣٧] .

ولا خلاف في أن المراد بهذا الوادي أرض مكة ، وفي الأحاديث الصحيحة^(١) الحاكية لقصة إبراهيم مع هاجر وولدها إسماعيل ما يفيد هذا ويوضحه .

ومما يؤكد هذه البشارة ، المذكور في التوراة البشارة المذكورة في كتاب نبوة النبي شمعون^(٢) ولفظه : " جاء الله من جبال فاران ، وامتألت السماوات والأرض من تسيبته ، وتسيب أُمته " .

ومثل ذلك البشارة المذكورة في نبوة النبي حبقوق^(٣) ولفظه : " جاء الله من التيمن^(٤) ، وظهر القدس على جبال فاران ، وامتألت الأرض من تحميد أحمد ، وملك يمينه رفات الأمم ، وأنارت الأرض لنوره ، وحملت خيله في البحر " انتهى .

وفي هذا التصريح بجبال فاران مع التصريح باسم نبينا محمد - ﷺ - [١٦] بقوله : وامتألت الأرض من تحميد أحمد تصريح لا يبقى بعده ريب لمرتاب .
ومن البشارات بنينا - محمد ﷺ - في الزبور^(٥) لداود - عليه السلام - ما لفظه :

(١) : انظر : فتح الباري (٦/٣٨٦-٣٩٥) .

البداية والنهاية (١/١٥٠-١٥٥) .

(٢) : ونص الترجمة الحالية : " الله جاء من تيمان ، والقديس من جبل فاران ، سيلاه جلاله غطى السماوات والأرض ، امتألت من تسيبته . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع . وهناك استثار قدرته " .

سفر حبقوق ، الإصحاح الثالث ، العهد القديم ١٠٤٦ .

(٣) : اسم عبري معناه (يعاقب) أو ربما اسم نبت حديقة وهو نبي في يهوذا ويستفاد من المزمور المنسوب إليه أنه كان من سبط لاوي وأنه أحد المفتين في الهيكل وهو عند أهل الكتاب ثامن الأنبياء الصغار الذين ظهروا في مملكة يهوذا .

قاموس الكتاب المقدس (ص٢٨٧-٢٨٨) .

(٤) : اسم عبري معناه اليمينين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية .

قاموس الكتاب المقدس (ص٢٨٨) .

(٥) : سفر حبقوق الإصحاح الثالث .

(٦) : نص الترجمة الحالية : " رموا للرب ، باركوا اسمه ، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصة ، حدثوا بين الأمم بمجده ، بين جميع الشعوب بعجائبه ، لأن الرب عظيم وحميد جداً " .

" إن ربنا عظيم ، محمود جداً ، ومحمدٌ قد عم الأرض كلها فرحاً " انتهى .
ففي هذا التصريح باسمه - ﷺ - .

ومن ذلك قوله فيه " بارك عليك إلى الأبد . ويُقَلِّدُ أبونا الجبارُ السيفَ ، لأن البهَاءَ لوجهك ، والحمدَ الغالبَ عليك ، أُرَكِّبُ كلمةَ الحقِّ ، وسَمَتَ التَّأْلَهُ ، فإن ناموسَكَ وشرائعَكَ معروفةٌ بهيئةِ يَمِينِكَ ، وسهامَكَ مسنونةٌ ، والأُممُ يَحِرُّونَ تَحْتَكَ " (١) انتهى .
وهذه صفاتُ نبينا - ﷺ - فإنه لم يُبْعَثْ نبيٌّ هذه صفتهُ بعد داودَ سواه . ومثل هذا قوله في موضعٍ آخرَ : " ويجوزُ من البحرِ إلى البحرِ ، ومن لدنِ الأَهْوارِ إلى منقَطَعِ الأرضِ ، وتَخَذَى أهلُ الجزائرِ بين يديه ، ويلحسُ أعداؤه الترابَ ، ويسجدُ له ملوكُ الفرسِ ، وتدينُ له الأُممُ بالطاعةِ والانقيادِ ، ويخلِّصُ البائسَ المضطهدَ من هو أقوى منه ، وينقِذُ الضعيفَ الذي لا ناصرَ له ، ويرأفُ بالمساكينِ والضعفاءِ ، ويُصَلِّيَ عليه ويُبارِكُ في كلِّ حينٍ " (٢) انتهى . وهذه الصفاتُ أيضاً ليست لأحدٍ من الأنبياءِ غيره . فإنه لم يملك أحدٌ

= سفر المزامير ، المزمور السادس والتسعون العهد القديم ٧٠٤ .

(١) : نص الترجمة الحالية : " فاض قلبي بكلام صالح ، متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر ، أنت أبرع جمالاً من بني البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخذك - أيها الجبار - جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم ، أركب من أجل الحق والدعة والسر ، فتريك عينيك مخاوف ، نملك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون " .

سفر المزامير ، المزمور الخامس والأربعين العهد القديم ٦٧٢ .

(٢) : نص الترجمة الحالية : " ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدّمه . ملوك شيا وسبأ يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك . كان كل الأمم تتعبد له لأنه ينجي الفقير المستغيث والمساكين ، إذ لا معين له ، يشفق على المسكين والبأس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف ، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ، ويعطيه من ذهب شبا يصلي لأجله دائماً اليوم كله يباركه " .

سفر المزامير ، المزمور الثاني والسبعون . العهد القديم ٦٨٨ .

وقوله من البحر إلى البحر : لمحمد ﷺ وأتمته حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي ومن لدن =

منهم من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأتجار إلى منقطع الأرض ، كما ذلك معلوم لكل أحد ، بل الذي انتشرت شريعته ، وبلغت سيوف أمته إلى هذا المقدار هو نبينا - ﷺ - . وهكذا قوله : ويسجد له ملوك الفرس ، فإنه لم يفتح الفرس ، ويستعبد أهلها ، ويضرب عليهم الجزية إلا أمة نبينا - ﷺ - . وهكذا قوله : " وتدين له الأمم بالطاعة والانتقياد " فإنها لم تدن الأمم كلها لغيره . وهكذا قوله : " ويصلي عليه ويبارك^(١) في كل حين " ؛ فإن هذا يختص بنبينا - ﷺ - لاستمرار ذلك له في كل وقت ، ووقوع الأمر القرآني به ، ولم يكن ذلك لغيره من الأنبياء . ومن البشارات ، ما ذكره أشعيا^(٢) في كتاب نبوته من التبشير براكب الحمار ، وراكب الجمل . ولا شك أن راكب الحمار ، هو المسيح ، وراكب الجمل هو نبينا - ﷺ - .

وفي نبوة أشعيا أيضاً قوله : " إني جعلتُ أمرَكَ يا محمدُ ، يا قُدُّوسَ الربِّ اسمَكَ موجوداً من الأبد " (٣) . انتهى .

= الأتجار سيحون وجيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب .

● الجزائر : أهل جزيرة العرب الجزيرة بين الفرات ودجلة ، جزيرة قبرص وأهل جزيرة الأندلس .

● قال ﷺ : " زويت لي الأرض ، مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها " .

أخرجه ابن ماجه في السنن رقم (٤٠٠٠) من حديث ثوبان . وله ألفاظ عند مسلم رقم (٢٨٨٩)

وأبو داود رقم (٤٢٥٢) والترمذي في السنن رقم (٢١٧٦) وهو حديث صحيح .

(١) : وقوله : " يصلي عليه ويبارك في كل حين " : في كل صلاة والصلوات الخمس وغيرها اللهم صلي

على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد " .

(٢) : نص الترجمة الحالية : لأنه هكذا قال لي السيد : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى ، فرأى ركاباً

أزواجاً من الفرسان . ركاب حمير ، ركاب جمال فأصفي إصفاً شديداً ، ثم صرخ كأسد : أيها السيد

أنا قائم على المرصد دائماً في النهار ، وأنا واقف على المحرس كل الليالي ، وهوذا ركاب من الرجال ،

أزواج من الفرسان فأجاب وقال : سقطت بابل ، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة ، كسرهما إلى الأرض " .

سفر أشعيا ، الإصحاح الحادي والعشرون العهد القديم ٨٠١ .

● ومحمد ﷺ سقطت أصنام بابل .

(٣) : لم أقف عليه .

وهذا تصريح باسم نبينا - ﷺ - على وجه ينفي كل شك ويقطع كل ريبه ، وكذلك قوله في موضع آخر^(١) من كتاب نبوته حاكياً عن الله سبحانه أشكرُ حبيبي أحمد فإن هذا التصريح باسم نبينا - ﷺ - . ومثل هذا قولُ حبقوق^(٢) النبي في كتاب نبوته : " أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتألت الأرض من شعاع منظره " ^(٣) وكذا قوله في موضع آخر^(٤) من كتاب نبوته : " وتنزعُ في مَشِيكِ إعرافاً ونزعاً ، وترتوي السهامُ بأمرِك يا محمدُ ارتواءً - فإن هذا تصريحٌ أوضحُ من الشمسِ ومن البشارات قول حزقيال^(٥) النبي في كتاب نبوته مهدداً لليهود : - وأن الله يظهرهم عليكم ، وباعثٌ فيهم نبياً ، وينزلُ عليهم كتاباً ، ويملكُهم رقابكم ، فيَقْهَرُونَكُمْ ،

(١) : لم أقف عليه .

● وإنما قال أشعيا " إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " .

سفر أشعيا . الإصحاح السادس والستون العهد القديم ٨٤٦ .

(٢) : انظر : سفر حبقوق الإصحاح الثالث العهد القديم (١٠٤٦) .

● أشعيا بن أموص ، ومعنى اسمه (الرب يخلص) ويعتبره النصراني من أعظم أنبياء العهد القديم ويلقبونه (بالنبي الإنجليزي) لكثرة نبواته عن المسيح ويغلب على ظن المؤرخين بأن أشعيا قد مات مقتولاً في اضطهاد الملك منسي الإسرائيلي .

وينسب إلى أشعيا سفر باسمه عدد إصحاحاته (٦٦) إصحاحاً ويعتبر ضمن أسفار الأنبياء المتأخرين . قاموس الكتاب المقدس ص ٨١-٨٥ .

(٣) : وتماه : مثل النور يحوط بلاده بعرة تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قسام فمسح الأرض فتضععت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي ، وترزعزت ستور أهل مدين " .

(٤) : انظر : سفر حبقوق الإصحاح الثالث ، والعهد القديم ١٠٤٦ .

(٥) : حزقيال : معناه (الله يقوي) وهو ابن بوزي من عشيرة كهنوتيه ويعتبرونه أحد الأنبياء الكبار وقد نشأ في فلسطين زمن النبي أرميا ثم حمل مسيئاً مع ملك يهوذا (يهوياكين) إلى أرض بابل أثناء الغزو البابلي . ولا يعرف وقت ومكان موته .

ينسب إليه (سفر حزقيال) عدد إصحاحاته (٤٨) إصحاحاً .

القاموس (الكتاب المقدس) (٣٠١-٣٠٤) .

وَيُذَلُّونَكُمْ^(١) بِالْحَقِّ [١٧] ، وَيُخْرِجُ رِجَالَ (بني قيدر) ^(٢) فِي جَمَاعَاتِ الشُّعُوبِ ، مَعَهُمْ مَلَائِكَةٌ عَلَى خَيْلٍ بَيْضٍ^(٣) أَنْتَهَى .

ففي هذا التصريح ببعثة نبينا - ﷺ - ، وقهر أمته للأمم ، فإن (قيدر) هو ابن إسماعيل بن إبراهيم بلا خلاف ، ولم يبعث الله فيهم نبياً إلا نبينا محمداً - ﷺ - ، وهذا معلوم لكل أحد ، لا يخالف فيه مخالفٌ ، ولا ينكره منكرٌ .

ومن البشارات ما في كتاب نبوة دانيال النبي ، فإنه صرح فيها باسم النبي - ﷺ - - بمثل ما تقدم في نبوة حبقوق فقال : " ستترع في مشيك إعرافاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً^(٤) " انتهى .

وفي موضع آخر من كتابه هذا التصريح ببعثة نبينا - ﷺ - - فقال بعد ذكر التبشير بالمسيح ما لفظه : " حتى أبعث نبي بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت إليها ملائكة فبشروها ، فأوحى إلى ذلك النبي وأعلمه السماء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسري به إلي ، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلم ، فأدنيه ، وأسلم عليه ، وأوحى إليه ، ثم أردّه إلى

(١) : في المخطوط مكرر قوله : " ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم " .

(٢) : رجال بني قيدر هم ربيعة ومضر أبناء عدنان وهما جميعاً من ولد قيدر بن إسماعيل والعرب كلهم من بني عدنان وبني قحطان ، فعديان - أبو ربيعة - ومضر وأمار من ولد إسماعيل باتفاق الناس وأما قحطان فقيل : هم من ولد إسماعيل " .

البداية والنهاية (١٥٦/٢) واللباب في معرفة الأنساب (٢٢٢/٣) .

(٣) : انظر : سفر حزقيال الإصحاح العشرين والعهد القديم ٩٤٩ .

(٤) : النص الذي وجدته : " كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القدم الأيام ، فقبوه قدامه ، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوته ، لتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدي مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض " .

سفر دانيال . الإصحاح السابع ، العهد القديم ١٠٠٠ .

عبادي بالسرورِ والغبطةِ حافظاً لما اسْتُوْدِعَ ، صادعاً بما أُمِرَ ، يدعو إلى توحيدِ باللين من القول ، والموعظةِ الحسنة ، لافظٌ ولا غليظٌ ، ولا صحَّابٌ في الأسواق ، رؤوفٌ بمن والاهُ ، رحيمٌ بمن آمن به حتى على من عاداهُ" (١) . انتهى . ولا ريبَ أن هذه صفاتُ نبينا - ﷺ - ، وأنه لم يبعث اللهُ نبياً من بني إسماعيلِ سواه . ومثل هذه الصفات ، ما في حديث عبد الله بن عمرو وعند البخاري (٢) وغيره أنه قيل له : أخبرنا ببعضِ صفةِ رسولِ الله - ﷺ - في التوراة قال (إنه لموصوفٌ في التوراة) (٣) ببعضِ صفةِ في القرآن (٤) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٥) وحرزاً للأمين . أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظٌ ولا غليظٌ ، ولا صحَّابٌ بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة ، ولكن يجزي بالسيئةِ الحسنة ، ويعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، فأفتح به أعينا عمياء ، وآذاناً صمًا ، وقلوباً غلغلاً ، بأن يقولوا لا إله إلا الله) .

قيل : قد يراد بلفظ التوراة جنسُ الكتبِ المتقدمة من التوراة والزبور والإنجيل ، وسائرِ كتبِ أنبياء بني إسرائيل . فعلى هذا ، يكون المراد بقول عبد الله بن عمرو : " إنه لموصوف في التوراة " هذه الصفاتُ المذكورةُ في نبوة دانيال . ولا مانع من أن تكون هذه الصفاتُ كانت موجودةً في التوراة فحذفها اليهود ، فما ذلك بأول تحريفٍ وتبديلٍ وتغييرٍ

(١) : انظر : سفر دانيال الإصحاح التاسع بكامله ، والعهد القديم (١٠٠٣-١٠٠٤) .

● ودانيال : معناه (الله قضي) عاش في فترة السبي البابلي ، ونال مكانة عالية عند نبوخذ نصر بعد أن فسر له دانيال حلماً قد أزعجه وتوفي في عهد الملك كورش ملك الفرس وينسب إليه سفر باسمه عدد إصحاحاته (١٢) إصحاحاً ويحتوي على تاريخ بني إسرائيل في فترة السبي وعلى تنبؤات مستقبلية . قاموس الكتاب المقدس (٣٥٧-٣٦٠) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢١٢٥) و (٤٨٣٨) .

(٣) : لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب ولا يخصون بذلك كتاب موسى .

(٤) : انظر : سفر أشعياء الإصحاح الثاني والأربعون (٢٠/١) والعهد القديم (٨٢٢) .

(٥) : [الأحزاب : ٤٥] .

[تبشير الإنجيل بمحمد - ﷺ - :]

ومن البشارات به في الإنجيل ، ما في الفصل الخامس عشر من الإنجيل الذي جمعه يوحنا (أن الفار قليطُ روح الحق الذي يرسله الله هو [يعلم] ^(١) كل شيء) ^(٢) . انتهى .
وفي موضع آخر منه : (والفار قليطُ روح القدس الذي يرسله [١٨] الله هو [يعلم] ^(١) كل شيء وهو يذكركم ما قلت لكم) . وفي موضع آخر منه : (إذا جاء الفار قليطُ الذي أرسله الله روح الحق الذي هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى إذا كان يؤمنون به ، ولا يشكون فيه) ^(٣) . وفي الفصل السادس عشر منه : (لكني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفار قليطُ ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة ، وعلى البر ، وعلى الحكم . أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي ، وأما على البر فإني منطلق ولستم تروني ، وأما على الحكم فإن رئيس هذا العالم يدان ، وأن لي كلاماً كثيراً لستم تطيقون كله الآن . لكن إذا جاء روح الحق ذاك ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي) انتهى .

وقد تكرر ذكر (الفار قليط) ^(٥) في الإنجيل ، وأندر به المسيح وبشر به قومه في غير موضع منه . وقد اختلفوا في المراد ، (الفار قليط) في لغتهم على أقوال . وذهب الأكثر

(١) : كذا في المخطوط وصوابه . (يعلمكم) .

(٢) : إنجيل يوحنا (٢٦/١٤) .

(٣) : يوحنا (٢٦/١٥) .

(٤) : إنجيل يوحنا (١٦-٧/١٦) .

(٥) : الفار قليط : هو محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله بعد المسيح .

من النصارى إنه المخلص^(١)، وقالوا هو مشتق من (فاروق)^(٢) أو من (فاروق) قالوا : ومعنى (ليط)^(٣) كلمة تزداد كما يقال في العربية : رجل هو ، وحجر هو ، وعالم هو ، وجاهل هو .

وقد تقرر أنه لا نبي بعد المسيح غير نبينا - ﷺ - . وهذه البشارات قد تضمنت أنه سيأتي بعد المسيح نبي يخلص تلك الأمم مما هم فيه ، ويوبخهم على الخطية ، ويتكلم بما يسمع ، ويخبر بكل ما يأتي ، ولم يكن هذا لأحد بعد المسيح غير نبينا - ﷺ - .
ومما يدل على أن المراد بالفارقليط هو نبينا - ﷺ - أنه وقع الحذف بهذا اللفظ من بعض نسخ الإنجيل مع ثبوته في غالبها . وليس ذلك إلا تغييراً وتديلاً من النصارى ، لما يعلمونه من أن المراد بهذا اللفظ هو التبشيرُ بنبي يأتي بعد المسيح :

(١) : انظر : تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٧٠٢/٢)

وقيل : إنه (الحماد) وقيل (الحامد) وقيل (المعز) ، و أكثر النصارى على أنه المخلص .
● " إن الطبقات الحديثة للأناجيل لا توجد فيه لفظة (فارقليط) وأبدلت بألفاظ أخرى مثل (المعزي ، الحامي ، المعين ، المخلص ، الوكيل ، الشافع) علماً بأن كلمة (الفارقليط) كانت موجودة في الترجمة العربية للأناجيل المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ م ، ١٨٣١ م ، ١٨٤٤ م ، وقد وقفت على مخطوطة لترجمة التوراة والزبور والإنجيل في إسطنبول بمكتبة عاطف أفندي تحت رقم (٧) وفيها ذكرت لفظة (الفارقليط) .

ومعلوم لدينا أن اليهود والنصارى يسعون إلى إخفاء البشارات بالنبي ﷺ من كتبهم المقدمة لديهم أو تحريف معناها وذلك مما أخبرنا الله عز وجل عنهم فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

فما معنى كلمة (فارقليط) التي اختلف النصارى في معناها ؟ إن (فارقليط) معربة من كلمة (بيركليطوس) اليونانية (perialytos) التي تعني اسم : أحمد صيغة المبالغة من الحمد " اهـ .

حاشية . " تحجيل من حرف التوراة والإنجيل " (٧٠٣/٢) .

(٢) : قال ابن القيم في " هداية الحيارى " ص ٥٦ : وهو بالسريانية فاروق وقالوا معنى (ليط) في السريانية أيضاً .

وأما ستقوم عليهم بذلك الحجة فحذفوا هذا اللفظ لهذه العلة^(١) .

وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن العظيم أن المسيح بشرٌ نبينا محمد - ﷺ -
فقلل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾^(٢) .

وفي الإنجيل أيضاً الذي جمعه يوحنا أن المسيح قال : " أركون العالم سيأتي ، وليس لي
شيء "^(٣) . وهذا اللفظ فيه أعظم بشارةً نبينا محمد - ﷺ - ؛ فإن الأركون في لغة
النصارى العظيمُ القدرِ . ولم يأت بعد المسيح من هو بهذه الصفة إلا نبينا - ﷺ - ؛ فإنه
جعله أركون العالم ، وقال عن نفسه : ليس له من الأمر^(٤) شيءٌ ، فدلَّ هذا على أنه
سيأتي بعده عظيمٌ من عظماء العالم يكون منه الإصدار والإيراد ، والحلُّ والعقدُ في الدين ،
وإثباتُ الشرائع ، وأن المسيح بالنسبة إليه كمن ليس له شيء .

وهذا إنما يكون تبشيراً بمن هو أعظمُ من المبشَّر به [١٩] ، أعني المسيح - عليه
السلام- ، ولا يصح حمله على رجل عظيم القدرِ في الدنيا ، أو في الملك ، أو غير ذلك ،
لأن الأنبياء لا يبشرون بمن هو كذلك ، ويجعلونه أركون العالم ، ويجعلون الأمرَ إليه ،
وينفون الأمرَ عن أنفسهم ، فإن هذا لا يكون أبداً من الأنبياء ، ولا يصح نسبته إليهم ،
ولا صدوره منهم قطُّ ، بلا خوف بين أهل الملل .

ولا يمكن أن يدعي مدَّع أنه جاء بعد المسيح من هو بهذه الصفة غير نبينا - ﷺ - ؛
فإن الحواريين إنما دانوا بدينه ، ودعوا الناس إلى شريعته ، ولم يستقلَّ أحد منهم بشيء
من جهة نفسه قطُّ . ومن جاء بعدهم من أتباع المسيح فهو دونهم بمراحل .

(١) : انظر التعليقة السابقة .

(٢) : [الصف : ٦] .

(٣) : ورد النص في إنجيل يوحنا (٣٠/١٤) " لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء . "

(٤) : قال ابن قيم الجوزية في " هداية الحيارى " (ص٦٥) : تضمنت هذه البشارة أصليَّ الدين : إثبات

التوحيد ، وإثبات النبوة ... "

[٤ - إشارة القرآن والسنة إلى بشارات الكتب السابقة]

وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن الكريم ما تتضمنه الكتب المتزلة ، والرسالة المرسله ، من التبشير بنبينا محمد - ﷺ - ، ما يغني عن جميع ما ذكرناه من نصوص تلك الكتب ، وإنما أردنا بالنقل منها إلام الحجّة ، وتكميل الفائدة لمن كان في قلبه ريب ، وفي صدره حرج .

فمن ذلك قوله - سبحانه - : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ ^(١) ، وقال - عز وجل - : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣) ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ^(٥) ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٦) ، وقلل : ﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي

(١) : [الأعراف : ١٥٧] .

(٢) : [البقرة : ١٤٦] .

(٣) : [البقرة : ١٤٤] .

(٤) : [البقرة : ١٨٩] .

(٥) : [الأنعام : ١١٤] .

(٦) : [الرعد : ٤٣] .

إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾ .

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿٢﴾ .
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾﴾ ﴿٣﴾ ، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ ﴿٤﴾ . وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿٥﴾ . وهذا بعض ما اشتمل عليه الكتاب العزيز ، وفي الأحاديث ما يؤيده ذلك ويؤكدّه .

فمن ذلك ما رواه ابن إسحاق^(٦) قال : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - ﷺ - قبل بعثته ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، وداود بن سلم : يا معشر اليهود [٢٠] اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - ﷺ - ونحن أهل الشرك ، وتخبرونا بأنه مبعوثٌ ، وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير :

(١) : [الشعراء : ١٩٧] .

(٢) : [المائدة : ٨٣] .

(٣) : [الإسراء : ١٠٧-١٠٩] .

(٤) : [القصص : ٥٢-٥٣] .

(٥) : [يونس : ٩٤] .

(٦) : كما في السيرة النبوية (٢/٢٢٤) .

ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم . فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وروى ابن إسحاق (٢) نحو هذه القصة التي هي سبب نزول هذه الآية من طرق ، ومنها : أنه قال : حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت الأنصاري قال : " والله إني لغلام يَمَعَةُ ابْنِ سَبْعِ سَنِينَ أَوْ ثَمَانِي سَنِينَ أَعْقَلَ كُلِّ مَا سَمِعْتُ ، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَقُولُ عَلَى أُطَمٍ (٣) يَثْرَبَ ، فَصَرَخَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، قَالُوا : مَا لَكَ وَتِلْكَ ؟ قَالَ : طَلَعَ نَجْمٌ أَحْمَدَ الَّذِي يُبْعَثُ اللَّيْلَةَ " .

ومن ذلك ، ما كان من خروج زيد بن عمرو بن نفيل ، وسؤاله لأهل الكتاب ، وإخبارهم عن أن نبينا يبعث في العرب ، فرجع ، وأدرك النبي - ﷺ - قبل أن يبعث ، ومات قبل البعثة . وهذا الحديث في البخاري (٤) وغيره .

وأخرج البيهقي (٥) بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك أن غلاماً يهودياً ، كان يخدم النبي - ﷺ - فمرض ، فأتاه النبي - ﷺ - - يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة . فقال له رسول الله - ﷺ - : يا يهودي ! أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة صفتي ؟ ومخرجي ؟ قال : لا . قال الفتى : بلى والله يا رسول

(١) : [البقرة : ١٨٩] .

(٢) : كما في " السيرة " لابن هشام (١٦٨/١) .

(٣) : الأطم : القصر ، وكل حصن مبني بالحجارة ، وكل بيت مربع مسطح . وجمعه أطام ، وأطوم . " القاموس المحيط " ص ١٣٩٠ .

(٤) : في صحيحه رقم (٣٨٢٧) .

(٥) : في " دلائل النبوة " (٢٧٢/٦) وأطرافه [٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٧١٩٦ ، ٦٢٦٠ ، ٥٩٨٠ ، ٧٥٤١] .

الله ، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله .
فقال - ﷺ - : " أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أحكامه " .

وثبت في البخاري^(١) ومسلم^(٢) وغيرهما من حديث ابن عباس ، عن أبي سفيان بن حرب لما سأله هرقل ملك الروم عن صفات رسول الله - ﷺ - فأخبره ، فقال : " إن يكن ما تقوله حقاً إنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحسنت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه " .

وفي البخاري^(٣) حكاية عن هرقل هذا : " إنه كان حزاءً ينظر في النجوم ، فنظر فقال : إن ملك الختان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ؟ قالوا : يختن اليهود ، فلا يصمك شأنهم ، وأبعث إلى من كان في مملكتك من اليهود فيقتلوهم ، ثم وجد إنساناً من العرب فقال : انظروا أختن هو ؟ فنظروا فإذا هو مختن ، وسأله عن العرب فقال يختنون " .

وفيه^(٤) أيضاً : وكان (برومية) صاحب هرقل . كان هرقل نظيره في العلم ، فأرسل إليه وسار إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتى كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي - ﷺ - .

ومن هذا ، ما ثبت في كتب السير^(٥) والحديث من إسلام النجاشي وتصديقه بالنبي - ﷺ - [٢١] وهو في الحبشة لم يشاهد النبي - ﷺ - ، وإنما وصل إليه بعض أصحابه وسمع ما تلوه عليه من القرآن ، فأمن وصدق .

(١) : في صحيحه رقم (٧) .

(٢) : في صحيحه رقم (١٧٧٣) .

(٣) : في صحيحه رقم (٧) .

(٤) : أي صحيح البخاري رقم (٧) .

(٥) : انظر : " السيرة النبوية " (١/٤١٤-٤١٨) .

وثبت في الصحيح^(١) أن ورقة بن نوفل الذي دار في طلب الدين ، وسأل طوائف أهل الكتاب ، لما أخبره رسول الله - ﷺ - بما رأى من نزول جبريل عليه في غار حراء ، وما قال له ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، ليتني كنت جذعاً أدرك إذ يخرجك قومك ، فقال النبي - ﷺ - : " أو مخرجي هم ؟! " فقال ورقة : لم يأت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ، ثم لم ينشب ورقة أن تُوفِّي .

ومن هذا ما رواه ابن إسحاق^(٢) ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : " هل تدري عما كان إسلام أسيدٍ وثعلبة ابني سعية ، وأسدُ بن عبيدٍ نفرٌ من هذيل لم يكونوا من بني قريظة ، ولا النضير . كانوا فوق ذلك . فقلت : لا . قال : فإنه قدم علينا رجلٌ من الشام من يهود يقال له : ابن الهبيان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قطُّ لا يصلِّي الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبي - ﷺ - بسنين ، وكنا إذا قحطنا ، أو قلَّ علينا المطرُ نقول : يا ابن الهبيان ، اخرج فاستق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدّموا أمام مخرجكم صدقةً ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعٌ من تمر ، أو مُدَّينٍ من شعيرٍ ، فنخرجه . ثم يخرج إلى ظاهر حرتنا ونحن معه فيستقي ، فوالله ما نقوم من مجلسه حتى تمرَّ السحاب .

وقد فعل ذلك غير مرّة ، ولا مرتين ، ولا ثلاثة ، فحضرتة الوفاة ، فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمرِ والخميرِ إلى أرض البؤسِ والجوع؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أخرجني أتوقّع خروج نبيٍّ قد أظلم زمانه . هذه البلاد مهاجرةٌ فاتبعوه ، ولا تُسبِقنَّ إليه إذا خرج ، يا معشر يهود ، فإنه يبعث

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٦٠) من حديث عائشة .

(٢) : كما في " السيرة النبوية " (٣/٢٧٢-٢٧٣) .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في " الدلائل " (١/٢٣-٢٤) والبيهقي في " الدلائل " (٢/٨٠-٨١) بسند

منقطع لجهالة الشيخ من بني قريظة . وهو حديث ضعيف .

بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء ، ممن يخالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . ثم مات .
فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة قال أولئك الثلاثة الفتية ، وكانوا شباناً أحداثاً : يا
معشر يهود ! والله إنه الذي ذكر لكم ابنُ الهبيان . فقالوا : ما هو به . قالوا : بلى .
والله إنه بصفته ، ثم نزلوا فأسلموا وحلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم ، فلما فُتِحَ الحصنُ
رُدَّ ذلك عليهم .

وأخرج البخاري في تاريخه^(١) ، والبيهقي في " دلائل النبوة "^(٢) عن محمد بن عمر بن
إبراهيم بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت أبي جبير يقول : لما بعث الله
نبيه ، وظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصاري
فقالوا لي : أمِنَ الحرمِ أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : تعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت :
نعم ، قال : فأخذوا بيدي ، فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل [٢٢] وصور . قالوا لي : انظر
هل ترى صورة هذا الذي بُعثَ فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته . قلت : لا أرى صورته .
فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير فيه صور أكثر مما في ذلك الدير ، فقالوا لي : انظر
هل ترى صورته ؟ فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله - ﷺ - وصورته ، وإذا أنه بصفة
أبي بكر وصورته وهو أخذ بعقب رسول الله - ﷺ - . فقالوا لي : انظر هل ترى
صورته ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا [٢٣] وأشاروا إلى صفة رسول الله - ﷺ - ،
قلت : اللهم نعم أشهد أنه هو . قالوا : أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلت : نعم .
قالوا : تشهد أن هذا هو صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده .

وقريب من هذه القصة^(٣) ما رواه موسى بن عقبة بن هشام بن العاص ، ونعيم بن عبد
الله ، ورجل آخر قد سماه ، بُعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر قال : فدخلنا على جبلة بن

(١) : (١٧٩/١/١) .

(٢) : (٣٨٥-٣٨٤/١) .

(٣) : انظر " دلائل النبوة " للبيهقي (٣٨٦/٦) .

الأيهم وهو بالغوطة... فذكر الحديث . وأنه انطلق بهم إلى الملك ، وأنهم وجدوا عنده شِبةَ الرِّبعةِ العظيمةِ مذهبةً ، وإذا فيها أبواب صغارٌ ففتحَ باباً ، فاستخرجَ منه حريرةً ، وفيها صورة نوحٍ ، ثم إبراهيمَ ، ثم أراهم حريرةً فيها صورةُ محمد - ﷺ - وقال : هذا آخر الأبواب ، ولكي عجلتهُ لأنظرَ ما عندكم .

وأمثال هذا كثيرة جداً يطولُ المقامُ ببسطِ بعضها ، فضلاً عن كَلِّها ، وفي القرآن الكريم من دلائل إثبات النبواتِ على العموم ، وإثباتِ نبوةِ نبينا - ﷺ - على الخصوص ما لا يخفى على من يعرف القرآن ، ويفهم كلام العرب ، فإنه مصرَّحٌ بثبوت نبوة جميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمد - ﷺ - ، وفيه ذكر كل واحد منهم بصفته ، وإلى من أُرسِلَ ، وفي أي زمانٍ كان ، مع تقديم المتقدم ، وتأخير المتأخر ، وذكر ما وقع لكل واحد منهم من إجابةِ قومه له ، وامتناعهم عليه ، وردِّهم لما جاء به ، وما وقع بينه وبينهم من المفاولة والمحاولة والمقاتلة .

ومن نظر في التوراة وما اشتملت عليه من حكاية حال الأنبياء من لدن آدم إلى موسى ، وجد القرآن موافقاً لما فيها غيرَ مخالفٍ لها .

وهكذا ما اشتملت عليه التوراة ، مما اتفق لموسى وبني إسرائيل في مصرَ مع فرعونَ ، وما كان من تلك الحوادثِ من الآياتِ البيناتِ التي جاء بها ، ومن تلك العقوباتِ التي عُوقِبَ بها فرعونُ وقومه ، ثم ما كان من بني إسرائيل مع موسى من بعد خروجهم من مصرَ إلى عندِ موتِ موسى ، مع طول تلك المدَّةِ ، وكثرة تلك الحوادثِ .

فإن القرآن حكى ذلك كما هو ، وذكره بصفته من غير مخالفة ، ثم ما كان من الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى إلى عند قيام المسيح . فإن القرآن حكى قصصهم ، وما جرى لهم ، وما قالوه لقومهم ، وما قاله قومهم لهم ، وما وقع بينهم من الحوادثِ ، وكان ما حكاها القرآن موافقاً لما في كتب نبوة أولئك الأنبياء من غير مخالفة .

ثم هكذا ما حكاها القرآن عن نبوة المسيح ، وما جرى له وأحواله ، وحوادثه ، فإنه موافق لما اشتمل عليه الإنجيلُ من غير مخالفة .

ومعلومٌ لكل عاقل يعرفُ أحوالَ نبينا - ﷺ - أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان منذُ وُلِدَ إلى أن بعثه الله - عز وجل - بين قومه ، وهم قومٌ مشركون ، لا يعرفون شيئاً من أحوالِ الأنبياءِ ، ولا يدرونَ بشيءٍ من الشرائع ، ولا يخالطونَ أحداً [٢٤] من اليهود والنصارى ، ولا يعرفون شيئاً من شرائعهم ، وإن عرفوا فرداً منها ، فليس ذلك إلا في مثل ما هو متقررٌ بينهم يعملون به في عباداتهم ومعاملاتهم باعتبار ما يشتهر عندهم في ذلك ، كما يبلغُ بعضُ أنواعِ العالمِ عن البعضِ الآخرِ . فإنه قد يبلغهم بعضُ ما يتمسكون به في دينهم باعتبارِ اشتهاهِ ذلك عندهم .

وأما العلمُ بأحوالِ الأنبياءِ ، وما جاءوا به ، وإلى من بعثهم الله ، وما قالوا لقومهم ، وما أجابوهم به ، وما جرى بينهم من الحوادثِ كلياتها وجزئياتها ، وفي أي عصر كان كل واحد منهم ، وإلى من بعثه الله ، وكونُ هذا النبيِّ كان متقدماً على هذا ، وهذا متأخراً عن هذا ، مع كثرةِ عددهم ، وطولِ مُدَدِهِمْ ، واختلافِ أنواعِ قومهم واختلافِ ألسنتهم وتباينِ لغاتهم ، فهذا أمر لا يحيط بعلمه إلا الله - عز وجل - .

ولولا اشتمال التوراة على حكاية أحوال مَنْ قَبْلَ موسى من الأنبياء لانقطع علمُ ذلك عن البشر ، ولم يبقَ لأحد منهم طريقٌ إليه البتة ، فلما جاءنا هذا النبيُّ العربيُّ الأميُّ المبعوث من بين طائفةٍ مشركةٍ تعبد الأوثان ، وتكفر بجميع الأديان ، قد دَبَّرُوا دنياهم بأمر جاهلية ، تلقَّاهَا الآخِرُ عن الأول ، وسمعاها اللاحقُ من السابق ، لا يرجع شيء منها إلى ملَّةٍ ، من المللِ الدينيةِ ، ولا إلى كتاب من الكتبِ المترلةِ ، ولا إلى رسولِ الأنبياءِ المرسلَةِ ، بل غايةُ علمهم ، ونهاية ما لديهم ما يجري بين أسلافهم من المقاتلةِ والمقاتلةِ ، وما يحفظونه من شعر شعرائهم ، وخطبِ خطبائهم ، وبلاغاتِ بلغائهم ، وجودِ أجوادهم وإقدامِ أهلِ الجرأةِ والجسارةِ منهم ، لا يلتفتون مع ذلك إلى دين ، ولا يقبلون على شيء من أعمالِ الآخرةِ ، ولا يشتغلون بأمر من الأمور التي يشتغل بها أهلُ المللِ ، فإن راموا مطلباً من مطالب الدنيا ، ورجبوا في أمر من أمورها ، قصدوا أصنامهم ، وطلبوا حصولها منها ، وقرَّبوا إليها بعضَ أموالهم ، ليلبغوا بذلك إلى مقاصدهم ومطالبهم .

وكان هذا النبيُّ العربيُّ الأميُّ لا يعلم إلا بما يعلمون ، ولا يدري إلا بما يدرون . بل قد يعلم الواحد منهم المتمكِّن من قراءة المكتوب ، وكتابة المقروء بغير ما يعلمه هذا النبيُّ .
فبينما هو على هذه الصفة بين هؤلاء القوم البالغين في الجهالة إلى هذا الحد جاءنا بهذا الكتاب العظيم ، الحاكي لما ذكرناه من تفاصيلِ أحوال الأنبياء وقصصهم ، وما جرى لهم مع قومهم على أكمل حال ، وأتم وجه . ووجدناه موافقاً لما في تلك الكتب ، غير مخالفٍ لشيء منها . كان هذا من أعظم الأدلة الدالة على ثبوت نبوته على الخصوص ، وثبوت نبوة مَنْ قبله من الأنبياء على العموم .

ومثل دلالة هذا الدليل لا يتيسَّر لجاحد ، ولا لمكابرٍ . ولا لزندقيِّ مارقٍ أن يقترح فيها بقادح ، أو يعارضها بشبهةٍ من الشُّبه كائنةً ما كانت إن كان ممن يعقل ويفهم [٢٥] ، ويدري بما يوجب العقل من قبول الأدلة الصحيحة التي لا تقابلُ بالردِّ ، ولا تُدفعُ بالمعارضة ، ولا تقبلُ التشكيك ، ولا تحتملُ الشبهة .

ومع هذا فقد كان النبيُّ - ﷺ - الأميُّ المبعوثُ بين هؤلاء يصرِّحُ بين ظهرانيهم ببطلان ما هم عليه ، ويزيف ما هم فيه أبلغ تزييفٍ ، ويقدحُ فيه أعظم قَدحٍ ، ويبين لهم أنهم أعداء الله ، وأنهم مستحقون لغضبه وسخطه وعقوبته ، وأنهم ليسوا على شيء . فبهذا السبب صاروا جميعاً أعداءً له ، يطعنون عليه بالمطاعن التي يعلمون أنه مزهَّ عنها، مبرأً منها كقولهم : إنه كذَّابٌ ، وإنه مجنون ، وإنه ساحرٌ .

فلو علموا أنه تعلَّم من أحد من أهل الكتاب . أو أخذ عن فرد من أفرادها ، لجاءوا بهذا المطعن بادئ بدءٍ ، وجعلوه عنواناً لتلك المطاعن الكاذبة ، بل لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً لعولوا عليه ، ولم يحتاجوا إلى غيره . فلما لم يأتوا بذلك ، ولا تكلموا به ، ولا وجدوا إليه سبيلاً ، عليمٌ كلُّ عاقلٍ أنه لم يتعلَّم من أحد من اليهود ولا من النصارى ، ولا من غير هاتين الطائفتين .

إذا لم يُطعنْ عليه بذلك هؤلاء الذين هم قومه وقد ولد بينهم ، وعاش في ديارهم ، يخالطهم ، ويخالطونه ، ويواصلهم ويواصلونه ، ويعرفون جميع أحواله ، ولا سيما من كان

من قرابته منهم الذين صاروا له بعد البيعة أشدَّ الأعداء ، وأعظمَ الخصومِ ، كأبي لهب ، وأمثاله ، فإنه لا شك ، ولا ريبَ أنه لا يخفى عليهم ، ما هو دون هذا من أحواله .
وأيضاً لو كان قد تعلَّم من أحد من أهل الكتاب ، لم يخفَ ذلك على أهل الكتاب الذين صرَّح لهم بأنهم إن لم يؤمنوا به فهم من أعداء الله ، ومن المستحقينَ لسخطه ، وعقوبته ، وأنهم على ضلالة ، وأنهم قد غيَّروا كتابهم ، وحرَّفوه ، وبدَّلوه ، وأنهم أحقَّاءُ بلعنةِ اللهِ وغيضِهِ .

فلو كان له معلَّمٌ منهم ، أو من أمثالهم من أهل الكتاب ، لجعلوا هذا المطعنَ عليه مقدِّماً على كل مطعن يطعنونه به من تلك المطاعن الكاذبة ، بل كان هذا المطعنُ مستغنياً عن كل ما طعنوا به عليه ، لأن مسافتهُ قريبةٌ ، وتأثيره ظاهر ، وقبولُ عقولِ العامة له من أهل الكتاب ، ومن المشركين أيسرُ من قبولها لتلك المطاعن الكاذبة التي جاءوا بها . هذا معلوم لكل عاقل ، لا يشكُّ فيه شكٌّ ، ولا يتلعثمُ عنده متلعثمٌ ، ولا يكابرُهُ فيه مكابرٌ . فلما لم يطعن عليه أحدٌ منهم بشيء من ذلك علمنا علماً يقيناً انتفاء ذلك ، وأنه لم يتعلَّم من أحد منهم .

وإذا تقرر هذا البرهانُ الذي هو أوضح من شمس النهارِ أنه لم يكن له معلَّم من اليهود ، ولا من النصارى ، ولا من غيرهم ، ممن له علمٌ بأحوال الأنبياء ، فلم يبقَ إلا أن يكون اطلع بنفسه منفرداً عن الناس على مثل التوراة والزَّبُور والإنجيل . ونحو ذلك من كتب الأنبياء .

وقد علمنا علماً يقيناً بأنه كان أمياً [٢٦] لا يقرأ المكتوبَ ، ولا يكتب المقروءَ . ثبت هذا بالنقل المتواتر عن أصحابه ، مع عدم مخالفة المخالفين له في ذلك ، فإنه لم يُسمَع عن واحد منهم أنه نسب إليه أنه يقدر على قراءة المكتوبِ ، أو كتابة المقروءِ ، وحينئذ انتفت هذه الطريقةُ أعني كونه اطلع على الكتب المتقدمة بنفسه منفرداً عن الناس ، وإنما قلنا منفرداً عن الناس لأننا لو فرضنا قدرته على ذلك في محضر أحد من الناس لم يخفَ ذلك على أتباعه ولا على أعدائه .

فإذا انتفت قدرته على قراءة المكتوب من حيث كونه أمياً ، وانتفى اطلاع أحدٍ من الناس على شيء من ذلك علمنا أنه لم يأخذ شيئاً من ذلك لا بطريق التعليم ، ولا بطريق المباشرة منه لتلك الكتب ، ولم يُسَمَّع عن أحد ، لا من أتباعه ، ولا من أعدائه ، أنه كان بمكة مَنْ يعرف أحوال الأنبياء وقصصهم ، وما جاءوا به من الشرائع ، ولا كان بمكة من كتب الله - سبحانه - المتزلة على رسله شيء ، ولا كانت قريش ممن يرغب إلى ذلك أو يطلبه ، أو يحرص على معرفته ، ومع هذا فقد كان أعداؤه من كفار قريش يعترفون بصدقه ، ويقرون بأنهم لم يجربوا عليه كذباً ، وفي حديث ابن عباس في الصحيحين^(١) وغيرهما في قصة سؤال هرقل لأبي سفيان أنه قال له : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا .

وفي الصحيحين^(٢) وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود أن سعد بن معاذ لما قال لأمية بن خلف أن النبي - ﷺ - ذكر أنه سيقتل فقال ذلك لامرأته . فقالت والله ما يكذب محمد ، وفي رواية أخرى أن أمية قال أيضاً : والله ما يكذب محمد ، وعزم على ألا يخرج خوفاً من هذا .

وأخرج البخاري في صحيحه^(٣) من حديث ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال لقريش : " لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ " قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً .

وأخرج البخاري في تاريخه^(٤) ، وأبو زرعة في دلائله ، وابن إسحاق^(٥) أن أبا طالب لما

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧) ومسلم في صحيحه رقم (١٧٧٣) وقد تقدم .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٣٢) .

(٣) : رقم (٤٧٧٠) وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٨) .

(٤) : (١/٤) ٥٠-٥١ رقم (٢٣٠) . من حديث عقيل بن أبي طالب .

(٥) : أورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٥/٦) : وقال : رواه الطبراني في " الأوسط " و " الكبير " إلا أنه

قال من جلس بدل مكان (كيس) وأبو يعلى باختصار في أوله . ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . اهـ .

قال للنبي ﷺ - أن يكفَّ عن قريش ، فقال : والله ما أقدرُ على أن أدعَ ما بُعثتُ به ، فقال أبو طالب لقريش : " والله ما كذبَ قطُّ فارجعوا راشدين " .

وأخرج ابن مردويه في كتاب التفسير ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، وعبد ابن حميد ، أن عتبةَ بنَ ربيعةَ قال لقريش : " وقد علمتُم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذبُ " .

[٥ - إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالمغيبات من دلائل النبوة]

ومن أعظم دلائل نبوته ﷺ - التي يجذُّ الجاحدون إلى جحدها سبيلاً ، ولا يمكن إسنادها إلى تعليم بشر ، ولا نسبتها إلى سحرٍ أنه - ﷺ - كان يسأل عن أمور ماضية يتعنت بها أهل الكتاب والمشركون ، فيترل جبريلُ في تلك الحالة فيخبره بما في الموضوع الذي سأله فيه ، من غير أن يفارقه أو يذهبَ إلى أحد من الناس يستعلمُ .

وذلك كسؤالهم له عن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين ، وعن الروح ، ونحو ذلك من الأمور التي غالبها غيرُ مذكور في التوراة ونحوها ، بل قد يخبرهم ابتداءً بشيء من أحوال الأنبياء ، لم يكن في التوراة التي هي مرجعُ أهل الملل في تعرفِ أحوال الأنبياء من لدن آدم إلى موسى . وذلك كقصة هود ، وصالح ، وشعيب ، وكثيرٍ من أحوال إبراهيم ، وإسحاق ، وإسماعيل ، ويعقوب ويوسف ، ومثل قصة الخضر مع موسى ، ومثل أحوال سليمان كقصة البساط ، وقصة العفريت ، وقصة الهدد ؛ فإن هذه لم تكن في التوراة ، ولم يسمع عن أحد من أهل الكتاب أنه ردَّ ذلك ، أو كذبه ، بل انبهروا ، وأعجبوا منه .

وفي صحيح البخاري^(١) من حديث أنس قال : جاء عبد الله بن سلام [٢٧] إلى رسول الله ﷺ - [بعد] مقدّمه المدينة ، فقال : إني سئلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبيٌ : ما أولُ أشرطِ الساعة ؟ وما أولُ طعام يأكله أهل الجنة ؟ والولد ينزعُ إلى أمه أو إلى أبيه ؟ قال : أخبرني جبريل أنفاً ، قال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .

(١) : في صحيحه رقم (٣٩١١) .

أما أول أشراف الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرقِ إلى المغرب .

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأما الولد ، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَعَ الولدُ إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمِّه . فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

وفي صحيح مسلم^(١) من حديث ثوبان قال : كنت قائماً عند رسول الله - ﷺ - ، فجاء حَبْرٌ من أبحار اليهود ، وقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلتُ : ألا تقولُ : يا رسولَ الله ! ، قال إنما سميتُهُ باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله - ﷺ - : **ينفعك شيءٌ إن حدثتكَ ؟** قال : **أسمعُ بأذني فنكتُ بعودٍ معه ، فقال له : سل .**

فقال اليهودي : **أين الناس يوم تُبدَلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسموات ؟** فقال رسول الله - ﷺ - : **في الظلمةِ دون الحشرِ** ، قال : **فمن أول الناس إجازةً ؟** قال : **" فقراء المهاجرين "** . فقال اليهودي : **فما تُحفتُهُم حين يدخلون ؟** قال : **زيادةُ كبدِ نونٍ** . قال : **وما غذاؤُهُم على أثرِهِ ؟** قال : **يُنحرُ لهم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكل من أطرافها** . قال : **فما شربُهُم عليه ؟** قال : **من عينٍ فيها تسمى سلسيلاً** . قال : **صدقت .** قال : **وجئتُ أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض إلا نبيٌّ ، أو رجلٌ أو رجلانٍ** . قال **ينفعك إن حدثتكَ ؟** قال : **أسمعُ بأذني** . قال : **جئتُ أسألك عن الولد** . قال : **ماءُ الرجل أبيضُ ، وماءُ المرأةِ أصفرُ ، فإذا اجتمعا . فِعلا مَنِي الرجلِ مَنِي المرأةِ أذْكَراً بإذن الله ، وإذا علا مَنِي المرأةِ مَنِي الرجلِ آتْنَا بإذن الله .**

فقال اليهوديُّ : **صدقت ، وإِنَّكَ لَنبيٌّ ، ثم انصرف .** فقال النبي - ﷺ - : **إنه سألتني هذا الذي سألتني عنه ، وما أعلم شيئاً منه ، حتى أتاني به الله تعالى .**

(١) : (١/٢٥٢ رقم ٣٤/٣١٥) .

وأخرج أبو داود الطيالسي^(١) عن ابن عباس ، قال : حضرت عصابةً من اليهود يوماً إلى النبي - ﷺ - فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا عن جلال نسألك عنها ، لا يعلمها إلا نبي ، فقال : سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمّة الله وما أخذ يعقوبُ على نبيه إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقاً ، لتتابعوني على الإسلام . قالوا : لك ذلك . قال : فسألوني عما شئتم . قالوا : أخبرنا عن أربع جلال :

أخبرنا عن الطعام الذي حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة .
وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكراً ، وكيف تكون الأنثى منه حتى تكون أنثى .

وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم ؟ ومن وليك من الملائكة ؟ فقال : عليكم عهدُ الله وميثاقه لئن أنا أحدثكم لتتابعوني ؟ فأعطوه ما شاء من عهدٍ وميثاق . قال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - مريضاً شديداً طال سقمه فيه ، فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرّم من أحبّ الشراب إليه ، وأحبّ الطعام إليه ؟ وكان أحبّ الشراب إليه ألبان الإبل ، وأحبّ الطعام إليه حوم الإبل . فقالوا : اللهم نعم .

فقال رسول الله - ﷺ - : اللهم اشهد عليهم . قال : فأنشدكم الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل غليظٌ وأبيضٌ ، وأن ماء المرأة رقيقٌ أصفرٌ ، فأيهما علا كان الولدُ والشبّة له بإذن الله ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد . قال : أنشدكم بالله [٢٨] الذي لا إله إلا هو ، وأنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ، ولا ينام قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد . قالوا : أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نجّامعك أو نفارقك .

(١) : في مسنده (٣٥٦-٣٥٧ رقم ٢٧٣١) .

قال : وليي جبريلُ - عليه السلام - ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليُّه . قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان غيره لأتبعناك وصدقتك قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا من الملائكة ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢) ﴿ (١) .

ففي هذه الأحاديث اعتراف هؤلاء السائلين من اليهود أن تلك المسائل التي سألوها عنها لا يعلمها إلا نبيُّ ، وقد أخبرهم بما سألوها وصدقوا في جميع ذلك ، فاندفع بذلك شكُّ كلِّ جاحد ، وبطل عنده ريبُ كلِّ ملحد .

٦- القرآنُ معجزةُ الرسول الخالدة :

واعلم أن دلائل نبوة نبينا - ﷺ - يطول تعدادها ، ويتعسر ذكرها . وقد صنف أهل العلم في ذلك مصنفات مبسوطةً مشتملةً على كثير منها . ولو لم يكن منها ، إلا هذا الكتابُ العزيز الذي جاء به من عند الله - سبحانه - مشتملاً على مصالح المعاش والمعاد ، وتحذئ به فرسان الكلام ، وأبطال البلاغة ، وأفراد الدهر في العلم بهذه اللغة العربية ، وقال لهم : ليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين .

ثم قال لهم : ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) ﴿ ثم قال لهم : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (٣) . فلم يقدروا على ذلك ، وكاعوا عنه ، وعجزوا على رؤوس الأشهاد . وكان أكابر بلغائهم ، وأعاضم فصحاءهم ، إذا سمعوا القرآن ، اعترفوا بأنه لا يشبه نظمهم ولا نثرهم ، وأقروا

(١) : [البقرة : ٩٧-٩٨] .

(٢) : [هود : ١٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٣] .

ببلاغته كما قال الوليد بن المغيرة لما سمع النبي ﷺ - يقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) . فقال : أَعِدُّ ، فأعاد النبي ﷺ - ، فقال : " والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغديق ، وما يقول هذا بشر " (٢) .

وروى ابن إسحاق (٣) من حديث ابن عباس قال : قام النضر بن الحارث فقال : يا معشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمرٌ ما ابْتَلَيْتُمْ بمثله . لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قُلْتُمْ ساحرٌ !! لا والله ما هو بساحرٍ ، قد رأينا السحرةَ ونفتهم وعقدهم . وقتلتم كاهنٌ ، لا والله ما هو بكاهنٍ ، قد رأينا الكهنةَ وسمعنا سمعهم . وقتلتم شاعرٌ ، لا والله ما هو بشاعرٍ ، لقد رأينا الشعراءَ ، وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه .

وقلتم مجنونٌ . لا والله ما هو بمجنونٍ ، لقد رأينا المجنون . فما هو بخنقه ، ولا تخليطه . يا معشر قريش . انظروا في شأنكم ؛ فإنه - والله - قد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ (٤) .

وروي عن الوليد بن المغيرة (٥) نحو هذا ، وروي ابن إسحاق أيضاً أن أبا جهل (٦) قال : إني لأعلم أنما يقول محمدٌ حقٌ . ولكن بني قصي قالوا : فينا الندوةُ ، فقلنا : نعم ، فينا الحجابُ فقلنا : نعم . فينا السقايةُ : فقلنا نعم . وفي لفظ : " تنازعنا نحن وبنو عبد

(١) : [النحل : ٩٠] .

(٢) : أخرجه ابن إسحاق كما في " السيرة النبوية " (٣٣٤/١-٣٣٦) معلقاً ، وانظر " الدر المنثور " (٣٣١-٣٢٩/٧) .

(٣) : كما في " السيرة النبوية " (٣٦٩/١-٣٧٠) معلقاً .

(٤) : كما في " السيرة النبوية " (٣٦٢/١-٣٦٤) .

(٥) : كما في " السيرة النبوية " (٣٦٩/١-٣٧٠) .

(٦) : أخرجه البيهقي في " دلائل النبوة " (٢٠٧/٢) .

مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، ثم إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا : منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدّقه أبداً .

دع عنك ما حصل للإنس من استعظام أمر القرآن ، والتعجب منه وتصديقه !! هؤلاء الجن قد وقع منهم ذلك كما حكاه الله - سبحانه - عنهم في كتابه [٢٩] .

وفي الصحيحين^(١) من حديث ابن عباس قال : انطلق رسول الله - ﷺ - في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ . وقيل : حيل بين الشياطين ، وبين خير السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خير السماء وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك إلا من نبأ حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغارها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خير السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغارها ، فمر نفر الذين أخذوا نحو قمامة ، فوجدوا النبيّ - ﷺ - يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خير السماء ، فرجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومنا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ ﴾^(٢) . فأنزل الله - عز وجل - على نبيه محمد - ﷺ - : ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾^(٢) . والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

واعلم أنه قد صنّف جماعة من الحفاظ في دلائل النبوة مصنّفات اشتملت على أنواع مما فيه الدلالة على نبوة نبينا - ﷺ - بعضه يحصل عنده العلم الضروري ، فضلاً عن كلها . فمن المصنّفين في ذلك ، الإمام أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا ، والإمام أبو إسحاق الحربي ، والإمام أبو جعفر الفريابي ، والإمام أبو زرعة الرازي ، والإمام أبو

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٢١) ومسلم في صحيحه رقم (٤٤٩/١٤٩) .

(٢) : [الجن : ١] .

القاسم الطبراني ، والإمام أبو الشيخ الأصبهاني ، والإمام أبو نعيم الأصبهاني ، والإمام أبو بكر البيهقي ، والإمام أبو الفرج ابن الجوزي ، والإمام أبو عبد الله المقدسي . وغير هؤلاء .

[٧- عَوْدٌ إِلَى الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِيَّاتِ كَدَلَاتِلِ

عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

ولو لم يكن من دلائل نبوته - ﷺ - إلا ما وقع من الإخبار بالأمر الغيبي التي وقعت كما أخبر به ، ولم يتخلف شيء منها ، وهي كثيرة جداً . وقد اشتمل القرآن الكريم على شيء من ذلك كقوله - عز وجل - : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١) . فوقع صدقُ هذا الخبر ، وأظهر الله - سبحانه - دينَ الإسلام على جميع الأديان .

وكذا قوله : ﴿ أَلَمْ غَلَبَتْ أَلْرُّومُ ﴾ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾ . فوقع ما أخبر به القرآن بعد المدة التي ذكرها ، وذلك معلوم لا يختلف فيه الناس .

وكذا قوله - سبحانه - في شأن اليهود : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٣) ﴿٤﴾ وقد كان هذا كما أخبر به القرآن ، فإنهم ما زالوا تحت الذلَّة والمسكنة في جميع أقطار الأرض ، لم يجتمع لهم جيشٌ ، ولا انتصروا في موطن من المواطن ، ولا ثبتت لهم دولة قطُّ ، بل كلُّ طائفة منهم في جميع بقاع الدنيا مضطهدون

(١) : [الفتح : ٢٨] .

(٢) : [الروم : ٤-١] .

(٣) : [آل عمران : ١١٢] .

متمسكون ، يسلمون الجزية إلى غيرهم ، ويذلون لمن جاورهم . وكذلك قوله - سبحانه - ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ ^(٢) . وقد كان هذا ، فإنه لم يعارض القرآن معارضاً ، ولا جاء بمثله ولا بمثل بعضه أحد ، لا من مسلم ، ولا كافر ، ولا من إنس ولا جن [٣٠] ، وقد نفى - سبحانه - أن يفعلوا ذلك كما قال : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ^(٣) . فأخبر سبحانه ، أنهم لن يفعلوا ، ولم يقع ما يخالف هذا النفي المؤكّد البتّة . وقال - سبحانه - : ﴿ قُلْ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٤) . وقال مخاطباً لليهود : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٥) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) وقد كان هذا ، فإنه لم يُسمع أن يهودياً تمنى الموت إلى هذه الغاية ، فإن اليهود الموجودين على ظهر البسيطة إذا قال لهم قائل : تمنوا الموت لم يتمنوه أبداً ، ولا يساعد على ذلك واحد منهم قط .

وقال سبحانه : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ

(١) : [الإسراء : ٩٨] .

(٢) : [البقرة : ٢٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٤] .

(٤) : [الجمعة : ٦] .

(٥) : [البقرة : ٩٤-٩٥] .

رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ (١). ووقع هذا كما أخبر به - سبحانه - ، فدخلوا المسجد آمنين مخلقين ومقصرين ، كما وعدهم . وهكذا قوله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٢٨﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢٩﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢) . وقد دخل الناس في دين الله أفواجا . وما قبض - ﷺ - إلا بعد أن دخل جميع العرب في دين الله ، ولم يبقَ أحدٌ منهم على الكفر . ومن ذلك ما وقع من إخباره - سبحانه - عن أمور مستقبلية ، وكانت كما أخبر به ، وذلك كثيرٌ جداً ، كما إخباره عن بعض الكفار بأنه لا يؤمن ، وأنه من أهل النار كأبي لُبِّ ، فإنه قال فيه : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣) فمات على الكفر . وقال في الوليد : ﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٤) ، فمات على الكفر .

وقد ثبت في الصحيحين (٥) وغيرهما (٦) من حديث حذيفة أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ - مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثت به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . وناهيك بهذا، فإن الإخبار بجميع الحوادث المستقبلية إلى قيام الساعة أمرٌ عظيم . وقد كان حذيفة راوي هذا الحديث مرجعاً للصحابه في معرفة أحوال الفتن ، ومعرفة أهل

(١) : [الفتح : ٢٧] .

(٢) : [النصر : ١-٣] .

(٣) : [المسد : ٣] .

(٤) : [المدثر : ٢٦] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٠٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٩١) .

(٦) : كأبي داود في السنن رقم (٤٢٤٠) .

النفاق ، وتمييز أهل الحق من أهل الباطل ، لما حفظ في هذا المقام الذي قامه رسول الله ﷺ - .

ومن ذلك سؤال عمر بن الخطاب - ﷺ - له عن الفتن فقال : إن بينك وبينها باباً ، فقال هل يفتح ، أو يُكسرُ ؟ فقال : بل يُكسرُ ، فعرف عمر أنه البابُ ، وأنه يقتلُ . كما أخبر حذيفة من سأله عن ذلك هل علم عمرُ ذلك ؟ فقال : نعم كما يعلم أن دون غدِ الليلة ، فإني حدثته بحديث ليس بالأغاليط ، وهذا ثابت في الصحيح^(١) .

ومن ذلك ما ثبت في البخاري^(٢) أنه - ﷺ - قال لعدي بن حاتم : " لئن طالت لك حياة لتفتحنَّ كنوزَ كسرى ، فقال عدي : كسرى بن هرمز ؟! فقال - ﷺ - : كسرى بن هرمز " .

وقد كان هذا كما أخبر به - ﷺ - ففتح المسلمون مملكة كسرى بن هرمز ، وأخذوا كنوزَه ، واستولوا على بلاده ، وضربوا على رعيته الخراجَ والحزبية . قال عدي وكتب فيمن أته كنوزُ كسرى ابن هرمز وقال له أيضاً كما في البخاري : " ولئن طالت لك حياة لترينَّ الظعينةَ ، ترحلُ من الحيرة حتى تطوفَ الكعبة لا تخافُ أحداً [٣١] إلا الله قال : قلتُ فيما بيني وبين نفسي : فأين ذعار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ ثم قال عدي : فرأيت الظعينة ترحلُ من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة ، لا تخافُ إلا الله " .

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث نافع بن عتبة قال : حفظت من النبي - ﷺ - أربعَ كلمات ، أعدهنَّ في يدي : " تغزون جزيرة العرب ، يفتحها الله ، ثم تغزون فارسَ فيفتحها الله ، ثم تغزون الرومَ فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجالَ فيفتحها الله " . وقد وقعتِ الثلاثُ الكلماتِ الأولى . وستقع الرابعةُ إن شاء الله .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٤) .

(٢) : في صحيحه رقم (٣٥٩٥) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٩٠٠/٣٨) .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى " ، قلت : وقد خرجت هذه النار في الحجاز في بضع وخمسين وستمئة . وأضاءت لها أعناق الإبل ببصرى .

وفي صحيح البخاري^(٢) من حديث أبي بكر عن النبي - ﷺ - أنه قال في الحسن ابن علي - ﷺ - : " إن ابني هذا سيّد ، وسيصلح به الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين " ، قلت : وقد كان هذا ، فإن الحسن أصلح بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ، وهما جيش العراق الذين كانوا معه ، وجيش الشام الذين كانوا مع معاوية .

وفي الصحيحين^(٣) وغيرهما من حديث أبي سعيد ، وأسماء أن رسول الله - ﷺ - قال في عمار بن ياسر : " تقتله الفئة الباغية " ، قلت : وقد قتلته الفئة الباغية أهل الشام .

وفي الصحيحين^(٤) وغيرهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن امرأة سألت رسول الله - ﷺ - شيئاً ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : إن جئت فلم أجِدك يا رسول الله ، قال جبير بن مطعم : كأنها تعني الموت ، قال : إن لم تجديني ، فأتي أبا بكر . قلت : وقد كان ذلك ، فإنه ولي أمر المسلمين أبا بكر - ﷺ - بعد موته - ﷺ - .

وفي الصحيحين^(٥) وغيرهما أن النبي - ﷺ - قال : " زويت لي الأرض مشارقها ومغارها ، وسيلغ ملك أمي مازوي لي منها " . قلت : وقد كان ذلك والله الحمد .
وفي صحيح مسلم^(٦) ، عن أبي ذر ، عن النبي - ﷺ - أنه قال : " ستفتح مصر ،

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧١١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٠٢) .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٧٠٤) وأطرافه [٣٦٢٩ ، ٣٧٤٦ ، ٧١٠٩] .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩١٦) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٨٦) .

(٥) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٩/١٩) من حديث ثوبان .

(٦) : (٤/١٩٧٠ رقم ٢٢٦/٢٥٤٣) .

وهي أرض يسمّى فيها القيراطُ فاستوصوا بأهلها خيراً " . قلت : وقد فتحت والله الحمد في أيام الصحابة .

وفي صحيح مسلم^(١) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : " إذا فتحت عليكم فارسُ والرومُ ، أيُّ قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف : نكون كما أمرنا الله . قال رسول الله ﷺ : أو غير ذلك ؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين ، فيحملون بعضهم على رقاب بعض " . قلت : وقد كان هذا ، فإنهم فتحوا فارسَ والرومَ ، ثم وقع منهم ما ذكره - ﷺ - في آخر أيام عثمان - ﷺ - ، ثم عند قتله ، ثم فيما بعد ذلك كما هو معلوم لكل عارف . وفي صحيح البخاري^(٢) من حديث سليمان بن صرد قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول حين أجلى الأحزابَ عنه " الآن نغزوهم ولا يغزونا " . قلت : وقد كان ذلك ، فإن كفارَ قريش لم يغزوا النبي - ﷺ - بعدها ، ثم غزاهم غزوةَ الفتح . وثبت في الصحيحين^(٣) وغيرهما من طرق أن النبي - ﷺ - قال لذي الحويصرة : " إنه يخرج من ضيضيء هذا أقوام .. يحقرُ أحدكم صلاته مع صلاته " ، الحديث ، على اختلاف ألفاظه .

وقد خرج بعد ذلك الخوارجُ في خلافة علي - ﷺ - ، ثم مازالت تخرج منهم على المسلمين طائفةٌ بعد طائفة ، ومنهم شِرْذمةٌ باقيةٌ إلى الآن ، يقال لهم الإباضيةُ بأطراف الهند ، لا يزالون يخرجون على المسلمين في برّهم وبحرهم .

وفي الصحيحين^(٤) وغيرهما أن النبي - ﷺ - سارَرَ فاطمةَ بنته - رضي الله عنها -

(١) : (٤/٢٢٧٤ - ٢٢٧٥ رقم ٢٩٦٢/٧) .

(٢) : رقم (٤١١٠) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥١) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤) وقد تقدم .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٣ ، ٣٦٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٥٠) .

[٣٢] في مرض موته أنه سيموتُ في ذلك المرض ، ثم أخبرها أنها أولُ أهلِهِ لحوقاً به .
قلت : وقد مات - ﷺ - في ذلك المرض ، وماتت فاطمةٌ - رضي الله عنها - بعده
بسته أشهرٍ .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث أنسٍ : " أن أمَّ حرامٍ بنتَ ملحانٍ طلبت من
رسول الله - ﷺ - أن يدعوا لها أن تكون ممن يركب البحرَ فدعا لها " . قلت : وقد
ركبت البحر في زمن معاوية ، فلما خرجت منه صُرِعَتْ عن دابَّتِها فماتتُ .

وفي الصحيحين^(٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة : أنه قال رسول الله - ﷺ - يوماً :
" أيكم بسطَ ثوبه ، فيأخذ من حديثي فيجمعه إلى صدره ، فإنه لن ينسى شيئاً سمعه ؟ ،
فبسطتُ بردةً عليّ حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدري فما نسيتُ بعد ذلك
اليوم شيئاً سمعته منه " قلت : وقد كان أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أحفظَ الصحابة لما يرويه ،
وأتقنهم لما سمعه .

وفي صحيح مسلم^(٣) عن أسماء بنتِ أي بكر - رضي الله عنها - ، عن النبي - ﷺ -
أنه قال : " سيكون في ثقيفَ كذابٌ ومبيرٌ " قلت : وقد كان ذلك ، فالكذاب المختار
ابن أبي عبيد الثقفي ، والمبير الحجاج بن يوسف .

وفي الصحيحين^(٤) وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله - ﷺ - قال يوم خيبر :
" لأعطينَ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحبهُ اللهُ ورسولُهُ ، يفتحُ اللهُ على يديه " .
قلت : وقد فتح اللهُ خيبرَ على يدي من أعطاه تلك الرايةَ وهو عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٩١٢) بنحوه .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٢) بنحوه .

(٣) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٥) ولفظه " أن في ثقيف كذاباً ومبيراً " .

● المبير : المهلك ، الذي يسرف في إهلاك الناس .

لسان العرب (٨٦/٤) .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٣٧٠١) ومسلم في صحيحه (٢٤٠٦) .

وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله - ﷺ - حُنَيْنًا فقال لرجل ممن يدعي الإسلام : " هذا من أهل النار " فلما حضر القتال ، قاتل الرجل قتالاً شديداً ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت له آنفاً إنه من أهل النار ، قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات ، فقال النبي - ﷺ - : إلى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك . إذ قيل فإنه لم يمت ، ولكن به جرحٌ شديد ، فلما كان الليل لم يصبر على الجرح ، فقتل نفسه ، فأخبر بذلك النبي - ﷺ - فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله . ولهذا الحديث^(٢) ألفاظٌ هذا حاصلها .

وفي رواية " أن بعض الصحابة مازال يرصده بعد أن سمع من رسول الله - ﷺ - أنه من أهل النار حتى قتل نفسه " .

وثبت في الصحيحين^(٣) وغيرهما من حديث علي : " أن رسول الله - ﷺ - أمره وأمر الزبير بن العوام ، وأبا مرثد الغنوي ، أن ينطلقوا حتى يأتوا (روضة خاخ) فإن بها امرأة معها كتابٌ إلى مشركي قريش ، فوجدوها ووجدوا ذلك الكتاب ، من حاطب بن أبي بلتعة " قلت : والقصة مشهورة ، وفيها اعتذار حاطب ، ونزول قوله - سبحانه - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(٤) الآية .

وفي الصحيحين^(٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة أن النبي - ﷺ - أخبر بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج إلى المصلّى وكبر عليه أربع تكبيرات . قلت : وكان الأمر كذلك ، فإنه جاء الخبر بموت النجاشي في ذلك اليوم الذي أخبرهم فيه

(١) : أخرجه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٠٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٠٧ و ٣٩٨٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٤) .

(٤) : [الممتحنة : ١] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٤٥) ومسلم في صحيحه رقم (٩٥١) .

رسولُ الله - ﷺ - .

وفي الصحيحين^(١) من حديث حميد الساعدي ، قال : خرجنا مع رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك فقال : " ستهبُ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يَقمُ فيها أحدٌ منكم ، فمن كان له بعيرٌ ، فليشدُّ عقلَهُ فهبَّ ريحٌ شديدةٌ ، فقام رجلٌ فحملته الريحُ حتى ألقتَه بجبلٍ طيءٍ " .

وفي صحيح البخاري^(٢) أنه أرسل النبي - ﷺ - الجيشَ في غزوة مؤتة وأمر عليهم زيدَ ابنَ حارثةَ ، وقال : " إن قُتِلَ فجعفرٌ ، فإن قتلَ فعبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ ، فقتلوا " . وأخبر النبي - ﷺ - في اليوم الذي قتلوا فيه . [٣٣]

وفي صحيح البخاري^(٣) أن النبي - ﷺ - " أخبر بقتل القراء في بئر معونة ، لما أخبره جبريلُ أنهم قد لقوا ربهم ، فرضي عنهم ، وأرضاهم " قلت : وقد كان ذلك قرآناً يتلى ، حتى نُسخَ لفظه .

فهذه شعبةٌ يسيرةٌ ، من إخباره - ﷺ - بالأمر الغيبية التي وقعت كما أخبر به ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما في الصحيحين ، وفيهما غيرُ ذلك مما يطولُ بسطُه ، ويتسع استيفأؤه . وأما ما كان في غير الصحيحين من كتب الحديث والسير ، فلا يتسع لذلك إلا مؤلفٌ بسيطٌ .

[من الآيات والدلائل على نبوته - ﷺ - :]

ومن دلائل نبوته وبراهين رسالته ، ما وقع له من الآيات البينات ، والبراهين المعجزات ، فمن ذلك : انشقاق القمر ، وقد نطق بذلك الكتاب العزيز ، قال الله - عز وجل - : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤٨١) ومسلم في صحيحه رقم (١٣٩٢) .

(٢) : في صحيحه رقم (٤٢٦١) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤٠٩٣) .

مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ (١) .

وفي الصحيحين^(٢) عن أنس " أن أهل مكة سألوا رسول الله - ﷺ - أن يريهم آيةً ، فأراهم انشقاقَ القمرِ مرتين " . ومثله في الصحيحين^(٣) أيضاً عن ابن مسعود . وفي الصحيحين^(٤) أيضاً أن ابن مسعود قال " رأيت القمر منشقاً شقين بمكة . قيل فخرج النبي - ﷺ - شقة على جبل أبي قُبَيْسٍ ، وشقة على السويداء^(٥) ، فقال كفار قريش [يا أهل مكة ، هذا سحرٌ كرمُ ابنِ أبي كَبْشَةَ^(٦) . انظروا السِّفَارَ ، فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق ، وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم فهو سحرٌ ، قال فسئل السِّفَارُ وقدِمُوا من كل وجه ، فقالوا رأينا " .

وفي صحيح البخاري^(٧) عن ابن عباس أنه قال : " انشق القمر على زمان رسول الله - ﷺ - ، وفي صحيح مسلم^(٨) عن ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ ﴾ قال : قد كان ذلك على عهد رسول الله - ﷺ - انشق القمر فلقتين ، فلقة

(١) : [القمر ١-٢] .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٢) لم يخرج به البخاري بهذا اللفظ .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٦٨) بنحوه ومسلم رقم (٢٨٠٢) .

(٤) : لم أجده بهذا اللفظ في الصحيحين .

بل أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٢٦٥ ، ٢٦٦-٢٦٧) وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص ٣٨

رقم ٢٩٥) وابن جرير في جامع البيان (١٣/ج٢٧/٨٥) .

(٥) : السويداء : موضع بالحجاز .

لسان العرب (٣/٢٣١) .

وقال ابن حجر في الفتح (٧/١٨٤) السويداء : ناحية خارج مكة عندها جبل .

(٦) : يقصد النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده ، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض ...

انظر الفتح (١/٤٠) .

(٧) : رقم (٤٨٦٦) .

(٨) : رقم (٢٨٠١) .

من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال رسول الله - ﷺ - : " اللهم اشهد " .
قلت : وقد روي في غير^(١) الصحيحين من غير طريق هؤلاء المذكورين .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - صعوده^(٢) ليلة المعراج إلى ما فوق السماوات ، وقد نطق بهذا الكتاب العزيز ، وتواترت به الأحاديث تواتراً لا يشكُّ من له أدنى إمامٍ بعلم السنة ، ولا ينكر ذلك إلا متزندقٌ ، وليس بيده إلا مجرد الاستبعاد ، وليس ذلك مما تدفع به الأدلة ، ويبتلُّ به الضروريات وإلا لكان مجرد إنكار وقوع الشيء المبرهن على وقوعه كافيًا في دفعه ، وذلك خلاف العقل والنقل . وقد رفع الله - سبحانه - إلى السماء ، إدريس - عليه السلام - . وثبت في السفر الثاني من أسفار الملوك في التوراة ، أن إيليا رُفِعَ إلى السماء ، وبعض تلامذته ينظرُ إليه . وشاع ذلك ، ولم يخالف فيه أحدٌ من اليهود ، وهذا إيليا هو المسمَّى في القرآن إلياس . وهكذا ثبت في الأناجيل كلُّها أن الله - سبحانه - رفع عيسى - عليه السلام - بعد الطلب في زعمهم كما هو محرَّر هنالك ، ولا يخالف في ذلك أحدٌ من النصارى . وقد نطق القرآن^(٣) الكريمُ بأنه رفعه إليه ، ولم يُصَلَّب . وإلى ذلك ذهب بعض طوائف النصارى .

والحاصل أن رفعه إلى السماء متفقٌ عليه بين جميع المسلمين ، وجميع النصارى ، ولم يقع الخلافُ بينهم إلا في كونه رُفِعَ قبل الصلْب ، أو بعده .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما ثبت في الصحيحين^(٤) وغيرهما : أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة - والنبيُّ - ﷺ - قائمٌ يخطب - فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ،

(١) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٢٨٩) من حديث جبير بن مطعم .

(٢) : انظر صحيح البخاري رقم (٤٧١٦) وانظر : تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧) .

(٣) : قال تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٩٣٣) ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧/٨) من حديث أنس بن

مالك ﷺ .

وانقطعت السبلُ ، فادع الله بغيثنا ، [٣٤] فرفع رسول الله ﷺ - يده ثم قال :
 " اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا " . قال أنسٌ : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ، وإن
 السماء لمثل الزجاجة ، فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه ، حتى ثار السحابُ أمثالَ
 الجبالِ ، ثم لم يزلْ عن منبره حتى رأيتُ المطرُ يتحادرُ على لحيته . ثم دخل رجل من ذلك
 الباب في الجمعة المقبلة ، - ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب - فقال يا رسول الله ، هلكت
 الأموالُ ، وانقطعت السبلُ ، فادع الله يمسكها عننا ، فرفع رسول الله ﷺ - يده ثم
 قال : " اللهم حوالينا لا علينا ، اللهم على الآكامِ ، والظرابِ ، وبطنون الأودية ،
 ومنابتِ الشجر " . فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجتُ حتى رأيتُ المدينةَ في مثل
 الجوبة ، وسال (وادي قناة) شهراً ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما ثبت في البخاري^(١) وغيره في قصة أبي رافع
 اليهودي ، وأن عبد الله بن عتيك لما فرغ من قتله ، انكسرت ساقه ، فوصل إلى النبي
 - ﷺ - فقال : ابسط رجلك فبسطها فمسحها . قال : وكأنما لم أشكها قط ، والقصة
 مبسوطه في كتب الحديث والسير .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في البخاري^(٢) وغيره^(٣) : " أنها أصابت سلمة بن
 الأكوع يوم خيبر ضربةً في ساقه ، فنفت فيها رسولُ الله - ﷺ - ثلاث نَفَثَاتٍ قال :
 فما اشتكيتُ منها حتى الساعة " .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما ثبت في الصحيحين^(٤) وغيرهما^(٥) من حديث جابر قال :

(١) : في صحيحه رقم (٤٠٣٩) .

(٢) : في صحيحه رقم (٤٢٠٦) .

(٣) : كأبي داود رقم (٣٨٩٤) . كلاهما من حديث يزيد بن أبي عبيد .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٥) ولم يخرج مسلم .

(٥) : كالنسائي في السنن (١٠٢/٣) .

" كان رسول الله - ﷺ - إذا خطب يقوم إلى جذع من جذوع النخل ، فلما صنع المنبر وقام عليه ، سمعوا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي - ﷺ - فوضع يده عليها ، فسكنت " . ولهذا الحديث طرقٌ ، وألفاظٌ ثابتةٌ في الصحيحين وغيرهما .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - تكليمُ الشجر له .

ومن ذلك ما في الصحيحين^(١) وغيرهما عن معن بن عبد الرحمن قال : " سمعت أبي يقول : سألتُ مسروقاً : من أذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : حدثني أبوك ، يعني عبد الله بن مسعود أنه قال : آذنته^(٢) بهم شجرة " .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين^(٣) وغيرهما عن أنس " أن النبي - ﷺ -

دعا بماء ، فأتى بقدرٍ رحاح^(٤) ، فجعل القوم يتوضؤون " .

وفي لفظ^(٤) : " فانطلق رجلٌ من القوم فجاء بقدرٍ فيه ماء يسيرٌ " ، وفي لفظ^(٥)

لهما : " فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه - ﷺ - " ، وفي لفظ لهما : " فتوضأ

الناس وشربوا " ، وفي لفظ البخاري^(٦) : " فشربنا ، وتوضأنا ، قلت كم كنتم ؟ قال :

لو كنا مائة ألفٍ لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة " . وفي لفظ للبخاري^(٧) أيضاً : " كنا

ألفاً وأربعمائةٍ أو أكثر من ذلك " وكذا لفظ مسلم^(٨) ، وللحديث طرقٌ وألفاظٌ في

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٤٥٠) .

(٢) : آذنته : آذن بالمد : أعلم مختار الصحاح ص ١٢ .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٢٠٠) ومسلم رقم (٢٢٧٩) .

● رحاح : الواسع القصير الحدار .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٤) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٩) .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤١٥٢) .

(٧) : في صحيحه رقم (٥٦٣٩) .

(٨) : في صحيحه رقم (١٨٥٦) .

الصحيحين وغيرهما حاصلها أهم شربوا وتوضؤوا ، وهم هذا العدد .

ومن ذلك ما في الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث المرأة التي وجدوها ومعها مزادتان من ماء ، فانطلقوا بها إلى رسول الله - ﷺ - فشربوا منها وهم أربعون ، قد أصابهم الجهدُ من العطش ، وملاً كلُّ واحد منهم قُرْبَتُهُ ، ولم يظهر في المزادتين نقصٌ ، فلما رجعت المرأة إلى قومها ، قالت : لقد لقيتُ أسحرَ الناس . أو أنه نبي كما زعم ، كان من أمره (ذيت^(٢) ، وذيت) فهدى الله - عزَّ وجلَّ - ذلك القومَ بتلك المرأة فأسلمتُ وأسلموا .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين^(٣) وغيرهما من حديث جابر : " أن شأته التي ذبحها لرسول الله - ﷺ - مع صاعٍ من شعيرٍ أكل منها من كان يحفرُ الخندقَ مع رسول الله - ﷺ - ، وهم ألفٌ ، وذلك لأن رسول الله بصقَ في البرمة ، وبصقَ في العجين ، وبارك في ذلك . قال جابر : فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ، وإن برمتنا ، لتغطُّ كما هي ، وإن عجينتنا ليخبزُ كما هو " .

ومن هذا في الصحيحين^(٤) وغيرهما من حديث أنس [٣٥] في قصة أبي طلحةَ وامرأته أم سليم أنها أخرجت أقراصاً من شعير ، وعصرت عليه عكَّةً لها ، فقال فيه رسول الله - ﷺ - ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل القوم كلهم ، وهم سبعون رجلاً ، أو ثمانون رجلاً ، ثم أكل رسول الله - ﷺ - وأبو طلحةَ وأم سليم وأنس قال : وفضلَ فضلةً فأهديناها لجيراننا " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧١) ومسلم في صحيحه رقم (٦٨٨) واللفظ لمسلم .

(٢) : ذيت وذيت بمعنى : كيت وكيت وكذا وكذا .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤١٠٢) ومسلم رقم (٣٠٣٩) .

لتغط : تغطي وتفور انظر الفتح (٢٩٩/٧) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٣٨١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٤٠) .

ومن ذلك ما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة^(١) ، وأبي سعيد ، وسلمة بن الأكوخ قالوا : " كنا في مسير لنا مع رسول الله - ﷺ - فنفتد أزواد القوم ، حتى هموا بنحر بعض حمائلهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم ، فدعوت الله عليها ! قال : ففعل ، فجاء ذو البربره ، وذو التمر بتمره ، وذو النوى بنواه ، فدعا رسول الله - ﷺ - عليها ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في المعسكر وعاء إلا ملؤوه ، فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال عند ذلك رسول الله - ﷺ - : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة " .

وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث سلمة في غزوة خيبر قال : " أمرنا أن نجتمع ما في أزوادنا (يعني من التمر) فبسط نطعاً فنثرنا عليه أزوادنا ، قال : فتناولت ، فنظرت فحرزته كربضة شاة ، ونحن أربع عشرة مائة ، فأكلنا ، ثم تناولت فحرزته كربضة الشاة " .

وفي البخاري^(٣) ، قال : " فتناولت لأحزره كم هو ، فحرزته كربضة المعز ، ونحن أربع عشرة مائة ، فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جربينا " .

ومن ذلك ما في صحيح مسلم^(٤) من حديث جابر ، قال : " جاء رجل إلى النبي - ﷺ - يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه ، وامرأته وضيفهما ، حتى كآله ، فأتى النبي - ﷺ - ، فقال : لو لم تكله لأكلتم منه ، ولقسام لكم " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٨٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) : رقم (١٧٢٩) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٤٨٤) بنحوه مختصراً .

(٤) : في صحيحه رقم (٢٢٨١) .

وفي صحيح مسلم^(١) أيضاً من حديث جابر " أن أم مالك كانت تهدي للنبي - ﷺ -
 في (عكة) لها سمناً ، فأتى بنوها ، فيسألون الأدم ، وليس عندهم شيء ، فتعمد إلى
 الذي كانت تهدي فيه للنبي - ﷺ - ، فتجد فيها سمناً ، فما زال يقيم لها أدمً بينها
 حتى عصرته ، فأتى النبي - ﷺ - فقال عصرتها ؟ قالت : نعم . قال : لو تركتها ما
 زال قائماً " .

ومن ذلك ما في الصحيحين^(٢) وغيرهما من حديث أنس قال : " تزوج النبي - ﷺ -
 زينب ، فدخل بأهله ، قال : فصنعتُ أمي أم سليم حَيْساً فجعلته في تورٍ من حجارة ،
 فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا إلى رسول الله - ﷺ - فقال له رسول الله ﷺ : اذهب
 فادعُ فلاناً ، وفلاناً ، وفلاناً ، ومن لقيت ، وسمي رجلاً ، قال : فدعوت من سمى ،
 ومن لقيت ، قال الجعد ، وهو الراوي عن أنس عددكم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة ،
 قال : فقال لي رسول الله - ﷺ - : يا أنس ، هات (التور) قال : فدخلوا حتى
 امتلأت الصفة والحجرة ، فقال رسول الله - ﷺ - ليتحلقت عشرة عشرة ، وليأكل
 كل إنسان مما يليه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، قال فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة ،
 حتى أكلوا كلهم ، يا أنس : ارفع فرفعت . فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين
 رفعتُ " الحديث .

ومن ذلك ما في البخاري^(٣) من حديث أبي هريرة " أنه أهدي إلى النبي ﷺ قسح
 لبن ، فدعا أصحاب الصفة ، فشرب كل واحد منهم منه حتى روي ، ثم شرب أبو
 هريرة حتى روي ، ثم شرب النبي - ﷺ - " .

(١) : في صحيحه رقم (٢٢٨٠) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥١٦٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٢٨) .

(٣) : في صحيحه رقم (٦٤٥٢) .

وأخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٤٧٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ومن ذلك ما في الصحيحين^(١) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، قال :
 " كنا مع النبي - ﷺ - ثلاثين ومائة ، فأشترى النبي - ﷺ - شاةً وذبحها لهم ،
 وأمر بسوار البطن أن يشوي . قال : وأيم الله ما في الثلاثين والمائة إلا من قد حزَّ له
 النبي - ﷺ - حزةً من سوار بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه ، وإن كان غائباً خبأ له ،
 فجعل منها قصعةً ، وأكلوا [٣٦] أجمعون ، فشبعنا " وذكر أنهم حملوا الفضلة على
 البعير .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في صحيح البخاري^(٢) من حديث جابر ، أن والده
 استشهد وترك ديناً ، وترك ستَّ بنات ، فلما حضر جذاذ النخل ، قال أتيت النبي - ﷺ -
 فقلت : قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أُحُدٍ ، وترك ديناً كثيراً ، وإني أحب أن
 يراك الغرماءُ ، قال : اذهب فبيدري كلَّ ثمرٍ على ناحية ، ففعلت ، ثم دعوته - ﷺ - ،
 فلما نظروا إليه ، كأنهم أغرَّوا بي تلك الساعة . فلما رأى ما يصنعون ، أطافَ حولَ
 أعظمها بيدراً ثلاثَ مرَّات ، ثم جلس عليه ، ثم قال : ادع لي أصحابك ، فما زال يكيل
 لهم حتى أدى إليهم عن والدي أمانته ، وأنا أرضى أن يؤدي إليهم عن والدي أمانته ، ولا
 أرجع إلى أخواتي بتمرة ، فسلم الله البيادرَ كلها حتى إني لأنظر إلى البيدرِ الذي كان عليه
 النبي - ﷺ - كأنها لم تنقصْ تمرَّةً واحدةً .

وفي رواية^(٣) أن جابر قد كان عرضَ على أهل الدين أن يأخذوا التمرَ كله فآبوا .
 ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين^(٤) وغيرهما عن جابر بن سمرة عن النبي
 - ﷺ - أنه قال : " إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلمُ عليَّ قبل أن أُبعثَ ، إني لا

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٥٦) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٩٦) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٩٥) .

(٤) : لم يخرج البخاري وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٧) ، وأخرجه الترمذي رقم (٣٦٢٤) .

وقال : هذا حديث حسن غريب . قلت : وهو حديث صحيح .

أعرفه الآن " .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث أنس قال : صعد النبي ﷺ - أحداً ومعه أبو بكر وعمر عثمان ، فرجف بهم الجبل ، فقال : " اسكنْ وضربهُ برجله ، فليس عليك إلا نبي ، وصديق ، وشهيدان " .

وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث سلمة بن الأكوع : أن النبي ﷺ - في غزوة حنين قبض قبضةً من الأرض ، واستقبل به وجوههم فقال : شامتِ الوجوهُ فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله .

وفي صحيح مسلم^(٣) أيضاً من حديث العباس ابن عبد المطلب أن رسول الله ﷺ - أخذ حصيات فرمى بها وجوه الكفار ، ثم قال : " انهزموا ورب الكعبة " .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما نطق به القرآن الكريم من تأييد الله - سبحانه - له بالملائكة ، كقوله : ﴿ أَنبَىٰ مُمَدِّكُمْ بِالْفِ مِنْ أَلْمَلِكَةِ مُرْدِفِينَ ۗ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آءَالْفِ مِنْ أَلْمَلِكَةِ مُنزَلِينَ ۗ ﴾^(٥) بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آءَالْفِ مِنْ أَلْمَلِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۗ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۗ ﴾^(٦) ، وقوله ﴿ وَأَنْزَلْ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۗ ﴾^(٧) . ونحو ذلك من الآيات . وقد شوهدت الملائكة

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٥) ورقم (٣٦٨٦) و (٣٦٩٧) .

(٢) : رقم (١٧٧٧) .

(٣) : رقم (١٧٧٥) .

(٤) : [الأنفال : ٩] .

(٥) : [آل عمران : ١٢٤-١٢٥] .

(٦) : [الأحزاب : ٩] .

(٧) : [التوبة : ٢٦] .

في بعض حروبه - ﷺ - .

ففي الصحيحين^(١) عن ابن عباس قال : " بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتمُّ في إثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً سوطٍ فوقه ، وصوتُ الفارس يقول : أقدمَ حيزومُ ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً ، فنظر إليه ، فإذا قد حُطِّمَ أنفه ، وشقَّ وجهه كضربةِ السوطِ ، فأحضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدث بذلك رسول الله - ﷺ - فقال : صدقتَ ، ذلك من مدد السماء الثالثة " ، وذلك يومَ بدر .

وفي الصحيحين^(٢) وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال رأيتُ يومَ أُحُدٍ عن يمين النبي - ﷺ - وعن يساره رجلينِ عليهما ثيابٌ بيضٌ يقاتلانِ عن رسول الله - ﷺ - أشدَّ القتال ، ما رأيتُهما قبل ذلك اليوم ، ولا بعده ، يعني جبريلَ وميكائيلَ - عليهما السلام - .

وفي البخاري^(٣) عن أنس قال : " كأني أنظرُ إلى الغبارِ ساطعاً في زقاقِ بني غنمٍ موكبَ جبريلَ - عليه السلام - حين سار رسول الله - ﷺ - إلى بني قريظة . [٣٧] ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين^(٤) وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : " قال أبو جهل : هل يعفرُ محمدٌ وجهه بين أظهرِكم ؟ قيل نعم ؟ قال : واللوات والعُزَّى لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقبته ، فما جاءهم منه إلا وهو ينكصُ على عقبيه ، ويتقي بيديه ، فقيل له مالك ؟ قال : إن بيني وبينه لخدقاً من نارٍ ، وهولاً ، وأجنحةً " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٩٢ - ٣٩٩٥) مختصراً .

ومسلم في صحيحه رقم (١٧٦٣) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٥٤) مختصراً .

ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٦) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤١١٨) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٥٨) مختصراً ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٩٧) .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث البراء بن عازب في قصة هجرته - ﷺ - عن أبي بكر قال : " واتبعنا سراقه بن مالك بن جُعشم ، ونحن في جدد من الأرض ، فقلتُ : يا رسول الله ، أئبنا ، فقال : لا تحزن إن الله معنا ، فدعا عليه رسول الله - ﷺ - ، فارتطمت فرسه إلى بطنها فقال : قد علمت أنكما دعوتما عليّ ، فادعوا لي ، ولكما أن أردد عنكما الطلب ، فدعا الله فنجا " الحديث .

وفي الصحيحين^(٢) وغيرهما من حديث سراقه نفسه قال : " ساختُ يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغنا الركبتين ، فخررتُ عنها ، ثم زجرتها فهضتُ ، فلم تكد تخرجُ يديها ، فلما استوت قائمةً إذا لأثرٍ يديها غبارٌ ساطع في السماء مثل الدخان " الحديث .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين^(٣) ، وغيرهما عن جابر قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قبل نجد ، فأدركنا رسول الله - ﷺ - في القائلة في واد كثير العَصاة ، فنزل رسول الله - ﷺ - تحت شجرة فعلق سيفه بغصنٍ من أغصانها ، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر . فقال رسول الله - ﷺ - : " إن رجلاً أتاني ، وأنا نائم فأخذ السيفَ فاستيقظت وهو قائم على رأسي ، والسيفُ صلَّتاً في يده ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله ، فشام السيف^(٤) فيها هو ذا جالسٌ ، ثم لم يعرض لرسول الله - ﷺ - ، وكان ملكَ قومه ، فانصرف حين عفا عنه ، فقال : لا أكونُ في قوم هُم حربٌ لك " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٥) بنحوه . ومسلم في صحيحه رقم (٣٠٠٩) .

● جدد من الأرض : هو المستوى من الأرض وعند مسلم (جلد) وهما روايتان .

صحيح مسلم (١٥٠/١٨) نووي .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٠٦) معلقاً .

قلت : وأخرجه البيهقي في " الدلائل " (٤٨٥-٤٨٩) موصولاً .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٩١٣) بنحوه ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٤٣) واللفظ له .

(٤) : شام السيف : أي أغمده . والشيمُ من الأضداد ، يكون سلاً وإغماداً .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما عن أنس قال : كان رجلٌ نصراني فأسلمَ وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ﷺ - فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدري محمد ، إلا ما كتبت له ، فقال رسول الله : اللهم اجعله آيةً ، فأماؤه الله ، فأصبح وقد لفظته الأرضُ ، فقالوا : هذه فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له ، وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض فقالوا : مثل الأول ، فحفروا له ، فأعمقوا ، فلفظته الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبذاً " .

وفي الصحيحين^(٢) وغيرهما عن ابن مسعود قال : قال النبي ﷺ - : " اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط " قال ابن مسعود : فوالذي بعث محمدًا بالحق ، لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدرٍ سُحبوا إلى القليب ، قليب بدرٍ " وكان هذا الدعاء منه - ﷺ - عليهم لما وضعوا عليه - ﷺ - - سِلاً الجزورِ .

ومن إجابة دعائه - ﷺ - ما ثبت في الصحيحين^(٣) وغيرهما أنه - ﷺ - دعا لأنس بن مالك فقال : " اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته " . فكان من أكثر الأنصار مالاً وولداً ، حتى روى عنه أنه دفن لصلبه إلى عند مقدم الحجاج بن يوسف بضعاً وعشرين ومائة .

وفي الصحيحين^(٤) وغيرهما أنه - ﷺ - قال لعبد الرحمن بن عوف " بارك الله لك ، أولم ولو بشاة " . فبلغ مال عبد الرحمن مبلغاً عظيماً ، قال الزهري : إنه تصدق بأربع مائة ألف دينار ، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، وخمسمائة بعير في سبيل الله ، وكان عامته ماله في التجارة .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٨١) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٠) بنحوه . ومسلم في صحيحه رقم (١٧٩٤) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٨٠) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٨٠) .

وفي الصحيحين^(١) وغيرهما أنه - ﷺ - دعا لابن عباس فقال : " اللهم فقّههُ في الدين ، وعلمهُ التأويل " ، فكان له من العلم والدراية بالتفسير [٣٨] ما هو معلوم عند كل عارف ، حتى كانوا يسمّونه البحر .

وفي صحيح البخاري^(٢) أن عبد الله بن هشام كان يخرج إلى السوق فيتلقّاه ابن الزبير ، وابن عمر فيقولان : أشركنا ، فإن رسول الله - ﷺ - قد دعا لك بالبركة فيشركهم ، فربّما أصاب الراحلة كما هي ، فيبعثُ بها إلى المنزل .

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث سلمة : " أن رجلاً ، أكل عند رسول الله - ﷺ - بشماله ، فقال له : كُلْ بيمينك ، فقال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبرُ قال : فما رفعها إلى فيه " .

واعلم - أرشدني الله وإياك - أن دلائل نبوة نبيّنا محمد - ﷺ - لا يحيط بها القلم ، وإن طال شوطه ، وقد صنّف أهل العلم في ذلك مؤلّفات مبسّطة مطوّلة كما عرفناك سابقاً ، وأرشدناك إلى مصنّفات بعض المصنّفين في هذا الشأن ، ولم نذكرها هنا إلا نزراً يسيراً ، وقدرًا حقيرًا مما في الصحيحين أو أحدهما ، وقد بقي فيها غير ما ذكرنا كما لا يخفى على العارف بها ، ولو ذكرنا جميع ما فيها وما في بقية الأمّهات السّت ، وما في سائر كتب الحديث والسّير لجا من ذلك كتاباً مطوّلاً ، ومؤلفاً حافلاً .

ولكن لما كان الغرض هاهنا هو التنبية على اتفاق جميع الشرائع على إثبات الثلاثة المقاصد التي جمعنا هذا المختصر لها كان فيما ذكرنا ما يفيد ذلك ، ولو كتبنا هاهنا الآيات القرآنية الدالة على كل مقصد من هذه المقاصد لأتينا على غالب الآيات القرآنية ، وعلى كثير من الأحاديث الصحيحة .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥) . ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٧٧) .

(٢) : رقم (٢٥٠١) و (٢٥٠٢) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٠٢١) .

ثم اعلم ثانياً أن دلائل نبوة سائر الأنبياء ، قد اشتملَ على كثير منها القرآنُ الكريم ،
والسنةُ المطهرةُ ، وكذلك التوراةُ والزبورُ ، وسائرُ كتبِ أنبياءِ بني إسرائيلَ ، والإنجيلَ ،
وإنما اقتصرنا على ذكر بعض دلائل نبوة نبينا - ﷺ - ، لأن ثبوته بهذه الدلائل وأمثالها
يستلزمُ ثبوتَ نبوة جميع الأنبياءِ - عليهم السلام - ، لأنه - ﷺ - قد أخبرنا بأنهم أنبياءُ
الله - سبحانه - كما اشتملَ على ذلك القرآنُ الكريم ، والسنةُ المطهرةُ .

فثبوتُ نبوته يستلزمُ ثبوتَ نبوة سائر الأنبياءِ .

ووجهُ ذلك أن ثبوتَ نبوته يستلزمُ ثبوتَ جميع ما أخبر به وصحته .

ومما أخبر به ثبوتُ نبوة جميع الأنبياءِ ، فكان في ذكر دلائل نبوته ما يغني عن ذكر

دلائل نبوة سائر الأنبياءِ ، ولهذا اقتصرنا على ذلك .

وبمجموع ما ذكرناه تقرّر اتفاقُ الشرائعِ جميعها على إثبات تلك المقاصدِ الثلاثة وهو

المطلوب .

والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

كان الفراغ من تحرير هذا المختصر يوم الأربعاء ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع

الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثين بعد المئتين والألف .

بقلم مؤلفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه محمد بن علي الشوكاني - غفر الله

لهما - .